صـالـح جـودت

شاعر الحب والحرية

حياته وشعره وقصائده المجهولة

تحقيق ودراسة

محمد رضوان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: صالح جودت ..حياته وشعره وقصائده المجهولة

اسم المؤلف: محمد رضوان

رقم الإيداع : ٩٤٧٢

الطبعة الأولى ٢٠١٢



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٩ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com



أغنيات على النيل

شعر

صالح جودت

مقدمة



صالح جودت ... شاعراً وإنسانًا

بقلم : محمد رضوان

يعد الشاعر صالح جودت (١٩٠٨ ـ ١٩٧٦) أحد أبرز شعراء الوجدان في الشعر العربي المعاصر خاصة أنه كان أحد شباب شعراء مدرسة أبوللو الشعرية (١٩٣٣ ـ ١٩٣٤) الذين شكلوا التيار الوجداني في الشعر الحديث ، وجاء تجديده ذا طبيعة فنية متفردة ، فانطلقت تجربته الشعرية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين ، تحمل ذلك الصوت الوجداني الشجي النافذ والنزعة التأملية العميقة في الكون والحياة ، من أجل هذا لم يقتصر تجديده على الناحية الشكلية أو الناحية الفكرية ، بل انصهرت طبيعة تكوينه الروحي والثقافي وظروف حياته ومشكلاته في بوتقة واحدة ، وطبعت تجربته بطابع فيه الجدة والابتكار من حيث قاموسه الشعري ، وصوره الشعرية المبتكرة ، وجمالها الفني الأخاذ ، فضلا عن أنه كان من أقدر شعراء مدرسة أبو للو على التعبير عن تلك التجربة الوجدانية خاصة عن علاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة الإنسان بالإله وفكرة الحياة والموت ، حيث عبر عن ذلك كله في شعره بصور مختلفة وهو ما زال في فجر شبابه لم يتجاوز الخامسة والعشرين في عمره ، وهي السن التي تتسم بالتساؤل والاندفاع والشك والتمرد ، فكان من نتاج ذلك مطولته الفلسفية «الراهب المتمرد»[(١)] التي حفلت بألوان من الشك والتساؤلات وقد اختار لها جوا أسطوريا مغرقًا في الخيال ، يذكرنا بذلك الجو الأسطوري الخيالي الذي صوره لنا الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨م) في ملحمته «شاطئ الأعراف» وقد بدا صالح جودت في ملحمته الفلسفية مفكرًا متمردًا يثير عواصف من الشك والحيرة ثم ما يلبث بعد ذلك أن يصل إلى شاطئ الإيمان واليقين والتسليم بإرادة

(١) ديوان صالح جودت - ١٩٣٤ - الراهب المتمرد .

الله وقدرته فينتابه الندم ، ويزمع ألا يقول الشعر ما عاش بعد طبع ديوانه الأول[1]:

لا رعاك الله يا شعري على الدهر ولا حيّاك حيٌّ
قد تمردتُ على الله فحلت نقمة الله عليّ
يا إلهي قد نفضت الشعر عن قلبي وأخليت يديّ
وكسرتُ اليوم أقلامي وأغلقت بقلبي شفتيّ
وتنكرتُ لليالي التي أوحت بأشعاري إليّ
عدت للمسجد والتقوي وأوهنت صلاةٍ ركبتيّ
وغدا القرآن في يمناي يسترحم من نشرٍ وطيّ
يا إلهي ... دمعة النادم خفف نارها في مقلتيّ

لقد مر الشاعر الشاب بتلك المحنة التي مر بها معظم الشعراء والأدباء والمفكرين في مطلع حياتهم في هذه السن المتأججة الملتهبة التي جعلتهم يثيرون حولهم عواصف الشك والحيرة والتساؤل وإن كان طريقهم يأخذهم في نهاية الأمر إلى شاطئ اليقين والإيمان والتوازن النفسي والوجداني .

ومنذ صدور ديوان صالح جودت » الأول عام ١٩٣٤ عن مجلة أبو للو ظل شعره يستأثر بثلاثة محاور هي الله، والحب ، ومصر ، وهو ما بدأ به حياته في فجر عمره ، وانتهى به في آخر المطاف وقد تميز شعره في كل مراحل حياته بذلك الوهج النفسي الحار العميق والتألق العقلي النافذ ، وتلك الشاعرية العارمة المشاعر ، المرهفة العقل ، حيث نجح في تحويل معاناته وأحاسيسه إلى تجربة فنية جديدة مبتكرة فيها هذا الهمس الخافت المعبر عن سرائر روحه الحزين وأسرار قلبه العاشق ، مع قدرة على موسقة الكلمات وذلك التلوين الصوتي ، والتلوين الموسيقي واستثمار كل إيحاءات الألفاظ وتفجير ما فيها من شحنات صوتية وفنية ، حيث نجح في تصوير كل ما يمور في نفسه من حيرة وقلق وشجن ، وكل ما يموج في قلبه من مشاعر حب وعشق وصبوة.

(١) أبوللو : أبريل ١٩٣٤.

هكذا بدأ صالح جودت تجربته الشعرية المبكرة ، ولكن قبل ذلك أود أن أشرك القارئ معي عن انطباعاتي عنه إنسانًا وشاعرًا من خلال معرفتي به واقترابي من عالمه الإنساني والشعري .

كان اسم صالح جودت يتردد كثيرًا في الإذاعة من خلال أغنياته العاطفية والوطنية التي يتغنى بها كبار مطربينا .. وكانت مقالاته وقصائده الرقيقة التي ينشرها على صفحات الصحف والمجلات في الستينيات من القرن العشرين تشدني وتهزني .. وكنت في بلدتي الجمالية بمحافظة الدقهلية أتابع هذا الاسم بكل الإعجاب والتقدير ، وتمنيت الالتقاء به ، ولما اتجهت إلى القاهرة في نهاية عام ١٩٦٦ والتحقت بكلية دار العلوم كانت الكلية بحي المنيرة بوسط القاهرة بالقرب من مؤسسة دار الهلال ، التي يعمل بها الشاعر الكبير .

ولكن تهيبي الريفي ، وخجلي الفطري منعاني من الذهاب إليه لمقابلته ، حتى أنجزت كتابي عن زكي مبارك ، فشجعني ذلك قليلاً ، وحملت أصول الكتاب وطفت به على بعض الأدباء والصحفيين لأستطلع رأيهم فيما كتبت ، فوجدت أكثرهم لم يهتم بالكتاب كما كنت أتخيل وكنت أظن أن الدنيا كلها ستهتز لكتابي الأول .

وذات صباح من شهر مارس عام ١٩٦٨ اتجهت إلى دار الهلال ، وانتظرت في السكرتارية أطلب اللقاء بالشاعر صالح جودت الذي كان يعمل يومئذ كاتبًا بمجلة المصور ، ولم يمض عليّ خمس دقائق مرت عليّ كأنها خمسة قرون ، حتى أذن لي السكرتير بالدخول .. ودخلت على صالح جودت ... واستقبلني ببشاشته المعهودة ، ووقف بقامته الفارعة يرحب بي ليزيل عني الرهبة والخوف ، وجلست معه بضع دقائق ، ثم تركت له أصول كتابي عن زكي مبارك ، وكان عنوانه «عبقرية زكي مبارك» ، وخرجت من عنده وبي راحة نفسية كبيرة ، بعد أن وجدت ترحيبًا طيبًا بي من هذا الشاعر الكبير ... وفي أحد أعداد مجلة حواء التي صدرت في شهر أبريل ١٩٦٨ وجدت مقالاً لصالح جودت بعنوان «بين ليلى العراق وليلى سنتريس» احتل صفحة كاملة تحدث فيه عن كتابي بكل الثناء

والحب والتشجيع ، وحرصت بعد ذلك أثناء دراستي الجامعية على التردد عليه كثيرًا بمكتبه بمجلة المصور ، وكان يهديني ما يصدر له من كتب أدبية أو دواوين شعره، وبدأت أكتب عنه دراسة أدبية بعنوان «شاعر ليالي الهرم» وذلك استيحاء من ديوانه الرقيق «ليالي الهرم» ، وهي قصيدته التي تجمع بين الوطنية والعاطفية، ورجعت إلى الكثير من المصادر والمراجع في كتابة هذه الدراسة ، حتى أنني توصلت لبعض كتاباته التي كان قد نسيها تمامًا .

وكنت أثناء العطلة الدراسية التي تستمر عادة ثلاثة أشهر في الصيف أراسله من بلدتي الجمالية ، وكان يرد على خطاباتي ببعض كلماته الرقيقة ، ومن أجمل ما أعتز به من رسائل ، رسالته المؤرخة في ٦ يناير ١٩٧٠ والتي قال لي فيها:

«أخي الصغير الحبيب محمد محمود رضوان» :

«إنني إذ أحييك ، فإنما أحيي فيك ، قبل الأديب ، الإنسان ، الذي لا يتجاوب إلا مع كل مثل عال وأسوة كريمة . وهذا هو ما يبشرني بك ، في مستقبلك ، كأديب طاهر لا تستطيع انحرافات التيارات الوافدة أن تجرفه وأن تؤثر فيه . إني أهنئ نفسي بك ، ولك تحية من القلب » .

ومضت الأيام وأنا أزداد تقديرًا لهذا الشاعر الإنسان الرقيق الذي يقف موقفًا صلبًا لا يلين من التيارات الماركسية والمذاهب الهدامة التي كانت طاغية في تلك الحقبة .

وأعود إلى قصة كتابي زكي مبارك مرة أخرى .

زرت صالح جودت مرة ثانية لأشكره على ما كتبه عني لأتسلم منه أصول الكتاب ، وفوجئت بمقدمة ضافية رائعة خطتها يراعة شاعرنا الكبير لهذا الكتاب ولمؤلف ناشئ مازال طالبًا يدرس بالجامعة ، ولم تسعني الدنيا كلها .

وحملت الكتاب بمقدمته إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة لينشر بها ، وكان يسيطر عليها يومئذ بعض اليساريين وأصحاب الاتجاهات الماركسية ، فرفضوا الكتاب بعد أن علموا أن مقدمته كتبها صالح جودت عدوهم اللدود ، الذي كان يخوض معهم معارك نارية حامية ، وعلم

صالح جودت بالقصة ، فكتب في مجلة الكواكب في شهر مايو ١٩٦٨ مقالاً عنيفًا بعنوان «مأساة شاعر سنتريس» روى فيه مأساة كتابي المرفوض ، ومأساة ديوان أحمد فتحي الذي جمعه ، وقدمه للنشر في نفس الهيئة ، ولكنه رفض بحجة أنه «تحت المستوى المطلوب» !

ثم تمر الأيام وأحصل على ليسانس كلية دار العلوم عام ١٩٧١ ، وفي عام ١٩٧٢ تقدمت للعمل بدار الهلال ، بعد أن رفضت العمل بالتدريس ، وأمر يوسف السباعي - رحمه الله - بأن أبدأ التدريب على الفور ، وكان ذلك حوالي شهر فبراير ١٩٧٢ تقريبًا ، وبدأت التدريب بمجلة المصور ثم بمجلة الهلال ، حتى عينت بها في مارس ١٩٧٣ محررًا أدبيًا .

ثم تمضي الأيام ويطلب مني صالح جودت أن أكتب مقالاً أدبيًا عن زكي مبارك في العدد الخاص الذي صدر من مجلة الهلال عن «أدباء العاطفة » في يونيه ١٩٧٣ ، وكان مقالي الأول بالهلال عن «مأساة زكي مبارك أمير العشاق » .

ثم نشر صالح جودت كتابي الذي رفضه اليساريون من قبل ، وصدر بعنوان «صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك» عن سلسلة كتاب الهلال في أكتوبر ١٩٧٤ ، وأحدث صدوره صدى طيبًا في الأوساط الأدبية ، وتمضي الأيام وتزداد ثقة صالح جودت بي ، وأزداد تقديرًا ووفاء له من خلال عملي معه بمجلة الهلال ، حيث تولى رئاسة تحريرها في مايو ١٩٧١ وكان رئيس مجلس الإدارة يومئذ الأديب الكبير يوسف السباعي .

ثم بدأت أنشر في الهلال مقالات أدبية بين الحين والآخر ، برغم بعض العقبات من الحاقدين الذين حاولوا إفساد العلاقة بيني وبينه من العاملين بالمجلة مما لا يتسع له المجال هنا .

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٧٥ جاء من يتعاقد معي للعمل كرئيس تحرير لمجلة السراج التي تعد لها العدة لتصدر بسلطنة عمان ، وقدمت لصالح جودت طلبًا بأجازة سنوية بدون مرتب ، وحاول أن يقنعني بعدم الاغتراب، وأحسست أنه بشعور الأب الحاني يريدني أن أظل بجانبه ، ولكن إزاء إصراري وشرحي لظروف تمسكي بالسفر في تلك الحقبة ، لم يملك إلا الموافقة .

وفي تلك الفترة داهمه المرض بصورة عنيفة .. وكان يداهمه بين الحين والآخر بصورة نوبات نزيف حادة ، وكان أكبرها أثناء زيارة له بالجزائر في مطلع ١٩٧٦ ، وفي شهر فبراير ١٩٧٦ صدر كتابي الثاني «مأساة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب » في سلسلة «كتاب الهلال» وهو بمستشفى المعادي ، وزرته هناك، وكانت السيدة زوجته تضع نظامًا صارمًا للزيارة حيث كانت تمنع معظم الزيارات حفاظًا على صحته، لكنني استطعت التسلل إليه في حجرته الخاصة واستقبلني كعادته بكل ترحاب ودماثة ووجدته يراجع أصول ديوانه «الله والنيل والحب» آخر دواوينه التي صدرت له .

ثم ساءت حالته الصحية بعد ذلك وسافر إلى لندن للعلاج وعاد منها في شهر يناير ١٩٧٦ ، ثم تحدد سفري إلى سلطنة عمان في التاسع من فبراير ١٩٧٦ ، ومررت عليه بمنزله بشارع صفية زغلول بحي المنيرة بالقاهرة ، وذهلت عندما رأيته ... إذ وجدته شبحًا .. وجلست معه بعض الوقت ، وأنا أعرف حقيقة مرضه العضال ، وصافحته بحرارة ، ثم عانقته ، وكانت هذه أول مرة وآخر مرة أعانقه فيها ، وسافرت بعدها إلى عمان ... وهناك علمت بنبأ رحيله الحزين في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ وبكيت من أعماقي عليه .

نسيت أن أقول إنني قبل سفري وأثناء مرض صالح جودت عكفت على إنجاز كتابي «صالح جودت: شاعر النيل والنخيل» في غمرة انفعالاتي الحزينة عليه ، وقدمته للصديق السفير الشاعر أحمد عبد المجيد ، فلم يملك الرجل إلا أن يكتب له مقدمة عاطفية حارة مفعمة بكل مشاعر حزنه وأساه وهو يعلم بمأساة مرض الشاعر الرقيق ، وأعطاني الكتاب والمقدمة وهو يقول لي :

«لقد كتبتها بكل انفعالاتي الحزينة وبكل مشاعري الصادقة» .

وصدر هذا الكتاب في أغسطس ١٩٧٧ بعد وفاة الشاعر الكبير .

لقد تعلمت من صالح جودت الكثير : التمسك بالمبدأ ، والوفاء ، والأصالة.

***

شاعرية صالح جودت

كان صالح جودت من أبرز شعراء الوجدان الذي جدد في الشعر :

جدد في الموضوعات وفي التناول وجدد في قاموس الشعر ، وفي طبيعة التجارب الإنسانية التي عاشها بكل وجدانه ، واستطاع أن يعبر عنها بصدق وفنية .

وإذا كانت معالم التجديد قد تجلت في موضوعاته الشعرية في ثلاثة محاور هي :

- الله .
- الحب .
- مصر والعروبة .

فإنها تجلت بشكل واضح في البناء الفني للقصيدة من حيث: الوحدة الموضوعية ، والوحدة الفنية ، والوحدة العضوية ، والنفس الدرامي الذي يملأ كل تجاربه ، وتجلت ألوان التجديد عنده بشكل واضح في براعته في استخدام أدوات التعبير الفنية كالقدرة على التنويع الصوتي والنغمي ، والتلوين في الصور وظلالها ، والتجسيد ، والتشخيص الحركي ، والمهارة في استخدام الأوزان القصيدة ، ومجزءوات البحور ، والتفنن في تنويع القوافي المشوقة ، حيث برز فيها العديد من شعراء الوجدان ، حيث تمكن من أن يوائم بنجاح بين رقة القافية وعذوبتها من ناحية ، وبين رقة الوزن المختار وطرافته ، فضلاً عن المواءمة بين موضوع القصيدة وبحرها الشعري ، وفي هذا دلالة على أن شاعرنا الوجداني الرقيق استطاع أن يسكب من روحه الشاعرة ، ونفسه المحبة للجمال على الألفاظ الشعرية وغير الشعرية عطرًا ونغمًا يجعلها سيمفونية شعرية ساحرة .

ومن خير سمات شاعرنا تلك الموسيقا التي تميّز شعره، فأكثر شعره من البحور القصيرة أو من المجزءوات، أو من الموشحات، حتى عد شاعرًا غنائيًّا رقيقًا، لأن اللغة التي يكتب بها لغة مشحونة بالموسيقى وبالغناء فضلاً عن اهتمامه بالموسيقى الداخلية والقافية مما يذكرنا بقول كولردج:

«لن يستطيع المبدع الذي تخلو روحه من الموسيقى أن يصبح شاعرًا أصيلاً، فالصورة قد يستطيع أي فرد موهوب، وعلى قدر من الاطلاع أن يكتبها بالجهد المتصل، أما الإحساس بالمتعة الموسيقية ـ بالإضافة إلى القدرة على توليد الإحساس لدى الغير فإنما هي موهبة الخيال وحده، ومن الممكن تنمية هذا الإحساس وتثقيفه، ولكن يستحيل تعلمه».

فالموسيقى عند شاعرنا هي قدس أقداسه، ومن الضروري أن نؤكد على أن موسيقاه ليست منفصلة عن إيقاع عصره حيث يلاحظ أن قوافيه لا تقبلها الأذن فقط، وإنما تقبلها العين كذلك، صحيح أنها قد تكون ضربًا من الصاجات في مواضع العين، ولكنه ضرب هامس، خاصة إذا عرفنا أنه يكثر من القوافي الهامسة المنغمة، ولا ننسى أنه كان «مؤلف أغان» مشهور، وأنه كان من الشعراء الذين يتحكمون في زمن القصيدة، وهناك طواعية ثمينة في قاموسه اللغوي، بحيث يصبح لكل إحساس كلمة موحية تدل عليه، وهو يقدم صوره الملونة جزءًا جزءًا من العالم المحسوس حوله، وأنه لا يخاطب قارئه بالبيت، وإنما يستدرجه ـ وبخاصة في القصائد المهرجانية إلى أن يصيح صيحة محسوبة بعد عدد من الأبيات كما كان يهتم بالمطالع، فإذا كان الأساس في الشعر عنده هو الكلمة، فالموسيقى عنده أساسها النغمة[1].

---

(١) د. عبده بدوي / في الشعر العربي الحديث / الكويت / ١٩٩٧.

رحلته الشعرية

قدم صالح جودت أثناء رحلته الشعرية التي استمرت حوالي نصف قرن من الزمان (١٩٣٠ ـ ١٩٧٦) ستة دواوين شعرية إضافة إلى قصائده وغنائياته في الإذاعة المصرية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين وحتى رحيله عن الحياة .

وقد قدم صالح جودت للمكتبة العربية ستة دواوين شعرية هي :

١ ـ ديوان صالح جودت (١٩٣٤) .

٢ ـ ديوان ليالي الهرم (١٩٥٧) .

٣ ـ ديوان أغنيات على النيل (١٩٦٢) .

٤ ـ ديوان حكاية قلب (١٩٦٥) .

٥ ـ ديوان «ألحان مصرية» (١٩٦٨) .

٦ ـ ديوان «الله والنيل والحب» (١٩٧٣) .

هذا بخلاف العديد من قصائده المتفرقة هنا وهناك في الصحف والمجلات .

◆◆◆

وهناك خطأ شائع حول سنة ميلاده ، فقد قيل: إنه عام ١٩١٢، لكني تأكدت أن تاريخ مولده هو ١٢ ديسمبر ١٩٠٨ ، وذلك من خلال السيدة نجيبة حسين إحدى قريباته ، كما أن سيرة حياته وتواريخ دراسته تؤكد ذلك،-أي أن مئوية صالح جودت مرت عام ٢٠٠٨ دون أن يشعر بها أحد، فلتكن هذه الدراسة، وهذا الشعر تحية وفاء لروح صالح جودت قيثارة مصر الخالدة.

أعماله الشعرية

وقد حرصت في أعمال صالح جودت الشعرية هذه أن أضمنها دواوينه الشعرية بالإضافة إلى قصائده المتفرقة التي أبدعها سواء في مطالع حياته أو في سنواته الأخيرة بعد إصدار ديوانه الأخير عام ١٩٧٣ فضلاً عن غنائياته الكثيرة بالفصحى التي تغني بها كبار مطربي ومطربات عصره من الإذاعة المصرية .

ولكن الملاحظة الجديرة بالذكر أن شاعرنا كان في كل ديوان جديد له بعد صدور ديوانه الأول عام ١٩٣٤ يضمنه بعض قصائد ديوانه السابق ، فكان لابد من حذف القصائد المكررة في دواوينه حتى نستطيع تقديم تراثه الشعري الحقيقي الكامل بعد غربلة المكرر والمعاد .



وبعد ، فإن صالح جودت قامة شعرية كبيرة ، وأحد أبرز شعراء الوجدان في الشعر العربي المعاصر، ونحن إذ نقدم هنا حياته وتراثه الشعري فإن ذلك جاء من منطلق الوفاء من تلميذ نحو أستاذه الكبير، ومن منطلق الإنصاف لشاعر كبير من أبرز شعراء الوجدان في الشعر العربي ، أسدلت على حياته وشعره ستارة من النسيان والتجاهل بسبب آرائه التصادمية مع مناوئيه خاصة في الأمور السياسية أو في حملته الحادة مع كل من يتنكر لأصول الشعر العربي وأصالته ، فكانت معاركه الأدبية الساخنة مع أصحاب قصيدة الحداثة وقصيدة النثر وكل من يكتب ما يسمى شعرًا دون وزن أو موسيقا هنا كان قلمه يتحول إلى سلاح ساحق ما حق لا يجامل ، ولا يداور ، ولا يتساهل ، بل كان صاحب موقف واضح صريح لا لبس فيه وكان هذا أيضًا موقفه من التيارات المتطرفة يمينًا أو يسارًا ، فكان قلمه عاصفة من الرفض والهجوم.

وإذا كان صالح جودت قد ترك آثارًا عاصفةً لمعاركه الأدبية والسياسية التي خاضها على مدى نصف قرن من الزمان ، وتركت في نفوس مناوئيه نوعًا من التحامل عليه ، فإن تراثه الشعري الضخم الذي تركه لنا يمثل جانبًا مضيئًا من التراث الشعري المصري والعربي المعاصر الذي يستحق الدراسة والتقويم بغزلياته ، ووطنياته ، وبشعره القومي العروبي، وبشعره الوصفي والتأملي والروحي ، وبدوره التجديدي مع مجايليه من فرسان التيار الرومانسي: علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي، والهمشري في فتح آفاق جديدة أمام الشعر العربي المعاصر، وكان صالح جودت بنزعته الأبيقورية الخيامية الأقرب إلى شاعر الجندول علي محمود طه ، حيث أطلق عليه الناقد د. محمد مندور : بالشاعر الغزلي الحسي اللعوب ، النهم إلى بدائع الحسن وروائع الجمال.

***

واليوم ونحن نقدم هنا سيرة حياة صالح جودت وشعره فإنما نقدم صفحة مضيئة من صفحات الشعر العربي المعاصر ، لشاعر الحب والجمال ، الذي أعده بلا مبالغة «قيثارة مصر» الشجية وصوتها الشعري الذي تغنى بتاريخها وأمجادها وحضارتها كثيرًا في شعره ، فكان بحق شاعر الحب والجمال ، وقيثارة مصر الساحرة الخالدة .

محمد رضوان

القاهرة مارس ٢٠١٢

القسم الأول : سيرته وثقافته

«بين الأدب والسياسة»

كان ذلك على الشاطئ الآخر من البحر المتوسط : في تركيا ...

كان مؤسس الأسرة وعميدها سياسيًا محنكًا وأديبًا لامعًا يجيد الكتابة بأكثر من لغة ...

كان هذا الرجل هو جودت باشا ...

وكما يقول عنه معجم «المنجد»[1] :

«جودت باشا (١٨١٣ ـ ١٨٩٤) ولد في لوفجة من ولاية الطونة وزير عثماني ألف بالعربية والتركية والفارسية .

«من كتبه «تاريخ جودت» ترجمه عن التركية عبد القادر الدنا وفيه أحوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الانكشارية » .

وقد تزوج جودت باشا وأنجب فيمن أنجب من أولاد إسماعيل جودت وشب إسماعيل وروحه تشتعل وطنية وغيرة على الوطن والدين .

كان إسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبًا مفوهًا وأديبًا لامعًا ووطنيًا ثائرًا وشاعرًا رقيقًا ينظم الشعر بالتركية والفارسية وقد لعب دورًا بارزًا وهامًا في مقاومة السلطات الحاكمة في بلاده فاضطهد ولاحقته السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريد والعنت ، وكانت مصر وستظل دائمًا ملجأ للأحرار في كل مكان وزمان ، فشد رحاله إليها واستقر بها واتخذها وطنًا له

(١) المنجد ، الأعلام ـ بيروت ، ص : ١٤٤ .

وبرغم أرومته التركية إلا أنه أحب مصر وشارك في أحداثها وانفعل بقضيتها وتحمس لها ...

وعمل بالمحاماة ...

والظاهرة الملفتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركي كالهمشري وشوقي وصالح جودت كانوا من أصدق الشعراء وطنية وتغنيًا بحب مصر والمناداة بحريتها واستقلالها ، وفي تلك الحقبة كان متزوجًا من سيدة تركية .

وعندما نشبّت الثورة العرابية (١٨٨٠ ـ ١٨٨٢) انفعل بها وشارك في أحداثها ولعب دورًا بارزًا وفعالاً في مقاومة الخديوي والإنجليز ، فقد ساءه ما وجده من الأحوال السيئة التي تثير الأسى ، والمظالم التي ترتكب .

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وقبض على الثوار الأحرار وسيق إسماعيل جودت إلى المحاكمة ثم قضى عليه بالنفي إلى «منطقة النيل الأبيض» بالسودان لمدة ثلاث سنوات[1] .

ولكن السلطات آثرت إبعاده إلى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشية أن يثير ثائرة الناس في السودان على الإنجليز والخديوي ، فنفى إلى اسطنبول .

وفي اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢ ...

وفي حوالي عام ١٨٩٦ عاد إسماعيل جودت إلى مصر مرة أخرى بصحبة ابنه كمال الدين الذي لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأي أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب في سبيل الوطن والحرية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره ...

واستأنف إسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماة ...

(١) عبد الرحمن الرافعي / الثورة العرابية / ص : ٤٩١ .

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حبه للقراءة والإطلاع ، فقرأ من مكتبة أبيه أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل مقامات الحريري والأغاني والأمالي وغيرها من شوامخ كتب التراث، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري وعمل كمال الدين مهندسًا زراعيًا ، فكان لا يكاد يستقر في بلد واحد بحكم ظروف عمله . وفي عام ١٩٠٦ تزوج كمال الدين من سيدة من أسرة علم ودين كان والدها الشيخ عبد الرحمن من أصل تركي ووالدتها من أصل مغربي كانت سيدة مؤمنة تقية القلب هادئة الطبع ...

وكان كمال عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتب شعرًا رقيقًا في الحب والغزل وقد نظم «جغرافية مصر» بالزجل وصدر في كتاب.

ومن شعره قصيدة يصف فيها راقصة باليه رائعة أثارت إعجابه ، فرسم هذه اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن تلك الراقصات البارعات عام ١٩١٢م بعنوان «وصف بال» يقول فيها :

راقصات عاريات   في ضياء الكهرباء
ناظرات قاتلات   لنفوس الأبرياء
مائسات بقدود   كغصون في هواء
قادمات كنسيم   طائرات في الفضاء
راجعات كنجوم   تائهات في الجواء
مائلات دون سكر   لأمام ووراء
سالبات لاعبات   بعقول العقلاء
ليس هذا الخلق شأن   الخلق من طين ودماء
إنما هذا مصاغ   من لجين وصفاء

وكان كمال الدين يملك الكثير من الضياع والثروة ، ولكنه كان شاعرًا منبسطًا أراد أن يمتع نفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته ...

طفولة شاعر

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته كمهندس زراعي ...

وفي مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية كان مولد شاعرنا في ١٢ ديسمبر عام ١٩٠٨ رغم أنه كان يذكر أنه من مواليد ١٩١٢، لكنني دققت تاريخ مولده الحقيقي من أسرته بعد رحيله.

وكان والده يعاني سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه «عبد الرحمن» تيمنا باسم أبيها، فكان لها ما أرادت ...

وفي اليوم السابع من مولد شاعرنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت بأعجوبة ، وأراد الله أن يمد في عمره ....

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذي اسمه عبد الرحمن والذي يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعًا في دولة الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح جودت [1] وكان للأب ما أراد ...

وصدر إعلام شرعي بتغيير الاسم إلى صالح جودت ثم ما لبثت الأسرة أن انتقلت إلى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير ...

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تلفه حديقة غناء جميلة ...

وفي طفولة شاعرنا المبكرة كان يسمع أباه وهو ساهر في الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه، يقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان مفتونا بشوقي ، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين .

(١) من مؤلفاته : أمة الملايو (١٩٠٨) ومصر في القرن التاسع عشر (١٩٣١) ، وترجم الكثير من القصص منها «كيد الغانيات» و «جهاد القلوب» تأليف لويز أينو ومسرحية «الإيمان» تأليف أوجين بريو (١٩١٤) وترجمات عن جوستاف لوبون توفي عام (١٩٦٨) عن ثمانين عامًا .

وفي هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذي يسمعه كل ليلة، فتشرب موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظافره .

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريري وهو في العاشرة ، وأعجبته الصنعة في هذا الكتاب .

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جميعًا وهو في الثانية عشرة ، وخلبته موسيقاها حتى أصبح يرددها وظل طيلة حياته يؤمن بأن الشعر هو أول ما يكون موسيقا وأن على من ينظم الشعر - إذا لم يحسن الموسيقا - أن يهجر الشعر إلى النثر.

.وكان الابن يختلف مع أبيه في كثير من أسس الأدب ، كان الأب يعجبه شعر حفني ناصف وعائشة التيمورية وغيرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفًا بالأدب الحديث ورواده الجدد والتقى الاثنان عند رأي واحد في أمير الشعراء ، شوقي ، وبدأ شاعرنا بمحاولات بسيطة لنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولته المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وقتئذ تتسم بالموسيقية والرقة وهذا هو السر في احتواء شعره على قدر كبير من الموسيقية والرقة والعذوبة نتيجة قراءاته لشوقي في سن مبكرة.

وعندما لقي كمال الدين جودت وجه ربه في يناير ١٩٥٢م عن عمر يبلغ السبعين عامًا كان قد أضاع كل ثروته ولم يترك شيئًا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيب ميراث...

اختلف صالح جودت إلى مدرسة إنجليزية في مصر الجديدة وكان في تلك الحقبة مرحًا كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة من طفولته المبكرة .

من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياه ويشعل مجموعة من الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة إنجليزية حسناء شقراء من موظفات المدرسة... كانت وقتئذ في العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من عمره ....

ورغم فارق السن الكبير إلا أن الشاعر العاشق الصغير المفتون هام بها حبا ونظم في حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلي الأفلاطوني يبثها حبه ونجواه وعواطفه المشبوبة .

وعلمت بعواطفه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعته وظلت تلك الحسناء المثقفة هي المثال الحي للجمال في رأي شاعرنا ثم التحق بمدرسة الفرير بعد ذلك..

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسي الأمرين من عصا ناظر المدرسة التركي بايزيد أفندي لشقاوته ...

ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات ....

وعندما وقف لأول مرة في طابور الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادي ناظر المدرسة اسمه وقال : إن هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية في تاريخ هذه الشهادة ...

وأسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة هذا أنه تعثر بالسنة الأولى لمدة ثلاث سنوات متصلة ....

كان شاعرنا الصغير العاشق يقضي جل وقته في مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج وكانت كثيرة ...

وفي هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال تشربت روحه النغم وتعرف على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولا يعود إلى البيت إلا قبل الثانية صباحًا ...

أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميا ....

واندفع في هذا التيار الساحر بلا وعي ...

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق في هذا التيار الساخر الجارف ...

قرر والده ـ وكان يعمل وقتئذ مهندسًا زراعيًا بالمنصورة ـ أن ينتزعه من جو القاهرة ولياليها ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله يفلح ....

واتجه صالح جودت إلى المنصورة عام ١٩٢٧ إلى المدرسة الثانوية ليلتحق بها ... ونجحت المحاولة...

ومرة أخرى أصبح دائمًا ترتيبه الأول على فرقته كل سنة ...

في المنصورة

وفي مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية في نظم الشعر وبالرغم من بساطة ما كان ينظمه إلا أنه كان يعد إرهاصات لما سيجيء بعد من مولد شاعر كبير ...

وكان ينظم في المدرسة قصائده ويقرأها على التلاميذ والأساتذة ...

وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبي إلى المنصورة ، واستضافته المدرسة هو وأعضاء فرقته ، وقال صالح في تحية الفنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان :

هـذب نفـوس شـبيبة   للخلـق أحـوج مـا تكـون
فـالخلق أن بلـغ الكـمال   بأمـة ، هـدم الـسجون

ويبدو أن القصيدة قد أعجبت المحتفى به ، فأخذها منه ونشرها في إحدى مجلات القاهرة الكبيرة...

وفي العام نفسه ، قرأ في مجلة «الصباح» ... وكانت يومئذ من أشهر المجلات الفنية والأدبية ـ مقالا يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكان صالح قد نشأ على حب فنها ، فامتشق قلمه ، وكتب مقالا طويلا دافع فيه عن أم كلثوم وبعث به إلى المجلة ، التي نشرته تحت عنوان «بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت»...

ومنذ يومئذ ، لم ينقطع عن مراسلة هذه المجلة ، سواء بالشعر أو النثر ، ومن هنا بدأ اتصاله بالصحافة الفنية والأدبية التي برع فيها وأجاد ...

وفي المنصورة في الفترة من (١٩٢٧ ـ ١٩٣١) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغنى فيها شاعر الأطلال ، ناجي ، وشاعر الجندول على محمود طه ، وشاعر الأعراف الهمشري ....

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطئ النيل بالليل يسمرون في شتى ألوان الأدب والفن والجمال....

وكان الأربعة يحلو لهم الالتقاء عند «صخرة الملتقى» وهي تقع على أطراف المنصورة بين البحر والصحراء ويستوحون منها أجمل الشعر وأعذبه ...

ومن المنصورة بدأ صالح جودت يتصل بصحف ومجلات القاهرة وتبلورت اتجاهاته الشعرية في تلك الحقبة ، فقد بدأ يتجه شطر شعر الحب والغزل يبدع فيه أيما إبداع .

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم .

وفي المنصورة بدأ الحب يتسلل إلى قلبه ... فأحب ملكة جمال المنصورة حينئذ واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته «تسوري» التي يقول فيها:

قلـــت لهـــا تـــصوري	يـــا فتنـــة المـــصور
تـــصوري حكـــايتي	في حبـــك المحـــير
حكايـــة كأنهـــا	خرافـــة المعمـــر

وصالح جودت هو ابن المنصورة ، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح وعرف بين ربوعها هذا الحب العاصف المزلزل الذي أوحى إليه بأعذب أشعاره ...

وأنجز شاعرنا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه الشعراء الأربعة إلى القاهرة في عام واحد ، هو عام ١٩٣١م كل إلى وظيفته ودراسته ...

ودع صالح جودت المنصورة وفي قلبه حسرات على فراق مهد الصبا ومدينة الحب والجمال والشعر والخيال .

ودعها بقلب مشبوب يتحسر على لياليها الشاعرية الساحرة :

آه مما بي ، وهل تدرين ما بي   يوم ودعتك ودعت شبابي
أين أحلامي على تلك الروابي   ذابت الأحلام في قلبي المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال في مدينة الحسن والجمال حينما كان ينتهب بعينيه شوارد الحسن على ضفافها الخضر :

ما دعا لحني ولا غنى نشيدي
غير غاداتك في الخطو الوئيد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب
يتهادين بمعسول الدعاب
آه مما بي وهل تدرين ما بي
يوم ودعتك ودعت شبابي

ثم يودع محبوبته فيها ، فيقول :

لي حبيب فيه أفديه بعمري
سمرة النيل على خديه تجري
هو إلهامي وأحلامي وشعري
ونعيمي بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدري
وله نجواي في دنيا اغترابي
يا ترى يذكرني بعد الغياب ؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته ، المدينة التي ذاق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة الحسن والجمال .

جماعة أبوللو

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م ، وفي هذه الفترة قامت جماعة «أبو للو» الشعرية عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي والدكتور أحمد زكي أبو شادي .

وينضم الركب القادم من المنصورة إلى تلك الجماعة وهكذا التفوا حول رسالة ابو للو .

ووجد صالح جودت نفسه وهو دون العشرين ، عضوا بمجلس إدارة «أبوللو» ، ممثلاً للشباب، يجالس كبار الشعراء والأدباء ...

ثم تنشب المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد ، فيهب صالح جودت مدافعا عن شوقي ، مهاجمًا خصومه بعنف وقسوة .

وتشهد صفحات أبو للو قصائد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحب والغزل والحيرة والقلق...

في عدد أول أبريل عام ١٩٣٣ م نجد له قصيدة غزلية رقيقة وهو لم يتجاوز العشرين بعد بعنوان «الشارد» يقول فيها [(١)] :

أيها الشارد عن وكر الهوى
قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لا أشهد إلا نضرة
فإذا النضرة قد أمست يباب
كنت لا أسمع إلا بلبلا
فإذا الشادي على الأيك غراب
كنت لا أشرب إلا خمرة
في كئوس قد ملئن اليوم صاب

(١) أبوللو / ابريل ١٩٣٣م ، ص : ٨٨٢ .

كنت لي يا تاركي في لوعتي
أنت والألحان والكأس طلاب

◆◆◆

لست أنسى في حياتي ليلة
أنصفتنا بعد ما طال الغياب
قربت منا فما نحو فم
وتقضت بين لوم وعتاب
وسكون الليل أذكى شجونا
وظلام الليل مسدول النقاب

ومن نفس الملهمة صاحبة «العيون الزرق والشعر الذهب» وكانت ممثلة جهيرة أحبها أكثر من شاعر وأديب هي الفنانة المسرحية الراحلة «زينب صدقي» منهم ناجي وأحمد عبد المجيد وأحمد راسم استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنوان «العيون الزرق» نشرت في أبوللو يقول فيها[1]:

عين من يهواك تشتاق الكرى
قلب من يهواك يشدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عيني جرى
هل سمعت القلب موصول الأنين

◆◆◆

أيها الهاجر من غير سبب
لو تجافى أنا راض بجفاك
العيون الزرق والشعر الذهب
ألجآني يا حبيبي لهواك

وفي تلك الحقبة كان يعاني - كشاب في مطالع العمر - من الحيرة، والقلق والشك في كل شيء وعكس تلك الأحاسيس والانفعالات في عدة قصائد منها قصيدة «على الرمس» التي يقول في مطلعها:

(١) أبوللو / سبتمبر ١٩٣٣م / ص: ٦٠.

قمت في الليل أناجي مضجعك
ليتني في الرمس أمسيت معك

وقصيدة «أكذوبة الموت» التي يقول في مطلعها [1] :

قد حرت في الموت وفي أمره
وما زواه الله من سره

وتبلغ ذروة الشك والتمرد في نفسه في مطولة بعنوان «الراهب المتمرد» [2] استخدم فيها الشاعر الأسطورة math والرمز الفني في إبراز فكرته وهي عبارة عن حوار فلسفي طويل في دير بين راهب متمرد شاك في جوف الفلاة وبين كاهن الدير الذي يناقشه ويرد عليه ويحاول إقناعه .

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شيء باعثًا على حملة ضارية من الشيوخ، فهجر شاعرنا الشعر حينًا ، ولكنه سرعان ما عاد يغرد مرة أخرى ، عاد إليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته ، وتعمق فيما يقرأ ، ولاسيما في أدب التصوف والمتصوفين ، فعاد إلى الله مزودًا بقوة الإيمان ، مفرطًا في الحب لذاته ، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن وبدائع الجمال للتقرب لمبدع الجمال ...

وفي عام ١٩٣٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته «رمس الهوى» في فبراير ، وفي نفس العدد قصيدة عاصفة ، وفي عددِ أول أبريل قصيدة «القصيدة الأخيرة» .

وكتب الدكتور إبراهيم ناجي يقول عن صالح جودت بعد الحملة العنيفة التي تعرض لها بسبب جرأته [3] :

«صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجريئين ، الذين لا يبالون في سبيل الحرية الفكرية بأي عقبة ولا حائل ، وهو لذلك ماض إلى الأمام دائمًا ، مضطرد التقدم .

(١) أبو للو ، ص : ١٢٥ ، أكتوبر ١٩٣٣ م .
(٢) أبو للو ، ديسمبر ١٩٣٣م ، ص : ٢٩٣ـ٣٠٣ .
(٣) أبو للو / ديسمبر ١٩٣٣م/ ص : ٣٠٣ .

«وعقله الخصب ، ونبوغه الوافر ، كفيلان بأن يضمنا له سبقا وتجلية في الميدان الذي اختاره لمواهبه الكبيرة » .

❖❖❖

ديوان صالح جودت :

صدر أول ديوان لشاعرنا في مارس عام ١٩٣٤ م وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعنوان «ديوان صالح جودت» .

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وترحيب.

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقا الهامسة وحلاوة الجرس والطلاوة ويحتوي على قصائد مضمونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب في عنفوان تفتحه وما يدور في النفس من هواجس وتساؤلات كما يشتمل على قصائد عاطفية ملتهبة يبلغ فيها أقصى غايات الإبداع والعذوبة.

وقد كتب الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي مقدمة للديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحي الإبداع والتجديد في شعره وأصالته المتميزة ، فقال عنه [(١)] :

« إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائي حساس ، حلو العبارة ، فياض العاطفة ، جياش بالمعاني العذبة الرقيقة ولكنه إلى جانب ذلك الشاعر الوطني والشاعر الفلسفي حينما تثيره ظروف خاصة فترى في ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة في مشاعر هذا الجيل » .

كان هذا رأي الدكتور أبو شادي في شاعرية صالح جودت وقد تبين منذ تلك الحقبة اتجاهات صالح جودت الذي جمع فيها بين العاطفية والوطنية في مزاج فني جميل خاص .

وقد أهدى شاعرنا الديوان إلى ملهمته الأولى صاحبة «العيون الزرق والشعر الذهب» .

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له أثره المتميز في تطور شعرنا العربي المعاصر .

---

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبو شادي / إصدار مجلة أبو للو / ١٩٣٤ .

ملامح شخصيته

من أبرز ملامح شخصية صالح جودت الصدق والصراحة والوضوح . هذه الصفات كانت هي السبب المباشر في كثرة معاركه ومساجلاته الأدبية ..

وقد صوّر مشاعره وعواطفه وأحاسيسه في شعره بصورة نابضة بالصدق والصراحة وأبرز هواجس نفسه وما يعتمل فيها من صور الهوى والهدي والشك والضلال واليقين نابضة بالصدق.

وقد سافر صالح جودت إلى كثير من بلدان العالم ، فقد أحب السياحة والرحلة وقد كان لهذه الرحلات والأسفار زاد نفيس أمد أدبه بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس وكان من نتاج ذلك كتابه في أدب الرحلات «قلم طائر» .

وهو عاشق مفتون يهيم بالحسن وألوان الجمال لأنه جذوة من الوجدان .

ونفسيته مشرقة واضحة تلمس ملامحها في أشعاره التي رسم فيها صورة لنفسه وأفكاره ومشاعره.

قرأ صالح جودت في صباه ويفاعته الكثير من أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل الأغاني ومقامات الحريري ودواوين المتنبي والبحتري والشريف الرضى وفي الحديث الشوقيات التي حفظها عن ظهر قلب .

وفي فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) استوعب مع رفاقه شعر شيللي وكيتس ووردز ورث وبايرون وفتن بشعرهم وأغرم في بداية حياته الأدبية بشعر الطبيعة في الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي واستهواه بصفة خاصة الشعر الرومانسي واستوعبه ثم أصبحت الرومانسية من أظهر سمات شعره.

فهو شاعر رومانسي حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفسه بصدق وحرارة .

وقد نال صالح جودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧ م ثم ظفر بالماجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دفعته وكانت رسالته بعنوان «الدولة المثالية في الإسلام» ، لكنه لم ينشر تلك الرسالة لأسباب سياسية كما ذكر في بعض اعترافاته فيما بعد.

وقد عمل فترة في الديوان الاقتصادي ببنك مصر ثم ما لبث أن تفرغ للأدب والشعر والصحافة الأدبية والفنية والسياسية في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين عندما التحق بمؤسسة دار الهلال الصحفية ليكتب في مجلاتها الأسبوعية والشهرية.

شاعر غنائي حسي لعوب

يقول الدكتور محمد مندور عن صالح جودت [1] :

«صالح جودت شاعر غنائي حسي لعوب» .

ولعلنا نستطيع أن نميز هذه الخصائص بسهولة في الجزء الخاص بالعاطفة في ديوانه «ليالي الهرم» الذي يمثل مرحلة نضجه ، فهو يضم ما قال من شعر منذ سنة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م ، بينما ديوانه الأول لا يضم إلا ما قال من شعر قبل العشرين من عمره ، وأن يكن ذلك الديوان الأول قد أثار زوبعة عنيفة من النقد الذي قام به المحافظون من رجال الأزهر الشريف بسبب قصيدة الراهب المتمرد والذي صور فيها راهبًا متمردًا على عقيدته جريًا وراء لذات الحس، ونلمس أثر ذلك التيار في شعره، فهو لا يحجم في ديوانه «ليالي الهرم» عن أن ينظم قصيدة باسم «دين جديد» هو دين الحب والعشق وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبي ربيعة في الحجاز وحول مناسكه .

« وصالح جودت يحدثنا في استخفاف شعري كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبة إلى الكنيسة حيث «نحاها ركنا من الدير هادئًا » ليقبلها فيه .

وغانية من أرز لبنان غضة

صليبية الأهواء ليس تلين

«ولقد يقول البعض أن في هذا الشعر مجونًا وعبثًا بالمقدسات ، ولكننا في الحق لا نراه يتجاوز في المجون الكثير من قصائد الغزل التي يغص بها الشعر العربي القديم منذ امرئ القيس صاحب :

---

(١) د. محمد مندور / الشعر المصري بعد شوقي / ص : ٥٢ الحلقة الثالثة .

إذا ما بكي من خلفها التفتت لـه　　　بشق وتحتي شـقها لم يحـول

حتى عمر بن أبي ربيعة الذي كان يترصد الحسان في مناسك الحج ، ولا يتورع عن أن يشبب تشبيبا سافرًا بشريفات المسلمات .

«ونحن لا نحس بعد ذلك في مجون صالح جودت فجورا :

«بل نحس خفة ودعابة ينطبق عليها ما وصف به نفسه عندما اختتم مقدمته لديوان «ليالي الهرم» بقوله : وأحس أن الروح المصرية هي أخص خصائص هذا الشاعر الذي حدثتك عنه «أي صالح جودت نفسه» .

«وأن تكن الحسية طاغية على ما يسميه صالح جودت في ديوانه شعر العاطفة ، وهذه الحسية قد تصيب شعره بالسطحية أحيانًا ولكنها لا تفقده قط تلك الأناقة الأصيلة في شعر صالح ، وفي شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرحة ودعابته المجنحة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجورًا ولا تهالكًا حتى عندما يوغل في تلك الحسية مثل قصيدته عن رقصة السامبا :

ودقت نغمة الجازبند إيذانًا بها تملي
وهل تملي سوى الرغبة في ثورتها تغلي
حتى :
كجزءين حبيبين قد ارتدا إلى الكل

«ثم يقول مندور عن صالح جودت :

« وأما أنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية [1] ، وما يجري فيها من دعابات غزلية عابثة فباستطاعتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد في «ليالي الهرم» مثل قصيدته «ما اسمك» .

ما اسمك بين الأسامي　　　يا فتنتي يا غرامي
إن قلت أم لم تقولي　　　فاسمك أحلى الأسامي

(١) الشعر المصري بعد شوقي ، ص ٥٥.

إني أسميك ليلى لتبعثي في خيالي
ذكرى شهيد غرام كم عذبته الليالي
حتى :
إن قلت أم لم تقولي فاسمك أحلى الأسامي

«حيث يردد على سمعها عدة أسماء مثل : نجوى وسلوى ورضوى وفدوى ونورا ، وفي النهاية يسميها روحي ويبلغ به العبث وشيطنة أهل الحضر من المصريين حده في القصيدة التي يسميها «تسوري» أي تصوري بعد ترقيق الصاد كما كانت ترق بين شفتي الفتاة التي كان يغازلها »:

وقلت لها تصوري يا فتنة المصور
تصوري حكايتي في حبك المحير

«ومع ذلك فإن هذا الشاعر الغنائي الطروب صاحب تسوري لا يلبث أن ينقلب إلى شاعر إنساني عميق مشج عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه إلى ما فيها من آلام وما في تلك الآلام من عمق ، وذلك نحو ما نحس من قصيدة فريدة له هي «نحو الآخرة» التي نظمها على أثر مرض عضال ألقى به في مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره ، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة » .

«وكم يكون شيقًا أن نقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها في ظروف مماثلة وهي قصيدة «المساء» التي نظمها وهو عليل في مكس الإسكندرية :

داء ألم فخلت فيه شقائي
من صبوتي فتضاعفت برحائي



أنشودة البجعة

منذ عام ١٩٧٤ بدأ المرض يثقل على صالح جودت الشاعر الطروب المحب للحياة ، العاشق للجمال ، وكان غالبًا يضيق بأوامر وتعليمات الأطباء ، وأذكر أنني زرته بمستشفى المعادي أثناء مرضه ، فكنت ألاحظ أنه منشغل بمراجعة بروفات ديوانه الأخير «الله والنيل والحب» رغم إعيائه ووهن قواه ، وكانت حرمه السيدة سها عبد الحميد الصحن تحرص على عدم إزعاجه بالزيارات، لكنني تمكنت أن أختلس عدة دقائق لمقابلته للاطمئنان عليه ، حتى خرج من المستشفى ، وعاد إلى مكتبه بمجلة الهلال.

لكن بعد فترة زادت وطأة المرض القاتل عليه فسافر إلى إحدى مستشفيات لندن للعلاج ، لكنه ضاق ذرعًا بآلام المرض القاسية وقيوده التي كبلت جسده وهو الطائر المحلق في سماوات الحب والجمال .

ومن أكثر المآسي في حياته أنه عرف أن نهايته قريبة حيث أطلعه الأطباء في مطالع عام ١٩٧٦ على حقيقة مرضه وهو في لندن ، فآثر أن تكون نهايته على الأرض التي أحبها وعشقها : أرض مصر الخالدة، فتحامل على نفسه وعاد جالسًا على كرسي متحرك ، وزرته في بيته بحي المنيرة بوسط القاهرة في فبراير ١٩٧٦ ، وسافرت بعدها إلى سلطنة عمان لأتولى تحرير مجلة السراج بها ، وفجعت بعد عدة أشهر بنبأ رحيله عن الحياة في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ وهو في بيته بالقاهرة عن عمر يناهز الثامنة والستين بعد أن ترك لنا ثروة من أدبه الشعري والنثري الذي يكتب اسمه في سجل الخلود .

بين قصيدة الوداع الأولى والقصيدة الأخيرة

عندما تعرض صالح جودت لتلك المحنة المرضية التي أصابتها بداء الصدر عام ١٩٤٠ وهو لم يتجاوز الثانية والثلاثين من عمره أحس أن نهايته قد اقتربت وهو على فراش مرضه يصارع ذلك الداء الذي كان يومئذ مميتًا ، فأبدع قصيدة «نحو الآخرة » يودع بها دنياه وكل ما جال بخاطره من أحلام وآمال وهو ما زال في زهوة عمره :

فلـيرحم الله آمـالي وأهـوائي	إني قنعـت بهـذا المقعـد النـائي
بقيـة العمـر أيـام تـدب عـلي	صـدر تهـدم إلا بعـض أشـلاء
أعيـشها ناسـكًا في ركـن صـومعة	قامت عـلى صـخرة كـالموت صـماء
يبـدو خيـال الأمـاني لي فـأطرده	حتـى كـأن الأمـاني بعـض أعـدائي

وفي خضم محنته المرضية لم ينس أن يعبر عما بقي من أوتار هواه لمرضته الحسناء التي أسرت قلبه العاشق ، وأذكت في نفسه شعلة الحياة والتي يعترف لها أنه ما صده عنها إلا فرط مرضه الذي أوهن قواه:

مـن يـا ممرضـتي الحـسناء قـدر لي	أن ألتقيـك بـأرض غـير حـسناء
مـاذا أتـى بي هنـا مـا خطـب عـافيتي؟	وكيـف غـال شـبابي غائـل الـداء
قـد كـان لي موعـد في الـصيف مرتقـب	عـلى الـشواطئ بـين «الرمـل والمـاء»
وأنت .. هل عطفك المبقي على رمقي	عطـف المحبـين أم عطـف الأطبـاء
إن كـان ذاك فيـا سـعدي ويـا فرحـي	أو كـــان هـــذا فـــإني في الأذلاء
الحـب يـشهد أني يـا ممرضـتي	مـا صـدني عنـك إلا فـرط إعيـائي

وهي القصيدة التي شدت انتباه د . زكي مبارك لتفردها وطرافة صورها الشعرية وصدقها الفني فأفرد لها مقالاً في مجلة الرسالة تحت عنوان «شاعر ينبغ فوق سرير المرض» ، استعرض فيه جوانب التفرد في قصيدته الأخيرة واعتبر هذه القصيدة بداية العبقرية الشعرية لصالح جودت مخاطبًا إياه [1] :

(١) مجلة الرسالة ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠ .

«فهذه الشاعرية ليست صحوة الموت ، يا صالح ، وإنما هي الفجر الصادق، وسترجع إلينا بعد أيام وأنت في غاية من عافية البدن والروح » .

استطاع صالح جودت بفضل الله وقوة إرادته وحبه للحياة أن يخرج من هذه المحنة أكثر قوة وشاعرية وأكثر إقبالا على الحياة التي أحبها وعشق كل جوانب الجمال فيها ، وانطلق يقدم للحياة الأدبية شعره وأدبه وفكره .

لكن تعاوده نفس المحنة مرة أخرى وهو في خريف العمر ، فيهاجمه المرض القاتل في صدره لكن بصورة أكثر قسوة وعنفا ، في منتصف السبعينيات من القرن العشرين ، فيعالج في مستشفيات القاهرة ولندن ، ولكن أطباء لندن يصارحونه بصرامة بحقيقة المرض القاتل وبأن عليه أن يعود إلى وطنه ليموت على أرضه التي أحبها .

فيحاول صالح وهو في محنة مرضه أن يستوحي وهو على سرير مرضه قصيدة يودع بها آماله وحياته وأن يداعب بها ممرضة لندن الحسناء لكن المعاني والصور تستعصي عليه لقسوة المرض ، وضراوته .

لكنه يصر أن يودع الحياة ويودع مصر التي أحبها لدرجة العشق أو يودع محبيه بأبيات وإن استعصت عليه روعة المطلع ، وطرافة الصور الشعرية ، وعذوبة القوافي الرنانة ، فكتب «الأبيات الأخيرة» التي لم تصل إلى قوة قصيدته «نحو الآخرة» التي كتبها عام ١٩٤٠ ولا سلاسة قوافيها وتدفقها فقال فيها :

ذبلت نضرتي ، وجف الإهاب	وتدانى إلى الختام الكتاب
من معيني على ثلاثة آلام	سقام ووحدة واغتراب
محنة جاوزت من العمر عامًا	فإلى أين ينتهي بي العذاب
مرض تفزع المسامع منه	وتشيب الرؤى ، وتعنو الرقاب
فهو الأخطبوط ينهش الصدر	كما تنهش العظام الذئاب
إيه يا لندن الكئيبة أين	مني قاهرة الحب والأحباب
أنا في غرفة يضج بها الصمت	وينعي أركانها الاكتئاب

كانت قسوة المرض أشد وطأة على صالح جودت وهو في مستشفاه اللندني يعاني سكرات الموت، فآثر أن يعود إلى القاهرة عاصمة وطنه التي أحبها وتغنى بجمالها وسحرها ليموت على أرضها في ٢٣ يونيه عام ١٩٧٦ ، بعد أن ترك لنا قصيدة لم تكتمل ، وتراثا شعريًا وأدبيًا باقيًا خالدًا ، سيظل ثروة من المشاعر والأحاسيس والأدب الرفيع الخالد .

القسم الثاني

دواوينه الشعرية



١ ـ ديوان صالح جودت (١٩٣٤).

٢ ـ ليالي الهرم (١٩٥٧).

٣ ـ أغنيات على النيل (١٩٦٢).

٤ ـ حكاية قلب (١٩٦٥).

٥ ـ ألحان مصرية (١٩٦٨).

٦ ـ الله والنيل والحب (١٩٧٣).

صالح جودت

ديوان صالح جودت

(١٩٣٤)

(*) صدر هذا الديوان في مارس ١٩٣٤ نشرته مجلة «أبوللو» للشعر لصاحبها د. أحمد زكي أبو شادي حيث قدم للديوان بمقدمة مطولة

إهداء الديوان

إلى العيون الزُرْق والشَّعْر الذَهب

صالح جودت

تصدير بقلم د. أحمد ذكي أبو شادي

لم أتناول هذا الديوان بفرحة المؤمن بمواهب صديقي الشاعر المبدع صالح جودت بقدر فرحي بالظاهرة الحية الجديدة لشعر الجيل الحاضر . إنْ لصالح جودت من الطاقة الشعرية ما يبشر بفتوح رائعة في مستقبله الأدبي ، فلنا أن نؤجّل تهنئته وهو يعدُ في نهاية العقد الثاني من عمره فسوف يستأهل تقديرًا أجلّ كلما أمعن في فتوحاته الشعرية يزجيه نبوغه وجراءته واستلهامه للحياة . ولكن لنا أن نهنئ أنفسنا وجيلنا الحاضر بالظاهرة الجديدة التي تتمثل في صالح جودت وأقرانه من شعراء الشباب ـ ظاهرة الاستقلال والحرية والاندماج في الحياة .

وإنْ أنسَ لا أنسَ مظاهرَ الشعر الجديد منذ ربع قرن مضى ، فقد كان الشباب من الشعراء لا يعنيهم وقتئذ غير المحاكاة ، وكانت غايتهم المباهاة بمجاراة أعلام الشعراء حينئذ ، وبخاصة الأعلام المحافظين. ولما صدر «ديوان الخليل» لأستاذنا مطران كنت أحذّر من قراءته ، وكان شغف مثلي بما فيه من الطريف الشائق دليلاً على شذوذيّ السقيم في نظر زملائي المتأدبينَ .. وبهذه الروح استمر الشعر العصريّ زمنًا عبدًا للتقليد والصناعة ، وقلما تجاوز ميدان المناسبات الاجتماعية والسياسية والشخصية .. أما الآن فماذا نرى ، نرى شعراءَ الشباب النابهين يبدؤون حيث انتهى غيرهم ، مقدمين بشجاعة على ميادين جديدة فسيحة ، فثقافتهم تعين شاعريتهم المطبوعة على تجنب المحاكاة المألوفة ، وروحهم الشعرية الأصيلةُ تأبى القيود وتثور أية ثورةٍ .

ليس حتمًا أنّ الشاعر النابغ في شبابه يطرد نبوغه في كهولته وشيخوخته

فبعض الشعراء العالميين كالمتنبي وأبي العلاء وملتون وبردجز جاءت آثارهم القوية فيما بعد شبابهم ولكن مما يسترعي الانتباه أنّ وثبة شعراء الشباب في هذا الجيل بل ثورتهم لا تشعر بأنها حالة وقتية بل تبشر بنهضةٍ مطردةٍ ، وهي الآن بصورةٍ قويةٍ أخاذة .

ولنضربْ مثلاً بالمتنبي الشاعر العبقري الخالد القائل في صباه :

بأبي مَنْ وددْتُه فافترقنا ... وقَضى اللهُ بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً فلما التقينا ... كان تسليمه عليّ وداعا

والقائل :

قِفا قليلاً بها عليّ فلا ... أقلّ مِنْ نظرةٍ أزوّدُها
ففي فؤاد المحب نار جوى ... أحر نار الجحيم أبردها
ليس يُحييكُ الملام في همم ... أقربها منك عنك أبعدها
بئس الليالي سَهدتُ من طربٍ ... شوقًا إلى مَنْ يبيت يرقُدها
أحييتها والدموع تنجدني ... شؤونها والظلامُ يُنجدها

والقائل :

شمس إذا الشمس لاقته على فرس ... تردد النور فيها من تردده
إن يقبح الحسن إلا عند طلعته ... والعبد يقبح إلا عند سيده
نفس تصغر نفس الدهر من كبر ... لها نهي كهلة في سن أمرده

فهو في هذا الطور من حياته لم يكن أقوى شاعرية ولا أبعد مرمى ولا أسمى بيانًا من شعراء جيلنا المتوثب وفي طليعتهم صالح جودت الذي ينفح الشعر العربي بالراهب المتمرد والهيكل المستباح والمهزلة الكبرى وبغيرها من شعر الفلسفة والوجدان والتصوف في قالب فني جميل يشعرنا بالحياة الفنية المتجددة على أيدي الرائدين من شعراء هذا الجيل .

إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائي حساس حلو العبارة فياض العاطفة جياش بالمعاني العذبة الرقيقة ، ولكنه إلى جانب ذلك الشاعر الوطني والشاعر

الفلسفي حينما تثيره ظروف خاصة ، فترى في ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة في مشاعر هذا الجيل . ولو لم يكن لصالح جودت غير شعره العاطفي الخالص لكفانا ذلك داعيًا للحفاوة بشعره ، فلا يجوز أن يطالب أي شاعر بلون خاص من الشعر مطالبة الإرغام ... إن الشعر الحي الصادق الشعور يعبر عن خوالجه بلغته الخاصة متجاوبًا مع الحياة الشاملة قبل أن يتجاوب مع بيئته ، ويجب أن يكون الشاعر ـ ككل فنان ـ مالكًا تمام حريته ، فإذا كانت شاعريته راضخة لمؤثرات وطنية قوية فأهلاً بشعره الوطني المشتعل ، وإذا جاءت سمحة هادئة وديعة تتسم بروح الإخاء الإنساني فأهلا بهذا الشعر الإنساني الصافي ، وكيفما كانت المؤثرات التي توحيها فعلينا أن نرحب بها كألوان من الفنّ إذا كنا نعرف معنى الفن وحرمته .

يقول صالح جودت الشاعر الغنائي الرقيق في مقطوعته البديعة «العيون الزرق» :

عين من يهواك تشتاق الكرى	قلب من يهواك يشدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عيني جري؟	هل سمعت القلب موصول الأنين؟

إلى أن يقول :

أيّها الهاجر من غير سبب	لو تجافي ... أنا راض بجفاك
العيون الزرقُ والشعر الذهب	ألجأني يا حبيبي لهواك!

فيعلن لنا الروح المصرية الرشيقة الساحرة التي تذكرنا بروح البهاء زهير، ويبرهن لنا أن اللغة الفصحى السلسة جديرة بأن تؤتمن على الروح الغنائية، وأنّ من يلجؤون إلى العامية تملقًا للجماهير أو يدعون صلاحيتها للفن الغنائي دون سواها ، إنما يشطون ويسفون ويسيئون إلى أدب لغتهم بالهبوط إلى مستوى الدهماء بدل الارتفاع بهم، ويخلق صيغة فنية للغة العامية تهدد بها الفصحى لغة الثقافة والفنون الأدبية من قرون.

ويبدو صالح جودت في مسوح المصلح الاجتماعي في «الهيكل المستباح» ، وهي قصيدة رائعة يفسدها الاقتباس منها ، وهو حين يبدو في هذه المسوح لا نراه يتعمد ذلك ، بل هذه النزعة النبيلة الفطرية تصحبه عفوًا ، فنستسيغ شعره، ونستملحه ، سواء أشركناه في نظراته أم لم نشاركه، فهو شاعر أولاً ومصلح

ثانيًا، وشاعريته تستوعب النظريات الإصلاحية وتطبيقها، ثم تفيض بوحيها، - وشتان بين ذلك وبين النظم الكلامي المجرد، كلام الخطب المنبرية الشائع في أساليب الناظمين الذين يحاولون تسخير الشعر لغايات وأهواء خاصة ثم يسخرون من الشعراء المطبوعين!

ومن العجيب، أو ليس من العجيب أن شاعرنا الذي يتسم شعره كشخصه بسمات الأناقة والرقة لم يسلم من شكوى البيئة تلك الشكوى التي تكاد تكون متفشية بين جميع الشعراء المعاصرين لقاء ما يعانونه من غمط الفضل أو قلة الوفاء أو الصدوف عن مآثرهم وصيحاتهم، وحسبك من بثه هذه المقطوعة اللاذعة:

قد سئمت الغباء في مصر حتى	لا أطيق الحديث إلا لنفسي
جهل الناس ما أقول.. وقالوا	ما أراه مضيعًا طيب غرسي
هكذا العبقري بين الجهالى	زعموا أنه مصاب بمس!

ولشاعرنا أسلوب سهل سائغ مستقيم البيان، ولكنه يلجأ أحيانًا إلى الرمز، كما ترى في ذكرى شوقي، وفي مقطوعته «البعث» التي يقول فيها:

سائلوا العشب الذي نمنا به	كيف ماتت فوقه طير الأماني
كلما أرسلتها ... قاصدةً	هيكل الهاجر تشكو ما أعاني
أوصد الباب ولم يحفل بها	وجفاها مثلما كان جفاني
فهوتْ من جوها واضطجعت	في سرير العشب خرساء اللسان
هاجر كم صد عنه طائرًا	تاه حتى جاءه طير تعاني
فتناسى التيه وارتد إلى	هيكلي ... فارتدِ روحي وجناني
وتعانقنا وأحيينا الهوى	وبعثنا في الهوى طير الأماني!

وقد ألجأ الشاعر حنين العروبة إلى رثاء عاهل العرب العظيم فيصل الأول، ودفعته الروح الوطنية إلى نظم قصيدته الممتازة في «مهرجان القرش»، كما حدت به التأملات الفلسفية إلى نظم قصيدته الرائعة «السفينة الحائرة»، ولكن الروح الغالبة عليه هي روح الفرح ونشوة الجمال وعبادته التي لا يعرف لها حدًا، وهذه يعبر عنها ألطف تعبير في أغانيه البديعة المتكررة.

وسيتخاصم كثيرون حول هذا الشعر كما يتخاصمون حول غيره من الشعر العصري ، فليس لشاعرنا إلا أن يذكر بيت أبي الطيب :

أنام ملء جفوني عن شواردها   ويسهر الخلق جرّاها ويختصم !

إن الروح الشعرية جوهر ، كما أن الموسيقى جوهر آخر وقد جمع صاحب هذا الديوان بينهما. وإذا عاب بعض الجامدين عليه طائفةً من ألفاظه وتعابيره ، كما يعيبون على جميع الشعراء المجددين ، فعلى هؤلاء أن يذكروا أن أعلام الشعر العربي كالمتنبي وأبي العلاء وابن الرومي كانوا أبعد الشعراء عن التقليد، وقد طبع شعرهم بطابع شخصيتهم ، وقد أكسبته الأجيال حرمة بعد ما كان منتقدًا في أزمنتهم وهذا هو البحتري برغم اشتهاره بتنميق الألفاظ لا يرضي عن جميع تعابيره جيلنا الحاضر بسبب تطور الأذواق تطورًا عظيما في الصياغة اللفظية والموسيقى بله المعاني والمؤثرات . وما أغناني بكلمة إمرصن عن كل تفسير : «إن تجربة كل جيل تحتاج إلى اعتراف جديد ، وتلوح الدنيا دائمًا في انتظارها شاعرها»

The experience of each age requires a new confession, and the world seams always waiting for its poet .

وهي خير تحيةٍ أزفها إلى صديقي الشاعر صاحب هذا الديوان .

أحمد زكي أبو شادي

(ضاحية المطرية..في الثالث من ديسمبر سنة ١٩٣٣) .

من الأدب الغربي

الفقير

للشاعر الفرنسي الفريد دي فينيي

ALFRED DE VIGNY

كلَّما طاف بالحياة وجالا ... شاهَدَ اليأس لا يريم الرِّحالا
فإذا ناله الكلال من الرحـ ... ـلةِ كَفَّ المسيرَ والتجوالا
وانتهى للأراكِ يلتمس الظـ ... ـلَّ ويُدْني إلى الحياة الخيالا
ساءَلَ الكون هل عليه مُجيبٌ ... يسمع اللحن كي يَرُدَّ السؤالا
ذلك اللحن شُعلة من لهيبٍ ... زادها اليأس حُرْقةً واشتعالا

❖❖❖

يلمح السائرين في كل دربٍ ... مسرعي الخطْوِ حوله أرسالاً
شيَّعَتْهم عيناه واليأس فيها ... يتجلىَّ ... ودمعُهُ يتواليَ
حرَمُوه السماحَ والجودَ والنَّـ ... ـوْمَ فألْوَى وودَّع الآمالا
ما ارتجي بالعطاء غير فراشٍ ... بعد سهدٍ يُذيقه الاغفالا
ورغيفٍ يَقِيهِ شرَّ مساءٍ ... كم طواه على الطَّوى واستطالا
مَدَّ في صدره الحزين يديه ... يُخرج الناي يستعيد السؤالا
في تواني الشهيد من صَحْب عيسى ... حمَّلوه القيودَ والأغلالا
ثم زَجوه للمماتِ فكانتْ ... خُطواتٍ له إليه ثقالا

❖❖❖

وكأنَّ بلحية الشيخ ... تلهو ... كلما جال في الصفير وَصالا
عبقريٌّ ... وبؤسُهُ عبقريٌّ ... أنجبتْهُ له الليالي الحبالَى
تلك أنفاسه على غير جدوًى ... تتعالى وتُفعم الأوصالا
لا يَرى حوله من الناس نفسًا ... عرفتْ أمره تردّ السؤالا
كلهم عابرٌ وكلُّ جحودٌ ... لم يقدِّر صنيعَهُ مثقالاً

شعر الديوان

الهيكل المستباح

وَقفَتْ بالباب في ثوب رقيقْ — تفتح البابَ لقُطّاع الطريقْ
كم سَروقٍ نال منها جانبًا — ومضى ... ما أعجبَ اللص الطليق
يا مضيفًا للذي حلّ به — واسعَ الصدرِ رحيبًا لا يضيق
كيف بالله تراءيتَ لهم — باسمَ الثغر وفي النفس حريق

❖❖❖

جئتُها في ليلة فابتسمتْ — بسمةً تفترُّ عن حرِّ الشهيقْ !
ثم قالت : مرحبًا يا مرحبًا — بأخي اللذاتِ أهلا بالعشيق
ها هي الزهرة يا نحل الهوى — فاظفَرُوا بالشهدِ وامتصُّوا الرحيقْ
واطرحوها زهرةً قد ذبلتْ — في رَبيعٍ ناضر غَضٍ وريق

❖❖❖

زمهريرُ البرد يضني جَسدًا — عاريًا إلاّ من الثوب الرقيق
جسدًا لو يعبثُ النسمُ به — يتنزَّى ... كيف بالله يُطيق ؟
جَعلتْ منه الليالى سلعةً — ما الليالى غير تُجّار رقيق !
عَرَضُوها في طريق شائكٍ — ترقُبُ المبتاعَ من أهل الطريق
جسدًا تبدو عليه شقوة — ويرى في حومةِ البؤس المحيقْ
جسدًا قد مات إلا نَفَسًا — ردَّدَتْهُ من زفيرٍ وشهيق

❖❖❖

وانقضى الليلُ ... فناديتُ : أمَا — آن يا مرمَى البلايا أن تُفيق؟
فتحتْ فاها وقالت : مرحبًا — بأخي اللذاتِ ! أهلاً بالعشيق
قلتُ لا أبغي متاعًا ليس لي — جنِّبيهِ ما أنا إلاّ صديق
خَبرِيني يا ابنتي أنتِ التي — لقيتْ في خِدرها ألفيْ عشيق
هل وجدتِ الرفقَ منهم ساعةً — هل وجدتِ الطاهر القلب الرفيقْ؟

❖❖❖

يا إلهي ... كيف أعدَدْتَ لها — بعدَ دنياها عذابًا .. هل تطيق ؟
أشَقِيٌّ الدهرِ يشقى بعدَهُ — وهو بالرحمةِ في الأخرى خليق ؟!

العيون الزرق

عـينُ مَـنْ يهـواكَ تـشتاق الكَـرَى		قلـبُ مَـنْ يهـواكَ يـشدو بـالحنينْ
هل رأيتَ الدمعَ من عيني جرى؟		هل سمعتَ القلبَ مَوْصولَ الأنين؟

❖❖❖

يـا شـقيقَ الزهـر والطـير أَمَـا		سـاءَلَتْ نفـسُكَ عنّـي أخَوَيْـكْ؟
أنـــا في روضــــكَ أرْويــــه بـــما		فاض من عطفي مَدَى العمر عليكْ!

❖❖❖

أزرعُ الآمــــالَ في روض هــــواكْ		وأَرَوِّيهـــا بـــــدمعي ودَمـــــي!
فــإذا مــا عُــدْتُ ألفيــتُ نــواكْ		في ثنايــا الــروض يبنــي مــأْتَمي!

❖❖❖

أيهــا الهــاجر مــن غــير سَــبَبْ		لــو تجــافي ... أنــا راضٍ بجفــاكْ
العيــون الــزُرْقُ والــشَّعر الــذَّهب		الجــآني يــا حبيبــي لِهــواكْ

الحسناء الباكية

كـــشَفَتْ لله حُزْنَـــا صـــدرَهَا غـــادةٌ هيفـــاءُ تـــشكو أَمْرَهَـــا
في أنـــينٍ سَرْ مَـــدِيّ خافـــتٍ يخلـــعُ الـــنفسَ وينْـــضُو صَـــبْرَهَا
بَعثتْـــــهُ يَتَـــــشكى قَـــــدَرًا لم تجِـــدْ في صَرفِـــهِ مـــا سَرَّهـــا
هـــذه الأنّـــاتُ رقّـــتْ كالـــصَّبَا وسَرَتْ في الليـــل تـــروي سِرَّهـــا

❖❖❖

خـيَّمَ الليـلُ عـلى دُنيـا الكـرَى وطـوى الأجفـانَ في الليـل الهجـوعْ
غـــير جفـــنٍ يَتمنّـــى غائبًـــا مالـــه يومًـــا إلى الـــدنيا رجـــوع
لا تـــراه الليـــلَ إلاّ ســـاهدًا يتأسّـــى عـــن هـــواه بالـــدموعْ
يطفـــئُ الـــشوق فتُـــذْكي نـــارُهُ كلـــما أنْ جَـــدّ للـــذكرَى نُـــزوع

❖❖❖

يحـــسدُ المـــوتى شـــجيٌّ ســـاهر قـــرَّحَ الجفـــن بـــدمع لا يغيـــبْ
هـــذه الحـــسناءُ شـــابتْ رُوحُهـــا في فنـونِ الحـزْنِ مـن قبـل المشيبْ
وقَفـــتْ تستفـــسر الليـــل : أَمَـــا آنَ ياليـــلُ عـــن الـــدنيا المغيـــبْ؟
طالمـــا ياليـــل عالجـــتُ الهـــوَىَ في مجاليـــكَ وعانقـــتُ الحبيـــبْ

❖❖❖

ذكريـــاتٌ مـــن عهـــودٍ قـــدَ خلـــتْ لم تـــزلْ ترتـــادُ جـــوف الـــذاكرةْ
إِرْثُهـــا اليـــوم محـــبُ يـــشتكي وحبيـــــبٌ نـــــاعمٌ في الآخـــــره
لم ياليــــلُ عيــــونٌ لم تــــذُقْ لوعـة الـسهد وأخـرى سـاهره ؟
لم ياليــــلُ نفــــوسٌ تجــــتلي لـــذة الـــدنيا وأخـــرى حـــائره ؟

❖❖❖

حـرَّكَ الحـسناءَ في صـمتِ الـدُجَى همـــساتٌ رُدِّدَتْ في صـــومعه
هـــي أَنّـــاتُ فـــؤادِي الممـــتلي بـــشجي الـــدنيا ونفـــسي المترَعَـــه

هـيَ نجـوى الـروح مـن عُزلتـهِ ... يَتنـاغى والـذي يبكـي معـهْ
هـي هـزاتُ خيـالٍ نـاضرٍ ... قـد سـقاهُ الـدمعُ حتـى أينعـه

❖❖❖

فتناسَـتْ مـا بهـا مـن شـقوةٍ ... لحظـةً إذ أَرْهَفَـت لي أُذْنَيهـا
وسَـعتْ لـيلاً إلى صـومعةٍ ... عبـثُ الأيـام أَلجـآني إليهـا
وأقمنا الليـلَ في الشكوى .. وقـد ... قلـتُ مـا عنـدي وقالـت مـا لـديها
فَتحـيرتُ وحـارَتْ أَدْمعـي ... أَعَـلى بلـواي تبكـي أم عليهـا ؟!

في موقف الذكرى

«ألقيت في حفلة الذكرى الأولى لوفاة المغفور له شوقي بك»

«بمسرح رمسيس»

مِنْ سماء الخلود أسمعُ حَيًّا ... ردَّدَ اللحنَ في السماء شجيًّا
شاعرُ الخُلدِ يُطرب الله في الأُخـ ... ـرى بلحن لم يَخْفَ عن أُذُنَيَّا
قلتُ لمّا سمعتهُ : يا إلهي ... قد سمعنا نِدًّا له في الدنيا
فأهاب الإلهُ بي : ذاك شوقي ... يقرأ الشعرَ في السماء عَلَيَّا

❖❖❖

قلتُ لكنْ جَنى المماتُ عليه ... وهو فيما يقول لم يَجْنِ شيئًا
قال رَبِّيَ : إن المماتَ وفاةُ ... تلك عاريّتي ورُدَّتْ إليَّا
أَرسل الناس في الحياة وأَزْجي ... رسُلَ الموت خلفهم تتهيّا
فإذا نادت المنيةُ خَفَّتْ ... لنداها النفوس حَيًّا فحيا
كلكم سائرٌ إلى الموت يومًا ... ليس منكم مُخلَّدٌ يا بنيًّا
ومن الناس مَيتٌ في حياةٍ ... ومن الناس مَنْ يموت ليحيا

❖❖❖

نحنُ نجري الدموعَ في موقف الذكـ ... ـرَى ونَبكيكَ شاعرًا عبقريًّا
فلمحنا في جَوِّه روحَ شوقي ... تَعِسًا يائسًا حزينًا شقيًّا
فهتفنا : يا ساكن الخُلدِ غَرِّدْ ... فأجابَ : البكاء أَرْضى إليَّا
«وطني لو شُغلتُ بالخلد عنه» ... لتمنيتُ أن يُرَدَّ عَلَيَّا
كيف أسلو وقد تركتُ حُسيْنًا ... في حِماه ؟ وكيف أنسى عَلِيًّا ؟
كيف أسلوكِ جنةَ الله في الأرْ ... ض وأنتِ التي رعيت بَنيا
قد رضعتُ الحنانَ منك وليدًا ... فعرفتُ الغرامَ فيك صبيًّا

وتفانيــــتُ في الهــوَى أو تناهيـــ ـــتُ وإن لم يــزلْ غرامــكِ حيًّــا
أنــا يــا مــصركم أحــنُّ إلى النيـــ ـــل ومــاءٍ بــه حبيــب لــديًّا
كــم حملــت الـيراع تحــتَ ظــلال كنــتُ في كرمــة الهــوى أتفيــا
وقطعــتُ الزمــان أكتــبُ مــا يــو حــي ومــا يبعــثُ الغــرام إليَّــا
أنــا يــا مــصر لا أحيــد عــن العهـــ ـــد ولكـــنْ أرَى القــضاء عتيــا

◆◆◆

لاح منــك الوفــاء يــا شــاعر الــشر ق يُـــروِّي غرامـــك الأبـــديا
كفّنتــكَ الحيــاة في سُــحب الخلــد فلــم تحجــب الــشعاع الــسنيا
أسَباك الـرَّدَى ومـا كنـت يـا شـو قــي لغــير الجــمال يومًــا سَــبيًّا ؟

◆◆◆

أنــا في مــصر ســامعٌ لوعــةَ الــشر ق ودارٍ بمهجتيْـــــه الـــــدويا
يــذرفون الــدموع في مــأتم الليــ ـــل وفي مـــأتم النهـــار ســـويا
ويـــذوبون حـــسرةً والتياعًـــا كلـــها يـــسمعون عنـــك الرويـــا
شــاعرَ الــشرق إن عرشــك خــاوٍ لم يهيـــئ لـــه الزمـــان وليـــا

الكون

أيُّ ليـلٍ فيـكِ مـن أنجُمـه ... كوكـبٌ يسطع في ليـل حيـاتي
أيُّ غـصنٍ فيـك مـن أطيـاره ... بلبـل في الفـم حلـو الـنغماتِ
أي ديـرٍ فيـك مـن سُـكانه ... كـاهنٌ في العـين يـدعو للـصلاة
أي شـمسٍ فيـك مـن مغربهـا ... شـفَقٌ ملتهـب في الوجنـات
أي شرق فيـك مـن فتنتـه ... سـاحرٌ في الثغـر عـذب القـبلات
أي جـو فيـك مـن أطيافـه ... زرقـةٌ تعلـو العيـون الفاتنـات
أي روضٍ فيـك مـن أفنانـه ... خفـة الظـل وطيـب النـسماتِ
أي ربٍّ فيـك مـن آلائـه ... أن تـردَّي الـروح للجـسم المـوَاتِ

البعث

سائلُوا العشبَ الذي نمنا به | كيف ما تَتْ فوقه طير الأماني
كلما أرسلتُها ... قاصدةً | هيكل الهاجر تشكو ما أُعاني
أوصَدَ الباب ولم يحفلْ بها | وجفاها مثلما كان جفاني
فهَوَتْ من جَوِّها واضطجعَتْ | في سرير العُشْب خرساء اللسان
هاجرٌ كم صَدَّ عنه طائرًا | تاه حتى جاءه طَيرٌ نَعَاني
فتناسى التيه وارتدَّ إلى | هيكلي .. فارتدَّ روحي وجَناني
وتعانَقْنا وأحيينَا الهوَى | وبعثنا في الهوى طير الأماني

❖❖❖

وقلتُ أَمَا آنَ وقتُ الرقاد | وأيَّانَ يا جَدَثُ المغربُ
فأنتَ المصيرُ لمن عَذَّبوا | وأنتَ المجيرُ لمنْ عُذِّبُوا !

❖❖❖

شهدتُ دموعكِ فوق الخدود | فياليتني دمعةٌ تُسكَبُ
فإنّي رأيتُ ثُغورَ الدموع | تُقبِّلُ خَدَّيْكِ يا زينبُ !

❖❖❖

إذَا ذَهبَتْ بالحياة القبورُ | فإنَّ غرامكِ لا يذهبُ
ويَبقَى جمالكِ في الخالدين | ويَفنَى المتَيَّم والمعجَبُ

إلى ليلى الجديدة

عَجِبتُ ومَنْ منك لا يعجبُ ... أقاسي العذابَ وأستعذبُ
وهل دَفعتني لحمل الصبابة ... إلا عيونُك يا زينبُ !
أرى في عيونك صفْو السماء ... يلوح بآفاقها كوكبُ
وفيه ملائكةُ السّحرِ تلهو ... وفيه جنون الهوى يلعبُ

◆◆◆

كأنك «ليلى» رأتْ شاعرًا ... على النّيل عذَّبهُ الغَيْهَب
يلوحُ على ناظرَيْهِ الجنون ... وفي صدره الأمَلُ المتعَبُ
أنا «قَيسُكِ» العاشقُ المستباح ... ومجنونكِ الشاعر المنجبُ
عشقتُ بك الجسدَ العبقريَّ ... وليس وراء الهوى مأربُ
كمن يشهدُ الخمر في كأسها ... فيثمل منها.. ولا يشربُ

◆◆◆

صبوتُ إلى السير بين القبور ... ففيها لأهل الهوى مَهْرَبُ
ورُحتُ أناجي ضحايا الغرام ... وأسكب دمعي على من صبُوا
وقلتُ أمَا آنَ وقتُ الرقاد ... وآنَ يا جَدَثُ المغربُ
فأنتِ المصيرُ لمن عَذَّبوا ... وأنتَ المجيرُ لمنْ عُذِّبُوا
شهدتُ دموعكِ فوق الخدود ... فيا ليتني دمعةٌ تُسكَبُ
فإنّي رأيتُ ثُغورَ الدموع ... تُقبلُ خَدَّيْكِ يا زينبُ!
إذَا ذَهبتْ بالحياة القبورُ ... فإنَّ غرامكِ لا يذهبُ
ويَبقَى جمالُكِ في الخالدين ... وتَفنَى التَّيَم والمعجَبُ

(*) يناجي الشاعر الممثلة الجميلة المسرحية والسينمائية زينب صدقي التي أحبها، والتي قامت بدور ليلى في مسرحية مجنون ليلى لأمير الشعراء.

رسالة الحب

كتمتُ هواكِ فلم تعرفي | وحدّثتُ عنه فلم تعطفي
فحكمتُ قلبكِ بيني وبينكِ | لكنْ حكمتِ فلم تنصفي

❖❖❖

رأيتُ الألوهةَ في ناظريكِ | تلوح خلال الجلال الخفي
فأسرفتُ في صلواتي إليكِ | فما لِنتِ للعابد المسرف
وعاتبني الناسُ لما عبدتُكِ | إلا الذي بات في موقفي

❖❖❖

أعللُ نفسي بلقيا المهات | لألقىَ بالأمَل الأجوفِ
فإنَّ دمي شعلةٌ من فؤادي | تطوف بجسمي ولا تنطفي
إذا اتقدتْ بقيتْ في الضلوع | وإن خمدتْ فيه تُستزف
فإنْ شئتِ فيه رحمةً فاهدريه | وإنْ شئتِ لي السقمَ فاستنكفي

***

أحبكِ لا للعناق.. فإني | أخاف على قَدِّكِ المرهف
ولا اللثمِ .. إني أخاف عليكِ | من النفس المحرِقِ المتلف
ولكنْ أحبكِ كالوثنيِّ | وأزهدُ فيكِ وإنْ تُسرفي
وأحمل بين صحائف قلبي | رسالةَ حبكِ كالمصحفِ

إخفاق الشعاع

دمعة على فيصل(*)

هـــل رأيــتم فجيعــة الآفــاقِ كيــف أَوْدَتْ بــأدْمُع الآمــاقِ ؟
هـل شـهدْتم أُفـولَ نجـم المعـالي؟ هل سَمعتُم نحيـبَ أهـل العـراق ؟

◆◆◆

يـا مليـكَ العـراق ذكـرك في الدَّهْـ ـــرِ فـــأنّيَ نأيــتَ فالمجــدُ بــاقٍ
يـا رسـول السـلام والعدْل في الشرْ قِ ورمـــزَ الوفـــاءِ في الآفـــاق
قلــدوك الأمــور في حلكــةِ الليـْـ ـــل فـــأخرجْتَهم إلى الإشراقِ
واشتكوا قسوةَ الوثـاق عـلى الشَّـعْـ ـــبِ فخلفتــهُ طليـــقَ الوثـــاقِ
وفضـضتَ القيـد الـذي أَحكمتـهُ في يــد الــشعب دولــةُ الإرهــاق
وأنــرْتَ العــراقَ بالعــدل والعـــ ـــلم وأعليــت دولــةَ الأخــلاق

◆◆◆

أيــن كــان العــراق ؟ كــان غريــقًا في محـــيط الظـــلام للأعنـــاق
كـــان شـــعبًا مـــستعبدًا يتلظّـــى في إِســـار القيـــود والأطـــواقِ
كـــان شـــعبًا لهـــا بَنُــوهُ وراحــوا شِـــيَعًا في تنابـــذٍ وشـــقاق
أين أضحَى العراق ؟ أضحى سماءً مِـــنْ ضـــياءٍ وحكمـــةٍ وائـــتلاقِ
أَضْــحَت الأمّــة الجهولــةُ مجــرًى لرحيـــق العلـــوم حُلْـــوَ المـــذاقِ
أَصْــبَحَت أُمـــةُ البـــداوة روضًـــا مونـــقَ الزهـــر نـــاضرَ الأوراقِ
أصـــبحت أمـــة التنابـــذ روحًـــا في ائـــتلافٍ وعـــصبةً في وفـــاق

◆◆◆

(*) الملك فيصل الأول (١٨٨٥-١٩٣٣) ملك العراق (١٩١٢-١٩٣٣) ابن الشريف حسين قائد قوات الثورة العربية دخل دمشق عام ١٩١٨ وعين ملكًا على سوريا (١٩٢٠) ثم على العراق (١٩٢١) وتوفى في سويسرا عام (١٩٣٣) ودفن جثمانه ببغداد (المحقق)

سلْ رواقًا على «جنيفَ» بَنُوه | كيف حَلَّ العراق بين الروَاقِ
بعد أنْ كان في الإسار ذليلاً | خافض الرأس دائم الأطراق؟
كيف بات الأسيرُ والآسر يافيـ | ـصل نِدَّينِ أو كبعض الرفاق؟
يهتف الهاتف المجاوب عنه | لم يَنَلْهُ قسرًا ولا عن نفاقِ
رُبَّ فوزٍ يُنال بالحزم والعَـ | ـزْم وما نِيل بالدم المهراق

◆◆◆

جُزْتَ يَا فيصل العظيم بنهريـْ | ـكَ لأعلَى ما أمَّلاً من مَرَاقي
وتركتَ العراق وهْوَ بحقٍ | أمّةٌ حَيَّةٌ وشعبٌ راق

◆◆◆

نَمْ على عرشك الأخير قريرً | يا أبا الشبل إنّ شبلك باقِ
رَحمة الله لا تفارق بابًا | لشعارِ العروبة الخفَّاقِ

إلهتي

مـــا رونـــقُ البـــدر إلاّ	أشـــعةٌ مـــن عُيونـــك
مـــا ســـحْرُ هـــاروتَ إلاّ	إِشـــارةٌ مـــن جفونـــك
هـــديْتِني لآلهـــي	فَنـــورُه في جبينِـــك
وحـــيرتي فيـــه بعـــضٌ	مـــنْ حـــيرتي في شـــؤونك
وأنـــتِ سرُّ وجـــودي	فكيـــف أَحْيَـــا بـــدونَك

مهرجان القرش

«هذه القصيدة نالت الجائزة الأولى بمسابقة الشعر في مهرجان مشروع القرش سنة ١٩٣٣ وكان المحكمون: الدكتور طه حسين والأساتذة العقاد. والمازني، والهراوي، وأنطون الجميل».

هتف الداعي فقُمنا هاتفينْ ... نُسمعُ الآباءَ صيحاتِ البنينْ
وتنادينا بسكّانِ الحمى ... ودعوناهم إلى الحق المبين
وأتينا نحمل النورَ إلى ... من قضوْا في ظُلمة الليل السنين
وروينا نبأ القرش فما ... منع الممسكُ أو ضنَّ الضنين
نحن شِدْنا مهرجانًا حافلا ... وحففناه بألوان المجونْ
ونشرنا فيه أعلام الهدَى ... وعرضنا فيه آياتِ الفنون
وكسونا بالرياحين الرُّبيَ ... فتبدَّتْ فتنةً للناظرينْ
وتغنينا بلحنٍ خالدٍ ... وملأنا الجوَّ بالشعر الرصين
ورددناها عليكم جنة ... فادخلوها بسلام آمنين!

❖❖❖

لستُ أنسى في حياتي ليلةً ... توجَ الدهرُ بها هامَ السنين
حين قام النيلُ من غفوته ... ينشرُ العزةَ فوق العالمينْ
قد بعثنا الشعب من رقدته ... وفضضنا عنه أغلال السجين
وصرخنا فيه: لا زالت بنا ... ذكرياتُ المجد تجري في الوتين
جُدْ بهذا القرش تبعثْ أمةً ... كاد يفنيها سباتُ الغافلين
جُدْ بهذا القرش تبعث مجدها ... طال بالوادي إلى المجد الحنين
هي مصر بنت فرعون الذي ... حكم الدنيا وساد المالكين
والتي استولى عزيزوها على ... صولجان الدهرِ والدهرُ جنين

إلى طيف الشاعرة الحسناء

أسدَلَ الليلُ على مَنْ عذلكْ ... ستره الداجي وأوفَى لي ولك

كم شكوتُ الليل حتى ليلةً ... قلتُ فيها يا دُجى ما أجملكْ

ليلةً شاهدتُ فيها ساعدي ... ضَمّ جنبيكَ وثغري قبّلكْ

◆◆◆

أنتَ تنزيلٌ من السحرِ على ... عَالمِ الشعر (أبولو) أنزلك

يا رسول الحسن ما أرواحنا ... غير قُربانٍ يُغذي هيكلكْ

الأيام ..!

تهـــتَ يـــا صـــبُّ فجـــاءت ... تـــذكر العهــــد لــــديْكَ
وتجنيـــــــتَ فألقــــــتْ ... قلبهـــا بـــين يـــديك
كيـــف بـــالله يـــذل الحـــــ ... ـــسن يـــا قلبـــي إليـــك ؟
هكـــذا الأيـــام ... يـــومٌ ... لـــك والثـــاني عليـــك

على ضفاف الزمالك

أظلمَ الأفق من سماء الزمالكْ ... وطوت نورَهُ الليالي الحوالكْ

وانثنيَ الزورق السبوح بصب ... يتمنىَّ لقيا الحبيب هنالك

وهَفتْ بي سفينة الفكر حتى ... لاح خلفَ الهزيع طيفُ خيالك

إنه الطيف سلوة المتمني ... وعزاء المعذَّب المتهالك

والذي يخلع الحياة على الحـ ... ـب ويجني الصدود يُرضيه ذلك

أقبل الطيف في الدجَي يتهادى ... في جلال الجمال ... أي في جلالك

والسكون الرهيبُ مُرخٍ ستارًا ... يحجب الوصل عن ضنى عُذالكْ

خبِّري مَن أحبهُ يا ليالي ... ما جني الصب من سهاد طوالك

صبوة الحسن في فؤاد (جميل)[1] ... وجلال الخشوع في قلب (مالك)

وجوى الشوق في جوانح (قيس) ... إذ نفاه الرقاد والليل حالكْ

إنَّه الحسن من أضاع حجاه ... ورمى قلبه فضلَّ المسالك

هل شهدتَ المأساة ياخدْنَ (ليلَى) ... قد جَرَى ذكرها على أثوالك؟

أنت أقصى الآمال عندي فقل ... يا حبيبي ما منتهى آمالك ؟

أنت ملء النهار والليل في الفـ ... ـكر فهلاً خطرتُ يومًا ببالكْ

خمرةُ الحسن أنتَ فارِو فؤادي ... طال سعيي إليكَ قصد انتهالك!

أيُّهذا الجمال سوف تُولِّي ... وقريبًا يحل يومُ زوالك!

فاختلس فرصة الشباب ومتِّعْ ... يا حبيبي أهل الهوى بوصالك

سوف يمضي الجمال يومًا فتمضي ... تتأسى بذكريات جمالك

---

(١) جميل بثينة الشاعر المفتون. يناجي الشاعر ملهمته الفنانة زينب صدقي.

جبروت!

أودعتـــكَ القلـــبَ فاحـــذرْ   أخـــــافُ أن يتكـــــسرْ
خفِّـــف عليـــه التجنـــي   كـــسرُ الهـــوى لـــيس بجـــبرَ
يـــا مـــستبيح شـــباب   مـــن النـــضارة أنـــضر
ويـــا مُـــذلّ فـــؤادٍ   مـــن التكـــبر أكـــبر
غَـــيرْتَ مجـــرَى حيـــاتي   وأنـــــت لم تتغـــــير
عيونـــكَ الـــزُرق نامـــت   عَمـــنْ مـــدى الليـــل يـــسهر
طَـــوَتْ جفوُنـــك معنـــى   للظلْـــم يُطـــوَى ويُنـــشر
وكلـــما بِـــتُّ أشـــكو   تقـــول: أنـــتَ المخـــيَّر!
يـــا أكـــبر النـــاس حُـــسنًا   لا تطـــغَ .. فـــالله أكـــبر!

الشارد

أيها الشارد عن وكر الهوى ... قد عفا من بعدك القلب وذابْ
كنتُ لا أسمع إلا بلبلا ... فإذا الشادي على الأيك غراب
كنتُ لا أشرب إلا خمرةً ... في كؤوس قد مُلئن اليوم صاب
كنتَ لي يا تاركي في لوعتي ... أنتَ والألحانُ والكأسِ طلابْ

◆◆◆

قد عرفنا أنّ آلام الهوى ... تقتل العشاق لكنْ تُستطاب !
فلعمري ما الذي أوْدَى بنا ... أعذابُ الحبِّ أم حب العذاب؟
لك شَعرٌ ذهبيٌّ ساحرٌ ... ضاع في موجاته قلبي وذابُ
لك خدّان تجرَّت فيهما ... حُمرةٌ تنسابُ من قلبي المذاب
والعيون الزُّرْق من فوقهما ... رائحاتٌ .. غاديات .. كالسحاب

◆◆◆

حين قالوا إن آلام الفتى ... ليس يفنيها من الدهر الذهاب
خِفتُ هذا العيش أن يمضي بنا ... أو يعيد الشيب أهوال الشباب
مُشفقًا بالصب من آلامه ... أن يُضيع العمرَ في هذا العذاب

المهزلة الكبرى

صاحِ أناِ الرّكبَ عن وادي الحزَنْ واطرح العمر ولا تنع الزمنْ
والتمس للرّكب مهجور السننْ وامضِ في وادٍ من الإنس خلا
وانزوَى عن أعين الناس وغاب

❖❖❖

غنِّي أنشودة الوادي الوسيعْ حيث لا أسمعُ للدنيا رجيعْ
ثم جفّف ساعةً جفني الدميع وارِدِ نُوقَ الحزن واهتفْ حيهلا
يا كراز السحر يا كأس الشرابْ

❖❖❖

إِرْدِها ترجع إلى الدنيا التي ضيعتني ... وإستحلت قتلتي
وانْفِ بالرحلة ذِكرَى عِلّتي وانسني الدُّنيا وبلواها ولا
تترك الذكرَى على قلبي المذابْ

❖❖❖

طُفْ بوادي الموتِ واشهدْ مِن أَمَمْ موميا اليأس وجثمان الألَمْ
إنّ حَقَّ العيش في وادي العَدمْ وحياةُ الدهر زَيْف وطِلاَ
وهي للمغرور والأعمَى طِلابْ

❖❖❖

ها هي الجنّةُ تدعونا لها فتعالَ اليومَ نسبُرْ أهلها
فُتحَ البابُ ... فعجِّلْ .. عَلّها تنطوي بِيضُ ثناياها علَى
معشرٍ من شِقوة الدنيا غِضابْ

❖❖❖

عِشتُها عشرين عامًا باتَها شَبَحُ العفَّةِ يشكو موتَها
فسل الفردوس من أين انتهَيَ ساكنوه ... والذي قبلِي تلا

إن ذا العالَمَ في الآثام شابْ

❖❖❖

عجبًا والله يا أهل التُّقى لم أَفُزْ في الدهر منكم باللقا
هل هجرتم يومَ نوحِ الزورقا وعبرتُم عالَمَ الغدْر إلى

منزلِ الفردوْسِ قُدْسيِّ الجنابْ

❖❖❖

وتركتُم في الحياة الفانيةْ مُقلةً تبكي ونفسًا عانيةْ
وانتقلتم للحياة الثانيةْ دون أنْ تدْعُوا الجريح الأعزلا

عند وادٍ يَتَّقي فيه الخرابْ

❖❖❖

وَيْ ! أرَى الجنَّةَ تحكي العللَا فهُنَا حورٌ مليحات اللمَى
وسمير في سُلافٍ نادَما وحبيبٌ ما رأينا أجملاَ

منه بين الناس في الغيد الكِعَابْ

❖❖❖

ما تجَنَّى ذات يومٍ أو أَبَى قُبلةً في الدهر عَزَّتْ مَطْلَبَا
ما أضَلَّ الناسَ يهوون الصِّبَا ويقولون عن الموت البِلَى

وهو عهدٌ دونه زهر الشبابْ

❖❖❖

وهُنَا خمرٌ وسكرٌ وقَدَحْ وهُنا لهوٌ وَرَقْصٌ ومَرَحْ
ونفوسٌ قَدْ تناسَاهَا التَرَحْ وتَناسَتهُ وطابتْ مِقْولاَ

وتَغَنَّتْ بالأناشيد العِذَابْ

❖❖❖

وهنـا الألحـانُ هـزَّتْ (مَعبـدًا) فَـصَحَا يبكـي عـلى مـا أنـشَدَا
وهنـا الإنـسان أمـسى وغَـدَا في مراعـي هـوهِ واسترسـلا
يسبر اللذَّات من غير حسابْ

◆◆◆

والـذي أودَى بـسُكّان الجحـيمْ هـو مـا أمـسَى ثوابًـا في النعـيمْ!
حكمـةٌ كـم حَـيَّرَتْ عقـلَ الحكـيمْ غمَـرتْ بالـشَّكِ أذهـانَ المـلا
أيكون الذنبُ في الأخرى ثوابْ؟!

◆◆◆

لا إخـالُ الكـون إلا مَهزَلـهْ في مجاليـدِ كتـابٍ مُنَزَّلـهْ
ذات دورٍ كلنـا قَـدْ مَثلـهْ نـصفُهُ في الـدهر والنـصف عـلى
مسرَحٍ نُلْقَى به يوم المآبْ!

مجنون

قد سئمتُ الغباء في مصر حتى ... لا أطيق الحديث من فرط يأسي

مَنْ رآني على الحياة وَحيدًا ... غارقًا في محيط نجوًى وهمسِ

قالَ مَنْ أنتَ ... قلتُ إني غريبٌ ... قالَ جُنِنْتَ ! قلتُ جُنَّتْ نفسي

جَهِلَ الناسُ ما أقول .. وقالوا ... ما أراهُ مُضَيَّعًا طيبَ غرسي

هكذا العبقريُّ بين الجهالي ... زعموا أنهُ مصابٌ بمسٍّ

حياة ثانية

أيُّ نُــورٍ ألقَــى عــلي غرامــي فاشــتريت الآمــالَ بــالآلام
كـان ذا القلـب عـصبةً من جـراحِ تتنــزَّي في هيكــلٍ مــن حطــامِ
كـان ذا الجسم هـيكلاً من عـذابٍ وشــجونٍ ولوعــةٍ وضرام
كـان ذا الطـرف مـنهلاً سرمـديًا يغمـر الـروحَ بالـدموع الـدوامي
كُنْــتُ واللهِ في شَــبابيَ شــيخًا لاحَ للنــاس في مُــسُوحِ غــلام

◆◆◆

كان ذا الشِّعر غُنوةَ اليأس في القَلْـ ـبِ ونايًـا أنعِـي بـهِ أحلامـي
كُنْــتُ لا أعـرف التبَـسُّمَ حتـى عَــوَّدَتْني المنَـى ابتـذالَ ابتـسامي
شــفتايَ الحزينتـــان وقلْبـــي وعيـــوني مَدينـــةٌ لغرامـــي

◆◆◆

كــم تمنَّيــتُ في بعــادك طيفًــا أحسبُ الطيف مُبرئي من سقامي
فــإذا بي بعــد الوصــال سـقيمٌ شــارد اللــب تائــه الأحــلام
وإذا بي بعــد الرضــا والتــداني طمــعٌ فــوق أن أراكِ أمــاميَ
عــالمٌ أنــتِ مِــنْ ســماءِ جمــالٍ وجـــلالٍ وفِتنـــةٍ وسَـــلام
فيـكِ أمْـرٌ فـوق الجمـالِ سـيبقَى أبَــد الــدهر حــيرةَ الأيــام
بِــتُّ لا أعـرفُ النهـار مـن الليـ ـلِ فمنـكِ السَّنا وعنـكِ ظلامـي
أكــبر الظــن أنــتِ طيــفُ إلــهٍ عبقــريٍ في عــالَمٍ مُتــسامي
صِــيغَ مــن فتنــةٍ وســحرٍ ونُــورٍ وشـــعورٍ ورقّـــةٍ وهيـــام
فيـكِ سـحرٌ من الـسذاجة والطهْـ ـــر يمـــدُّ الـــشعورَ بالإلهـــامِ

قد هَجَرْتُ الكروم والحان والنسا ... قي ورجْع الكؤوس والأنغام

وسئمتُ الحياة إلاّ خيالا ... وعشقتُ الحياة بالأوهام

نتساقى بها الكؤوس من السّحـ ... ـر ونحيا في روضة الأحلام

حيث طير الخيال فيها تَناغَي ... برقيق الهوى وعذب الكلام

والأزاهير حولنا تتثنّى ... راقصاتٍ بغَيرِ جرجٍ دوَامي

وخرير الجمال يا منبع الحسـ ... ـن يُرَوِّي صدَى فؤادي الظامي

كل شيء حتى الأنين أراهُ ... مُستحبًّا مُوَقَّع الأنغامَ

فادركيني هنيهةً للتأَسِّي ... بالهوى عن جريمة الأَيام

◆◆◆

اشربي الكأس واتركي لِيَ فيها ... قبلةً تستقرُّ بين عظامي

قبل ما يخطر النسيم فيمضي ... بأماني الهوى ويذرو حطامي

◆◆◆

الجسد العبقري

«على شاطئ ستانلي باي»

عبقـــريٌّ أنـــتَ في كـــل نُتُـــوء وثَنِيَّـــة
عبقــريٌّ أنــتَ أوحيــتَ لــشِعْري العبقريــه
نُــور عينيــك انتقــام الله مــن دنيّــا شــقيه
ســوف يفنيهــا ... وتبقَــى نــاره في الأَبديّــه
وعــلى فرعــك أطيــاف الأَصــيل العــسجديه
ذهَبِــيٌّ حَــرَمَ القَلْــبَ الأَمــاني الذّهبيــه

◆◆◆

لست أنسى لحظة الصيف وما جرَّتْ عَليَّه
لحظَــةً بــين غــواني المــاء في الإســكندريه
إذ تجــرَّدْتَ وأبقيــتَ مــن الثــوب بقيــه
حــدَّثتْ عــما طوتــه مــن ثنايــا قُدُسِــيه
كابتسام الطفل كم حدَّث عن حُسن الطويه

◆◆◆

لم حرَّمــتَ عــلي عينــي نواحيــكَ الخفيــه
أنــتَ إلهــامي ومعنــايَ ووحْــيُ الــشاعريه
وأنــا الزاهــد فــيما طمعــتْ فيــه البَرِيّــه

◆◆◆

إلى الله

«من رسالة طويلة»

....

ويا إلهي ... بعيد   عليَّ نقضُ يمينكَ

لكنَّ قومي يودُّو   نَ أنْ أدينَ بدينكَ

وأنَ أعيش جهولاً   بما اختفى مِن شؤونكَ

وطيّ نفسي سؤال   محيِّرٌ في فنونكَ

كتمتُه الناسَ لكنْ   لمْ يحتجبْ عن عيونكَ

فاكشف غياهب شكي   بلمحةٍ من يقينكَ

ظمآن

أَجَلْ! ظمآنُ يا ليلَى وماء الحب في نهرِكْ
خذيني في ذراعيكِ وضُميني إلى صدركْ
دعيني أشرب النور الذي ينساب من شَعركْ
وروي لهفة الظمآن بالقبلة من ثغركْ
هبي لي ليلةً أثملُ يا ليلاي من خمرِكْ

◆◆◆

تقولين جمعتَ السحر يا ظمآن في شِعركْ
وأنتِ قصيدتي الكبرى وهذا الشعر من سحركْ
أيا ليلى رأيتُ القلبَ لا يسأم من ذكركْ
خيالٌ أنتِ في فكري فهلاّ جُلْتُ في فكركْ
كأنّي راهب الفتنة يستشهد في ديرِكْ
وقد يُشرك بالله ... وبالفتنة لا يُشركْ
على أني عرفتُ اللهَ لكنْ حِرْتُ في أمركْ

◆◆◆

أجَلْ! ظمآنُ يا ليلَى وماء الحب في نهركْ!

اللقاء الحاسم

أنتِ دُنيَا ومَنْ يُحِبُّكِ أخرَى … في سرير القبور يلتقيانِ
بَين هاتَين فترةٌ من سباتٍ … تجمع اليأس والمنَى في مكانِ
وينشر النور على لحده … ويجعل الريحانَ من نشره
ويحصر الله رفيات الذي … قد ملأ العالَمَ من شرِّه
في جَدَثٍ مُستوحِشٍ حالكٍ … أضيقُ بالعصفور من وكره
والروح إمَّا حَلَّ في غيره … أو آثر الإخلاد في بثره
فلِمْ يقول الناس مات امرؤٌ … إن هجر الدنيا إلى قبره؟
ألبس في القبر حياة امرئٍ … تطول بالمرء إلى حشره!

◆◆◆

وقيل : ان الروحَ في رجعةٍ … من نفخ إسرافيل في صوره
حيث يجازَى الناسُ من ربهم … كلٌّ بما استأهل من أجره
وحيث تعلو هامةُ المتَّقي … ويُغلَبُ الباغي على أمره

◆◆◆

المرء يحيا دهره «أوّلاً» … ثم «يُثنّي» العيش في قبر
ثم يُتم «الوتر» في جَنَّةٍ … أو في جحيم منتهَى وتره
والعيش في الدهر قصير المدَى … كلحظةٍ تُقطَعُ من عمره
فكيف قالوا إنَّه مَيِّتٌ … من يوم أن غُيِّبَ عن دهره
وليس بعد رِحْلَتَيه سوى … جديد عيشٍ دَبَّ في إثره [1]
لا قال بالموتِ سوى كافرٍ … يكذِّبُ الأديانَ من كفره!

---

(١) الرحلة الأولى من الدنيا إلى القبر والثانية من القبر إلى الحشر (الجنة أو النار) الذي يلقى فيه الإنسان حياة جديدة.

مواهب!

قـد قَـسَّمَ الله كنـز العقـلِ مـن أَزَلٍ ... هـل كـان في كفِّـهِ إذ ذاكَ مقيـاسُ!
كم قال غيري كلامًا لست أفهمه ... وبِتُّ أكتـبُ مـالا يفهـم النـاسَ!

الوداع الأخير

أغـدًا يـا هـاجري موعـدُنا؟ ... ردَّتْ الموعـدَ أيـامي عليْـكْ!
هـا أنـا الـساعةَ في مُنعـزَلي ... أَسْـلُم الـروحَ وأزْجيهـا إليـكْ
كـم تمنَّيـتُ إذا أسْـلمتُها ... لـو أتـتْ خـاتمتي بـين يـديكْ
يـا ضـنينا باللقـا ... حتـى اللقـا ... ساعةَ الموت من الحرمان ؟ وَيْلكْ!
أيهـا القاتـل إنّي مُـشفقٌ ... لك - إنْ تَلْقَ الردَى - مِن ملكيْكْ!

❖❖❖

بيَ أوجـاعٌ قـد استعـصَتْ عـلي ... حكمة الآسِي ... وما استعصت عليكْ
في سريـر المـوت جـسمٌ دارسٌ ... ذو فـؤادٍ ذائـبٍ مـن ناظريـكْ
أيهـا القلـبُ ... سـألْقَى خـالقي ... مـا جـوابي أنْ يَـسَلْ عـن قاتلِيْـكْ ؟

❖❖❖

لَـسْتُ بالخـائف في أخـراي مِـن ... لَهَـبِ ألفيتُـه بـردًا لَـدَيْكْ
كنـتُ في الـدنيا مجوسـيًا صبًا ... للهيـبِ مُوقَـدٍ في وجنتيْـكْ
لكـأني كنـتُ مثلوجًـا ... وكـم ... أدفـأتني قُبلـةٌ مـن شـفتيْكْ!
يـا شـفيقَ الزهـر والطـير ... أمـا ... سـاءلَتْ نفـسُكَ عَنِّـي أخويْـكْ
أنـا في روضـك أرْويـه بـما ... فاض من دمعي مَدَى العمر عليكْ
في سريـر المـوت اغْفَـى شـاعر ... عبقـريٌّ ... وَحُبُّـهُ مـن مُقْلَتَيْـكْ
يـا ضـنينًا باللقـا ... حتـى اللُّقـا ... سـاعةَ المـوت مـن الحرمـان ويْلكْ!

بعد الرحيل

وَدَعَتْني . يومَ أنْ ودَّعْتني . نشوة الوجدانِ مِن خمر هواكْ
إنْ تسلْني أيّ خمر أحتسي فهي الأدمع .. مِنْ يوم نواكْ!
جَهِلَ الأيمانَ ذا القلبُ الذي يعبد الحسن ويصبو لسواكْ!
ما عشقتُ الورد لولا أنّه صفحةٌ سالت عليها وجنتاكْ
ما حسبتُ الشمس إلاّ أنها تتلظّى يا حبيبي مِن جفاكْ
ما عبدتُ البدر لولا أنّه لمحةٌ تنبع من نهر سَنَاكْ
حَسْبُ من يهواكِ ذلاً أنني لا أرى نفسي جديرًا بهواكْ!

على الرمس

قمتُ في الليل أناجي مَضجعَكْ ليتني في الرمس أمسيتُ مَعَكْ
أنظُر الساعةَ قلبًا هاتفًا يرتجي السُّلوانَ ممَّن شيَّعكْ
غيَّبوك اليوم لكنْ خلَّفوا لوعةً في القلب ممَّا استودعكْ
أيها الغائب عني ... ليتهم فتحوا قلبي وشادوا مَضجعكْ
هذه روحي فخُذْ إن شئتَها إنني ألفيتُ شوقي أطمعَكْ
ليتني أملك إبدالي بها ساعةً في القبر أمضيها معكْ!

السفينة الحائرة

سرتُ فوق اليم في الليل الحزينْ ... أغرق الآمال في لُجتِهِ!
وأقمتُ الليلَ موصولَ الأنينْ ... أندبُ الوجدان في عزلتِهِ

❖❖❖

كم بكيتُ الناسَ طراً حينما ... خلتهم في المذ لَهُم اشتركوا
إنما مَنْ كان لحمًا ودمًا ... يتشكّى الهمَّ من حيث شكُوا
والذي أدهشني أنْ كلما ... لَمحوا الدمع بعيني ضَحِكوا
خففّي يا عينِ ممَّا تسكينْ ... واتركي العالَمَ في نَوْمَتِهِ
إنما الإنسان من ماءٍ وطينْ ... ونساءُ الإثم في حَوْمَتِهِ

❖❖❖

يا سفينًا سار من غير دليلْ ... يحملُ الناس إلى شطِّ الأسَى
ساريًا بالناس جيلاً بعد جيلْ ... تائهًا من يوم نوح مارسَا
ما درَى السَّفانُ من أين السبيلْ ... وإلى أيّ يقُود الأنفُسا
ساءلَ الموجاتِ : هلاًّ يستبين ... ما طواه اليمُّ في ظُلْمتِهِ
ها هو السَّفانُ لليمِّ رهينْ ... ونفوس الناس في رحمتهِ

❖❖❖

يا لنفسي ! إنها قد هالَها ... أن ترى الأحزانَ في ثوب الفرحْ
كلما تلمح نفسًا حولَها ... وجدتْها طَرحَتْ عنها التَّرَحْ
رُبَّ نَفسٍ قُدِّرَ الموتُ لها ... غَرقتْ بين الندامَى والقدحْ
فتناسَتْ أنها تطوى السنينْ ... ثم تلقى الموتَ في رَهبتِهِ
وتناست من ضجيج الشاربينْ ... أنها تسلك في شُعبتِهِ
لو صحا الإنسانُ من جهلِ الكَرَى ... لرأي العودة من حيث أتى
ذلك الروحُ من الغيب سرَى ... وإلى الغيب سيُنْهِي الرحلةَ

وكـذا الجسمُ إلى المـوت جـرى ... أفـسـها كـان ترابًـا مَيِّتـا
عُـذْ بنـا للمـوت وارجـعْ بالـسفينْ ... عبثًـنـا حاولـبـستَ في دفِّتِـهِ
قـد تولاّنـا إلى المهـد الحنـينْ ... وتـنـشوَّقنا إلى ضَـفَّتِه

◆◆◆

يـا ضـفافَ المـوت طالـتْ غَيبتِي ... خـبِّري بـالله أَنَّـى نَلتقِـي
أنفَـدَ الـسفَّان مـا في جُعْبتـي ... مـن بقايـا الـصبر في قلبـي الـشَّقي
رحمـةَ بـالله رُدِّي غُربَتـي ... بعـد عـشرين[1] أشـابتْ مِفرقـي

(١) عُمُر الشاعر.

سجين الليل

أيها الليلُ يا رهيب السكونِ ... يا مُثيرًا بما جنيتَ شجوني
جَلِّد اليأس ما استطعتَ وحَرِّكْ ... لاعج الحزن في نزيل السجونِ
واترك الناس يعبثون قليلاً ... في حياةٍ مليئةٍ بالفتونِ
لعبتْ في رؤوسهم نشوة الخمـ ... ـر فقاموا إلى اجتلاء المجون
رقد الحالمون ليلاً وراحوا ... في دُجَى الليل يطرحون الهمومَا
غافلَ الكُلُّ في الظلام أساه ... وتناسى فؤاده المكلوما
حسب الليل عن أساه حجابًا ... فتمنى لعهده أنْ يدوما
وصبا للسوادف الحُلْك حتَّى ... لو توَلّى لكان يُطفي النجوما

***

ها هو الليل فالسكون رهيبٌ ... ولواه الكَرَى يسود الأناما
غير جمع الأرواح في سامر الليـ ... ـل تُغَنّي وتُرسِلُ الأنغاما
لا يعيها من الخلائق سَمْع ... غيرُ سَمْع الذي يُقيم الظلاما
تُنْشِدُ الناس أنَّ غدر الليالي ... بالبرايا يُصوِّرُ الأحلاما

***

حين غَرَّ النيامَ صمتُ الليالي ... وهْي في جمعهِنَّ تُمعن كَيْدًا
قامت الصادحات توقظ أهليـ ... ـها وتُعْلي القِتالةَ فيهم رُوَيْدًا
أخَذَتْها بواعثُ العطف لمّا ... لم تجِدْ للظلام في الظلم حدًّا
فأفاق الذي تبيَّن ما في ... لجّةِ الليل مُشفقًا وتصدَّى
يسهر الليل شاعرٌ ليس يَجني ... من أمانيه غير سُودِ الأماني
وعليلٌ مُستسلم في دجاه ... لرسول الآلام والأحزانِ
ولَعوبٌ على الشباب غريرٌ ... قطع الليل بين أيدي الغواني
ومحبٌّ .. حبيبُهُ يتجنّى ... يقتل العمر في ادِّكار الحِسانِ

***

فـأخو الـشعر سـاهرٌ مـن أسـاه / وطـريح الفـراشِ جَـمّ الأنـينِ
يبعثان الـدموع في مـا حـل الليْـ / ـلِ فتجري على فيـافي الـشجون
وأخو اللهو غافلٌ ليس يدري / ما طوى الليلُ في ثياب السُّكونِ
باعث صيحةَ المجون ضحوكٌ / ليته مُبْـدِلي بقلبـي الحـزينِ
أرسَلوا ـ والسكون يغشى البرايا ـ / صيحةً أيقظَـتْ بقايا النيام
صَرخَتْ في وجوههم أن أفيقوا / واطرحوا النومَ يا أولي الأحلام
تلك آمالكم تُشاد مدى الليـ / ـلِ وتعلو بها يَدُ الأوهام
إرْثُها في الصباح من حَسَرَاتٍ / تدرسُ النفس يا ضحايا الظلام

◆◆◆

غابَ مُلْكُ النهار ... والنورُ فيه / حين أرخَى الدُّجَى عليه الستارَا
فالتمسنا على الدياجر قَبْسًا / ونصبْنا على الظلام الأوارَا
ورضينا بلمحةٍ من شعاع / قد تجلَّتْ فذكَّرتْنا النهارا
وبدا الفجر بعدها ـ وتبدَّتْ / غُرَّةُ الأفْق تبعث الأنوارا

◆◆◆

فصَحا العالَمُ الجديدُ وحَيَّى / مطلعَ الشمس واستبان الجمالا
ورأى النور فاهتدى وتهادى / وتجنَّى على الليالي الضلالا
وتناسى الظلام بعد ذُكاءٍ / وسناها ... واستقبلَ الآمالا
وأفاق السجين من وحشةِ السِّجْـ / ـنِ فقضَّ القيود والأغلالا

المنشودة

أنتِ طيف الله يا آسرتي / فيك ما فيه من الشَّك البعيدْ
وعلى عينيكِ آياد الهوَى / وهي للشاعر قُرآنٌ جديدْ

◆◆◆

من الرمس

شَيَّعوني ... هل دروْا مَن شيَّعوا؟ — لو دَرَوْا مَنْ في الثرى لَم يرجعوا
لأقاموا عند رمسي دهرَهم — يحسدون الرمس فيما أودعوا
وتمنَّوا عودةَ الروح له — وهيهاتُ الموتِ لا تُستَرْجَع!

❖❖❖

يا حبيبي .. هلعَ الروض على — موتِ ساقيهِ وضجَّ المرتَعُ
كم روينا الزهرَ والطير معًا — وأنا الساقي وأنتَ المنبع
واستقينا مِنْ غديرٍ سال مِنْ — مُقْلتَيْنا .. والمياه الأدمُعُ
وبنيْنا مَضجَعَ العُشب على — ضَفَّتَيْهِ .. واحتوانا المضجعُ

❖❖❖

قيلَ لي - ألحدتَ يا عبدَ الهوى - — في سبيل الحب أرضَى ما ادَّعُوا
أنا لم أنكر إلهي - ساعةً — بل عبدتُ الله فيما يُبْدِعُ
غَزَلي كان شفيعي في الهوى — أتُراه عند رَبِّي يشفع؟

ليلاى

إيهِ يا ليلايَ .. يا ذات العيون الساحرهْ

كم رأيتُ الليل يبكي للعيون الساهره

وشهدتُ الأسر يحلو للجفون الآسره

هل أرى الرحمةَ يومًا من فؤاد الهاجره

كم عصرنا الراحَ يا ليلايَ من كَرْم العيونْ

وروينا ظمَأ النفس من الدمع الهتون

وارتضينا منكِ ما كان سوف يكون

أكذا مَنْ يتفانَى فيكِ يا ليْلَى يهون؟

❖❖❖

كم فتحتُ الصدر للعاذل لمّا أن عتَبْ

وتحمَّلْتُ طويل الهجر من غير سبَبْ

كل ما قدَّمْتُ ... قربانٌ على الصَّبِّ وجَبْ

وفداء للعيون الزُّرْقِ والشَّعر الذَّهَبْ

أنشودة المحروم

أيها النور الذي أضحى مَشاعَا ... كُلُّ قَلْبٍ نال منه ما استطاعا
ما لروحِي في الدُّجى هامتْ ؟ وما ... لفؤادي لم يَنَلْ منكَ شُعاعا ؟

❖❖❖

أيها الدير الذي رُهبانُهُ ... سجدوا في صحنه الزاهي تِباعا
هل أنا الكافر بالحسن لكَيْ ... تحرم القلبَ من التقوَى متاعا؟

❖❖❖

أيها السرُّ الذي غنَّى به ... بلبل الحب فأفشى وأذاعا
كلّ سمع في الورى أشجيتَهُ ... ما لأذني لم تَنَلْ منك السَّماعا؟

❖❖❖

أيها الملاَّحُ قد أغرَقْتني ... في محيط الحب قذفًا واندفاعا
كيف أنقذْتَ الورى من لجةٍ ... ضَيَّعتْ مِني ضُحَى العمرِ ضياعا؟

❖❖❖

أيها الساقي الذي جَرَّعني ... مِنْ دموعي ، وسَقَى الناس الدِّماعا
قد عفا المحروم من كأس الهوى ... فوداعًا أيها السَّاقي وداعا !!

❖❖❖

الإنسان الأول

في فجرِ دنياكَ والأكوانُ ناشئةٌ ... والله طفلٌ لَهَا[1] بالطين والماء
مصورًا منها الإنسانَ في صُوَرٍ ... لم يرض عنها مناهُ الطامحُ النائي
أفني عظيمَ الحِجَا والتربَ تجربةً ... إلاَّ حثالةَ أضغاثٍ وأشلاءِ
فصاغَ آدمَ منهب وهو ممتعضٌ ... بعد الأمَرَّيْن من عُدْم وإعياء
وراحَ يخلقُ حواءً فما سَمَحَتْ ... بقيَّةٌ منها في خَلْقِ حواء
فاضطرَّ يخلقُها مِنْ آدم، فإذا ... مُرَكَّبُ النقص فيها هوُ بنَّاء!

(١) ها: عبث.

الراهب المتمرد

الراهب : أيها الكاهنُ شاقتني الحياةْ وسئمتُ العيش في جوف الفلاه
أبعدْ المزمار عنّي ساعةً أيها المُفني شبابي في الصلاةْ
واتركْ القلب على أهوائه لا تضيِّعْ ما تبقّى مِن صِباهْ
طال باسم الله ما عَذَّبْتهُ ذلك التعذيب لا يُرضي الآلهْ!

❖❖❖

خلّني يا كاهن الدير إلي نضرةِ الأيام أجتاز القفارْ
أنت أفْنَيْتَ شبابًا راحلاً لمْ أميِّزْ فيه ليلاً من نهارْ
أجلالٌ في صلاتي ؟ نحِّهِ! أوَقارٌ ؟ ما لمثلي والوقار !
أ إلى النار إذا عِفْتُ التُّقى إنها أهْونُ من طول اصطبارْ!

❖❖❖

كلما فاض الأسى عَلّلْتني أيها الكاهن يومًا بالثوابْ
فَلْتَحُلْ أخراكَ عنّي ، انها عالَمُ الشك ودنيا الارتيابْ
سوف ألقى سَرْمَدَ النوم في ظُلمةِ الرمْسِ فأرثى للشبابْ
وعلى الحالَين هبْني ساعةً في نعيم ... وخلودًا في عذابْ !

❖❖❖

أيها الجاني على قَلْبي الصغيرْ أنا في شكّ من اليوم الأخيرْ
هَبْهُ - إنْ لاقيتُ حتفي - لم يكُنْ فأنا الباكي على عمري القصير
أكْبر الظنِّ إذا آذنني هاتف الموت ونادانى النذير
سوف يدوي ضحك الأيام في أذُني - إذْ كنت في الدير غريرا!

❖❖❖

إتئدْ يا كاهن الديرِ الذي ينكر الدنيا ويخشى الموعدَا
بين جنْبَيْنَا قلوبٌ خَفَقَتْ للجمال العبقريِّ المفْتَدَى
فأذا اللهُ - كما قلْتَ لنا - خلق الناس لتقوى وهدَى

لا لحـــبِ وجمـــالٍ وهـــوًى ... أتــراه خلــق الحســنَ سُــدًى؟!

❖❖❖

مـــا ذوات الحـــسن إلاّ آيـــةٌ ... مِـــنْ إلهـــي وشُـــعاعٌ مِـــن ســـناهْ
فـــإذا نَـــصْبُو لحـــسناء فـــلا ... فتنـــةٌ فيهـــا ولكـــن في الإلـــه
والهـــوى خـــير العبـــادات فـــلا ... تُثْقـــل القلـــبَ بـــصوم وصـــلاهْ
إنـــما الحـــسناء في فتنتهـــا ... هـــي ظـــل الله في تلـــكَ الحيـــاهْ!

❖❖❖

عتـدما تَـذْوي نـواقيس الـرَّدَى ... فتلبيهـــا الجمـــوعُ الزاخـــرهْ
حيـث نلْقَـى المـوتَ في كهـفٍ لـهُ ... أشـفقَتْ منـه العظـامُ النـاخرهْ
يُـشرْف الكـونُ علينـا سـاخرًا ... مـن أمانينـا الكِـذاب الـساخرهْ
فكأنّـا ننكـر الـدنيا وعـلى ... أمـلِ ذي ريْبَـةٍ في الآخـرهْ!

❖❖❖

فـإذا أخطـأ ظنـي وانتهـتْ ... كـل نفـسٍ لنعـيم أو جحـيمْ
هـل لمـثلي أنْ يـرى النـار قـذًى ... وهي وغْدُ الغيـد والحسن الرحيمْ؟
أو يـرى الجنـة نُعْمـى .وبهـا ... كـاهنٌ مثلـك ذو رأي سـقيم؟
قُوتِـلَ الإيـمانُ !ــ دعنـي أغتـنمْ ... لـذةَ الـدنيا ففـي الـدنيا النعـيمْ!

❖❖❖

الكاهن : يا بنيَّ احذرْ إلهًا سامعًا ... كـل مـا قلـتَ وحـاذر نَقْمَتَـهْ
كـم ضـجيج ضَجَّ .مِنْ قبلُ .فما ... أن أتـاهُ المـوت حتـى أخْفتَـهْ
إنـما الـدنيا سرابٌ زائـفٌ ... خالـه الـصادي مُقِـلاً ظماتـهْ
حفَـر الـشيطانُ فيهـا هُـوَّةً ... غُـشِّيَتْ بـالورد فاحـذر هُوَّتَـه!

❖❖❖

مـا مكـان الفـرد في الـدنيا ؟ ومـا ... قيمـة الإنـسان في الكـون الكبـيرْ؟
صـوتُكَ الـصاخب مـا غَـيَّرَ مـن ... قـوة الله ! ولا هَـدَّ العمـيرَ
فـإذا آذنـكَ المـوتُ انتهَـتْ ... نفـسُكَ الحـيْرَى إلى اليـوم الأخـير
حيـثُ تَلْقَـى الله مُجزِيـكَ بـما ... كنـت لا تـؤمن مَـن قـول النـذير!

الراهب : من هو الله ؟ وما صورته؟ أهو الشمس لظاها وسناها؟
أنكر ابراهام لما أفلت أن يكون الآفِلُ الذاوي إلَهًا[1]
أهُوَ الأرض التي ذلَّلَها عملُ الإنسان واحتلَّ قواها؟
أهو البدر وما البدرُ سوى تابع للأرض ظلاً واتجاهًا!

❖❖❖

أمْ هو الموت ؟ وكم بَدَّدَ مِنْ أمَلٍ فينا وكم فَضَّ سَعادهْ!
وكم امتدَّ إلى مُعْتزِلٍ أثقلَ الأرض صلاةً وعبادهْ!
وكم استكثر لذَّاتِ الدُّنى فأتانا اللحد من بعد الوساده!
يا لَقُبْحِ الموتِ ! لا أحسَبُ أنْ يُسلسَ المُبْدِعُ للقُبْحِ قيادَهْ!

❖❖❖

أم هو الحسن ! وقد حَرَّمْتَهُ أيها الكاهن في الدير عَلَيّ
كلما أصغى إلى ترتيلهِ صَدَّ ترتيلكَ عنه أذُنَيّ
وإذن فالنار مثواكَ فكم سرتُ للفتنة أدعوها اليّ
فإذا أدركتُها أدرَكتَني فنفضناها وأخليت يديّ!

❖❖❖

أم هو الرعد وكم آذَنَنا من سماء الكون بالأمر الخطير
فانتظرنا فرأينا وعده ما بدا منه سوى يوم مطيرْ
وشَّع الأرض بأزهار الرُّبى فأذاعت في الرُّبى طِيب العبير
فهو ربٌّ مازحٌ مستضعفٌ لا يداني قدره لبي الكبيرَ

❖❖❖

أم هو الإعصار في ثورتهِ طار بالأزهار أو فض الشجرْ!
أو سطا ظلمًا على نافذةٍ أو رمى العابر ظلمًا بالحجرْ
فإذا ما أبرق البرق انزوى فارقًا يشفق من كيد المطر[2]
نحِّهِ عني فلن أنعتَه بآله ذا الإله المحتقَرْ!

(١) أشار إلى ذلك محمد حافظ إبراهيم في قصيدته «الشمس» .
(٢) إشارة إلى سكون العاصفة بتأثير المطر .

الكاهن : ائتذْ في فكرة الكون وفي ... صورة الله وفي دار البقاءْ!
هي أسرار تَساوَى عندها ... رأي ذي الجهل برأي العلماء
أيها الحائر في المرِّيخ هل ... فيه عيشٌ ونشوءٌ وارتقاء؟
خالقُ المرِّيخ سرٌّ غامضٌ ... لا تسلْ في الأرض عن أهل السماء!

❖❖❖

كل ما نعلم من أنبائهمْ ... ساقَهُ للناس أصحابُ الرسالة
قرؤوهُ في كتابٍ منزَّلٍ ... يتجلّى اللهُ كالنور خِلالَهْ
كم رأيتُ الله روحًا طائفًا ... في صلاتي .فتوسمتُ جمالَهْ
وتبيَّنتُ على موكبه ... رونق الحق وعنوانَ الجلالهْ

❖❖❖

هو في الدير وفي البيد وفي ... سُبُل الدنيا وملء العالمينْ
ملكٌ ما الأرضُ في دولته ... غير نجم والذي فيها قطين
لا ترى الخالق إلاّ أنفسٌ ... فنيتْ في الله والعهدِ الأمينْ
ما أتاها الشكُّ في سلطانه ... لا ولا تهواهُ عن غير يقينْ

❖❖❖

الراهب : إنما الله كما صوَّرْتَهُ ... أيها الكاهنُ ذاتٌ من عيونْ
مُستبدٌّ .. في يديه قلَمٌ ... خطَّ ما كان وما سوف يكونْ
ما لنا أن أنزلَ الله بنا ... حدَثًا قلنا طَغَتْ فينا السنونْ
إنما الطاغي هو الله فلا ... تسكني يا نفسُ يومًا للظنونْ

❖❖❖

وإذا الله كما قلتَ لنا ... قدَّر الأعمال في سِفرِ الأزلْ
كيف يعزو للورَى آثامهم ... وإلى النار إذا حُمَّ الأجَلْ!
هل من الإنصاف أن يأخذهم ... بقضاهُ! لا أرَى اللهَ عَدَلْ!
أيها الكاهن .. إمَّا خطَلٌ ... باتَ في رأسِكَ .. أم أنت ثَمِلْ!

❖❖❖

للكاهن : آه من وسوسة الشيطان في ... أذْنِ الدنيا وأذهان البَشَرْ

طـــاف بالجنـــة حينًـــا وانـــبرى   للـــورى يُطْـــرِي لـــديهم كـــل شَرّ
ثـــمَّ أَلْقَـــى الرحـــل بالـــدير فلـــمْ   تَلْقَـــهُ يـــا صـــاح في بعـــض الحـــذرْ
مـــا تفَلْـــسَفْتَ ولكـــنْ فكـــرةٌ   كلُّهـــا إفْـــكٌ وقَلْـــبٌ قـــد كفَـــرْ

❖❖❖

الراهب : أيها الكاهن هَبْني كافرًا   قـــاصِرَ العقـــل دَعِـــيَّ الفلْـــسفهْ
لَم يهبْنـــي الله تفكـــيرًا بـــهِ   أعـــرف الله تمـــام المعرفـــهْ
زَلَّـــــــةٌ لله لا أغفرهَـــــــا   إِذْ أتـــاني فكـــرةٌ مستـــضعفَه!
كلـــما أرغـــب عـــن إنكـــاره   شـــاء هَـــذا الـــضعف أن استأنفَه!
قلـــتَ لي يـــا كـــاهِن الـــدير : «لقـــد   غَـــرَّكَ الـــشيطان إذ وســـوسَ لـــكْ»
مـــن هـــو الـــشيطان لا أعرفـــه!   الكاهن :هـــو شرِّيرٌ وقـــد كـــان مَلَكْ
يتمـــشَّى بيننـــا مـــستخفيًا   في مُـــسُوح مخفيـــاتٍ كالحلَـــكْ
يـــوغر النـــاس عـــلى خـــالقهم   والـــذي يتبعـــه مـــنهم هَلَـــكْ

❖❖❖

إنـــه مـــن زيـــن الـــدنيا لكـــم   فـــاتبعتمْ يـــا أولى الـــدنيا هـــواهْ
في حيـــاةٍ أضـــعفَتْ فيـــكَ الهُـــدَى   حيـــنما أنـــساكَ مـــا بعـــد الحَيـــاهْ !

الراهب (في ثورة) :

أهـــوَ الـــشيطانُ مَـــنْ زَيـــنَ لي   هـــذه الـــدنيا ، إذًا فهْـــوَ الآلـــهْ!
وعـــلى رِسْـــلكَ يـــا شـــيخُ ! فـــما   لِيَ بعـــد اليـــوم معبـــودٌ ســـواهْ

❖❖❖

إيـــهِ يـــا شـــيطان يـــا ربَّ الهـــوى!   يـــا إلـــهَ الـــدهر يـــا سِرَّ الوجـــودْ !
أنـــا لا أومِـــنُ بالبعـــثِ ولا   أحـــسبَ الـــسرمدَ في غـــير اللحـــود
أنـــا لا أومِـــنُ بـــالله الـــذي   قـــد كنَّـــى الكـــاهن عنـــه بـــالخلود
ديْـــرُكَ الـــدنيا فخُـــذْني راهبًـــا   لـــيس لي في فتنتـــي منهـــا حـــدود!

❖❖❖

الكاهن (ساخطًا) :

لعنـــــة الله عـــــلى شـــــيطانكمْ   الراهب: تلعن الله الذي نعبدُ وَيْكْ!

قـــد تجـــرَّأتَ عـــلى شـــيطاننا ... لعنـة الـشيطان يـا شـيخ علَيـكْ!
الكـاهن : أيهـا الراهـب إني مُـشفقٌ ... لـك إن تلـقَ الردَى مـن مَلَكيـك
إنَّ مَـــنْ تعبـــدُ مخلـــوقٌ أبَـــى ... طاعـة الله ... فقُـمْ وانفُـض يـديك

❖❖❖

الراهب : هَبْهُ يـأبى طاعـة الله ..أمَا ... قلـتَ إنَّ الله يقـضي مـا يـشاءْ؟
لِمَ لا يقـــضي عـــلىّ شـــيطاننا ... لِمَ لا يهديـه .. إنْ كـان أسـاءْ؟
لِمَ لا يردَعـــه عـــن غيِّـــه؟ ... لِمَ لا يُرْجِعـه مـن حيـث جـاءْ؟
يـــا لهـــذا الله مـــن مُستـــضعَفٍ ... كيـف ألَّـهْتَ عليـكَ الـضعفاءْ؟

❖❖❖

الكاهن : حكمـة الله في سَبر الهـدَى ... والهـوى عنـد تقـي وظنـينْ
انـما الأنفـس مـن خالِقهـا ... فـوق أرجوحـةِ شـكٍّ ويقـينْ
دُوَلُ الـشيطان في الـشكِّ ومَـنْ ... رجَّـحَ الـشك لـه يـومٌ مبـينْ
والـذي رجَّـح دولاتِ الهـدَى ... أسـعدته الـنفس في دنيَـا وديـنْ

❖❖❖

الراهـب : لا أرى لله أتباعـا سِـوَى ... قلـةٍ لم تَـدْرِ مـا مَعنـى الحيـاهْ
فاشـهدْ الـشيطان في موكبـه ... إن تَنـادَى لبَّـت الـدنيا نِـداهْ
سـار في الأرض وسـارت حولـه ... زُمَـرُ العـالَمِ تُـزْري بالآلـهْ
جـبروتٌ لـسْتُ أدري كنهـه ... وجـلالٌ لا أرى أيـن مـداه!

❖❖❖

الكـاهن : راهـب في الهنـد نـاجَى ربَّـه ... قـال يـا ربِّ لقـد حُـيِّرتُ فيـكْ!
فـأقِمْ لي آيـةً لا ينتهـي ... لمـداها الـشكُّ حتـى أصـطفيكْ
فأجـاب الله مـن عليائـه : ... «آيـة الـسابك إبـداعُ الـسبيكْ»
فاتَّخِـذْ يـا راهـب الـدير ولا ... تتخـذْ لله في الـصنع شريـكْ!
الراهـب : آمَـنَ الهنـديُّ بـالله الـذي ... زعمـوه ؟! ليتنـي كنـتُ مَعَـهْ!
لأنَبـيِّ الله عـن رأي الحِجَـي ... فيـه كـي يقنعنـي أو أقنعَـه
سَـخرَ الله بِـذا الهنـديِّ ... يـا ... لغبـاء الهنـد أهـل الـصومعهْ!

آيـــةُ المبـــدع في إبداعـــه؟ سَـلْ إِلَـهَ الكـون عمَّـنْ أبدعَـهْ!
الكاهن : ويح نفسي من سؤالٍ لا يُرَدّ وارتيـابٍ مـا لـه في الكـون حَـدّ
ويـح نفـسي مـن أضـاليل التُّقَـى وظنـونٍ لَمْ يُبَيِّنهَـا أحــدْ !
أيهـا الراهـب ... إني حامـلٌ شرعـة الإيـمان مـن غـيرُ عمُـدْ
أيهـا الراهـب .. إني فـارقٌ لعـبَ الـشكُّ بقلبـي ثـم جَـدّ

❖❖❖

زعمـوا أنَّ آلهـى بـارئي ومقيمـى في حيـاةٍ فانيـهْ
وادَّعـوا أنّ إلهـي نـاشري ومعيـدي لحيـاةٍ ثانيـهْ
فـأخو التقـوى سـيَلْقَى جنَّـةً دوحـةُ الآمـال فيهـا دانيـهْ
وأخو الشيطان في الأخرى انتحَى دارةَ النـار وبـئس الناحيـهْ!

❖❖❖

الراهب : كـل مـا يُقضىَ عـلى الكـون بيَـد الله .. كـما قيـل لنـا
فـإذا أفـسدَنا شـيطانُنا فَهْيَ مَـنْ قـد أفْسَدت شيطانَنا
ثـم ألقتـهُ إلينـا فمـضَى ينـشر الـسُّخط عليهـا بيننـا
وإذا أفـسدَ نفـسي مـرّةً فلِـمَ النـارُ ؟ ومـا ذنبـي أنـا ؟

❖❖❖

الكاهن : أيُّها الراهبُ قد كشفْتَ لي حُجُبَ الكون فَزعْزعتَ اليقينْ
انـتَ هـدَّمْتَ بقلبـي دولـةً شـادها الايـمانُ دهـرًا واليمـينْ
فـسلامًا أيهـا الـدير عـلى عهدكَ الماضي ... وداعًا يا سنينْ
سيقول النـاس عنـي ... قـد عـصَى طاعـة الله إمـامُ المتَّقيـنَ!
أإذا تـدوي النـواقيس انْتهَـى سـاكنُ الـدير إلى محرابـهِ
يقطـع العمـر شـقِيًّا ... ويـرى لـذة الـدنيا عـلى أبوابـهِ !
عَجَبًـا ! حمَّلـتُ وجـداني التُّقَـى وتهلَّلـتُ لِمَـا أَشْـقَى بِـهِ!
أيُّهـا الراهـب هَيَّـا ... آنَ أنْ نـتركَ الـديْرَ إلى أصحابهِ

(يَـصيح مناديًـا رُهبـان الـدير)
أيهـا الرهبـانُ إنْ دَوَّتْ نـواقيسُ الـصلاهْ

فأعِدُّوا الركبَ للدنيا وغَنُّوا للحياهْ
واتركوا الهيكل في الصحراء ينعى مَن بناه
واعبدُوا الشيطان فالشيطان في الدنيا آله!

❖❖❖

(ينشقُّ سقف الدير وتنبعث أشعة من النور ثم يهبط ملاك الموت باسطًا يده على رأس الراهب المتمرد فيسود السكون) .

أنشودة الموت

الراهب :

يا ملاك الموت آمنتُ ببعثٍ وهجوعْ
يا ملاك الموت آمنتُ ببعثٍ ورجوعْ
يا شعاعًا يكشف الأسدافَ عن عيشي المروع
ورسولاً يبعث الأيمان في قلبي الجَزُوع

❖❖❖

يا ملاك الموت آمنتُ بسلطان الآلهْ
أيّها الكاهن قُدْني لمحاريب الصلاهْ
فألهُ الكون يدعوني إلى غير الحياهْ
خلني أَفْنِ الهنيهاتِ البقايا في هواهْ

❖❖❖

يا ملاكَ الموت إنْ قابلتَ ربَّ العالمينْ
قل له قد جاءك الراهب مصدوعَ اليمينْ
لابسًا في موقف الموت مُسُوحَ النادمينْ
فلقد علَّمْتَهُ بالموت ما معنى اليقينْ!

❖❖❖

يا ملاك الموت إنْ الروحَ كم يخشى مَعَادَهْ
ها هو اليومَ إلى بارئهِ يُلقِي قيادَهْ
قُل لربي إنني أفنيت عمري في العباده

لا تُقَـدّرْ لي شـقاءً... لم أذُق طَعـمَ الـسعادة

◆◆◆

(يسقط الراهب المتمرد ويصعد ملاك الموت بروحه)

«الكاهن والرهبان سُجود»

الكاهن : يا ملاكَ الموت آمنتُ بسلطان الإله !

الرهبان : يا ملاكَ الموت آمنَّا بسلطان الإله!

صالح جودت

ليالي الهرم
(١٩٥٧)

(*) صدر ديوان «ليالي الهرم» عام ١٩٥٧م عن الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة بمقدمة للشاعر نفسه بغلاف ولوحات داخلية للفنان جمال قطب

مقدّمة بقلم : صالح جودت

تفتحت أذناي في المهد على الشعر ...

كان أبي شاعراً . ولا زلت أذكر ، إذ أنا طفل صغير ، أنه كان يجلس مع بعض صحبه من المتأدبين في حديقة دارنا بمصر الجديدة ، فيتلو عليهم كلاماً منظوماً لم أكن أفهم معناه ، وكلني كنت أحس موسيقاه . وقد حاولت أن أقلد هذا الجرس وأنا دون العاشرة ، في أول العهد بالمدرسة ، ولا أزال أذكر من هذا التقليد أشياء تثير الضحك .

وكان جدي لأبي شاعراً أيضاً ، ولكنه كان ينظم باللغة الفرنسية وجدي هذا حبيب إلى نفسي رغم أني لم أره ، ذلك لأنه على الرغم من أرومته التركية ، نشأ في مصر فأحبها وآثرها على الدنيا ، حتى أنه لمّا قامت الثورة العرابية ، كان في طليعة المنضمين إليها . وحينما شاءت قسوة القدر أن تخذل هذه الثورة ، سيق جدي ـ إسماعيل جودت المحامي ـ إلى المحاكمة ،وقضى عليه بالنفي إلى مديرية النيل الأبيض بالسودان ثلاث سنوات[1] .

وكان الرجل قوي الحجة حلو النبرات والسمات ، ذا موهبة في الخطابة تؤثر في سامعيه ، فخشيت السلطات أن يذهب إلى أعماق السودان فيثير الناس هناك على الخديوي والإنجليز والأتراك ، فآثرت أن تستبدل هذا المنفي بمنفي آخر في استانبول ، ليكون تحت العيون والأرصاد .

وفي استانبول ولد أبي ، وعاد مع أبيه إلى مصر بعد انقضاء مدة الحكم ، فنشأ منذ نعومة أظفاره يكره الاستعمار ويحرضنا عليه .

وكما تفتحت أذناي على الشعر ، تفتحت عيناي على الكتب ... ذلك أنه كانت في بيتنا مكتبة طيبة .

وحينما بدأت أمد يدي إلى هذه المكتبة ، كان أبي يدفع إليّ ، أول ما يدفع ، بكتاب «مقامات الحريري» التي كان يعدها من أعظم الأعمال في تاريخ الأدب العربي .

وقرأت هذه المقامات وأنا حدث ، واختلفت مع أبي في شأنها اختلافاً كبيراً ، ورأيت فيها رأياً غير الذي يراه .

(١) كتاب «الثورة العرابية» للأستاذ عبد الرحمن الرافعي ـ طبعة أولى ـ صفحة ٤٩١ .

أجل إنها استغرقت صاحبها جهداً جباراً ، بيد أن هذا الجهد كان مضيعة للوقت ، فما جدوى الفكر من كتاب أكثر قيمته أن في بعض مقاماته كلمة منقوطة وكلمة غير منقوطة ... أو كلمة تقرأ طرداً وعكساً ... أو ما شابه ذلك من السخافات التي ضيع فيها الحريري رحمه الله وقتاً ما كان أخلقه بأن يضيع في البحث عن فكرة جديدة تنير عقول قرائه وتشرق في نفوسهم ؟

ومن هنا اختلفت مع أبي في كثير من أسس الأدب ... كان يعجبه شعر حفني ناصف وعائشة التيمورية ومعاصريها ، وإني لألتمس له بعض العذر في هذا المذهب ، فإنه مذهب الوفاء للأدب الذي نشأ عليه في عصره ، ووجده في المكتبة ، وتعلمه في المدرسة ، وأكثره من شعر المدح والهجاء والمناسبات والإخوانيات وشكوى الزمن ، وما إلى ذلك من أغراض الشعر المنحدرة في ذلك العصر .

ومن العجيب أننا ـ أبي وأنا ـ التقينا عند رأي واحد في شوقي ، وكنت أشاركه الرأي أنه سيد الأولين والآخرين ، فلا نضع إلى جانبه فحول الشعراء الرومي والمتنبي .

ذلك أن أول ما أخذني من الشعر هو الموسيقى . وقد كان شوقي موسيقياً يعزف على أوتار القوافي عزفاً لم تسم إليه ريشة ابن الرومي ولا المتنبي . ولهذا حفظت شعره عن ظهر قلب ، ولم يستطع مر السنين ولا تبدل المدارس ولا وفرة قراءاتي في الشعر الفرنسي أو الإنجليزي أن تغير عقيدتي في أمير الشعراء .

وعقيدتي في الشعر أنه أول ما يكون موسيقى ، فإذا حاول ناظم أن ينظم دون أن تسعفه الموسيقى ، فأكرم له أن يعتزل الشعر إلى النثر ، يصوغ فيه أخيلته ومعانيه .

وقبل أن أترك حديث أبي ، أقول إنه عندما لقي وجه ربه ، لم يترك لي من الإرث قيراط أرض ... بل لعله فعل العكس ، فأضاع ما كان لنا من قراريط . ولكني أذكر نعماءه ، فقد أورثني موسيقى الشعر ونعمة القلم، اللتين مهدتا لي سبيلا ناعماً في الحياة .

انتقلنا ، على عهد المدرسة الثانوية ، من مصر الجديدة إلى المنصورة .

والمنصورة أرض طيبة تنبت الشعر والجمال .

وهناك ... في المدرسة ... التقيت بالشاعر محمد الهمشري ، وكان موهوباً

مرموقاً ، لولا أن عاجلته النهاية وهو في أوج الشباب .

كنت أخرج معه ، فنلتقي بشاعرين يكبراننا ، وكان المستقبل يتهيأ لهما يومئذ، هما المرحومان الدكتور إبراهيم ناجي والمهندس علي محمود طه ، فكنا نحن الأربعة على شاطئ النيل بالمنصورة نقضي أجمل ليالي العمر في حديث الأدب والشعر .

كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر ، تتقارب خطوطها كل التقارب ، إلى حد أن أحداً منا نحن الأربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ ، فقد كان كل منا يفيد من صحبة الآخرين ، وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب في الأدب الإنجليزي ، هم شلي وكيتس وورد زورث ، نقرأهم دائماً ونحس بها بيننا وبينهم من أواصر الشعر ووشائج الشباب وروح الثورة على القديم .

وانتهت أيام المنصورة الحلوة ، وزحفنا نحن الأربعة على القاهرة .

والتحقت بالجامعة ، وقد يضحكك أني دخلت كلية التجارة .

ومشيت فيها ثم تعثرت في أكثر من سنة من سنوات الدراسة ، ولكني لست نادماً على ما ضاع من العمر .

تعثرت لأنني اتصلت بمدرسة جديدة في الأدب والشعر والنقد ، كانت ناشئة يومئذ ــ سنة ١٩٣٢ ــ ولكنها على حداثة سنها كانت أشد ما تكون ازدهاراً وتأثيراً في الأدب المصري الحديث ، هي مدرسة «أبوللو» التي دعا إليها الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي ـ طيب الله ثراه في غربة المهجر ـ وكان على رأس هذه المدرسة أمير الشعراء شوقي ، وكان من أعلامها شاعر القطرين خليل مطران ، ومن حول هؤلاء سائر دعاة الأدب الجديد .

وما بالك بفتى في العشرين أو دون ذلك ، متطلع إلى الأدب ، مفتون بالشعر، يجد نفسه كل يوم وسط هؤلاء الأعلام الذين كان يقرأ لهم ويسمع عنهم ويخيل له أنهم عمالقة جبابرة لا يدنو منهم أحد .. يجد نفسه صاحباً لهم ، قريباً إلى قلوبهم ، يحدثونه ، ويقرأون له ويمتدحونه ، بل ويذهبون إلى أكثر من ذلك ، فيفسحون له كرسياً في مجلس إدارة جمعية «أبوللو» .

ألا يأخذه الزهو ؟

أولا يصرفه هذا الزهور عن كلية التجارة ، ودرس المحاسبة وإمساك

الدفاتر وأعمال البورصات ؟

أقول الحق ... لقد أوشكت أن أهجر الجامعة ، لولا عناية من الله عدلت برامج الدراسة في الكلية ، فأنشئ بها قسم للعلوم السياسية ، اتجهت إليه ، وتخرجت فيه وأنا في طليعة الناجحين .

والتحقت بعدئذ بقسم الدراسات العليا للعلوم السياسية «الماجستير» فإذا بي أول الخريجين .

قلت إني لست نادماً على السنوات التي تعثرت فيها ، لأنني أفدت بها في مدرسة أبوللو دروساً لم تزل عندي أعز من دروس الجامعة ... ولا أقول أعز وحسب ، بل هي في الواقع أجدى وأنفع ، فقد أعدتني ـ بعد تخريجي في كلية التجارة ـ لطريق ألطف من التجارة ، وأجمل من السياسة ... هو طريق القلم الذي أعيش له ومنه حتى اليوم عيشة راضية بحمد الله .

هذه قصتي ...

أما قصة هذا الشعر الذي أقدمه في هذا الديوان ، فهي أنني ، إذ أنا في مدرسة أبوللو ، في العشرين من العمر ، أخرجت ديواناً لا أملك منه اليوم نسخة واحدة ، ولكنه في دار الكتب المصرية على كل حال .

وبعد ربع قرن من ذلك التاريخ ، وجدت نفسي أعيد المحاولة ، وأجمع ما نظمت من الشعر منذ سنة ١٩٣٢ ، وأنسقه ، وأغربله ، وأتخير منه ، ولهذا فإنك قد تقف ـ وأنت تقلب هذا الكتاب ـ عند ظاهرة من التباين بين ألوان من الفكر والعاطفة ... وتفسير ذلك بسيط . إن في هذا الديوان شعراً لفتى في العشرين ، ثم لشاب في الثلاثين ، ثم لرجل بلغ الأربعين أو تجاوزها قليلا ...

❖❖❖

وبعد ، فإن «ليالي الهرم» هي إحدى قصائد هذا الديوان ، وستجدها في موضعها . وقد آثرت أن أطلق هذه التسمية على شعر الديوان كله ، لأنها تشير إلى الروح المصرية التي تملأ كيان هذا الشعر ، وتلتقي فيها القومية بالعاطفة .

وأحسب أن الروح المصرية هي أخص خصائص هذا الشاعر الذي حدثتك عنه ...

صالح جودت

عَاطفَة

أغنيَات المسَاء

واتهينـا إلى الحـديث عـن الحـبِّ فقالـت في رقَّـة وحيـاء

أتُـرى أنـت لا تـزال عـلى عهـدك تـصبو للأعـين الزرقـاء

وتشيم الجمال في ذهب الشّعر فتهفو لموجه الوضّاء ؟

فتحــيرتُ إذ يغــالبني الـصدقُ وترنــو إليَّ عــين الريــاء

قلت لا زلتُ ، غير أني تغيرتُ وبات الفؤاد رَحْـب الفـضاء

إن قلـبَ الفنـان يـسجد للحسن بشتى الظـلال والأضـواء

◆◆◆

فرأيـتُ الحنين في عينها معـسولة الـسحر هـاتف الأصـداء

وجنون الغرام مضطرب الـروح لعوبـاً بـشعرها الكـستنائي

وطغي الـصمتُ ، غير أنيَ أحـسـست غريبـاً ملـمًا بالخفـاء

ينـزع الزرقـة الحبيبـة مـن قلبـي ويلقـى بعـسجدي للفنـاء

وطغـتْ في عيونها موجةُ الـذل فثـارت فحطمـت كبريـائي

إن يكن فجرُ حبها ذلك اللحـن ، فيـالي مـن أغنيـات المـساء



بقيّة قلب

أتحبينني ؟ تعالَيْ .. أجيبي ... ردّدي ألف مرة : يا حبيبي
املئي بالهوى فراغ حياتي ... إنني كنتُ في فراغٍ كئيب
كل يوم يمر من غير حبٍّ ... فمن العمر لم يُحسب بالمحسوب
والهوى جنة نهايتها النّـ ... ـار ، ولكن .. هيهات منها هروبي
طال عيشي لها ، وخُلِّدت فيها ... غير أني ضللت فيها دروبي
أوصدت بابها عليّ وقالت ... لك مني أزاهري ولهيبي
فتجرعت منهما كلَّ صاب ... وتذوقتُ منهما كلَّ طيب

◆◆◆

بك شيعتُ طيفَ حبٍّ قديم ... ردّني من لدنه غير مشوب
كان بيني وبين حواء ثأر ... مستبد بقلبيَ المشبوب
وصفا الدهر ليلة فالتقينا ... بعيون كثيرة الترحيب
فإذا أنت فتنةٌ في سكون ... وجمال مهذب بالشحوب
وعيون بشيرة بالأماني ... واختيال يطير فوق القلوب
وخيال يسمو بإلهامه الشـ ... ـعر ويوحي للشاعر الموهوب
تتهادين في حياء حبيب ... وتكادين رقةً أن تذوبي
وتزالين في الهوى طفلة القلـ ... ـب على فيك باقيات الحليب
وتهامست خلسة ما أتى بي ؟ ... وإلى أين بعد ذاك ذهوبي ؟
ولمَ الكأس بعد كأس ، كأني ... هارب من مآتم وخطوب !
ولماذا أكون في زهرة العمـ ... ـر وفي ناظريَّ لونُ الغروب

وأداري عـــن العيـــون شـــقائي وأغنـى الأسـى بلحـنٍ طـروب ؟
وتـســاءلت مـن أنـا ؟ أنـا لحـن عزفتـه يـد الـشَّجَى والوجيـب
أنـا روح شـقية تعـشق النـ ـار وتفنَـى في لـذة التعـذيب
أنـا قلـب محـيرٌ دائـم الخفـ ـق قليـل الرضـا كثـير الوثـوب
ابتـدأت الهـوى صـبياً ، وأفنيـ ـت شـبابي في سـجنه المحبـوب
ليـت قلبـي عـلى يـديَّ ، لتلقـىْ صـفحةً مـن شـبابه المنهـوب
كـان يهـوي الهـوى ، ويخلـص للْحُـ ـسْنِ ، ويمـشي بنـاظر معـضوب
كـل ثقـب بـه ، حكايـة حـب بـدموعي وحرقتـي مكتـوب
لا تـضيفي إليـه ثقبـاً جديـداً لم يعـد فيـه موضـع للثقـوب

❖❖❖

اتَّقـي ثـورة الأسـير إذا تـاق لحريَّـة الخـلاص الرحيـب
إن بينـي وبـين حـواء ثـارا تِ تمنيـك بانتقـام رهيـب
ســألقيك للريـاح هـشيما ستكونين في عـداد ذنـوبي
إن في أضـلعي بقيـة قلـب كـان في حبـه شـهيد القلـوب
هدهديـه بحانيـات الأمـاني وتملَّيـه في حنـو الطبيـب
ارفعيـه عـن الثـرى ، كـما رفـع الله إلى خلـده نبـيَّ الـصليب

❖❖❖

ميعَاد ليلة الأحَد

والـــضحى والغـــدائر الـــذَّهَب والعيـــون الـــشهباء كالـــسحب
وبخــــديك كــــاسي العنـــب وبنهـــديك حلـــوى اللعيـــب
قـــسم صـــنته عـــن الكـــذب
ذكريـــات اللقـــاء لم تـــنمَ يقظـــات في مهجتـــي ودمـــي
غـــردات في نظـــرتي وفمـــي فبحـــق وحـــقِّ ذا القـــسم
هـــل تعيـــدين ليلـــة الهـــرم ؟
ليلـــة كابتـــسامة القـــدر كنـــت فيهـــا أحـــلى مـــن القمـــر
جمعتنـــا بجانـــب حـــذر مـــن أبـــى الهـــول كـــاتم الخـــبر
هـل دري الحـب قلبـه الحجـري ؟
قـــد رآنـــا بطـــرف مقلتـــه نـــنقش العهـــد فـــوق رملتـــه
يـــا لجهـــل الـــصِّبي وضـــلته وغـــرور الهـــوى وغفلتـــه
ذهـــب العهـــد منـــذ ليلتـــه
نـــصف عـــام مـــضى ولم أرك أي أمـــر جـــرى فـــأخرَّك
أحـــديث عـــليّ غـــيركَ أم خبيـــث مـــضى فـــأخبرك
أنـنـــي قـــد وقعـــت في الـــشرك
لقنـــي العطـــف قلبـــك القـــاسي ذكـــرى بي فـــؤادك النـــاسي
مـــلأ البعـــد بالأســـى كـــاسي فـــارفقي ســـاعة بإحـــساسي
أنـــا مـــا عـــدت غـــير أنفـــاس
أيـــن ميعـــاد ليلـــة الأحـــد ؟ أيـــن ميثاقنـــا إلى الأبـــد ؟
أتـــصونينه ؟ بـــل اقتـــصدي وتعـــالى هنيهـــة تجـــدي
أنـنـــي في الثَّـــرى دفنـــت غـــدي

رسالة حُبّ

علـى أجنحـة الأشـواق أهـديك تحيـاتي
وأشـكو لـك طـول البعـد يـا أقـرب مـن ذاتي
ومـا ذا أكتـب الليلـة يـا أحـلى رسـالاتي ؟
ومـا ذا أنظـم الليلـة يـا أجمـل أبيـاتي ؟
أضـأت الشـمعة الحمـراء في ليـل صـباباتي
وأردفـت أصـلي لـك في وكـر عبـاداتي
ومـن أصـداء ماضـينا أمنّـي النفـس بـالآتي
وأدعـو الله أن تـصغي إلى همـس متاجـاتي
يغنـي لـك أحلامـي وآلامـي وآهـاتي
وأن تُفـتح للعاشـق أبـواب الـسموات
فقـد يغـزو الهـوى قلبـك ... هـذا الظـالم العـاتي !

الثوب البنفسِجي

تـألقي وابتهجـي ... وأشرقـي في المُهَـج
وأسـعدي الـدنيا بعطـر ثوبـك البنفـسجي
وطالعينـا جنـةً أنيقـة التـبرج
أخـاف لـو دخلتُهـا قـسوة يـوم مخرجـي
أوّاه مـن هـذا الجبـين كالـصباح الأبلـج
يحوطـه إطـار شـعر فوضـوي أهـوج
ومـن فـم يبكـر الحيـاء مـسرف التـوهج
أشـمه ؟ .. يـا حرقـتي ، ... أضـمه ؟ ... يـا حَرَجـي
عمـري فـداء قبلـةٍ مـن الـشفاه الـثُلَّج

راهبَة

قــرّبي صــدري إلى صــدرك يــا فتنــة روحــي
وتعــالى في ذراعــيَّ وداوي لي جروحــي
أقــبلي كالبــدر يختــال عــلى ليــل المَسوح
أقــبلي تــسترح الآلام في قلبــي الــذبيح
آه مــن طلعتــك الحلــوة والوجــه الــصبوح
والعيــون الــزرق تغــذو الــروح بالــشعر وتــوحي
والنهــود البكــر تهتــزُّ عــلى عــود ملــيح
أنــت إن أقبلــت لاح الــسحر أيــان تلــوحي
وبثــتِ العطــر والأنغــام في أرجــاء روحــي

◆◆◆

إن يكــن نــشّأك الــدير عــلى ألا تبــوحي
فالــذي لقنــك التّيــهَ أب غــير نــصوح
منطــق الحــب لديــه منطــق غــير فــصيح
فخــذي عنــي العبــادات عــلى الوجــه الــصحيح
أنــت نــصرانية دينــك بالإحــسان يــوحي
دينــك الرحمــة والعطــف عــلى القلــب الجــريح
لا تخــوني بتجنيــك تعــاليم المــسيح
وأنــا المــسلم ، والإســلام لا يــأبى جمــوحي
وهــو إيــمان جهــاد واجتهــاد في الفتــوح

◆◆◆

لــست بــالراجع عــن عهــدي ولا بالمــستريح
قبــل أن أبلــغ مــن حبــك مــا فــوق طمــوحي
وجهــادي فيــك موصــول وإن دُكــت صروحــي
فــإذا مــتُّ ، فــلا تبكــى عــلى الميْــت الطــريح
أســعدُ النــاس الــذي مــات عــلى حــب صــحيح
بــل تعــالي واتركــي لي زهــرةً فــوق ضريحــي

قبلة يد

قــل لمــولاتي التــي أعبــدُها ... هــل درت مــا صــنعتْ بي يــدُها
كلــما أطفــأتُ نــيران الهــوى ... وهبتنـــي قُبلـــة توقـــدها
قبلــــة محرقــــة لكنهــــا ... رحمــة للقلــب لا أجحــدها
آه مـــن لينـــة قاســـية ... تــأسر الــروح وتــستعبدها
جئـت أستـشفي مـِن الحـب بهـا ... مـا لـه قـد خـاب مـن يقـصدها ؟
ليتهـــا تخــبرني أن الجــوى ... الــذي أشــقى بـه يــسعدها

تَسَوَّرى

قلـــت لهـــا : تـــصوري ... يـــا فتنـــة المـــصورِ
تـــصوري حكـــايتي في حبـــك المحـــير
حكايـــة كأنهـــا خرافـــة المعمـــر
وددت لـــو نظمتهـــا مـــن لؤلـــؤ وجـــوهر
وددت لـــو رويتهـــا ملحمـــةً للأعـــصر
وكيـــف أروي قـــصة العمـــر بـــبعض أســـطر
هـــواك مـــن عـــشرة أعـــوام مـــضت ... وأكثـــر
قـــد كـــبر الآن ... وأنـــت طفلـــة لم تكـــبري !

❖❖❖

قلــت لهــا ... فابتــسمت ... يــا لابتــسام القــدر ..
ولفظـــة معـــسولة مـــن فمهـــا المعطـــر
تنـــاثرت وائتلقـــت مثـــل فتـــات الـــسكر
قالــت «تــسوز»[1] ... قلــت هــل أبقيــت لي «تــسوّرى»؟

---

(١) رقت الصاد بين شفتيها فصارت سينا ! .

الماضي

لا تذكري الماضي، فما أنا ذاكرُ ... وأحبُّ أحلامي إليَّ الحاضرُ

إني غفرتُ لك الذي حدثتني ... عنه ... فهل لي من فؤادك غافر ؟

يا من يعذبك الصدى، لا ترجعي ... لخرائب الماضي، وقلبُك عامر

عيشي مع اللحن الجديد، ومتّعي ... دنيا هواك بما يغني الشاعر

◆◆◆

ماضيك لم يخلد، وماضيَّ انتهى ... وكلاهما في الحب وهم خاسر

ماضيك، ما ماضيك ؟ طيش صبية ... بلهاء يجذبها الهوى فتخاطر

وتعود مثقلة الجراح شقيةً ... في صدرها بالحب قلب كافر

◆◆◆

ماضيَّ، ما ماضيَّ غير حكاية ... لولاك لم يك للحكاية آخر

لا تسأليني كم عشقت، فأنني ... كان الهوى روضي، وقلبي طائر

ما زال يتذل الهوى وفروعه ... فيؤمها ويضمها ويغادر

لم يؤوه في الروض وكر آمن ... أو يغره بالحب غصن عاطر

ولكمَ شقيت به، فما أنا بالذي ... هانت عواطفه ولا أنا أغادر

لكنَّ جوعاً للجمال ألمّ بي ... فمضيت في نهم الذئاب أغامر

حتى عرفتكِ فاكتشفت حقيقتي ... ورأيت أحلامي إليك تبادر

ويقول لي قلبي: هنالك وقفة ... كُتبتْ عليك ... هنا الغرام الآخر

الله أكبَر

أودعتــك القلــب فاحــذر أخــاف أن يتكــسَّرْ
خفــف عليــه التجنــي كــسر الهــوى لــيس يُجــبرْ
أمــا تــراه جريحــاً عــلى يمينــك يَقطُــر
يــا مــستبيح شــباب مــن النــضارة أنــضر
ويــا مــذلَّ فــؤاد مــن التكــبر أكــبر
عيونــك الــزرق نامــت عمــنّ مــدى الليــل يــسهر
طــوت جفونــك لونــاً للظلــم يُطــوىَ ويُنــشر
جعلــتَ روضي يبابــا وكــان روضيَ أخــضر
مــلأت جــوي ظَلامــاً وكــان جــوي مُنَــوَّرْ
وكلــها بيــتٌّ أشــكو تقــول : أنــت المخــير
أجــلْ ، أحــب عــذابي فهــات هــذا وأكثــر

◆◆◆

يــا دميــةً تتهــادى وفتنــة تتبخــتر
الــصيف والرمــل والبحــر والنــسيم المعطــر
وشــعرك المُــذَهَبُ الطيــف مائجــاً يتبعثــر
أني أغــار مــن الــشمس حيــنما تتخطــر
تجــرى عليــك بــسحر حلــو الــسلافة أســمر
وأنــت تمــشي الهوينــا تخــاف أن تتعثــر
ولا تبــالي قلوبــاً عــلى طريقــك تُنثــر
يــا أكــبر النــاس حــسناً .. لا تطــغ .. فــالله أكــبر

في المعَادي

هنـا مـسرحي وحمـاي الأثـير   هنـا وطنـي الـشاعري الـصغير
هنا .. فوق هذى الربي الضاحكات   لـسحر الزهـور ونفـح العبـير
ربيـع مـن الحـسن لا ينقـضي   ولا ينقـضي حبـه في الـضمير
هنـا دميتـي، وهنـا لعبتـي   وباقـة عطـري الحبيـب النـضير
أدللهـا بأغـاني الـشباب   وأتلـو روايـة حبـي الكبـير
جعلـت لهـا النـور أرجوحـة   وفـوق النجـوم فرشـت الـسرير
لحوريـة مـن بنـات المعـادي   تطـير لهـا الـروح أنّـى تطـير
عـلى لحظهـا للهـوى فتنـة   وفي صـوتها للأمـاني بـشير
يـداعبها الـشَعر حتـى النهـود   ويجـري عـلى ظهرهـا كالغـدير
بفـيض مـن الـسائل الـذهبي   يـسيل عـلى صفحة مـن حريـر

❖❖❖

أصـلي لكـافرة بـالهوى   فتـأبى صـلاتي ... هـذا كثـير
أملهمتـي الـشعر ... لا تـسْلميني   إلى اليـأس ... إنـك لحنـي الأخـير

القبلة الأولى

مُغريتـــي ، بـــالله يـــا مغريــةْ ... يـــا نـــشوةً تنـــساب في صـــدريه
القبلـــة الأولى التـــي رُقرقـــت ... مـــن ثغـــرك الـــدافئ في ثغريـــه
ســـالت بروحـــي ، واطمأنـــت إلى ... عاطفـــــة في حبهـــــا مُثريـــــه
تظـــل تـــدعوني لـــذكرى الهـــوى ... مـــا للهـــوى يغفـــل عـــن ذكريـــه ؟

❖❖❖

أواه يـــــا ناعمـــــة المبـــــسم ... مـــن فمـــك البكـــر الحـــيّ الظّمـــيّ
دعتـــــه عينـــــاي إلى قبلـــــة ... فجاوبـــــت عينـــــاك أن أقْـــــدِمِ
ناشـــدتك الحـــب ، أأضرمتهـــا ... يـــا فتنتـــي في شـــفَتي أم دمـــي ؟
أوشـــك عـــام منـــذ ميلادهـــا ... يمـــضي ، ولمـــا أصـــحُ مـــن ســـكريه

❖❖❖

يـــــا قبلـــــةً في خـــــاطري ... قطفتهـــا مـــن فمـــك العـــاطر
مـــا عمرهـــا ؟ هـــل عمرهـــا لحظـــة ... مـــرت كمـــرِّ الحُلـــم العـــابر ؟
أم خطـــرتْ في شـــبه غيبوبـــة ... مـــن أول الليـــل إلى الآخـــر ؟
أم الليـــالي باعـــدت بيننـــا ... ومـــا نـــأى ثغـــرك عـــن ثغريـــه ؟

❖❖❖

وكنـــتُ يـــا فـــاتنتي أحـــسبُ ... أن العيـــون الـــزرق لا تكـــذبُ
قـــرأتُ فيهـــا أننـــي نائـــلٌ ... مـــن حبنـــا فـــوق الـــذي أطلـــب
أضـــلني هـــذا الـــصفاء الـــذي ... رف عليـــه شـــعرك المُـــذْهَبُ
فقلـــت حـــسبي يومهـــا قبلـــةً ... بـــألف ألـــف مثلهـــا مغريـــه

❖❖❖

لـــو قلـــتِ لي إذ نحـــن في أسرهـــا ... إن النـــوى تخطـــر في إثرهـــا
وإننـــا في مغـــرب الملتقـــي ... لكنـــت راودتـــك عـــن غيرهـــا

حتى إذا طال زمان النوى ... وأطلقتني تلك من سحرها
بددت النشوة من هذه ... يأسي ، فلا أسأم من صبريه

❖❖❖

هل تدرك الروح جلال الإلهْ ... إن لم تُمَتَّعْ بعناق الشفاه
تنكسر الأجفانُ في غفوة ... عن فتنة الدنيا وسحر الحياه
هنا فناء في غمرتها لم يطل ... همي ، ولم أحزن على عمريه

فتنة المغرب

ضحيتُ بالعمر ... للبيض والشقرَ
وكنت لا أدري ... أني سألقاكِ
يا فتنة السُّمر ... بلونك الخمري
قد حيرتْ أمري ... في الحب عيناك
يا هالة البدر ... ولمحة الفَجر
النيل لا يجري ... إلا ليرعاك

❖❖❖

تلك العيون السُّودْ ... وليلها المعبودْ
وسحرها المشهود ... في جفنك الساهي
وشعرك المسدود ... وعودك الأملود
يا جنة الموعود ... يا آية الله
تَرَاقص العنقود ... واهتزّ قلب العود
للحنك المنشود ... آهٍ له آهِ

❖❖❖

من مغرب الشمس ... أشرقت في حسي
كليلة العرس ... عذرية الحلم
والليل إذ يمسي ... أضللت لي نفسي
أنسيتني خمسي ... ضيعتَ لي صومي
ملأت لي كأسي ... من خمرة اليأس
أشقيت لي أمسي ... فأسعدي يومي

كيف أنسى

سوف أنساكِ ... ولكن كيف أنسَى
وأنا في صبوتي أكرمُ نفسا
وأنا أضعف من غدرك بأسا
ليتني أنسى .. ولكنْ .. كيف أنسى ؟

◆◆◆

سوف أنسى قصة في خَلدَي
حدثتْ إحدى ليالي الأحد
في «المعادي» والهوى فَي المولد
حين ضمتك على الشوق يدي
والتقت ظمأى على النيل صَدىَ
ووقفنا في ظلال المسجد
وحلفنا بجلال الموعد
أنْ سيبقَى حبُّنا للأبد
آه منها ليلة لم تخلد
ضيعتْ أمسي ويومي وغدي

◆◆◆

غربتْ شمس الهوى والليل أمسَى
وكأني فيه ما طالعت شمساً
أنت يا من تفرغ الآلام كأسا
أنت يا من تغمر الأحلام يأسا

سوف أنساك ... ولكن كيف أنسى
وأنا في صبوتي أكرم نفسا
وأنا أضعف من غدرك بأسا
ليتني أنسى ... ولكنْ كيف أنسى ؟

❖❖❖

سوف أنسى غيرتي عند الوداع
فاغفري جهلي وطيشي واندفاعي
كنتُ كالجنديٍّ من بعد الصراع
واهن الأعصاب مغلول الذراع
أنا إن لمْتُكِ في هذا الخداع
فأنا غير خبير بالطباع
أنت أنثى ... فيك آثام الأفاعي
فيك غدرٌ واقتدارٌ وتداعي
فيك زحف من متاع لمتاع
واشتهاء كالثعابين الجياع

❖❖❖

والتواء خلتُه شوقاً وأنسا
وفحيح خلته نجوى وهمسا
وسموم حفرت للحب رمسا
قال لي قلبي : لعلي أتأسى
سوف أنساها... ولكنْ كيف أنسى
وأنا في صبوتي أكرمُ نفسا
وأنا أضعف من غدرك بأسا
ليتني أنسى ... ولكن كيف أنسى ؟

اذهبي

أقبلتْ تدَّعي ضنىً والتياعا ... بعدما قلتُ يا هواها الوداعا
اذهبي للجحيم، لا ردّكِ الليل ... فإن الهوى وهىً وتداعى
اذهبي، إنني تداركتُ قلبي ... حين مزقت عن عيوني القناعا
اذهبي، فالظنون باتت يقينا ... أنت لا تحسنين حتى الخداعا

◆◆◆

لا تصبي حديثك الكاذب الحلوَ ... بأذني فقد مللت السماعا
وأشيحي بنور عينك عني ... أنا أعمى فلا أريد شعاعا
لا تَمَنَّيْ عليّ بالجسد الغـ ... ـض فهذا الجمال بات مشاعا
وإذا النعمة الجميلة باتت ... في يد الكل، فهي ليست متاعا
وأنا قد شبعتُ من كل هذا ... فاتركيني أنا، وغذّي الجياعا

كاذبة

عيونــــك مرعوشــــة الأدمــــعِ فــلا تنكــري الحــب أو تــدَّعى
فــإن العيــون مرايــا القلــوب فــإن هـــدأ الـــشوق لم تلمـــع
كـــذبتِ عـــليَّ وحـــقِّ الجـــمال وصُـــنتِ الحقيقـــة في الأضـــلع
وهـل ينطـوي حـسنك الـشاعريُّ عـــلى مهجـــة صُـــلبةٍ لا تعـــي ؟

❖❖❖

ومـن أنـتِ حتـى يـضيق هـواك بـــشاعرك الحـــالم المبـــدع
أمـا لـك قلـب ككـل النـساء فـــأيتهن اســـتعزت معـــي ؟
وإنـــك أنثـــى تحـــب الخـــداع وقعـــتِ عـــلى شـــاعرٍ أخـــدع
صـبا لـك منـه الخيـال الرفيـع فلقّـــب حـــسنك بـــالأرفع

❖❖❖

وإنـــك كالـــصنم المـــر مـــريٌّ واني لكاهُنـــــه الألمعـــــي
إذا أنـــا لم أكـــسه بـــالجلال أبتـــه العبـــاد فلـــم يُتبَـــع

❖❖❖

وإنـــك نجـــم ... ولكننـــي أنـــا الـــشمس في عـــزة المطلـــعِ
إذا لم يكـن لـك شـعري ضـياءً حُرِمْـتِ الـضياء فلـم تـسطعي

ليلة الوداع

أسرعـــــي الآن أسرعـــــي فـــات وقـــتُ التَّمَنُّـــعِ
لم تعـــد غـــير ليلـــةٍ مـــن غـــرام مُـــودَّع
كنـــت بـــشرى وجنتـــي ومراحـــي ومرتعـــي
كـــم عـــلى صـــدرك الحبيـــب تخـــيرتُ موضـــعي
وحـــواليَّ فرحتـــي وحواليـــكِ أذرُعـــي
إن تكـــوني بعيـــدة عـــن عيـــوني وأدمعـــي
فـــالهوى مـــلء غرفتـــي والجـــوى مـــلء أضـــلعي

❖❖❖

أسرعـــــي الآن أسرعـــــي فـــات وقـــت التمنـــعْ
لم تعـــد غـــير ليلـــة مـــن غـــرام مـــودّع

ندوة موصلية

نشرت إحدى الصحف المصرية القصيدة الفائتة «ليلة الوداع» تحت صورة مغرية لحسناء مضطجعة شبه متجردة . وبعد أيام ، تلقى الشاعر من الأستاذ إبراهيم الواعظ ، رئيس محكمة استئناف الموصل (بالعراق) الرسالة الآتية :

«قرأت أبياتكم الرقيقة تحت عنوان (ليلة الوداع) المسطورة تحت الصورة الجميلة، فأعجبتني كثيراً .

«حيث أن في الموصل مجموعة من أدباء وشعراء يجتمعون دائماً في ندوة أحد وجهاء الموصل وأشرافها ، السري ناظم بك العمرى ، سميت بالندوة العمرية ، فقد نظمت أبياتاً وحررتها تحت الصورة ، وأرسلتها إلى كل عضو من أعضاء هذه الندوة لبيانِ ما توحيه إليه الصورة والأبيات .

« وقد وردتني الأجوبة ، وها أنني أقدم إليك تعليقات أدباء الندوة ، لتكون عربوناً للتعارف من جهة ، وتوثيقاً للاتصال الثقافي والأدبي بين العراق ومصر من جهة أخرى ، راجياً القبول مع إسدال ستار العفو على ما تجدونه من تقصير وفضول .

« والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

إبراهيم الواعظ

رئيس محكمة استئناف الموصل

١ ـ تفضل الأستاذ إبراهيم الواعظ ، فشطر أبيات «ليلة الوداع» تشطيراً جميلا ، ختمه بأربعة أبيات من عنده يدعو فيها شعراء الندوة إلى معارضتها ، وإليكم ما نظم :

«أسرعـــي الآن أسرعـــي »	تقـــضين ليلـــة معـــي
لا ترينـــــي تمنعــــا	« فـــات وقـــت التمنـــع »
« لم تعـــد غـــير ليلـــة »	مـــن مقـــامي ومهيعـــي
ثـــم لم تبـــق لحظـــة	« مـــن غـــرام مـــودع »
« كـــم عـــلى صـــدرك الحنـــون »	تجليـــــت لا أعـــــي
وعـــلى نهـــدك المـــصون	« توســـدت مـــضجعي »
« وعـــلى ثغـــرك الحبيـــب »	تلقفـــت مـــوقعي
مـــن لمـــى أشـــنب لذيـــذ	« تخـــيرت موضـــعي »
« وحـــوالي فرحتـــي »	قـــد أبـــادت تـــوجعي
حفـــك القلـــب والحـــشا	« وحواليـــك أذرعـــي »

❖❖❖

« إن تكـــون بعيـــدة »	ذاك أقـــصى تفجعـــي
أو تكـــوني قريبـــة	« مـــن عيـــوني وأدمعـــي »
« فـــالهوى مـــلء غرفتـــي »	والمنـــى كـــل مـــا أعـــي
والنـــدى وسْـــط مهجتـــي	« والجـــوى مـــلء أضـــلعي »

❖❖❖

هـــذه قـــصة الهـــوى	مـــلء عينـــي ومـــسمعي
مثلوهـــا بـــشعركم	وانـــشوده بمجمـــع
إنـــها الـــشعر روضـــة	قـــد حـــوت كـــل مبـــدع
ثـــم نـــادوا جمـــيعكم	« أسرعـــي الآن أسرعـــي »

٢ ـ وهذه المعارضة للشاعر «ذو النون شهاب»:

أنـــت في خلــوتي معــي   فـــالهوى فيـــك يـــدعى ...
يـــا سـميري عـــلى النـــوى   ومـــــآلي ومـــصرعي
حـــسنك الـــساطع الـــذي   قـــد فـــرى فيّ أضـــلعي
ابتغيــــه ممنعـــــا   فـــالمنى في التمنـــــع

❖❖❖

ارقـــدي فـــوق عرشـــك الـــ   ـــصب أو بـــين أذرعـــي
ودعينـــــي أطيـــــل في   نـــشوتي دون أن أعـــي
طـــال حرمـــان خـــافقي   فنبـــا اليـــوم مـــضجعي
وتـــــصبانيَ الأســـــى   آه لم أدر مرجعـــــــي
يـــا منـــى الـــنفس أقـــبلي   يـــا تبـــاريح أقلعـــي

❖❖❖

تهـــت في عـــالم بـــه   نـــــزوات الترفـــــع
وغـــــرور التوقـــــع   وانحـــــلال التـــصدع
أنـــا في الكـــون هـــائم   مـــا تجـــلى الهـــوى معـــي
فـــابعثي منـــك نفحـــة   تزدهينـــــى بمرتعـــــي
واحملينـــي مـــع المنـــى   ضـــاع منـــي تـــشفعي
أنـــت أغـــرودة الهـــوى   «أسرعـــي الآن أسرعـــي»

٣ ـ وهذه المعارضة للشاعر عبد الخالق طه:

«أسرعـــي الآن أسرعـــي»   ضـــج لهفـــان مـــضجعي
ودعـــي عهـــد لـــذة   نـــشرها طـــيّ أضـــلعي
وجناهـــا عـــلى فمـــي   ولغاهـــا بمـــسمعي

كيف كنا على الرضا ... نتهب اللهو ما نعى
والهوى يسبق الهوى ... مثل آمال مسرع
واللذاذات حولنا ... ما كرات التطلع
كلما شاق منظر ... رددت ضحكها معي
فعلى الصدر ملعبي ... ولدى الجيد مرتعي
ومن الشعر منهلي ... وعلى النهد مضجعي
فيضان من الهنا ... في فؤاد مولع
فارفعي الستر وارقدي ... حان وقت التمتع
وكما كنت ما مضى ... يا منى النفس فاصنعي
إن أذنى تاقتا ... لأنين التوجع

◆◆◆

« أسرعي الآن أسرعي » ... وارتمي بين أذرعي
وانهبي اللهو كله ... وارضعي اللذة ارضعي
لم يعد من غرامنا ... غير يوم مودع

٤ ـ أما الشاعر « نعمة الله النعمة » فقد هجر البحر والتزم القافية في معارضته ، ولكنه نهج في الإحساس بالصورة والأبيات نهجاً آخر ... قال :

يا واصفاً لصورة ... أغرتك بالتمتع
كن واثقاً بأنني ... غير الهدى لم أتبع
وانني ما عشت ، عن ... نهج التقى لم أرجع
فلم أكن منذ خلقت ... للهوى بمدعى
وأن شعري لم يكن ... يهوى الغرام أو يعي
فمن يخف مقام ر ... به وهول المصرع

ثــم نهـــى الــنفس عـــن اتــْـ ـــــباع الهـــوى لم يفـــزع
هنــــاك يــــستوي لديـــــه مـــن رَعَـــى ومـــن رُعـــى

٥ ـ أما الشاعر إسماعيل حقي فرج ، فقد هجر البحر والتزم القافية هو الآخر ، ونهج نهج صاحبه نعمة الله النعمة ... قال في رسالة لرئيس الندوة:

« تحية وتجلة ، وبعد ، فان مقام الرياسة لا يستطيع تبديل ميول المرؤوسين ، ولا أن يتحكم في أذواقهم ، فللناس فيما يعشقون مذاهب ومشارب ، ولله في خلقه شؤون .

« أمرتم أعضاء الندوة العمرية العامرة أن يهبوا وينادوا بربة الصورة الجميلة « ألا أسرعي ألا أسرعي [1] » . فكنت يا مولاي أول من أطاع فأهاب بالنداء ، وخالف آسفاً بحكم التقي والورع في الميول والأهواء . فأرجو أن تهبوا جزاء مخالفتي لسرعة إطاعتي ، وعساني أن أخرج من فتنة هذه الفاتنة لا لي ولا على ، فأقول :

ألا أسرعــــــي ألا أسرعــــــي قـــــومي وعنــــى انقلعــــي
لا تخلعـــــي ثـــوب الحيــــا عنـــــــك ولا تخلعـــــي
فأنــــت عنـــدي منظــــرا مثـــــل ذوات الأربـــــع
لفتنتــــــــي عاريـــــــة إيــــاك أن تـــــضطجعي
فلـــست صـــباً ســـاذجا يغريــــه كـــــشف الأذرع

❖❖❖

لا اغتــــوى « بــــواعظ » هــــواكِ رشــــداً يــــدعى
بـــك ابتغــــى خـــديعتي ولــــست بالمنخـــــدع
بريــــــد أن يــــــصرفني عـــن مـــذهب متبــــع
مـــذهب أهـــل الموصـــل الأ ســـمىَ الـــشريف المنـــزع

(١) جعل الشاعر العراقي همزة «اسرعي» موصولة ، وصحتها أنها همزة قطع .

المغـــــــرمين بـــــــالتقي	لا بـــــــذوات البرقـــــــع

٦ ـ واستطرد الشاعر إسماعيل حقي فرج يقول في رسالته لرئيس الندوة :

« وثمة يا سيدي الرئيس ، شيخ كبير من أعضاء ندوتنا ، قد استخفه وقار شيبته وتذكر أيام شبيبته و قد أراد أن يتملص من موصليته التي تعرق فيها ... كل ذلك من جراء مشاهدته هذه الصورة ، فتراه لذلك ناظماً في التغزل بما يسمونه الغيد الحسان شعراً يمتلك به شعورهن ، ويأخذ بمجامع قلوبهن ، ويزعم بذلك أنه سعيد[1] .

« فهل لي أن أقول عن لسانه ، أو أتكلم بلسان حاله ، بما حضرني من هذه الأبيات ، فأقول :

ألا اسرعــــــي ألا اسرعــــــي	ذات الجـــــــــمال الأروع
إني لـــــك الفـــــؤاد قـــــد	فتحـــــتُ قبـــــل الأذرع
حـــــلى بقلبـــــي لحظـــــة	وبعـــــد ذاك ودعـــــي
بيـــــسمة منـــــك جـــــوى	لقـــــد مـــــلأت أضـــــلعي
وفي فـــــؤادي حرقـــــة	لا تنطفـــــى بـــــأدمعي
فاضـــــطجعي لفتنتـــــي	مـــــا شـــــئت أن تـــــضطجعي
بـــــسيف لحـــــظ ذابـــــل	نيـــــاط قلبـــــي قطعـــــي

❖❖❖

ليتـــــك أيـــــام الـــــصبى	أتيـــــت قـــــرب مـــــضجعي
إذن لأغنيتـــــك باللـــــ	ـــــعب وطيـــــب المرتـــــع
لكـــــن شـــــيبي فيـــــك قـــــد	أزال كـــــل مطمعـــــي
فـــــإنني لله ... بـــــل	إن إليـــــه مرجعـــــي

(١) الشيخ المقصود هو سعيد بك الجليلي ؛ أحد أعضاء الندوة .

المشيَة الموقعة

« إلى تلك السارية في الليل والناس نيام ، تؤنس الشاعر الساهر بمشيتها المنغمة »

لحنتُ أشعاري على مشيتك الموقعَة
إن سرتِ في الدرب سمعتُ في الفؤاد قرقعه
تحكم في ساحته وتستبيح أضلعه
كأنها قيثارةٌ في قدميك مودعه
تسمعني في الخطوتين نغمات أربعة

❖❖❖

يا نغمات تحت أقدام الجمال طيعه
هل أنت من فن السماء ونهاها المبدعة
ترنيمة لم يُدن « بتهوفن » منها إصبعه
وغنوة أمامها أوتاره مقطّعه ؟
أم آية لله في الأرض ... جمالا ودعه
توجه الكافر لله وتنضو برقعه
وتحكم الإيمان في مهجته المزعزعه ؟
أم أن كل خطوة شيطانة ملعلعه
إن إن خطرت بالعابد الساجد عند صومعه
أغرت بلحنها اللعوب قلبه ليتبعه
يكاد من فتنته باللحن ينسى مبدعه ؟

❖❖❖

ساقاك ... لا بل عمد أنوارها مندلعه
مِزاجها من الضحى والخمرة المشعشعه
وقدماك ... لا بل القيثارة المرصعه
أوتارها العشرة ذات الكسوة المدولعه
يا عجبي ... تعزف من غير يد موقعه

سَامبَا

« رقصة الجيل »

نزلنـــا ســـاحة المـــرقص في منتـــصف الليـــل
ومـــا منـــا كـــما تعهـــد إلا ثـــائر الميـــل
نزلْناهـــا عـــلى شـــوق كـــشوق الزهـــر والنحـــلِ
وخاصرنـــا هُناليـــك ذوات الأعـــيْن النُّجـــل
تَغاضـــبن عـــلى التيـــه ولم يحفلـــن بالـــدل
وطأطـــأن ضـــعيفات أمـــام الفـــن في ذل
ودقـــت نغمـــة الجازبنـــد إيـــذاناً بـــما تمـــلى
وهـــل تمـــلى ســـوى الرغبـــة في ثورتهـــا تغـــلي ؟
فأقبلنـــا عـــلى الرقـــصة في اســـتحياءة الطفـــل
ومـــا زال بنـــا الجازبنـــد في نقـــس وفي طبـــل
يـــزج الجـــسم في الجـــسم بـــلا حلـــم ولا عقـــل
ومـــا أسرع مـــا دســـنا حيـــاء الطفـــل بالنعـــل
ولاقـــي ذكـــر أنثـــى وغابـــت شـــفقة العـــذل
ولـــو جـــاءت لألفتنـــا عـــن العـــالم في شـــغل

❖❖❖

شـــفاه فوقهـــا أشـــباهها موصـــولة النهـــل
وعـــين فوقهـــا مكحولـــة تمـــلي وتـــستملي
ومـــا يحـــسم غـــير الـــدفء بـــين الرِّجـــل والرِّجـــل

وجسمان من القرب أذاعا وحدة الظل
كجزئين حبيبين قد ارتدا إلى الكل

◆◆◆

وتصحو تحتنا الجنة في مخدعها السفلي
فتلقى جنة في الأرض مفتونين بالركل
يعبون من الكأس ولا يبقون في الكيل
وكم من نفر جاء على الضجة يستجلي
فلما أن رأى معركة الجنسين في هول
مضى مستنكراً يفحش في النظرة والقول
فشيعناه بالضِّحكة والاشفاق للجهل
وهل يستنكر « السامبا» من الناس أخو عقل
وهذي رقصة الجيل وروح العصر في النسل
تُجّلي رونق العاطفة البارعة المصقل
عرتها ضجة الآلة والسرعة والحول ؟

◆◆◆

وكانت ليلة تبقى ، وتفنى ذِكَرُ الليل
فلما انبثق الفجر وفُضت صبغة الكحل
تفقدنا الشباب الجذْل بعد المرقص الجذْل
فما فزنا به إلا على مندبة الثكل

سيرا ناده

« نجوى موسيقية »

تحت نافذة المرأة التي لم تخلق بعد

مـا أنـت إلا امـرأة في الخيـال	رأيتُهـا بالقلـب رؤيـا المثَـال
لـو قـدرتْ ليلـةُ قـدرٍ عـلى	تحقيقهـا لم أرض هـذا المحـال
منـاي أن تحيـا بفكـري ولا	تخطـر في الـدنيا لغـيري ببـال
ومـا أنـانيٌّ أنـا ، إنمـا	أخشى عليهـا مـن قلـوب الرجـال
وهـي التـي صـورها شـاعر	مبتكـر أبـدع فيهـا الجمـال
مـن عنصر الـوهم اجتلي رسمها	والـتوهم في الـدنيا أعـزُّ الـلآل
آمنـت بـالله ومـا شـمته	إلا بعـين الـوهم خلـف الظـلال
ونـوّت بالحـب وعانيتـه	في امـرأة مـن غانيـات الخيـال
وكنـت أنـا الفـنَّ الـذي صاغها	فكيـف أمسـى الفـنُّ عبـد المثـال
كناحـت العُـزى إذا مـا رمـى	معولـه ذلَّ لـذات الجـلال
فهـل رأى العـالم مخلوقـة	دلـت عـلى الخـالق هـذا الـدلال
وهـو الـذي بـارى بهـا ربـه	وأرخـص الهَـذىَ وأغـلى الـضلال
وسـار في النـاس بأوصـافها	حتـى أحبوهـا بغـير اعتـدال
وفتـشوا في الأرض عـن وكرهـا	وفي الـسموات العـوالى العـوال
وقيـل إني الغيـب قـد لفهـا	وإن حجـب الغيـب ليست تـذال
وقيـل في يمنـاه مفتاحهـا	وقيـل يطـوى قبلهـا في الـشمال
يـا طيـب مـا عانيـتُ في حبهـا	وطيـب قيـل في هواهـا وقـال

خيَالي

مـن خيـالي فيـكَ أحببـت خيـالي ... وتأسـيتُ عـلى مـرِّ الليـالي
كلـما أطلقتنـي قيـدني ... وإذا قيـدتني فـكَّ عقـالي
وهـو إن لا قيتنـي هنـأني ... وإذا جـافيتني رق لحـالي
وهـو أحنـى منـك في صبوته ... وهـو أوفى لي وأدنـى في النـوال
وإذا طافـت بـه أنـشودة ... حلـوة الإيقـاع ناداهـا تعـالى
بـت أهـواك وأهـواه معـا ... لـستما في قـدَري غـير سـجال
مـن خيـالي فيـك أحببـت خيـالي ... وتأسـيتُ عـلى مـر الليـالي

❖❖❖

أنـا أهـواه لمـا يرسـمه ... لـك في الخـاطر مـن حلـو المجالى
هـو مثَّـال ... إذا طالعتَـه ... في الهـوى طالعـه خـير مثـال
لا أرى حـسنك إلا صـورة ... روحُـه الفنـان قـد هيأهـا لي
وهـو يـدنيك إذا باعـدتني ... فـاقترب أو فـامض في هـذا الـدلال
ثـم أهـواك لمـا تـوحي لـه ... مـن رؤى حبـي وآيـات ابتهـالي
رُبّ لحـن قـد تغنيـتُ بـه ... سـاحر لـولاك لم يخطـر ببـالي
مـن خيـالي فيـك أحببـت خيـالي ... وتأسـيت عـلى مـر الليـالي

❖❖❖

أنـت مَنّـانٌ إذا واصـلتني ... وهـو لا يعـرف مَنـاً في الوصـال
أنـت منَّـاع الهـوى لكنـه ... كلـما سـاءلتُه لبـىَّ سـؤالي
أنـت غيَّـار ومـأثور القـلى ... وهـو مهـما أتجنـى غـيرُ قـال
أنـت في الأرض وفي أهوائهـا ... وهـو في قمتـه ذات الجـلال
أنت بـدري .. وهـو الـشمس التـي ... مـلأت روحـك مـن نـور الجـمال
فـإذا مـا حجبـت أضـواءها ... فهـلالٌ أنـت أو دون الهـلال
مـن خيـالي فيـك أحببـت خيـالي ... وتأسـيت عـلى مـر الليـالي

أنا مَالي

تركتنـــي في اعـــتلالي ... ورمتنـــي لليـــالي
بعـــدما أســلمتُها القلـــب فقالـــت : أنـــا مـــالي

***

أنـــت مـــن أرســـل الـــدمع إليهـــا، وهـــو غـــال
أنـــا مـــا آمنـــت مـــن قبلـــك يومـــاً بـــالجمال
وأنـــا بالـــسحر والفتنـــة مـــا كنـــت أبـــالي
ذهـــب الحـــبُّ بقلبـــي ووقـــاري وَجـــلالي
أي خطـــب حيـــنما تـــدمع آمـــاقُ الرجـــال

***

أنـــت يـــا مـــن أســـأل الأيـــام عنهـــا والليـــالي
ليتهـــا تستـــشعر القـــسوة في ذلِّ الـــسؤال

***

تركتنـــي في اعـــتلالي لم يَرُعْهَـــا ســـوءُ حـــالي
فتوسَـــلت إلى الليـــل بقلـــب غـــير ســـال
قلـــت ياليـــل أمـــا عنـــدك مـــن طَيْـــف خيـــال ؟
فحنـــا الليـــل ولاحـــت فتنـــةَ الطيـــف حيـــالي
فتـــضرعتُ إليـــه بـــشُحوبي وهـــزالي
لـــو رأى ربتـــه قـــص عليهـــا مـــا جـــرى لي
فـــانثنى عنـــي مَـــلالا وتـــولى في دلال
بعـــدما ردد مـــا يحفـــظ عنهـــا : أنـــا مـــالي
قلـــت لله وقـــد قـــلّ مـــنع الحـــب احتيـــالي
أأنـــا يـــارب عبـــد لـــك لم يخطـــر ببـــال ؟
وإذا ضـــل فـــؤادي أفيعييـــك ضـــلالي ؟
وإذا ضـــاقت بي الأرضَ فهـــل تـــأبى احـــتمالي ؟
وإذا ســـد حبيبـــي أذنيـــه عـــن ســـؤالي
أفأنـــت الآخـــر الـــرحمن لا ترثـــى لحـــالي ؟
آه لـــو قلـــت كـــما قـــال حبيبـــي : أنـــا مـــالي

الملاك الأبيض

يـــا ملاكـــي ، نـــشر الليـــل غـــلالاتِ الظـــلام
فـــافتحي قلبـــك للأحـــلام والنجـــوى ونـــامي
واتركينـــي في اشـــتياقي واحتراقـــي يـــا غرامـــي
جئـــت أستـــشفي مـــن الحـــب فـــضاعفت سـقامي

❖❖❖

يـــا ملاكـــي يـــدُك البيـــضاء ينبـــوعُ المنـــى
تهـــب الرحمـــة والإحـــسان ... إلا لي أنـــا
كلـــما مـــرت بجرحـــي زادت الجـــرح ضـــنى
أيُّ شـــيطان مـــن الظلـــم تمـــشَّى بيننـــا ؟

❖❖❖

يـــا ملاكـــي ســـامحي طيـــشي ورَقِّـــي لجنـــوني
واغفـــري المـــاضي ومـــا يوحيـــه مـــن ســـوء الظنـــون
وارحمـــي ضـــعفي إذا مـــا شـــئت ألا ترحمينـــي
هـــل تـــريْنَ اليـــوم إلاك خيـــالا في عيـــوني ؟

❖❖❖

يـــا ملاكـــي أنـــا مـــن أحببـــت في الحـــب عـــذابي
ونـــشرت الغـــزل المـــشبوب في كـــل الـــروابي
وبنـــار الـــشوق واللهفـــة أحرقـــتُ شـــبابي
أنقـــذي روحـــي مـــن النـــار وفـــوزي بـــالثواب

ما اسمك؟

مــا اســمك بــين الأســامي — يــا فتنتــي ... يــا غرامــي ؟
إن قلـــتِ أو لم تقـــولي — فاســمك أحـــلى الأســامي

❖❖❖

إني اســـميك « لـــيلى » — لتبعثـــي في خيـــالي ...
ذكـــرى شـــهيد غـــرام — كـــم عذبتـــه الليـــالي
جنونُـــه مـــن جنـــوني — ضـــلالُه مـــن ضـــلالي
مـــا أهـــون العقـــلَ إن لم — يـــذهب لوجـــه الجـــمال
قـــولي ... هـــل اسـمك لـيلى ؟ — أم ذاك وحـــي غرامـــي ؟
إن قلـــت أو لم تقـــولي — فاســمك أحـــلى الأســامي

❖❖❖

هـــواي أدعـــوك نجـــوى — لكـــي أناجيـــك دهـــري
أم هـــل أســـميك ســـلوى — إذ أنـــت كأســـي وخمـــري
أم هـــل أســـميك رضـــوى — إذا رضـــيت بـــشعري
أم هـــل أســـميك فـــدوى — لأفتـــديك بعمـــري
أم هـــل أناديـــك « نـــورا » — لكـــي تنـــيري ظلامـــي ؟
إن قلـــت أو لم تقـــولي — فاســمك أحـــلى الأســامي

❖❖❖

إن الأســـامي جميعـــاً — جمالهـــا لا يفيـــك
فلـــيس في الكـــون حـــسن — إلا تجمَّـــع فيـــك
فـــما اهتمامـــيَ باســـم — مـــن اختيـــار أبيـــك
إني اســـميك روحـــي — لـــو أنهـــا ترضـــيك
تخـــيري في الأســـامي — وبـــين جنبـــيَّ نـــامي
إن قلـــت أو لم تقـــولي — فاســمك أحـــلى الأســامي

دين جَديد

وغانيــة مــن أرز لُبنــان غــضة — صــليبية الأهــواء لــيس تلــينُ
دعتها نواقيس الكنيسة في الضحى — وهيَّجهــا نحــو الــصليب حنــين
فمرت وأوحت لي بنصف ابتسامة — وشــبهة عطــف لا تكــاد تبــين
فتابعتُهــا ، ظــلي يعــانق ظلهــا — وخطــوى بــا تمــضي إليــه رهــين
ومــا زلــتُ أغريهــا وأحمــل قولهــا — فَــإنَّ ســباب الغانيــات مجــون
ومــا ضر قلبــي أن يــدانَ بقولهــا — فيــاكم لنــا عنــد الجــال ديــون

❖❖❖

وقلت لها والطرفُ بالطرف ملتق — وقلبــي بأهــداب الجــال طعــين
أتعصين ناقوساً بصدري لتتبعي — نــواقيس ديــر مــا لهــن لحــون
وانــى الــذي يشدو بعينيــك فتنــة — فيــسمعُ لي في المــشرقين رنــين
فــلاذتْ بتمثــال الــصليب كــأنها — تــساثله رأيــاً عــلىّ يُعــين
تغالبهــا نحــو المــسيح عقيــدةٌ — ويــدفعها نحــوى هــوى وفتــون
وقالــت : ألا راعيــتَ لله حرمــة — وحولــك آذان لــه وعيــون
وإنــا تجرأنــا عــلى قُــدس بيتــه — وعنــصرنا في الغــابرين مهــين
مــن الطــين أقبلنــا وللطــين عُودنُــا — فقلــت معــاذ الله أنــك طــين
فإنــك مــن نــور الــسماء لنَفحــةٌ — وإلا فــإني بالــسماء ظنــين
أضــلتك أقــوال القــساوسة الألى — تــضل مــسوح منهمــو وذقــون
فقالت : أما تخشى عذابَ جهنم ؟ — فقلــت : دعينــي ، فالمـآب ظنــون
دعينــي فــإن العمــر يــومٌ وليلــةٌ — وإن عــذابي بعــده لَيهــون
ومــاذا يــضير الله إن أنــا لم أكــن — على الهدى ، أو يجديه حين أكون
ومــا الــدين عنــد الله إلا محبــة . — فــصدُّك إلحــادٌ ، ووصــلُكِ ديــن

❖❖❖

ونحيتُهــا ركنــاً مــن الــدير هادئــاً — يــداري أظــانين الهــوى ويــصون

وقلت خذيها قبلةً هيناتها ... أحاديثُ في دنيا المنى وشجون
فما نحن إلا عاشقون ، قلوبُنا ... بدين التفاني في الغرام تدين
لنا الكون ديرٌ والعناقُ عبادةٌ ... إذا ما التقينا ، والوفاءُ يمين
ومؤمننا من لا يخون حبيبه ... وكافرنا من للحبيب يخون
وتختلف الأديانُ في الله ، والهوى ... عقيدتُه في العالمين يقين

كبرياء

أجل ... أنت فاتنة ، إنما ... أرى عزة النفس لي أفتنا
وإن كان عندك سحرُ الجمال ... فسحْرُ الرُّجولةِ عندي أنا
وإن كثرتْ في هواك القلوبُ ... فذلك من بعض ما عندنا
وإن غَرَّروك بحلو الشباب ... فإن الشبابَ سريع الفنا

◆◆◆

وعينيك ، والخصلِ الحالكات ... كأني بها توغر الموهنا
وحمرةِ خديك في سمرة ... كحلو النبيذ رقيق الجنى
يحبك قلبي ، ولكنه ... يخاف دلالك إن أعلنا
وأنت المنى ، غير أني امرؤ ... يذلّل للكبرياء المنى
ويكره في الحب بذل الدموع ... ويسط الخضوع وفرط الضنى
إذا المرء هان على نفسه ... لكان على غيرها أهونا
فلا تجعلي من غرور الأنوثة ... سيفاً يشق الهوى بيننا

غريب في لندن

قالـــت لهـــم : مَـــن الغريـــبُ هـــا هنـــا
أتجهلـــين يـــا « جـــوان » مـــن أنـــا ؟
أنـــا أنـــا أكـــرم منـــك موطنـــا
أنـــا أنـــا أعـــرق منـــك معـــدنا
أنـــا ابـــن شـــعب يتحـــدى الزمنـــا
ابـــن الـــروابي الخـــضر مـــن أرض « منـــا »
المجـــد كـــان لجـــدودي وثنـــا
ولم أزل بـــها ورثـــت مؤمنـــا
أنـــا إذا ناديـــت للـــنجم رنـــا
أنـــا إذا أومـــأت للبـــدر دنـــيا
قالـــت : ألا تـــومئ للبـــدر هنـــا ؟
ألا تـــرى في سَـــمتي منـــه ســـنى ؟
صـــف لي هـــواكَ ؟ قلـــت لـــيس هيِّنـــا
هـــل تعـــرفين خـــير ألحـــان المنـــى ؟
أنـــا الـــذي ألَّفهـــا ولحَّنـــا
هـــلا ســـمعت بلـــبلا إذا حنـــا
عـــلى هـــواه في ربـــاه موهنـــا
أدمـــىَ القلـــوب وأســـالَ الأعينـــا
بـــنغم حبَّـــب للنـــاس الـــضنى ؟
لا تـــسألني عنـــه ... فانـــه أنـــا
قالـــت جـــوان « ليتنـــي ... » ... يـــا ليتنـــا

تحيّة ضائعَة

خمسةُ أعوام وقلبي حزين ... يحن للوكر الذي تعرفين
تخطر بي روحك فيه، كما ... تخطر روح الله بالطائفين
وكلما أقبلتُ ألفيتُني ... أعود للماضي فأنسَى السنين
كأننا بالأمس كنا هنُا ... ما بيننا والأمس غير اليقين
تسلل اليأسُ لخدر المنى ... فخلفا الوهم شقيَّ الجنين
فكل شيء ها هنا قائم ... كأننا كنا هنا منذ حين
وكل شيء عدم ها هنا ... إن لم تكوني أنت في الحاضرين
يا ليت شيئاً ها هنا لم يكن ... إلاك يا فرحة قلبي الحزين

◆◆◆

في ذلك الوكر وفي ظلِّه ... يهيج بي الشوقُ ويصحو الحنين
أشم فيه عطرك المفتدى ... مستلقياً فوق وساد أمين
وتلك مرآةٌ لها قصة ... لو قالها الزئبق تستغربين
خلّفتِ في بلّورها صورة ... من المثال القُدُسي المبين
تنكرها الأبصار إلا أنا ... تحسبها عيناي في الخالدين
وهذه زهرية طالما ... نديتها أمس بعطف اليمين
ثار لهيب الورد من شوقها ... فاحترقت فيه مُنى الياسمين
وها هنا كأسان نجواهما ... تحية في حُلُم الشاربين
كأنني منك على موعد ... أناشد الغيب متى تحضرين
وأسأل الباب أمّا طارق ... وأنظر الساعة في كل حين
فترسل الأحلام همس المنى ... وتبعث اليقظة همس الأنين
كأنني في قبر أحلامنا ... وكل شيء فيه حيٌّ دفين
يمشي إله الحب في ركنه ... مهدمَ الروح شقيَّ الجبين

عبادة

أبــوك يعــاتبني في هـــواك — ويرمـــي عواطفنـــا بـــالظنون
ولـــو كـــان ذاق الهَـــوى مـــرةً — لأدرك أن الهـــوى مـــن جنـــون
وأمـــك تـــسألني المـــستحيل — وتطمـــع في فرقـــة لـــن تكـــون
ولـــو مُتِّعـــتْ بـــالهوى في الـــشباب — لأعـــذرت الآن مـــن يعـــشقون

❖❖❖

فيـــا صـــورة يتحـــدى الإلـــه — بهـــا عبقريـــةَ أهـــل الفنـــون
ســـجدتُ لفتنتهـــا واتخـــذتُ — شـــفيعي إلى الله تلـــك العيـــون
أنـــا صـــبوتي صـــلواتٌ لـــه — ولكـــنَّ قومـــك لا يعلمـــون

عدت أغني

أنبـــأوني أنهـــا تـــسأل عنـــي
ليـــت شـــعري ... مـــا الـــذي ترجـــوه منـــي ؟
إننـــي أحيـــا بقلـــب مطمـــئن
بعـــد أن ودعـــتُ قيثـــاري ولحنـــي
وتنكـــرّتُ لخـــمّاري ودنـــي
ومنعـــت الحـــسن عـــن قلبـــي وعينـــي
وقتلـــت الـــوحي في وهمـــي وظنـــي
مـــا ترحمـــت عليـــه ... غـــير أني
حـــين قـــالوا إنهـــا تـــسأل عنـــي
عـــادني هـــاتف إلهـــامي وفنـــي
يـــا شـــقائي ... إننـــي عـــدت أغنـــي !

على النيل

وجاءت ضحى لأبي تشتكي — فقالت فتاك طويلُ اليدينْ
رآني على النيل عند الغروب — فمرّ ولم يرع لي حرمتين
دموع الأنوثة ظمآنة — وذل العواطف حتى اكتوين
فسرت إليه فناديته — فأغلق دون الهوى المسمعين
فأدركته ، فتجنى عليَّ — وذوَّب قلبي في نظرتين
ولكن نهديَّ هما به — فمسَّهما فغدا بين بين
فأمسكت شعري بكلتا يديَّ — نطالعه ذهب في لُجين
وملتُ عليه فأغريته — فحنَّ فقبلته مرتين
فعانقني فثنيت الشفاه — فأسمعني قبلة العاشقين

◆◆◆

فقال أبي وهو في حيرة — حسبت فتاي طويل اليدين ؟
فقالت أجل إنه ضمني — وقبلني في فمي بعد أين
أترضي يقبلني قبلة — وقد كنت أطمع في قبلتين ؟

أنصفوا أم ظَلموني

شـــهد النـــاسُ شـــجوني ... فرمـــوني بـــالجنون
أتـــراهم يـــا حبيبـــي أنـــصفوا أم ظلمـــوني ؟

❖❖❖

كلـــما طالعـــتُ في الأيـــام فنَّـــا		خلـــتُ هـــذا الكـــون عبـــدكْ
فـــإذا شـــارفتُ قلبـــاً يتمنـــى		قلـــت هـــل يخفـــق عنـــدك ؟
وإذا شـــاهدتُ غـــصناً يتثنـــى		قلـــت هـــل يـــشبه قـــدَّك ؟
وإذا طالعـــتُ صـــوتاً يتغنـــى		قلـــت هـــل يـــذكر عهـــدك ؟

يـــا يتـــيم الـــوحي والإلهـــام في كـــل الفنـــونِ
أتـــراهم يـــا حبيبـــي أنـــصفوا أم ظلمـــوني ؟

❖❖❖

قلـــت للنـــاس حبيبـــي		مـــا لـــه في الكـــون ثـــانَ
حبُّـــه أغـــلى الأمـــاني		واســـمه أحـــلى الأغـــاني
وهـــو في كـــل فـــؤاد		وعـــلى كـــل لـــسان
وهـــو في القلـــب شـــعور		وهـــو في العقـــل معـــاني

وهـــو مهـــما خـــانني ... أخلاقُـــه فـــوق الظنـــونِ
أتـــراهم يـــا حبيبـــي أنـــصفوا أم ظلمـــوني ؟

❖❖❖

أنـــا في حبـــك صـــوفيٌّ ... وفي عينيـــك ديـــرى
وإلى كعبـــة هـــذا الحـــسن تَرحـــالى وســـيرى
ويقولـــون حواليـــك مـــن العـــشاق غـــيري
ويقولـــون شـــباك الـــصيد ولَهـــى حـــول طـــيري
قلـــت هـــذا قمـــر تعـــشقه كـــل العيـــون
أتـــراهم يـــا حبيبـــي أنـــصفوا أم ظلمـــوني ؟

عَهد المِيَاه

تظل تعاودني الذكريات ... وترقص في خاطريَ كلَّ حينْ
وتضحك في القلب مجنونة ... بعهد المياه، فهل تذكرين ؟

◆◆◆

هناك على الشاطيء اللؤلئيِّ ... وتحت مظلتك الوارفةْ
جلسنا نغني نشيد الغرام ... على نغم الموجة العازفه
وتسعى إلينا بنات المياه ... لتسمع ما تنشد العاطفه
تود الموجات لو داعبتنا ... وفاضت على روحنا الهاتفه
فتلقى مؤامرة في الرمال ... فترتد للبحر كالخائفه
وتشتعل النار في جسدينا ... وتلهبها الرغبة العاصفه
فتمضي لنطفئها في المياه ... فتهتز فينا اهتزاز الجنين
وتضحك في القلب مجنونة ... بعهد المياه، فهل تذكرين ؟

◆◆◆

وذوبتُ قلبيَ في قطرة ... وذوبتِ قلبك في أختها
وقابلتا رغبة في الصدور ... فبددتا السحب عن كبتها
وأطلعتاها مجوسية ... تحشرجت النارُ في صوتها
فرُحنا إلى صخرةٍ في المياه ... أجادت يدُ البحر في نحتها
ولم نبق ساكنة في النوازع ... إلا عدونا على بيتها
نكفّر عن عهد حرمانها ... ونصرخ بالبعث في ميتها
فغنّتْ مع الصيف حتى انتهى ... فعادتْ إلى يأسها تستكين
وتضحك في القلب مجنونة ... بعهد المياه، فهل تذكرين ؟

◆◆◆

أيا جسداً أفرغ الله فيه ... أجلّ نهاه وألوانه
وأنزله يُلهم الشعراء ... ويوحي إليهم بإحسانه
سجدتُ لتمثاله العبقريّ ... وطهرتُ روحي لفنانه
ويا هيكلاً للشباب الجميل ... وهبتُ الحياة لأوثانهُ
وأحرقتُ روحي وقدمتها ... بخوراً يشيع بأركانه
ويا آية من جلال الإله ... تردّ الشرود لإيمانه
تعاودني نغمة عذبة ... تجوس خلال مكاني الحزين
وتضحك في القلب مجنونة ... بعهد المياه، فهل تذكرين ؟

في جزيرة معك

إن تسلني يا حبيبي أيَّ حلم أشتهيه
فهو أن أقضي عمري في فراغ أنت فيه
فمتى تأمرني أن أتبعك
وأغني ... في جزيرة معك

❖❖❖

أسأل الليلَ إذا الليلَ دنا بدرهُ المشرق أم بدري أنا ؟
المنى والسحر والعطر هنا والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك أجتنى من شفتيك رشفةً منك إليك
وأسوى فوق صدري مضجعك
وأغني ... في جزيرة معك

❖❖❖

العصافيرُ التي توقظنا عند الصباح
والأزاهير التي تُسكر أنفاس الرياح
والمزامير التي تهتف بالحب المباح
والمقادير التي تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعوك هنا أي شيء لك في تلك الدنا ؟
لا تجبها ... وأجب قلبي أنا
أسأل الأقدار بي أن تجمعك
وأغنى ... في جزيرة معك

❖❖❖

يا حبيبي ضُمَّني يوماً إذا كنت بقربي
واسمع اللحن الذي تعزفه أوتار قلبي
إنه باسمك يشدو ... وعلى حبك يُنبي
وبأحلامك يُشجي ... وبإلهامك يُصبى
ضُمَّني واسمع دعائي في صباحي ومسائي لا تعذّبْ كبريائي
إن أحلى أملي أن أمتعك
وأغني ... في جزيرة معك

الموعد الخائب

وموعـد للوصل يـا غانيـهْ أخلفتـه للمـرة الثانيـهْ

نسيت ؟ هل تُنسى وعود الهوى ؟ يـا ليـت مـا أنسـاه أنسـانيه

وقفـت والشمس عـلى هـامتي جهـنم مـشبوبة حاميـه

تـشفق مـن نـاري عـلى نارهـا أواه لـو تـدرين نيرانيـه

ورحـت أستدني أوان المنـى بخطـوة ذاهبـة جائيـه

وأسـأل الشاعر مـاذا لهـا أعـددت مـن بحـر ومـن قافيـه

وأسـأل الساقيَ مـاذا لهـا هيـأت مـن خمـر ومـن آنيـه

وأسـأل الجنّـان مـاذا لهـا نـسقت مـن زهـر ومـن رابيـه

حتـى دنـا الميعـاد فاستعجلتْ أشـواقُ روحـي اللحظـة الباقيـه

مـا بـال روحـي بـين أشـواقها تخلـط بـين العـام والثانيـه ؟

وعقـرب الساعة مـا خطبـه ؟ هـل كـف عـن دورتـه الماضيـه ؟

أم راح يمشي القهقري ؟ أم مضى يـضحك مـن آمـالي الواهيـه ؟

◆◆◆

ودقـت الـساعة دقاتهـا تبـشر الـدنيا بميعاديـه

واضـطربت في عقربيهـا الـرؤى فـأي بـشري كتباهـا ليَـه ؟

كـم فتنـة مـرت ، وكـم أقبلـت وكـم تعلقـتُ بأوهاميـه

وكلـما لاح سـنى عـابر يقـول قلبـي أتراهـا هيـه ؟

فيقـشع اليـأس ضـباب المنـى ويـسخر الـدمع بإنـسانيه

وهـذه تمـضي إلى عاشـق وتلـك تنـساب إلى ناحيـه

ويـسعد النـاس بأحبـابهم إلا حبيبـي ، لم أشـقانيه ؟

وقفت الناس كالتائه لا أحتفي ... بالفتن الرائحة الغاديه
انفردت بالحسن في ناظري ... مفتونة عابثة لاهيه
مجنونة القلب، تُرى ساعة ... عاشقة والهة فانيه
حديثها همسٌ وألحانها ... بكل ألوان المنى شاديه
وحبها أحدوثة للورى ... وقصة في المُثُل العاليه
وروحها للحب صوفية ... تحيا من العالم في زاويه
وثغرها يهتز في لهفة ... للقبل الدافئة العاتيه
وساعة تنكر معنى الهوى ... ساخرة ثائرة قاسيه
يبدو إله الحب في بأسه ... فيسجد العالم ... إلاّ هيه

❖❖❖

خُيل لي إذ طال بي موقفي ... أن عيون الناس تهزا بيه
ومرت الساعات محزونة ... ومالت الشمس عن الناصيه
وأظلم العالم في ناظري ... فعدّت ألقى ليلتي الداجيه

قصائد قومية:

من القلب



يـــا حبيبـــاً لـــست أخـــشى فيـــه عـــين الرقبـــاء

أتمنـــــاه ولا يمنعنـــــــي عنـــــه حيـــــائي

هـــو في البأســـاء عـــوني وهـــو في الليـــل ضـــيائي

وعليـــــه صـــــلواتي ولمغنـــــاه دعـــــائي

يـــا حبيـــب الله والنـــاس ويـــا نـــور الـــسماء

يـــا مجـــيري مـــن مـــصيري يـــا أمـــير الأنبيـــاء

يـــا شـــفيعي يـــوم لا يـــسأل عنـــي شـــفعائي

يـــا ثرائـــي يـــوم ألقـــى عـــرَض الـــدنيا ورائـــي

أنـــا غنيـــت بـــذكراك صـــباحي ومـــسائي

وبـــذكراك انتـــشت روحـــي فأبـــدعت غنـــائي

وبنجـــواك ازدهـــت نفـــسي وتاهـــت خيلائـــي

وعـــلى بابـــك يـــا أحمـــد ألقيـــت رجـــائي

كلـــما عانيـــتُ ناديتـــك فانـــداح شـــقائي

يـــا بـــشير المـــسلمين المـــؤمنين الأتقيـــاء

إن تكـــن عنـــي رَضِـــياً فأنـــا في الـــسعداء

يـــا حبيـــب الله والنـــاس.. ويـــا نـــور الـــسماء

أحلام المنصورة

آه مما بي، وهل تدرين ما بي؟ يوم ودعتك ودعت شبابي
أين أحلامي على تلك الروابي؟ ذابت الأحلام في قلبي المذاب

لي حبيب فيكِ أفديه بعمري
سمرة النيل على خديه تجري
هو إلهامي وأحلامي وشعري
ونعيمي بين عينيه وسكري
كان عند الليلة الظلماء بدري

وله نجواي في دنيا اغترابي يا ترى يذكرني بعد الغياب؟
آه مما بي، وهل تدرين ما بي يوم ودعتكِ ودعت شبابي

❖❖❖

يا عروس النيل والبحر الصغيرَ
حدثي عن ملك الغرب الغرير
يوم أن جاءك في ذل الأسير
لفتى من آل أيوب أمير
ذكره لا زال نفّاح العبير

وهب النصر إلى الأسد الغضاب من بني المنصورة الغُر الأوابي
آه مما بي، وهل تدرين ما بي يوم ودعتك ودعت شبابي

ما دعا لحني ولأغنى نشيدي
غير غاداتك في الخطو الوئيذ
حين يخطرن على النيل السعيد

يا منى الشرقِ وياريس الجنوبِ

مَنَ كأبنائك في غزو الشعوب

شهداء المجد أبطال الحروب

وكغاداتك في غزو القلوب

بالعيون السود واللحظ اللعوب

المنى بعدك من وهم السراب والصَبى في غير لقياك تصابى

آه مما بيَ ، وهل تدرين ما بي يوم ودعتك ودعت شبابي

❖❖❖

قد صحبت النيل من فجر الصعيدِ

لرشيد وإلى أخت رشيد

ما دعا لحني ولا غنى نشيدي

غير غاداتك في الخطو الوئيد

حين يخطرن على النيل السعيد

بالوجوه السمح كالنور المذاب يتهادين بمعسول الدعاب

آه مما بي ، وهل تدرين ما بي يوم ودعتك ودعت شبابي

نشِيد الثورة

أيا شمعةً عند كوخي الحقير ... وراء المجاهل .. في قريتي
أذوبُ من النار ... نار الشقاء .. كما ذبتِ بالليل يا شمعتي
وعشرون مليون نفس كنفسي يذوبون مثلي من الحسرة
همو أهل بيتي .. همو والداي ... همو ولداي .. همو إخوتي
حظائرنا تجمع الآدميَّ بجنب السوائم في الغرفة
جلابيبنا كاحتباس الدماء يلونها العدم بالزرقة
وأقواتنا من عروق السريس ومشربنا من فم الترعة
نعب من الدود والطين ماء يحيل الوجوه إلى الصفرة
ولقمتنا لقمة الأشقياء .. وقد لا نُمتَّع باللقمة
وفينا الذي ينبش الفضلات يفتش عن كسرة الكسرة
ولكننا معشر المؤمنين نُجل الإله على النعمة ...
أيسألني أحد كيف ثرتُ ؟ .. لقد ثرتُ من أجل حريتي

❖❖❖

تمر القرونُ وراء القرون .. وشعبي أسيرُ العبوديةِ
يجئ الغزاة ويأتي الولاة ويمشي الرعاة على هامتي
ويغلو الملوك .. وحكم الملوك كحكم المماليك في القسوة
أجانبُ من نُعَرات الشمال يكيدون لي ولمصريتي
يعدوننا في عداد الرعايا ويستعبدون بلا شرعة
دساتير هم رُقية التفرقات وأحزابهم ضُرة الوحدةِ
ويستهلمون مقام « السفير » خطوط السياسة في الدولة

يولّون يوماً زعيم الرعاع ... ويوماً زعيم الأقلية
ونخلص من صاحب الدولة .. لنسقط في صاحب الرفعة
وأرزاقنا بين سلب ونهب وبين انتهاز ونفعية
ويتخذون من البرلمان أداة لإذلال قوميتي ...
أيسألني أحد كيف ثرت ؟ .. لقد ثرت من أجل حريتي

❖❖❖

صبرتُ القرون مع الصابرين .. أمرّغ باليأس أمنيتي
تئن الشواديف مما أغنى وتبكي السواقي « على الوحدة »
وفي كل أنشودة ألفُ ليلٍ طويل المدى حالك الظلمة
وفي كل أنشودة ألفُ عين تنوح بأدمعها الثرة
وفي كل أنشودة ألف آهٍ على ما تبعثر من همتي
دعانا « عرابي » لصد الغزاة .. فأبنا من الحرب بالخيبة
ويوم الحمائم في دنشواي .. على شمسه لعنة اللعنة
أغاروا على أهلها بالسياط ومدوا المشانق في القرية
وجاؤا إليها بجلادها .. وجلادُها أسود الصفحة
وجاؤا إليها بقاضي القضاة يجندل في حكمه أخوتي
وهذا وذاك وشيخ الوزارة ينتسبون إلى أمتي ...
أيسألني أحد كيف ثرت ؟ .. لقد ثرت من أجل حريتي

❖❖❖

أيا فَجر يوليو رعاك الإله وبوركتَ في كتب الدعوة
صحونا على صيحة كالرعد ونادى المؤذن بالثورة
فقمنا وثرنا مع الثائرين على الظلم والبغي والرشوة
لقد وعدوني بهدم العروش .. فردوا السيادة للأمة

وقد وعدوني بضم الصفوف .. فأسلمتُ للموت حزبيتي
وقد وعدوني بعودة أرضي .. فبتُّ أنا صاحب الضيعة
وقد وعدني بيوم الجلاء .. فراح الطغاة بلا رجعة
وقد وعدوني بعود القناة .. فعادت إلى أمها الحرة
وقد وعدوني بسدي الكبير يبشر بالخير والرحمة
فبايعتهم بيعة المؤمنين .. ألا بارك الله في البيعة
وكم وعدوني .. ولو لم يفوا بالوعود لثرتُ على ثورتي
أيسألني أحد كيف ثرت ؟ .. لقد ثرتُ من أجل حريتي

❖❖❖

تحياتنا لك يا بورسعيد وأرض البطولة والفدية
على شهدائك خير السلام وأزكى التحية في الجنة
تحملتِ عنا العناء الكبير وكابدتِ وحدك في المحنة
وكانت دماؤك تنزو بقلبي وجرحك ينزف من مهجتي
دفعتِ مؤامرة الدولتين وحلف النذالة والخسة
وألبست باريس عار الزمان ولطختِ لندن بالوصمة
ولم تدعني ليهود اليهود ولا الهابطين إلى الهوة
سأكتب شعري على قبرهم .. وأغمس في دمهم ريشتي
وأجعله صلوات عليك وزلفى لذاتك يا كعبتي
سأرسو غدا عند شط الجميل أرد الجميل إلى إخوتي
سأرقص فوق قبور الغزاة وأجعل من دمهم خمرتي
أيسألني أحد كيف ثرت ؟ .. لقد ثرت من أجل حريتي

صَوتُ الشهيد

أنا صوتٌ من رُبَى الجنة يا مصر ينادي

أنا سيفٌ بدد الله به شمل الأعادي

وطني جار عليه الزمن فافتدته مهج لاتهنُ أنا من ماتت ليحيا الوطَن

في ربيع العمر ضحيتُ بعمري لبلادي

في سبيل الله يا مصر شبابي وجهادي

◆◆◆

اذكريني كلما ودعت الدنيا شهيدا

واذكريني يوم أن تستقبلي الفجر الجديدا

يوم أن تحلو على النيل الليالي اذكري جرحي وعزمي ونضالي

ودمي الجاري على أرض القتال

أنا من أنكرتُ أن نحيا على الأرض عبيدا

وأنا من كنت في معركة النصر نشيدا

◆◆◆

أنا حيّ عند ربيّ ... خالد رغم التنائي

أكرم الناس الذي مثواه دار الشهداء

يا بني مصر استخفّوا بالمنايا واجعلوا مصر على رأس الثرايا

لا يطيب النصر إلا بالضحايا

يا لذاتي أين مجد الأرض من مجد السماء ؟

إن سألتم مصر عني من أنا قالت : فدائي

في سجن الضمير

أي عُجـاب أيُّهـذا الـضمير   أنحـن أسراك وأنـت الأسيرْ ؟
نـراك فينـا سـيداً آمـرا   فكيف أغلقنا عليك الصدور ؟

❖❖❖

يـا حـرب آمـالي ويـا ميئسي   مـن نعمـة الـدنيا وطيـب الأمـور
كـم راودتْنـي عنـك أحـلى المنـى   ولـذة العـيش ولـين القـصور
فاشـتعلتْ في أضـلعي ثـورة   لم تـك لـولا أنـت فيهـا تثـور
فقلـت مـا لي في المنـى مـأرب   مـا دام في صـدرىَ هـذا الـضمير

❖❖❖

كـم شـاعر دوني جـرى شـعره   بمـدح حـزب أو بزلفـي وزيـرْ
فـصفق النـاس لـه وانـبروا   فلقبـوه بالأديـب الجهـير
واحتاطـتْ النعمـة أبوابـه   وزيّنتـه خلـع مـن حريـر
وكـل مـا بينـي ومـا بينـه   أني تورعـتُ . ويـاع الـضمير

❖❖❖

وكـم أمانـات جـرت في يـدي   تغـرى غنـىّ النـاس قبـل الفقـير
عـصمتها مـن نـزوات الهـوى   بـلا رقيـب غـير نفـسي نـذير
لـو نزلـتْ كفـى إلى مطمـع   منهـا لأغنـاني القليـل اليـسير
لكـنما زهّـدني هـاتف   يـصرخ في أعـماق هـذا الـضمير

❖❖❖

يـا بلـداً ضـيّعه أنـه   كُفاتـه لـيس لهـم مـن نـصيرْ
العلـم والأخـلاق في عرفـه   جنايـة جُـلَّى وإثـم كبـير
يـضيق بالأفـذاذ ، لكـنما   في أرضـه متـسع للحمـير
أحفـر في أرضـك قـبري ولا   أحفـر فيهـا قـبر هـذا الـضمير

ليالي إسماعيل

في قصر الجزيرة

عجباً ... لا زورقي يسرى ولا النيل يسيرُ
والمويجات تغنى ها هنا العهد الوثير
ها هنا القصر الذي تحسد ماضيه القصور
دارت الدنيا على ركنيه ، والدنيا تدور
وجثا الحزن على الشاطئ وانهد السرور
وكأن الموج في شطآنه قلب كسير

❖❖❖

أين يا قصر لياليك ومولاك الأميرُ
ومغانيك التي كان بها الذكر يطير
والجواري البيض والسمر كأحلام تمور
ترقص الفضة فيهن ويهتز الحرير
و « الحمولي » على التخت و « عثمان » السمير
وعروش الغرب والشرق لمولاك تشير
أنها كانت نجوماً وهو البدر المنير
وله العزة والسلطان والملك الكبير
وله الأسطول والسودان والجيش الكثير
كان إسماعيل دنيا جُمعت فيها العصور
وطواها الكبر والطاغوت والحكم الغرير
فلمن أصبحت يا قصر؟ ... وكم هان المصير

العظمَة

« مهداة إلى كل حاكم عظيم »

هـــــــــي أن أراكَ ولا أرى في الحـــاكمين عـــلى غــرارِكْ
هـــي في جلالـــك حـــاكماً نفــس الجــلال وأنــت تــارك
هـــي في دعائـــك للوئـــام وأنـــت أقـــدر في المعـــارك
هـــي في قبولـــك للـــسلام وأنـــت تـــؤمن بانتـــصارك
هـــي في ســـموك عـــن عـــدوك بالمواهـــب والمـــدارك
هـــي أن تمـــد يـــد الجميـــل إلى غريمـــك باختيـــارك
هـــي أن تعـــدَّ العفـــو خـــير وســـيلة لقـــضاء ثـــارك
هـــي أن تعظمـــك الرجولـــة في احتمالـــك واصـــطبارك
هـــي أن تكـــون التـــضحيات ولـــو بنفـــسك مـــن شـــعارك
هـــي أن تكـــون إذا تركـــت الحكـــم أعظـــم في اقتـــدارك

نحو محور إسلامي

وعبقــــريٍّ مبــــدعٍ فنُّــــهُ | مــن عــالم فــوق نُهــى الآخــرهْ
مــا علمــوه الــشعر، لكنــه | لألأه مــن روحــه الــشاعره
حديثــه الــسحر، ســوى أنــه | مــن غــير وحــي الجِنــة الكــافره
مــن العبــير القُــدُس افتنّــه | ومــن ربي إلهامــه العــاطره

❖❖❖

قــام إلى قــوم عفــاة نيــامْ | بــشرعة الحــق وديــن الــسماحْ
ينتــشر في الأرض لــواء الــسلام | ويمحــق الظلــم بحــد الــسلاح
شريعــة الأحــرار تمحــو الظــلام | وترســل الــروح طليــق الــسراح
ألا لوجــه الخــير هــذا القيــام | وفي ســبيل الله هــذا الكفــاح

❖❖❖

في زُمــر مختلفــات القبيــلْ | قلوبهــا شــتى فــلا تلتقــي
لم يــكُ للمجــد إليهــا ســبيل | يــنهض في تاريخهــا المملــق
طافــت بهــا معجــزة للرســول | تعقــد تــاج الأرض للمــشرق
وتنبــت الحــق مــن المــستحيل | بوحــدة زاهــرة الرونــق

❖❖❖

مَــن ذلــك الأمــيّ مــن يعــربِ | يحلــم في الأرض بمجــد الــسماءْ
ويبعــث الــصيحة في يثــرب | فيحــشد الأمــة حــول اللــواء ؟
يــا عجبــا مــن ســحر هــذا النبــي | العبقــري الفــرد في الأنبيــاء
كيــف ســما بالبلــد المجــدب | للملكــوت بــين قــرني ذُكــاء ؟

❖❖❖

يا سيرة من غابر الأعصرِ خفاقة خلف حجاب السنينْ
لم تخفَ عن كسرى ولا قيصر وإن طوتها غفلة الحاضرين
عودي إلى أقوامنا وانظري ما تصنع الفرقة بالهاجرين
لم يبق إلا أمل ينبري إشعاعه من ثائر الثائرين

❖❖❖

في ناظريه موعد للوفاقْ ومن خلال الغُرب صدق الوعودْ
يهيب بالشام ويدعو العراق ويبسط الكفين لآبن السعود
سيروا إلى ميعاده يا رفاق وحققوا وحدتكم في الوجود
قد ساد أعداءٌ لنا في الفراق وآن في وحدتنا أن نسود

❖❖❖

لوذوا بحبل الله واستعصموا بالعروة الوثقى ولَمّوا الشتاتْ
ولينتظمكم محورٌ مسلم تجري أمانيه بأم اللغات
لا يثنكم يأس فتستسلموا له فإن اليأس صنو المهات
إن لم تفز بالمجد أيديكمُ فلن تنالوا المجد بالمعجزات

ابنة الباستيل

« قيلت في عدوان فرنسا على لبنان »

سفراء « السين » فيم المعمعه ... روّعت لبنان والشرق معهْ

الدساتير .. أكانت حيلة ؟ ... والمواثيق .. أكانت جعجعه ؟

والدُويلات صغيرات الحمى ... أين حرياتهن الأربعه ؟

هل جرى الغدر على أسطرها ... قبلما يجرى مداد المطبعه ؟

◆◆◆

يا رجالات فرنسا ، أمكم ... خسئت أمّا وساءت مُرضعه

أمكم أنثى على خدر الهوى ... ضيعتْ عزتها مستمتعه

ما دعاها الغدر إلا بادرت ... للدراعيه ولبّت مسرعه

هل درى لبنان من ميثاقها ... قبل أن تبرمه ، أن تقطعه ؟

وطنٌ حر ، ومهد طيب ... يملأ الدنيا جمالا ودعه

احتواكم فاستبحتم أرضه ... ونهاكم فجهلتم موضعه

وحباكم بالندى إصبعَهُ ... مطمئناً ، فقطعتم إصبعه

ليس لبنان من الشرق إذا ... وجد الطامع فيه مطمعه

إنما الشرق سراج مطلق ... وهوى حر وشمس مطلعه

ربوة الأحرار ليست تحتفي ... بغريب الدار إلا طيعه

◆◆◆

يا فرنسا ، وفرنسا فكرة ... كانت الدنيا عليها مُجمِعه

يا فرنسا ، وفرنسا ثورة ... رصعت باللمَحات الممتعه

أين منكِ الفن والشعر وما ... أنشد الكون فرددنا معه ؟

أيــن منــك الأدب الحـر الــذي — أرهــف الــدهر إليــه مــسمعه ؟

والأناشـــيد التـــي وقعهـــا — شـــاعر الثـــورة فـــيها وقعـــه ؟

والمـــساواة التـــي شرعهـــا — فيلـسوف « الـسين » فـيها شرعـه ؟

والإخـــاء الحلـــو والـــروح الـــذي — قـاوم « الباستيل » حتـى صدّعه ؟

أيــن تلــك المثــل العليــا التــي — نمقتهــا منــكِ كــف مبدعــه ؟

إن أتــاك الظلــمُ ناديــتِ بهــا — أو أتيــتِ الظلــم كنــت الإمّعــه

تتبـــاكين عـــلى حريـــة — حرمتهـــاك الحـــراب المـــشرعه

يـا ابنـة « الباسـتيل » هـل قوضـته — لتقيميـــه لنـــا ؟ يـــا للـــضعه

انتقـــام الله مــــا أعظمـــه — وتعـــالى عدلـــه مـــا أروعـــه

ضـاع مجـد « الـسين » في حـاضره — نـــسأل الـــرحمن ألا يرجعـــه

الحُكم التركي

عهـد كلَيـلِ الجاهليـة مغلـقُ — ضـل الهـدى فيـه وضـاع المنطـقُ
كـان الـولاة عـلى الكنانـة معشراً — أحلامهـم سـم الخيـاط وأضيـق
يتـسابقون إلى الشـراء ، كـأنما — شرف الولايـة عنـدهم أن يـسرقوا
والظلـم في مهـد الحـضارة ناشـب — والعـيش متربـة وجهـل مطبـق
والـشعب مكـسور الجنـاح معـذب — يلقيـه للإعـدام حكـم مطلـق
الحكـم للـوالي ، وديـدن حكمـه — أخـذٌ ، فـلا يعطـي ولا يتـصدق
والـصبح في دار الخلافـة داكـن — والبـاب واه والخليفـة أحمـق
يكفيـه أن يـأتي إليـه خراجـه — ومـع الخـراج هديـة وتملـق
والعهـد متكـئ عـلى مجموعـة — فيهـا الرجولـة تـستباح وتُزهـق
مـن كـل مملـوك إذا أرجعتـه — لأصـوله يخفـى الجـواب ويطـرق
يـأتي بـه النخـاس أمـرد يافعـاً — بـضًا يـزف إلى الرجـال ويُـصدَق
فـإذا مـضى مـولاه أرجـف وادعـى — شرف الإمـارة وهـو عبـد معتـق
ومـضى يـسوم الـذل أبنـاء الحمـى — ويخـيفهم سروالـه و « القلبـق »
يجبـى الـضرائب مـن عرايـا جـوّع — جفـت مـزارعهم فليـست تـورق
ويـسوقهم بالـسوط وهـو ربيبـه — ويطـوف بالخـارزق وهـو مخـزوق

شكوك

غمرتُ قلبي بطول ظني ... في كل ما ليس فيه شكُ
يا طيبها سلوة لو اني ... أشك في أنني أشكُ

❖❖❖

أشك في الحب يا حبيبي ... هل يعرف الحب غيرُ آدمْ ؟
ولو تراءت حواء أخرى ... له لألقى بها تقادَم
طبيعة حُكمها علينا ... في كل جيل وكل عالم
أن تفتح القلب للأماني ... وكم ظفرنا بها ، ويا كم
عُدنا إلى ساحة التمني ... نشغل في نارها فتذكو
يا طيبها سلوة لو أني ... أشك في أنني أشك

❖❖❖

أشك في النور حين يبدو ... شعاعه في الصباح هاتفْ
فما لآفاق كل نفس ... تغمرها حلكة العواطف
وما اصطدام المنى وهلا اهـ ... ـتدت بها انساب في المشارف
أم هل ترى أننا خُدعنا ... وهذه ضِحْكة السوادف
تسخر من غفلة ووهن ... والنور في ثغرهن ضِحْكُ
يا طيبها سلوة لو أني ... أشك في أنني أشك

❖❖❖

أشك في اللحن إذ أراهم ... يستشعرون الجمال منهُ
يصغوغه معزف شرود ... أنامل الفن لم تزنه
توثبوا نشوة وغنوا ... بالسحر مما عزفتُ عنه
فهل بقيثارهم جمال ... لكن أذْني لم تستبنه
أم ذلك المعزف المغنى ... ناب وما قيل عنك إفك ؟
يا طيبها سلوة لو أني ... أشك في أنني أشك



حلوان يا مهد الجمالْ ... مهد المفاتن والخيالْ
يا نفحة الأمل الحبيب وروضة السحر الحلال
غلبتْ علىّ الذكريات فجئتُ ألتمس الوصال
إني قضيت بك الطفولة بين شمسك والظلال
مغناي في تلك الربي وملاعبي بين التلال
وعرفت فيك الحب طفلا طيعاً مرح الدلال
ونأيت عنك ، ومهجتي موصولة بك لا تزال

◆◆◆

ومضى الزمان ... وجئت أحسب أن خطوك في انتقالْ
وإخال أسباب الحضارة أبدعت فيك المثال
فغدوتِ بادية الثراء وصرتِ ضاحية الجمال
لكن رأيتك أنت أنت كما برحتك في الضلال
تركوك شبه قصيدة عصماء لم تخطر ببال
تركوك للنسيان مهملة الوسائل والسؤال
جرداء في حضن المياه ودرة تحت الرمال
تتأخرين عن الزمان وترجعين إلى الزوال
تعطين خيرك للخلائق باليمين وبالشمال
تهبين للناس الشفاء وأنت حالك في اعتلال
وكأن ماء العين دمع الحزن في بلواك سال

اخرجوا من بلادنا

« قيلت عقب فشل قضية مصر في مجلس الأمن »

لا تـــدلُّوا فإننـــا لا نـــذلُّ ... مرحبـــاً بـــالخطوب مهـــما تجـــلُّ
قـد فرضـتم عهـد الـصديق علينـا ... فرضـينا بـــه وفي الـــنفس غـــل
ونهانـــا لكـــم بـتـسود الليـــالي ... قـــسمَ كـــاذب وحلـــف مـضل
هـــل نـــسيتم لدنـــشواي حـــديثا ... شـــهداء الحمـــى عليـــه ســـجل
وكتابـــاً مطـــرزاً بالـــدنايا ... كلـــه خـــسة وغـــدر وختـــل
لم تـــزل صـــيحة الـــسياط تـــدوّي ... لم تـــزل صرخـــة المـــشانق تعلـــو
لم تـــزل صـــفحة المظـــالم فيهـــا ... ملؤهـــا لوعـــة ويـــتم وثكـــل

❖❖❖

ويحكـــم ، طالمـــا نحـــاول أن ننـــ ... ـــسى فنلقـــى الآثـــام مـــنكم تطـــل
كلـــما جفـــت الـــدماء اعـــتراكم ... ظمـــأ للـــدماء لـــيس يُبـــل
رحـــم الله « طبرقـــا » إن فيهـــا ... ذكريـــات لنـــا تمـــر وتحلـــو
كـــم ســـمعنا عـــويلكم في رباهـــا ... وشـــهدنا نهـــاركم وهـــو ليـــل
يـومَ هُـنـتم ، طعـامكم مـن تـراب ... والـــشراب المريـــر دمـــع ومُهـــل
وشـــكوتم لنـــا ، فقمنـــا إلـــيكم ... وأمنَّـــا لكـــم وقلنـــا « لعـــل »
ومـــسحنا لكـــم دموعـــاً ، وقلنـــا ... إنهـــم آمنـــوا وصـــاموا وصـــلوا
وقطعنـــا مـــن عيـــشنا ، ووصـــلنا ... عيـــشكم في النـــزال حتـــى تظلـــوا
لـــو نقـــضنا عهودنـــا يومهـــا لم ... يبـــق مـــنكم عـــلى البـــسيطة ظـــل
غـــير أنـــا شرق ، وللـــشرق عهـــد ... وبأبنائـــــه وفـــــاء ونبـــــل

❖❖❖

قل لحمر الوجوه، ما هذه الصبغة ... إلا عار عليكم يدل
من دماء الشعوب، من خمرة الحر ... ب على وجه ظالم يستغل
أيها الباذلون ستين وعداً ... كلها حيلة وخبث ومطل
شعب «ماوماو» يشتكيكم إلى الله، ... وصوت الضعيف بالحق يعلو
وفلسطين، ما لها لقبتكم ... بيهود اليهود؟ أنتم أذل
وبنو الهند عهدكم في حماهم ... كله فرقة وجوع وجهل
إجترأتم على الشعوب، فأنتم ... في صدر الشعوب سم وسل
وحكمتم على الوجود مدى الأجيال ... لا يرتقي ولا يستقل

◆◆◆

اخرجوا من قناتنا، فهي منا ... وإلينا، وبالجلاء تحل
أن رضيتم به خرجتم كراماً ... أو أبيتم فثم روع وويل
اخرجوا من بلادنا واتركونا ... واحملوا جندكم عن النيل واجلوا
ما بمصرٍ لكم مقام، ولا السو ... دان فيه للأجنبيّ محل
إدعيتم حق الوصي عليه ... ضلّ ما قلتمُ، فما هو طفل
وإذا كان ناشئاً، فله في ... مصر أم، وفي الكنانة أهل
قد نمانا له كتاب ودين ... ودم واحد ونيل وأصل
نحن أدنى له وأحنى عليه ... من غريب لخيره يستحل
وخلافاتنا قضية بيت ... ولها في موائد البيت حل
نحن شعب موحد، عقدتُه ... من يد الله عقدة لا تحل

◆◆◆

مجلس الأمن، نحن جئناك بالحـ ... ـق وما في حماك للحق ظل
وإذا الظالمون كانوا قضاة ... كيف يُرجى من المحاكم عدل؟
فسلاماً على سلام حزين ... راعياه السفاح والمستغل

ليَالي الهَرم

يا حبيبي نامت الشمسُ وراء الهرمِ
وتهادىَ القمر النشوان بين الظلم
ملكاً يختال تيهاً فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان إلى الحب ظمي
ها هنا مهدُ أبي الهول هنا كاتم الأسرار من عهد « منا »
هيأ الأحلام والنجوى لنا عبقري الصمت منذ القدم
فتمتّعْ بليالي الهرمِ

◆◆◆

يا حبيبي هذه الربوة لغز العالمينْ
رُقية من سحر فرعون لصد الفاتحين
أين مُلك الفرس والرومان والفتح المبين ؟
أين نا بليون ؟ هل ردّته مرفوعَ الجبين ؟
هذه القمة أم القمم كم طوتْ ثورتها من أمم
وشدا النيل بحلو النغم زالت الأعلام إلا علمى
فتمتع بليالي الهرم
يا حبيبي هذه أمجاد مصر الساحرةْ
كل روح خطرتْ فوق رباها شاعره
قف على الربوة في ضوء النجوم الزاهره
وتأمل فتنة النيل وسحر القاهره
وسني البدر على الوادي يميل والهاً يلعب في شعر النخيلْ
راقصاً في مسرح الموج الجميل بشعاع عبقري ملهم
فتمتع بليالي الهرم

إلى مُشَوِّه الحضارات

« قيلت عقب اشتداد غارات النازيين على القاهرة في الحرب العالمية الثانية »

لا تغلُ في حُلمك يا حالمْ ... وبعضَ هذا الظلم يا ظالمْ

ما للحضارات وآلاتها ... شوهها مطمعك الآثم ؟

كانت بناءً وهناءً ولم ... يكنْ لها الهدم ولا الهادم

كانت صنيع العلم ، ما بالها ... أنكرها الصانع والعالم ؟

❖❖❖

يا راسم الأرض حلالا له ... يشقيك ما أنت لها راسم

أغرقتها في دم أبنائها ... وأنت في لجتها عائم

وقلت أجناس وقسمتها ... فضلت القسمة والقاسم

ما أنكرتْ حواء أولادها ... يوماً ولا أنكرهم آدم

الأبيض الناصع من بطنها ... وصلبه ، والأسود الفاحم

❖❖❖

أسريتَ بالتاريخ في حقبة ... لا غابر منها ولا قادم

« نيرون » لم يحلم بنيرانها ... ولا تمنى ليلها « الحاكم »

الضاحك الباكي

« ألقيت في الحفلة التي أقامتها نقابة الصحفيين تكريماً للأستاذ فكري أباظه»[1].

اخلعوا الغار على هذا الجبينْ واهتفوا للقلم العف الأمينْ

بارك الرحمن فيكم قلما لم تحركه إلى الزيف يمين

قلماً كالسيف .. إلا أنه ضاحك اللمعة جذاب الرنين

قلماً كالكأس .. إلا أنه نشوة تسرى هدىً للشاربين

❖❖❖

يا يراعاً عبقرياً ملهماً ما له في خفة الروح قرين

أيهذا الضاحك الباكي على نُوَب الدهر وأحداث السنين

أيها الساخر من مجتمع زاخر بالأدعياء المرجفين

أيها الناقد من أخلاقنا كل معوجّ عن الحق مهين

أيها الناعي على حزبية ينطوي في ليلها الصبح المبين

أيها الثابت في إيمانه أيها الساري على النور اليقين

أنت سلوى الشعب في بأسائه ومواسي النيل في اليوم الحزين

❖❖❖

(١) فكري أباظه صحفي مصري كبير ولد بمحافظة الشرقية، وتخرج في كلية الحقوق عام ١٩١٧ ، وعمل بالمحاماة ثم بالصحافة ، شهدت مجلة المصور بين أعوام ١٩٣٤ إلى ١٩٧٩ مجده الصحفي، له كتاب «الضاحك الباكي» المحقق.

يا أمير القلم الحر الذي ... ألب الدنيا على الرأي السجين
دولة تمضي .. وتأتي دولة ... وعهود تتولى وتبين
ويراعات بأسواق الهوى ... تشتريها شهوات الحاكمين
عشتَ من أهوائها في عصمة ... ومن الأخلاق في حصن حصين
وترفعتَ عن الصيد .. فما ... كل صيد أجرةُ المال سمين

◆◆◆

يا رعاة الفكر في مصر اتقوا ... في الخلافات عقول القارئين
إنما الصحف رسالات الهدى ... وتنبيهات لأي المرسلين
عارضوا الحكام إما انحرفوا ... وانصروهم إن أفاءوا مخلصين
واعصموا الأهداف من أهوائكم ... وانقدوا للنقد في رفق ولين
وتنادوا بجلاء ناجز ... كل عَرض دونه فهو مهين
واتقوا الرحمن في سودانكم ... إنما السودان إيمان ودين

ذكرى طلعَت حَرب

« أنشودة غنتها أم كلثوم في ذكرى طلعت حرب بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٧ »

يـــا شـــباب الثـــورة البيـــضاء في الـــوادي الأمـــينْ

اذكـــروه ... إنـــه كـــان زعـــيم الثـــائرين

◆◆◆

ثائر لا تنتهي آمالهُ

خالد لا تنطوي آجاله

قلت لما لم يُقم تمثاله

خير تمثال له أعماله

ما لنُا في كل جيل ماله

وبأعناق الورى أفضاله

إن يكـــن ضـــاع مـــع الأحـــزاب أجـــر المحـــسنينْ

فـــاذكروه ... إنـــه كـــان زعـــيم الثـــائرينْ

◆◆◆

ثائر النيل العزيزُ الملهمُ

حسدت مصرَ عليه الأمم

فله في كل بيت أنعم

وله في كل جو أنجم

وله في كل بحر عَلم

وله في كل بر هرم

عبقـــري مـــشرق الـــصفحة مرفـــوع الجبـــينْ

فـــاذكروه ... إنـــه كـــان زعـــيم الثـــائرين

❖❖❖

كرمـــــوا ذكـــــرى الـــــزعيم الأولِ

هبـــــة المـــــاضي إلى المـــــستقبل

مطلـــــع النـــــصر المبـــــين المقبـــــل

قـــــد حبـــــاكم بجليـــــل العمـــــل

وهـــــداكم للجهـــــاد الأمثـــــل

إنـــــه «طلعـــــتُ» نـــــور الأمـــــل

كرمـــوه .. إنـــه كـــان عـــلى العهـــد أمـــين

واذكـــروه ... إنـــه كـــان زعـــيم الثـــائرين

قناتنا

« قليت في ثورة الغرب على مصر عقب تأميم قناة السويس »

يا ابن « بني مر » غسلتَ الجباهْ ... من وصمة الماضي بماء القناهْ
الأرض باسم الله عادت لنا ... فكان حقاً أن تعود المياه

❖❖❖

قل لحواة الغرب لا تهزلوا ... قد كشف العالم فن الحواه
وطلّق السحر ثعابينكم ... وجاءكم موسى فألقى عصاه
قناتنا ... تجري على أرضنا ... وبين بحرينا ... ونحن البُناه
ماذا لكم فيها سوى أننا ... كنا مقيميها وكنتم جُباه
تجري بها الفُلك ، وخيراتها ... لكم ، ونحن الجائعون العراه
تجري على أجساد آبائنا ... الشهداء اليائسين العفاه
راحوا ضحايا سخرة مُرة ... سيق إليها الشعب سوق الشياه
ماتوا بلا ناع وما كفنوا ... قرناً من الأحزان تحت القناه

❖❖❖

قناتنا ... واليوم عادت لنا ... كعودة الروح ببشرى الحياه
لمصر ، لا للغرب ، خيراتها ... كفاه ما قد نال منها كفاه
يميننا للغرب إن مسها ... بالسوء إن نملأها من دماه
تسعون عاماً وهو يغتالها ... وأهلها لا يملكون الشكاه
وشطها يرنو لنا حسرة ... وماؤها يصرخ : أين النجاه ؟

❖❖❖

اليوم نبني « السد » من مالنا ... لا من ندّى الغرب وعون الطغاه
يا ذل شعب عاش مستجديا ... تمتد نحو الغائلين يداه

نشيد العرب

« من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي »

عــرب الــشرق ســلاماً ... عــرب الغــرب تحيــة
يــا حمــاة الــدار والجــار ذوى الــروح الأبيــه
كنــتم أســطورة الــدهر وفجــر المدنيــه
فابعثوهــا أمــة مــأثورة بــين البريــه
تعــشق المجــد وتزهــى بالأصــول العربيــه

◆◆◆

أمــة تــستفتح الــشمس بهــا — في إمــارات الخلــيج العــربي
وتُــواري نورهــا في غربهــا — حــين تغفــو في ربــوع المغــربْ
رحلة تنطق بالمجد التليد
في ربي جُلق والأرز الفريد
وثرى نجد وبغداد الرشيد
وسما الأردن والنيل السعيد
عطرتهــا نفحــة مــن يثــربِ — ونمتهــا عــزة مــن يعــرب
وحــدتها غنــوة المــستطربْ — حــين يــشدو بــك يــا خــير نبــي

◆◆◆

التحيــات لكــم يــا عــربُ — يشرق المجد بكم ... لا يغرب
بقــوافيكم يتيــه الأدب — وبــآهليكم يتيــه النــسب
كرمّ الله سماكم بالضياءْ
وهداكم بأمير الأنبياء
وحباكم كل خير وعطاء
بالغنى والرى من زيت وماء
فــاذهبوا في سبل المجد اذهبوا — شرُفَ الركــبُ وعــزّ الموكــبُ
واطلبــوا أرجوحــة الــشمس — والتحيــات لكــم يــا عــرب

إلى صَديقات الشعب

« تحية لجمعية الخير النسائية »

يـــا صـــديقات اليتـــامى وأســـاة البـــشرية
وهبـــتكم مـــصر مـــن أعماقهـــا خـــير تحيـــه
لجهـــود بـــارك الله معانيهـــا الزكيـــه
مـــسحت دمـــع شـــقي وشـــفت جـــرح شـــقيه

◆◆◆

يـــا دعـــاة الخـــير والرحمـــة والـــروح النديـــة
نـــشر الفقـــر جناحيـــه عـــلى أرض غنيـــه
وتغـــالى المـــرض الفتـــاك في مـــصر الفتيـــه
وعـــدا الجهـــل عليهـــا وهـــي فجـــر المدنيـــه
هـــذه أعـــداؤنا ناشـــبة الظفـــر عتيـــه
ورجـــال النيـــل مـــشغولون عنهـــا بالقـــضيه
فـــاحملوا عـــنهم نـــصيباً في الأمـــاني الوطنيـــه
أنبيـــاء الخـــير غـــابوا فـــاجعلوا مـــنكم نبيـــه
جمعـــت عـــزة فرعـــون وفـــضل العربيـــة

رثاء

تهنِئة شهِيد

« قيلت في حفل تأبين شهيد مصر في الصومال ، المرحوم كمال الدين صلاح عضو لجنة الوصاية الدولية بالصومال - في الجمعية الجغرافية المصرية يوم أول يونيه سنة ١٩٥٧ »

مرحبـاً بـالعزيز في الـشهداءِ ... عـاد عـودَ «الحسين» من كربلاءِ
لست أرثيه ، فالرثاء لميت ... وهـو حـيٌّ في جنـة الأحياء
يُطلق الله خلف كل شهيد ... فـارق الأرض ، فرحـةً في السماء
رُب رأس هـوى بأنأى مزار ... رافعاً رأس مصر للعلياء
قـد غـدا للورى وثيقة حقٍّ ... في كتاب الحريَّـة الحمراء

❖❖❖

أيها الثائرون للمثُل العليا ، ... أتيتم بأروع الآلاء
قـد بعثتم بكل أرض رسولا ... ألمعياً مبشراً بالفداء
من شباب تزاحموا في حمى الحـ ... ـق وعـزوا بالراية الخضراء
فـإذا قوتلوا فقولوا هناء ... لا نـرى فيه موطناً للعزاء

❖❖❖

يا شباب الصومال ، أسمع صوتاً ... من ربي الخلد مخلصاً في النداء
في حماكم كالطير من كل جو ... رخم قوتُها دم الأبرياء
بوجوه تلوح للعين بيضاً ... شُحنت بالمطامع السوداء
مكروا فامكروا ، وكونوا عليهم ... لعنـةَ الأرض وانتقام السماء

❖❖❖

يا شباب الصومال ، لولا الضحايا — لتلاشتْ رسالةُ الأنبياء
لم يزل للظلام في كل جيل — نفرٌ كافر بكل ضياء
يشهد الله لا نمن عليكم — بالذي سال عندكم من دماء
نحن في الدين إخوة ، جمعتنا — في المآسى أواصر البأساء
حسْبنا من دم الشهيد لديكم — أن تسيروا إليه بالشهداء
أن تكونوا لصيحة الثورة الكبر — ى صدىً لا يغيب في الأصداء
أن تكونوا يداً على كل كيد — تنزع الحق من يد الأوصياء
لا تبيعوا استقلالكم بالتمادي — في صراع الأحزاب والأهواء
لا تهدّوا الذي بنته نفوسٌ — مؤمناتٌ بحقكم في البقاء

❖❖❖

أيها الراحل الحبيب ، تقبّلْ — تهنئاتي ، ولا أقول رثائي
سوف تبقى دماك شعلة نور — في دياجي افريقيا الظلماء
وهبتها كنانة الله للحـ — ـق فجادت بأبهر الأضواء
لم تزل مصر مهد كل شهيد — في سبيل العلا وكل فدائي

الشاعر محمد الهمَشري

قال لي صاحبي وقد جُنّت الشـ   ـمس فألقت بجسمها في الماءِ
ألنا أن نسير حتى نرى الصبح   ونقضي لـه بسر المساء ؟
قم بنا نتجه إلى ضفة النيل   وعشب الجزيرة الفيحاء
خطوات النهار للناس لكنْ   خطوات الظلام للشعراء
نحن من نملأ العقول ضياء   ما لنا حاجة بنور ذُكاء

◆◆◆

وانتهينا إلى الجزيرة مغنى الـ   ـزهر والطير والربي والغناء
لفها النيل في ذراعيه وانساب   يغني لها نشيد الولاء
ورمى الموج تحت أقدامها السمر   دُعاباً فأطرقت من حياء
وتعرّت رضية في يديه   وتراخت تراخي الغيناء
ثم لما خاف الظنون عليها   لفها في غلالة خضراء

◆◆◆

جنة الحب يا جزيرة شطآنك   ملهى القلوب والأهواء
جنة الخلد ، غير أن رباها   أمنت آدماً على حواء
وأطل الهلال حيناً فألفى   كوكباً في الضفاف جم الضياء
وأطل الزمان حيناً فألفى   أملاً في الشباب حلو الرجاء
وأطلت عين الخلود فقالت   إن هذا مكانه في السماء
يا رفيق الصبا وهيهات أنسى   الليالي مُخلّدات الصفاء
حين كان الزمان كالزهر في الفجر   وكنا عليه كالأنداء
حين كنا نموّج المناء ضِحكاً   في ضفاف المنصورة الحسناء

(*) محمد عبد المعطي الهمشري (١٩٠٨ – ١٩٣٨) كان من أصدقاء صالح جودت أثناء فترة دراسته الثانوية بمدرسة المنصورة في الفترة من ١٩٢٧ حتى ١٩٣١ ، توفي في ريعان شبابه بعد إجراء عملية جراحية بسيطة ، نشر ديوانه بعد رحيله . (المحقق).

لم نكــن نعــرف التــواريخ إلا — مــن وعــود الحسان عنـد الوفـاء
لم نكــن نعــرف العــشيات إلا — مــن غنـاء الكِـرْوان عنـد المسـاء

❖❖❖

ثــم مــرت مــن الزمــان صروف — وهبطنــا مدينــة الــضوضاء
وبــدأنا الكفــاح في عــالم العيــ — ــش ودنيــا تنــازع للبقـــاء
فجعلنـــا لقاءنـــا فـــترَات — ينفـد الـصبر مـن خطاهـا البطـاء
كــم حثثنـا مـسيرها ، وجهلنـا — أنهــا تنتهـــي لغـــير لقـــاء

❖❖❖

أيـن هـذا الـشباب والأمـل الـضـ — ــاحك بــين الخطــوب والأرزاء
وأحاديثـــك المليئـــة بـــالأحلام — في عـــالم قليـــل الرجـــاء
كنــت ألقــاك والحيــاة تجـافيني — وإعـــصارها يهـــد بنـــائي
فـإذا مـا سـمعتُ ضِـحْكتك العذبـة — أحببـــتُ بعـــدها أعـــدائي
وتمــشّى الــسلام في جــو نفــسي — وتطهــرتُ مــن طويــل عنــائي
وقــرأتُ الحيــاة فيــك كتابــاً — شـــاعري الآمـــال والآلاء
وشـــباباً هـــو الربيـــع الموشـــى — برقيـــق الظـــلال والأضـــواء
حين تبـدو وعـروة الـصدر في ثوبـ — ــك تزهـــو بـــالوردة الحمـــراء
واحمــرار الحيــاة يــشعل خــديك — ونـــور الـــشباب في لألاء
تطــأ اليــأس باعتــداد الأمــاني — وتـــذل الزمـــان بالكبريـــاء
وتغنــى ، وتنهــب العــيش نهبـا — شــأنَ مــن ألهــم اقــتراب الفنـاء

❖❖❖

هأنــا عــدت للجزيــرة وحــدي — أتمــلاك خلــف تلــك المرائــي
ومضت قبـضتي تـصافح يمنـاك ، — فــصافحتُ قبــضة مــن هــواء
وتلفـــت باحثـــاً عـــن أمانيـــ — ــك ، فلـم تهـدني سـوى الاشـلاء
غــير أني أراك في شــعرك الخالــد — روحـــاً يهـــيم بـــالاسراء
وأرى طيفـك المغـرد بـين الزهـر — والطـــير والربـــى والمـــاء
فـــأقول الخلـــود لله ، والله — يعـــير الخلـــود للـــشعراء

(*) انتقل الشاعران إلى مدينة القاهرة عام ١٩٣١ ليلتحق جودت بكلية التجارة ، وليلتحق محمد الممشري بكلية الأداب جامعة القاهرة ، وكان محبًا مقبلًا على الحياة متفائلا باسم الوجه. (المحقق)

أحمد سالم

أأحمد عنكِ يا سمراء غابا ؟ ... وهل نبّاك أن له إيابا ؟

أسائلها فتطرق في ذهول ... وأدعوه فلا أجد الجوابا

وأنظر في الوجوه فلا ألاقي ... على قسماتها إلا انتحابا

إذاً فهي النهاية عاجلته ... فأذوت زهرة وطوت كتابا

وأنهت قصة خطرت علينا ... وكان حديثها عجباً عجابا

◆◆◆

شبابٌ كان مطلعه كريما ... وكانت روحه الشهد المذابا

وكانت نفسه ترد المنايا ... فتغلبها وتقتحم الصعابا

وكم كبرت أمانيه وضاقت ... بهن الأرض فالتمس السحابا

وأوغل في السماء فكرمته ... وزاحم في منازلها الشهابا

◆◆◆

أقول لمعشر عتبوا عليه ... أقلّوا في تذكره العتابا

أقلب في الرجال فلا ألاقى ... كأحمد في عزيمته إهابا

يشق إلى الرغيبة ألف باب ... إذا سد الزمان عليه بابا

ويضحك من مصائبه وكانت ... إذا تُليت على المولود شابا

تذوّق من نعيم الدهر شهدا ... وذاق مرارة الأيام صابا

وما من صدمة عادته إلا ... أفاق على عشيتها وثابا

(*) كانت حياة أحمد سالم (١٩١٠-١٩٤٩) سلسلة من المجد والسقوط، تعرض خلالها للمحاكمة والسجن والانتحار وحكم الإعدام والإفلاس، فضلا عن أنه كان أول طيار مصري، ولد بمحافظة الشرقية، وبعد حصوله على البكالوريوس عام ١٩٣١ عاد لمصر بطائرته من لندن، عمل مذيعًا بالإذاعة المصرية عام ١٩٣٤، وفي عام ١٩٣٥ اختاره طلعت حرب مديرًا لاستديو مصر، اشتهر بمغامراته الزوجية، فتزوج خيرية البكري، وحفيدة محمود سامي البارودي، وتحية كاريوكا، وأسمهان. «المحقق»

وكـم مـن مـرة قـالوا تَـداعَى ... وخـاب رجـاؤه وثـوى وغابـا
فلـم يلبـث أن اسـتدعى إليـه ... زمـام الـدهر يجعلـه ركابـا
وينـزع مـن يـد القـدر الأمـاني ... ويغتـصب العـلا منـه اغتـصابا

❖❖❖

ضـباب حياتـه قـدَرٌ عليـه ... ومَن يـرقَ الـذرى يلـق الـضبابا
ومـن ركـب المخـاطر لا يبـالي ... أألخطـأ في النهايـة أم أصـابا
ومـن عـرف الـشباب ولم يجـرب ... حماقتـه فقـد جهـل الـشبابا
وكـم يجنـي الطمـوح عـلى ذويـه ... فينقلـب الطمـوح لهـم عقابـا
ذكـاء المـرء محـسوب عليـه ... وقـد أدى إلى الـدنيا الحـسابا

❖❖❖

رجـال الفـن ... أن الفـن نـور ... مـن الـرحمن يلهمنـا الـصوابا
ومـن ينـشيء عـلى الأيـام فنًّـا ... كمـن يبنـي المـساجد والقبابـا
ولـولا الفـن يـصقلنا نفوسـاً ... لكنـا في تنافرنـا ذئابـا
ولـولا الفـن في الـدنيا لهانـت ... وكـان جمـال رونقهـا يبابـا
ولـولا أنبيـاء الفـن فينـا ... لألفينـا عواطفنـا خرابـا
فهـل تـدرى الأنـام بـأي دمـع ... بكـى الفنـان إذ خلـق الـدعابا
وأن سُـلافه كانـت دمـاء ... وأن حياتـه كانـت سرابـا
وأن ضـياءه كـان احتراقـاً ... وكـم نجـم تـألق ثـم ذابـا

❖❖❖

إلـه الفـن ، ألهمنـا عـزاء ... فـما احتملـت جوارحنـا المـصابا
كتبـتَ عليـه في الـدنيا عـذابا ... فـلا تحرمـه في الأخـرى ثوابـا

ذكرى نجيب الريحاني ١٩٥٣

ناقد، بل ثائر، بل مصلحٌ ... مثله الدهر به لا يسمحُ

كان فينا فرحة في وطن ... عاش في اغلاله لا يفرح

كان فينا فيلسوفاً ضاحكاً ... وهو إذ يضحكنا لا يمزح

فيلسوفاً ساخراً من عصره ... وهو عصر بالمآسي ينضح

سُوّدت فيه علينا عصبة ... شهوة الحكم بها لا تكبح

أردتْ الأمة في حزبية ... كل حزب بأخيه يُنطح

داولوا الأيام فيها بينهم ... واحد يرقى وثان يُشلح

وإذا الناس علت أناتهم ... حسبوا الناس كلاباً تنبح

آثروا أنفسهم، لم يرحموا ... أمة تشقى وشعباً يكدح

أو يراعوا ربهم في بلد ... لم يزل في ألف قيد يرزح

سدروا في غيهم، حتى إذا ... أذن الله لهم أن يُفضحوا

سلط الله عليهم نفرا ... شُلحوا بالحق فيها شُلحوا

وزعيما فتح الله به ... ما حسبنا أنه لا يُفتح

◆◆◆

أيها الفنان، لو عشت إلى ... أن ترى الأقدار عنا تصفح

لازدهاك اليوم منا أن ترى ... عصبة الغدر وماذا أصبحوا

وزعيما قام في أرض الحمى ... يمسح العار الذي لا يمسح

خلع التاج الذي شبهته ... بقراقوشٍ، وأنت المفصح

---

(١) نجيب الريحاني (١٨٩١ - ١٩٤٩) ممثل مسرحي وسينمائي ساخر، من رواد المسرح المصري، ابتكر شخصية كشكش بك، من مسرحياته: «حمار وحلاوة (١٩١٧)»، و«حسن ومرقص وكوهين»، ومن أفلامه: «سي عمر»، «لعبة الست»، و«أحمر شفايف»، و«غزل البنات».(المحقق)

أنـــت مثلـــتَ ، فمثلـــت بـــه　　شـــارحاً منـــه الـــذي لا يُـــشرح
طالمـــا أضـــحكته مـــن نفـــسه　　وهـــو في غفلتـــه لا يلمـــح
هكـــذا الفـــن ، إذا لم يتجـــهْ　　نحـو أهـداف الحمـى ، لا ينجح

❖❖❖

رب قـول أضـحك الـثكلى بـه　　وهـو في لجـة دمـع يـسبح
كانـت النكتـة منـه حكميـة　　هـي مـن كـل بيـان أفـصح
نكتـة المـذبوح في آلامـه　　حيـنما يـسخر ممـن يَـذبح
نكتـة الفـلاح يـضنى ويـرى　　جهـده نهبـاً لمـن لم يفلحـوا
نكتـة العامـل يـشقى ويـرى　　قـسوة الحرمـان فـيا يكـدح
نكتـة المحكـوم يستـشرى بـه　　في أداة الحكـم مـن لم يـستحوا
نكتـة المحـروم مـن حريـة　　هـي للـشعب الـصمام الأوضـح
وإذا الفـن عـن الـشعب نـأى　　فهـو فـن زائـف لا يـصلح

❖❖❖

أيهـا الغائـب عنـا ، لم يـزل　　فنـك العـالي هنـا لا يـبرح
الـدعامات كـما خلفتهـا　　والـدعابات التـي تُـستملح
والجماهـير التـي هيأتهـا　　لانقـلاب كـان فيـه المطمـح
والأسـاطين الـذين انتـابهم　　في محيـاك المـصاب الأفـدح
لم تـزل روحـك في مـسرحهم　　عاشـت الـروح ، وعـاش المسرح

طلعَت حَرب

جل فيك الرزء عن كل جَلدْ ... يا أبا الشرق وبنّاء البلدْ

مشهد من يوم «سعد» لم يرع ... مثله مصر، ولا الشرق شهد

جمع الأمة في ناصية ... وما نجا فيها من اليتم أحد

قلت للناعي، وقد كذبته ... أيها المائل بالشمس اتئد

صَبوات الموت لم تحلم به ... أن من تنعاه باق للأبد

أيغول الموت محيي شعبه؟ ... لا تقل مات، ولكن قل خلد

ما على الساهر جيلين إذا ... نشد الراحة يوماً فرقد؟

◆◆◆

هاجني الشوق إلى البيت الذي ... كان للشرق مناراً يتقد

سطع الحق على منبره ... وترامى الخير منه والرَّشد

مبعث النهضة، ميزان الهدى ... فجر الاستقلال، حصن المعتقد

فرأيت النور في البيت خبا ... ورأيت الأمل الزاهي جمد

ولواء الحق في نهضتنا ... انطوى في ذمة الله الصمد

◆◆◆

يا نبي الجيل، قم واشرح لنا ... قصة الوحي وردد وأعد

كيف بالله تساميت إلى ... خاطر ما دار يوماً بخلد

أين فرعون وأهرام له ... قدها من خفض أعناق البلد

دفع الشعب إليها بيد ... تلهب السوط وحبل من مسد

من بناء لك أضحى كعبة ... أمها الشرق فصلى وسجدْ

هذه الكعبة باتت موئلا ... للرجاء العبقري المفتقد

(*) طلعت حرب (١٨٦٧ - ١٩٤١) يعد أبا الاقتصاد المصري، أنشأ بنك مصر (١٩٢٠)، ومطبعة مصر، وشركة مصر للتمثيل والسينما، ودعم شركات الغزل والنسيج، وشركة مصر لمصايد الأسماك، وغيرها، وقد ألف عدة كتب منها: «علاج مصر الاقتصادي»، «تاريخ دول العرب والإسلام»، «تربية المرأة والحجاب» (المحقق).

حققت في ربع قرن خاطف ... ما بني الشرق عليها وعقد
وهج المسجد في قاعاتها ... لم يكن في إرم ذات العمد
يا لها معجزة في زمن ... زعموا الإعجاز فيه قد نفد

❖❖❖

بطل الثورة لم تسفك دما ... ردت الغاضب مفقود الجلد
لم تحاربه بنار وقنا ... بل بقرطاسين، سهم وسند

❖❖❖

زعموها أمة عابثة ... تعشق اللهو فهيهات تجد
أمة صماء لم ترقص على ... نغم المال وموسيقا العَدد
فتجليت لهم في صيحة ... كزئير الليث منشور اللبد
أظلم الدهر فقلت اقتصدوا ... كُتب المجد لشعب يقتصد
صيحة البعث التي أسريتها ... سريان الروح في ميْت الجسد
قلت هذى أمة تاريخها ... مفرد بين التواريخ وحد
نهض الفن على أقدامها ... وعلى أكتافها العلم صعد
أمة تأكل من أحلامها ... وسوسات الشر من «فرق تسد»
أمة فيها بنيت المحدث ... لا يذل الله شعباً يتحد
فإذا ما طلبوا مستندا ... قل لهم في بنك منصر المستند

❖❖❖

لك في المرأة قول رائع ... لو عقلناه سمونا بالبلد
الحجاب الطهر والخدر الذي ... كثر اللاحي له والمنتقد
وإذا الشعب من الغث ارتوى ... رخص الغالي لديه فكسد
دعوة قام إليها «قاسم» ... وهو لو يدري مداها لقعد
يا شباب الجيل، لا تندفعوا ... خلف تيار الحضارات الجدد
إتبعوا الصالح منها وانبذوا ... فكرة ضلت وميزاناً شرد
ألزموا المرأة خدراً طاهراً ... قائم الأركان مرفوع العمد
لا تجروها إلى مجتمع ... لم يطأه ملك إلا فسد
وادرءوا الأعين عنها واحذروا ... عبث اللبْوة إن غاب الأسد

واستبدوا في حمى الخير بها ... « إنما العاجز من لا يستبد »
واتقوا التاريخ في أبنائها ... إنها تكتبه فيما تلد
فهي أرض تنبت النسل فمن ... زرع الخير أو الشر حصد
وهي في الحرية العمياء لا ... تقدر الزوج ولا ترعى الولد

❖❖❖

أيها الرائح تشكو غصة ... لا تروعنك أيام النكد
لا يروعنك من آلامها ... شانئ قال ومأفون حقد
جحدوا خيرك، والخير إذا ... كان في دنيا من الشر جُحد
حسدوا الشمس على إشراقها ... لا يين الفضل إلا بالحسد
ساءهم بعدك مني أنني ... عن وفائي بيميني لم أحد
أخلفوا الوعد ولاذوا بالهوى ... بيننا أنجز حر ما وعد
أنا جردت عليهم قلما ... لم تحركه لغير الحق يد
قلما أمسى لديهم غصة ... وهو في سامرك الطير الغرد
أين مجرى الرزق من مناعه ... ويد الإنشاء من أيدي الهدد
سوف يبقى اسمك في سفر العلا ... ويولون كأصفار العدد
إنما يمكث في الأرض الذي ... ينفع الناس، ولا يبقى الزبد

❖❖❖

نم قرير العين، فالإرث الذي ... خلفت يمناك باق للأبد
فهو في أعناق جيل مخلص ... لتعاليمك ماض محتشد
أيها المحروم منها ولدا ... جعل الله لك الجيل الولد
من شباب بارك الله لهم ... ذلك الجهد وحيا وحمد
أخذوا الدنيا كما لقنتهم ... المنى فيها نصيب المجتهد
واقتفوا آثارك الغر إلى ... هدف النصر، ومن جد وجد
ليس يستعجب منهم عجب ... هذه الأشبال من ذاك الأسد
فدع الآمال في أعناقهم ... إنهم بعدك للخير رُصُدْ

(*) عمل صالح جودت في مطلع حياته ببنك مصر لفترة قصيرة، تعرف خلالها على طلعت حرب قبل أن يتفرغ للأدب والصحافة وكتابة الأغنيات الإذاعية والسينمائية.

عزيز فهمي

أذعنتُ للأمر حتى لم يعد بيدي ... ولذتُ بالصبر حتى خانني جلدي
وما عزائيَ فيه بعد غيبته ... وإنه لحبيبي .. إنه كبدي ؟
وما عزاء بلادي وهي ثاكلة ... عزيزها وضحاها في ظلام غد ؟
وما عزاء أب أضحى بلا أمل ... يقول في ذمة الرحمن يا ولدي ؟
لكنها حكمة في الغيب غامضة ... لا رأى فيها لغير الواحد الصمد

❖❖❖

قالوا طوته مياه النيل ، قلت أجل ... عرفته في هواها غير متئد
يا عاشق النيل ، هل عانقته شغفاً ... وهل رويت به قلباً إليه صدى ؟
أم ضمك النيل إشفاقاً على حرق ... لعل في حضنه برداً لمبترد ؟
أم سقتَ روحك قرباناً لنصرته ... أم شئتَ ألا تراه غير متحد ؟
أم شيمة الماء يطوى كل لؤلؤة ... من الكرام ولا يأتي سوى الزبد ؟
هذا خلود لو أن النّاس تفهمه ... حتى على الموت لم تسلم من الحسد
يا صاحب المثل العليا ورائدها ... ونور مصر الذي ولى ولم يكد
يا حاطم القيد من أيدي صحافتها ... يجزيك ربك عنها أجر مجتهد
الله في وثبة للحق رائعة ... كوثبة الشبل مهتاجاً على الوتد
وقفت في مجلس النواب ترسلها ... حرية الصحف من حرية البلد
ولم تبال صحاباً ، أنت ناصرهم ... بما فعلت وواقيهم من البلد

(*) د. عزيز فهمي (١٩٠٩-١٩٥٢) ابن عبد السلام فهمي أحد أقطاب الوفد، كان أديبًا وشاعرًا وكاتبًا صحفيًا ووطنيًا يساريًا ، ولد بطنطا ، وتخرج في كلية الحقوق (١٩٢٧) ، وانتسب للآداب، وحصل على الليسانس (١٩٣١) ، ثم حصل على الدكتوراه من السربون في القانون ، وفي الآداب (١٩٣٨) ، له ديوان شعري قدم له د. طه حسين . (المحقق)

ولم تبال رجالا ، ليتهم عرفوا | أن الغضوب لحق غير منتقد
إن عاب قوم على الدستور فعلتهم | فأنت في الناصريه خير مستند
إن الدساتير إن لم تحمها أسس | من الرجولة لم تثبت على عمد
وما الدساتير إلا من يقوم بها | إن زل زلت ، وإن ينهض بها تسد

❖❖❖

يا قائل الحق بين الناس في زمن | الحق فيه يتيم غير ذي سند
كأن قائله يُلقىَ بلاَ نسب | إلى المقادير ، لم يولد ولم يلد
كم قلتَ لي ... لا تدع حقاً تشايعه | ولو لبست عليه الطوق من مسد
فإن غُلبت عليه ، زده تزكية | واثبت له كرسول الله في أُحُد

❖❖❖

كم ليلة يا عزيز الروح باكية | مرت عليّ مرور السهم بالزرد
ذكرتُ فيها ليالينا ومعبدنا | إذ أنت نور وإيناس وكأس دد
تطوفُ بي في سماء عز نائلها | من شعرك العبقري الملهم الغرد
وكنت أسأل نفسي كلما خطرتْ | ذكرى مواقفك العصماء في خلدي
هذا الضئيل الذي دقت ملامحه | حتى كأني به روح بلا جسد
تزلزل القبة الشماء صرخته | ويرعد المحتمى في موطن الأسد ؟
آمنت بالحق إيماني بخالقه | لا يخذل الله إيماناً لمعتقد

❖❖❖

يا مقبلين على الشورى خذوا مثلا | من العزيز وكونوا أكرم الرصد
إن لم تكونوا ، فقد ردت نيابتكم | إلى غياهب حكم المطلق الوحد
ويا شباب الحمى صلوا على أمل | أنقى من الصبح إيماناً وطهر يد
لو ائتلفتم على تكرار سيرته | لبوركتْ شعلة الأطهار في البلد
ويا عزيز النوى ذكراك باقية | يذكو بها موقد الأحرار للأبد

أنطون الجُميّل

ردوا الدموع فما تغني عن الألم ... لورُدّ بالدمع مقدور بذلت دمي

حياتنا قصة تجري إلى أجل ... وكلنا عدم يمشي إلى عدم

وليس تخلد غير الذكريات فمن ... واتته دام، ومن فاتته لم يدم

وسوف تنشر في الأخرى صحائفنا ... ومن صحيفته «الأهرام» يغتنم

خوفو بناها على وجه الثرى قمماً ... وأنت شيدتها أعلى من القمم

جعلتها صفحة للحق خالصة ... عن كل حزبية عمياء في صمم

أنشأت فيها تقاليداً مؤثلة ... قامت من المثل العليا على دعم

أعلى البناء، إذا لم يبق متكئاً ... على التقاليد لم يثبت على قدم

وكنت تشرع دستوراً لمن كتبوا ... وكنت تفهم ما حرية القلم

لا يخدم القلم النحرير أمته ... إن لم تقيد خطاه أشرف اللجم

وربَّ قيد يرد النفس عن زلل ... ورب حرية تودى إلى النقم

والكاتب الحق من تحصى يراعته ... رعاية الله والأوطان والحُرم

❖❖❖

يا ساهد الليل في أحلام أمته ... أفنيت عمرك سهداً، فاسترح ونم

هل ضقت بالدهر، أم ضاقت مواكبه ... عما بنفسك من نبل ومن عظم

كم قربتني إلى الأهرام عاطفة ... ورب عاطفة أدنى من الرحم

وكم حفلتَ بشعري في خمائلها ... فكنتُ في روضها اختال في نغمي

(*) أنطون الجميل (١٨٨٧ - ١٩٤٨) أحد رواد الصحافة المصرية، ولد ببيروت، ونزح لمصر (١٩٠٩)، وأصدر مجلة الزهور (١٩١٠)، وتولى رئاسة صحيفة الأهرام (١٩٣٣) حتى وفاته، له مؤلفات مسرحية وأدبية وتاريخية منها مسرحيا: «أبطال الحرية»، «وفاء العرب»، وله تراجم عن: «شوقي الشاعر»، «ولي الدين يكن»، «خليل مطران»، «البحر المتوسط»، وترجم «الفتاة والبيت». «المحقق».

وكم قضيتَ لمحتاجيك حاجتهم | وكم سُئلت فلم تعرف سوى نعم
الله في مجلس التشريع تتركه | وأنت في جانبيه جامع الكلم
الله في مجمع للضاد تهجره | وأنت في رائديه حكمة الحكم
فليكْرم الله روحاً كان معدنها | من التسامح والإيثار والكرم
الله في مصر يفنى في قضيتها | شيخ من الارز أو ليث من الاكم
أسمى من الشمس إدراكاً فليس يرى | مسافة الناس بين الارز والهرم
الله في راية الإسلام يرفعها | عند الحوادث قلب للمسيح نُمي
يرى العروبة إيماناً ومعتقداً | ولا يفرق بين القدس والحرم
في ذمة الله رضواناً ومنزلة | سدرة المنتهى يا راعي الذمم

إبراهيم المازني

الراحلـــون مثالـــب ومثـــاني   فـإذا ذُكـرتَ فـما لـذكرك ثـان

دنيـا مـن الأدب الرفيـع ودولـة   مـأثورة بالحـسب والإحـسان

❖❖❖

رزء الـصحافة فيـك رزء نجيبـة   فقـدت بفقـدك أكـرم الولـدان

يا واحد الأدب الشريف وصاحب   القلـم العفيـف وطـاهر الوجـدان

أنـشأت مدرسـة الجديـد حبيبـة   للقـارئين عزيـزة البنيـان

ومـلأت أيـام « الـبلاغ » بلاغـة   وغمـرت آفـاق « الأسـاس » معاني

وشرعـت في لغـة الـسياسة شرعـة   جـاءت منزهـة عـن البهتـان

ومـضيت في الأحـزاب غـير مهـاتر   وتركـت مـن تركـوك غـير مـدان

كـم ساوموك عـلى الولاء فلـم تـرم   غـير الـولاء لمـصر والـسودان

حزبيـة بلغـت لـديك سـموها   موهوبـة لله والأوطـان

❖❖❖

مـاذا جنيـت مـن الحيـاة وجهـدها   غـير الـشقاء وكثـرة الأحـزان

كانـت حياتـك قـصة عنوانهـا   بـؤس الأديـب ولوعـة الفنـان

قـالوا أمـير الكـاتبين فقلـت هـل   بُلـت بقـولتهم لـه شـفتان ؟

يـروى النفـوس بكـل كـأس حلـوة   وحياتـه كـأس مـن الحرمـان

ويـشيع ألـوان الجـمال عـلى الـورى   وحياتـه تجـرى بـلا ميـزان

(*) إبراهيم المازني (١٨٩٠-١٩٤٩) أديب مصري ساخر، ولد بالقاهرة، وتخرج في مدرسة المعلمين (١٩٠٩)، واشتغل بالتدريس، ثم تركها للعمل بالصحافة والأدب حتى رحيله، أنشأ العقاد وعبد الرحمن شكري مدرسة الديوان (١٩٢٠)، من أعماله: «ديوان المازني»، «حصاد الهشيم»، «إبراهيم الكاتب»، «صندوق الدنيا»، و«خيوط العنكبوت»، وترجم عن الإنجليزية شعر الخيام. (المحقق)

وإذا أجـــاد فـــيا أفـــاد لنفـــسه ... خـــيراً ولم يـــسلم مـــن الـــشنآن
فـــإذا انتهـــى فنهايـــة محزونـــة ... لروايـــة مقروحـــة الأجفـــان
حفـــل بقـــام وخطبـــة وقـــصيدة ... وســـتارة تنـــساب للنـــسيان

❖❖❖

لا تـــأس إبـــراهيم أنـــك خالـــد ... في ذمـــة الأجيـــال والأزمـــان
تبقـــى عـــلى الأيـــام معنـــى رائعـــاً ... مـــا النـــاس بعـــد المـــوت غـــير معـــاني
يـــا أيهـــا القلـــب الـــذي غلـــب الأســـى ... وتحمّـــلَ البلـــوى بغـــير هـــوان
ومـــضى يـــدافعها بخفـــة روحـــه ... ويـــضاحك الـــدنيا بقلـــب عـــان
لم تلـــق في الـــدنيا لروحـــك رحمـــة ... فاذهـــب فعنـــدك رحمـــة الـــرحمن

ذكرى نجيب الريحاني ١٩٥٥

أنعـم بـذكراك .. نرويهـا فترويـنـا ... يـا راحـلا .. لم يـزل يحيـى ليالينـا
ذكرى كلمح السني في ضوء حاضرنا ... أو أنهـا قـبس في ليـل ماضـينا
يا ساخراً من هوى الدنيا التي عميت ... عـن الحقـائق واختلـت موازينـا
يـا ثـائراً قبـل عهـد الثـائرين عـلى ... من أرخصونا وغالى سهمهم فينا
الحـاكمين بـأمر الله ... مـا حفظـوا ... لله حتـى اليتـامى والمـساكينا
شـادوا بـأطماعهم دسـتور دولـتهم ... ونظّمـوا الظلـم في الـوادي قوانينـا
وأنـشأوا مـذبحاً أمـوه آلهـة ... وقـدمونا ضـحايا .. أو قرابينـا

❖❖❖

مثلـتَهم صـوراً للنـاس مـضحكة ... ورب أضـحوكة تـذكي البراكينـا
الملـك ... مثلتـه لله رايتـه ... لا للملـوك المعـزين المـذلينا
والحكـم .. مثلتـه للـشعب غايتـه ... لا للطغـاة البغـاة المـستغلينا
والـدين .. مثلتـه للخـير آيتـه ... لا للـمدعيّ إذا مـا قـال آمينـا
والحـب .. مثلتـه نجـوى ملائكـة ... يقدسـون المعـاني ... لا شـياطينا
والجـاه .. مثلتـه علـماً وتربيـة ... لا زخرفـاً وطـلاءً للمـضلينا
والمـال مثلتـه بـذلاً وتـضحية ... لـيس الغنـي الـذي يطـوى الملايينـا

❖❖❖

يا حكمة من دموع الناس تضحكنا ... حيناً .. ومن ضحكات الناس تبكينا
كـأنها خـالق الآلام .. بـددها ... بآيـة منـك ... فـافترت مآقينـا

❖❖❖

يا صاحب الصوت خشناً فيه حشرجة   كأنه من ضمير الغيب يأتينا
فما تهدج إلا من مشاعرنا   ولا تحشرج إلا من مآسينا
كم اهتززنا على إيقاعه طرباً   وكم سمعناه أحلى من أغانينا
ليس الغناء الذي يرضى غرائزنا   إن الغناء الذي يرضى أمانينا

❖❖❖

يا سيرة في كتاب الفن باقية   على المواسم ... نحييها فتحيينا
قم تلق مسرحك المزهو مؤتلقاً   وحيّ اخوانك الغرّ الميامينا
صانوا رسالتك الغراء .. فازدهرت   حتى كأنك حي لم تزل فينا
ولم يزل صوتك الغالي يداعبنا   ولم يزل فنك العالي يناجينا

❖❖❖

محمود فهمي النقراشي

أمثلك لا يستحق الحياهْ ؟ ... لنا الله في مصر ، واحسرتاهْ
وما حيرتي فيك موت الشهيد ... ولكنها حيرتي في الاداه

❖❖❖

أصدق لو قيل مغتاله ... غريب عن النيل يطوى لواه
عجبتُ لجيل من الناشئين ... غرير الصفات قليل الاناه
يشايع في الرأي أهل الضلال ... ويهتف للسادرين الغواه
ويصبغ تاريخنا بالدماء ... ويبعث في مصر حكم الرعاه
ويجعلنا لقمة الطامعين ... ويمنحهم حجة في حماه
متى زعموا أننا أمة ... شريعتها طلقات الجناه

❖❖❖

ويالله ماذا جنته البلاد ... من الغدر بالأكرمين الأباه ؟
أرد على مصر سودانها ... وأنقذه من أيادي الطغاه ؟
أحقق أحلامنا في الجلاء ... وأخلى من الغاصبين القناه ؟
يميناً لو أن زكاة البلاد ... دمٌ لتمنى الشهيد الزكاه
ولو كان في موته مغنم ... لما استعجل الموت إلا يداه
ولكنها حكمة الجاهلين ... لنا الله في الجيل ماذا دهاه ؟
وما لي أعاتب أهل الضلال ... وتاريخهم طال عهداً وشاه
وفي كل جيل لهم قصة ... مع الصفوة الحرة المرتجاه
أما طال إيذائهم للمسيح ... ونال النبي عليه الصلاه ؟
وكم آذوا الأولياء الكرام ... وكم حاربوا المصلحين الكفاه

(*) محمود فهمي النقراشي (١٨٨٨ - ١٩٤٨) سياسي مصري مرموق ، برز كقطب وفدي بعد ثورة ١٩١٩ ، عينه سعد زغلول وكيلًا لوزارة الداخلية (١٩٢٣) ، اعتقل عدة مرات بتهمة الاشتراك في الاغتيالات السياسية ، تولى وزارة المواصلات (١٩٢٩) في وزارة النحاس ، وفي عام ١٩٣٧ انشق عن الوفد ، وألف مع أحمد ماهر الحزب السعدي، كانت مواقفه وطنية ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر ، طالب مجلس الأمن عام ١٩٤٧ باستقلال مصر، تولى الوزارة بعد اغتيال أحمد ماهر (١٩٤٥) ، لكنه اغتيل في ديسمبر ١٩٤٨ . «المحقق».

وكـادوا لـسعد وهـوا بـه ... ومـات بأيـديهمُ صـاحباه

❖❖❖

أسـائلهم عـن أبي « هـانئ » ... أتهمتُـه زهـده أم تقـاه
فـلا العـزل بـدل أخلاقـه ... ولا الحكـم غـيره وازدهـار ؟

❖❖❖

اتهمتـه عنـدهم أنـه ... فتـى سـعد أقـبس مـن سـناه
أقـام عـلى عهـده في الجهـاد ... وسـار عـلى نهجـه واحتـذاه
وكـان المقـرب في صـحبه ... وكـان المنـزه في أصـفياه ؟

❖❖❖

اتهمتـه عنـدهم أنـه ... تنكـر للغاصـبين العتـاه
فأججهـا ثـورة في الـبلاد ... وأشـعل فيهـا أمـاني صـباه
فـلا الـسجن أثـر في عزمـه ... ولا قـسوة القيـد أوهـت قـواه ؟

❖❖❖

اتهمتـه عنـدهم أنـه ... لـدى مجلس الأمـن دوّى صـداه
وغنـي هنـاك بأنـشودة ... مخلـدة لم يقلهـا سـواه
وكانـت مواقفـه قـصة ... على الـدهر تبقى حـديث الـرواه ؟

❖❖❖

اتهمتـه عنـدهم أنـه ... أغـاث فلـسطين غـوث الأبـاه
تخلـف عـن عونهـا الأقربـون ... فمـد إليهـا سـبيل النجـاه ؟
اتهمتـه عنـدهم انـه ... تـذرع بالـصمت عـما عـداه
ومـا كـان والله صـمت العيـي ... ولكنهـا عـصمة في الـشفاه ؟

❖❖❖

اتهمتـه عنـدهم أنـه ... إلى المـال لم تنحـدر راحتـاه
إذا حـسبوا ثـورة في النـضار ... فـما كـان أفقـره في العفـاه
وان حـسبوا ثـروة في الـضمير ... فـما كـان أوفـره في غنـاه ؟

❖❖❖

سـلاماً عـلى طهـره في الحيـاه ... ومنزلـه الطهـر عنـد الإلـه

صالح جودت

أغنيات على النيل
(١٩٦٢)

(*) صدر ديوان أغنيات على النيل عام ١٩٦٢ عن «دار مصر للطباعة» بالقاهرة بغلاف ولوحات داخلية للفنان جمال قطب، وكان إهداء الشاعر لديوانه هو: «إلى أروع أغنية على النيل: جمال عبد الناصر».

وطنيات

آذان الحق

« ألقيت في الحفل الشعبي الكبير الذي أقامه الاتحاد القومي بميدان الجمهورية احتفالا بمرور ثلاثة أعوام على وحدة مصر وسوريا ، في فبراير سنة ١٩٦١ » .

أذّن الحــق ، ونادانـــا الفـــداء ... شــاعرَ الثـــورة قـــم لَـــبِّ النـــداء
أذّن الحـق ، ومــا الحـق ســوى ... فرحــة العُـــرب بميعـــاد اللقـــاء

◆◆◆

أنـــا ناديـــتُ فلّبـــاني أخـــي ... مــن ربـوع الشام مهـد الأوفيـاء
وأخــي في « بــرَدَي » مــن كــان لي ... ليلــة العــدوان درعـــا ووقـــاء
نحـــن شـــعبٌ واحـــدٌ ، فرّقـــه ... هـــاتف الســوء وجهـــل الـــزعماء
نحـــن شـــعبٌ هـــيِّنٌ في جـــسمه ... كـل جـرح ، غـير جـرح الكبريـاء

◆◆◆

يـــا أخـــي ، ردّدْ لبـــاقي إخـــوتي ... من رُبى الأطلس خلف الصحراء
لخلـيج العُـرب ، لا الفـرس ، فـما ... كـــان فيـــه الفـــرس إلا أدعيـــاء
قـــل لبـــاقي إخـــوتي ، هيـــت لكـــم ... قـــل لهـــم أيّـــان ميعـــاد الوفـــاء
لنقـــيم الفرحـــة الكـــبرى عـــلى ... جـــدث الغـــرب وقـــبر العمـــلاء
نحـــن صـــلّينا عـــلى اســـتعمارهم ... ودفنّـــاه ، فطـــاروا للفـــضاء [1]
لَفَظـــتهُم أرضـــنا ، فليحلمـــوا ... وليقيمـــوا ألـــف مُلـــك في الهـــواء
وليجوبـــوا الـــسّبع ، وليـــستعمروا ... فَلَـــك المـــريخ أو عـــرش ذُكـــاء
فلهـــم في الـــوهم ســـلوى وعـــزاء ... ولنـــا يـــا إخـــوتي طـــول البقـــاء

◆◆◆

فلنلُـــذْ بـــالعروة الـــوثقى لكـــي ... يـــشهد العـــالم أنّـــا أقويـــاء

---

(١) إشارة إلى غزو الفضاء الذي سادت بدعته بعد انهيار الاستعمار من الأرض .

لتكـــون الوحـــدة الكـــبرى رُبًـــى ... تزدهـــي فيهـــا رءوسُ الـــشهداء
لنـــرى أرض فلـــسطين اكتفـــت ... واحتفـــت بـــاللاجئين التعـــساء
لنـــرى نجمـــة صـــهيون اختفـــت ... مـــن بـــلادي ، مـــن بـــلاد الأنبيـــاء

❖❖❖

يـــا بـــن روح الله يـــا عيـــسى انتبـــه ... إن في دينـــك رهطـــاً أشـــقياء
دينـــك الرحمـــة والحـــب معـــا ... كيـــف في الغـــرب ادّعـــاه الأدعيـــاء ؟
كيـــف لاذوا بـــك ، مـــن لم يؤمنـــوا ... بـــسماء أو ســـلام أو إخـــاء ؟
نـــصروا أعـــداءك الخُبْـــث عـــلى ... قومـــك المستـــضعفين البؤســـاء
جرّعـــوا أهلـــك في القـــدس الـــردى ... صـــلبوهم ... شردوهـــم في العـــراء
أهلـــك استـــنجدوا، فـــلا صـــنتهم ... من شرَى الجـــوع وأنزلـــتَ العـــشاء [1]

❖❖❖

يـــا كلـــيم الله يـــا موســـى انـــتفضْ ... فعـــلى دينـــك في الأرض العفـــاء
رُدَّ أحبـــارك عنـــا ، إنهـــم ... شـــبعوا في الكـــون بيعـــاً وشراء
جئـــتهم أنـــت بتـــوراة الهـــدى ... كيـــف بـــاعوه بتـــوراة الثـــراء ؟
عبـــدوا الـــدولار ، ذلـــوا عنـــده ... لعبـــوا بالنـــار ، غـــالوا الأبريـــاء
نـــصبوا في حـــرم القـــدس الخنـــا ... وبنـــوا حانـــاً وملهـــى للبغـــاء
والوصـــايا العـــشر لم يحفـــوا بهـــا ... فهـــي بهتـــان ولغـــو وهـــراء
أطفـــأوا النـــور الـــذي جئـــتَ بـــه ... هـــل لنـــور الله في الأرض انطفـــاء ؟

❖❖❖

يـــا حبيـــب الله يـــا طـــه ابـــتهج ... أنجـــز الأحـــرار مـــا شـــاء الـــدعاء
لـــو أطـــاق الـــذكْر رفـــدا لاحتـــوى ... ســـورة الثـــورة ميـــلاد الرجـــاء
إنهـــا نـــور وعـــزم وهـــدًى ... إنهـــا حـــق وعـــدل وبنـــاء

(١) إشارة إلى معجزة العشاء الرباني الذي أنزله عيسى من السماء .

آذان الحق

أذّن الحـــق ، ونادانـــا الفـــداء　　شـاعرَ الثـورة قـم لَـبِّ النـداء
أذّن الحق ، ومـا الحـق سـوى　　فرحـة العُـرب بميعـاد اللقـاء

◆◆◆

أنـــا ناديـــتُ فلّبـــاني أخـــي　　مـن ربـوع الـشام مهـد الأوفيـاء
وأخـي في « بـرَدَى » مـن كـان لي　　ليْلـة العـدوان درعـا ووقـاء
نحـن شـعبٌ واحـدٌ ، فرّقـه　　هـاتف الـسوء وجهـل الـزعماء
نحـن شـعبٌ هّـين في جـسمه　　كـل جـرح ، غـير جـرح الكبريـاء

◆◆◆

يـا أخـي ، ردّدْ لبـاقي إخـوتي　　من رُبى الأطلس خلف الصحراء
لخليج العُـرب ، لا الفـرس ، فـما　　كـان فيـه الفـرس إلا أدعيـاء
قـل لبـاقي إخـوتي ، هيـت لكـم　　قـل لهـم أيّـان ميعـاد الوفـاء
نـاصر الثـورة ، حيَّـاك الحيـا　　وحبـاك الله ظـلا وأفـاء
أنـا أدعـو لـك في الـشهر الـذي　　تـتجلّى فيـه أبـواب الـسما
أن يفيـك الله بالظـل كـما　　ظلـل المختـار في غـارِ حـراء
أيهـا الذائـد عـن أمتـه　　أيهـا الباعـث عهـد الخلفـاء
قـسماً ، لـولا التقـى يعـصمني　　قلـت هـل عـاد زمـان الأنبيـاء ؟

◆◆◆

أيـن مـن عهـدك عهـدٌ ذاهـب　　غـاب فيـه الخـير واسـتحيا الحيـاء
وطغـت فينـا عـصابات الرُشـى　　وبغـت فينـا حكومـات النـساء
وتجـرَّى في حمانـا ملـك　　يخـرق الأرض ويمـشي الخـيلاء

(*) « ألقيت في الحفل الشعبي الكبير الذي أقامه الاتحاد القومي بميدان الجمهورية احتفالا بمرور ثلاثة أعوام على وحدة مصر وسوريا ، في فبراير سنة ١٩٦١ » ، وقد صادف الحفل الذي ألقيت فيه القصيدة شهر رمضان المبارك .

كـــان فيـــه الكـــبْرُ يغـــلي بيـــنما ... تنـــضح الذلـــة مـــن نفـــس الإنـــاء
فهـــو في طاغوتـــه يحكمنـــا ... مـــثلما يحكـــم فيـــه الـــسفراء
شـــاء مـــا شـــاء ، ولم يُـــوحَ لـــه ... ســـاعة الـــصفر بـــأن الله شـــاء

❖❖❖

أذّن الحـــق ، ومـــا الحـــق ســـوى ... صـــيحة التحريـــر في إفريقيـــاء
مـــن هنـــا هَبـــت وشـــبّت دعـــوةٌ ... تـــشعل الليـــل وتُـــسفي الـــصحراء
زلزلـــت « أوراس »[1] فانـــدك عـــلى ... بـــائعي الظلـــم وتجـــار الـــدماء
واشرأبـــت نارهـــا فارتفعـــت ... في ربـــوع الـــسود أعـــلام الجـــلاء

❖❖❖

أيهـا الراثـون لومومبـا[2] اخـشعوا ... إنـــــما القاتـــــل أولى بالرثـــــاء
انظـــروا القاتـــل ، مـــا مـــن ملـــة ... لم تـــــردد أنهـــــا منـــــه بـــــراء
وانظـــروا المقتـــول يلقـــى الله في ... موكـــب المجـــد وعـــرس الـــشهداء
ذبحـــوه ؟ بـــل أراهـــم ذبحـــوا ... شرف الغـــرب وعِـــرْضَ الحلفـــاء
وأدالـــوا العـــالم الحـــر لقّـــي ... وأحـــالوا مجلـــس الأمـــن هبـــاء
أحرقـــوا جثتـــه ؟ طـــوبى لـــه ... يـــا لمجـــد أحرقـــوه فأضـــاء
وغـــدا نـــاراً عـــلى أعدائـــه ... وغـــداً نـــوراً لعـــشاق البقـــاء

❖❖❖

في غـــدٍ نخطـــر أمٌّ حـــرة ... في يـــديها طفلهـــا غـــض الـــنماء
وتـــصلي ، ويـــصلي معهـــا ... لرمـــاد ذي عبـــير وضـــياء
وتغنـــى : مـــن هنـــا يـــا ولـــدي ... مـــن هنـــا يبـــدأ تـــاريخ الإبـــاء
هـــا هنـــا يـــا ولـــدي قـــبر أب ... مـــات بالمجـــد ، وإن المجـــد داء
وهنـــا يـــا ولـــدي يرقـــد مـــن ... قـــد بنـــي كعبـــة خـــط الاســـتواء

---

(١) أوراس : جبال الجزائر .
(٢) باتريس لومومبا ، شهيد الحرية في الكونجو .

طلعت حرب

« ألقيت في حفل تأبين المغفور له الزعيم الاقتصادي الكبير طلعت حرب ، الذي أنشأ للاقتصاد العربي حصونا وقلاعا شما ، ثم حاربه خصومه من كبار الحزبيين في البلد ، فعاش في محنة نفسية إلى أن لقي وجه ربه ».

جلَّ فيك الرُّزء عن كل جَلَدْ ... يا أبا الشرق وبنّاء البلدْ

مشهدٌ من يوم « سعد » لم يرعْ ... مثله مصرَ ، ولا الشرق شهد

جَمَعَ الأمة في ناصية ... ما نجا فيها من اليُتم أحد

◆◆◆

قلتُ للناعي ، وقد كذَّبته ... أيها المائل بالشمس اتّئد

صَبَوَاتُ الموت لم تحلم به ... إن من تنعاه باقٍ للأبد

أيغول الموتُ محيي شعبه ؟ ... لا تقل مات . ولكن قل خلد

ما على الساهر جيلين ، إذا ... نشد الراحة يوماً فرقد ؟

◆◆◆

هاجنى الشوقُ إلى البيت الذي ... كان للشرق مناراً يتقد

سطع الحق على منبره ... وترامى الخير منه والرَّشد

مبعث النهضة ، ميزان الهدى ... فجر الاستقلال ، حضن المعتقد

فرأيتُ النور في البيت خبا ... ورأيتُ الأمل الزاهي جمد

ولواء الحق في نهضتنا ... انطوى في ذمة الله الصمد

◆◆◆

يا نبّي الجيل ، قم واشرحْ لنا ... قصة الوحي وردِّدْ وأعد

كيف بالله تساميتَ إلى ... خاطر ما دار يوماً بخَلَدْ

أين فرعونُ ، وأهرام له ... قدّها من خفض أعناق البلد

دفـع الـشعب إليهـا بيـدٍ　　تلهـب الـسوط وحبـلٍ مـن مَسَدْ
مـن بنـاءٍ لـك أضـحى كعبـةً　　أمَّهـا الـشرق فـصلَّى وسـجد
هـذه الكعبـة باتـت مـوئلاً　　للرجـاء العبقـري المفتقَـدْ
حققـتْ في ربـع قـرنٍ خـاطف　　مـابني الـشرق عليهـا وعقـد
وَهَـجُ العـسجد في قاعاتهـا　　لم يكـن في إرَمٍ ذات العمـد
يـا لهـا معجـزة في زمـن　　زعمـوا الإعجـاز فيـه قـد نفـد

❖❖❖

بَطَـلَ الثـورة لم تـسفكْ دمـاً　　ردّت الغاصـب مفقـود الجلـد
لم تحاربـه بنـارٍ وقنـاً　　بـل بقرطاسـين: سـهم وسـند

❖❖❖

زعموهـا أمـةً عابثـة　　تعـشق اللهـو فهيهـات تجـد
أمـة صَمّـاء لم تـرقص عـلى　　نغـم المـال وموسـيقى العَـدد
فتجليـتَ لهـم في صـيحة　　كـزئير الليـث منـشود اللبـد
صـيحة البعـث التـي أسريتهـا　　سريـان الـروح في ميـت الجـسد
أظلـم الـدهر فقلـتَ اقتـصدوا　　كُتـب المجـدُ لـشعب يقتـصد
قلـتَ هـذي أمـةٌ تاريخهـا　　مفـردٌ بـين التـواريخ وَحِـدْ
نهـض الفـن عـلى أقـدامها　　وعـلى أكتافهـا العلـم صعـد
أمـة تأكـل مـن أحلامهـا　　وسوسات الشر من «فرّق تَسُد»[1]
أمـة فـيها بنيـت الحـدثْ　　لا يـذل الله شـعباً يتحـد
فـإذا مـا طلبـوا مـستنداً　　قـل لهـم: بنـك مـصر المـستند

❖❖❖

(١) فرق تسد: هو خط السياسة البريطانية الاستعمارية في مصر في ذلك العهد.

لـــك في المـــرأة قـــولٌ رائـــع ... لـــو عقلنـــاه ســـمونا بالبلـــد[1]

الحجـابُ الطُّهـر والخـدْر الـذي ... كثـــر اللاحـــي لـــه والمتقـــد

وإذا الـشعبُ مـن الغـث ارتـوى ... رخـــص الغـــالي لديـــه فكـــسد

دعـــوة قـــام إليهـــا « قاســـم » ... وهـــو لـــو يـــدري مـــداها لقعـــد

❖❖❖

يـــا شـــباب الجيـــل ، لا تنـــدفعوا ... خلـــف تيـــار الحـــضارات الجـــدد

اتّبعـــوا الـــصالح منهـــا وانبـــذوا ... فكـــــرة ضـــــلّت وميزانـــــا شرد

ألزمـــوا المـــرأة خـــدراً طـــاهراً ... قـــائم الأركـــان و مرفـــوع العمـــد

لا تجروهـــــــــا إلى مجتمـــــــــع ... لم يطـــــأه مَلَـــــكٌ إلا فـــــسد

وادرءوا الأعـــين عنهـــا واحـــذروا ... عبـــث اللبـــوة إن نـــام الأســـد

واســـتبدوا في حمـــى الخـــير بهـــا ... « إنـــما العـــاجز مـــن لا يـــستبد »

واتقـــــوا التـــــاريخ في أبنائهـــــا ... إنهـــــا تكتبـــــه فـــــيما تلـــــد

فهـــي أرض تنبـــت النـــسل ، فمـــن ... زرع الخـــــير أو الـــــشر حـــــصد

وهـــــي في الحريـــــة العميـــــاء ، لا ... تقْـــدر الـــزوج ولا ترعـــى الولـــد

أيهـــــا الـــــرائح تـــــشكو غـــــصّة ... لا تروعنّـــــك أيـــــام النكـــــد

لا يروعّنــــك مــــن آلامهــــا ... شــــانئٌ قــــال ومــــأفونٌ حقــــد

جحـــدوا خـــيرك ، والخـــير إذا ... كـــان في دنيـــا مـــن الـــشر جُحـــد

حـــسدوا الـــشمس عـــلى إشراقهـــا ... هـــل يبـــين الفـــضلُ إلا بالحـــسد ؟

ســـاءهم بُعـــدك منـــي أننـــي ... عـــن وفـــائي بيمينـــي لم أحُـــد

أخلفـــوا الوعـــد ولاذوا بـــالهوى ... بيـــنما أنجـــز حـــرٌّ مـــا وعـــد

(١) إشارة إلى معركة طلعت حرب وقاسم أمين حول السفور والحجاب .

أنا جرّدتُ عليهم قلماً ... لم تحرّكه لغير الحق يد[1]

قلماً أمسى لديهم غُصةً ... وهو في سامرك الطير الغرد

أين تُجرى الرزق من منّاعه ... ويد الإنشاء من أيدي الهدد

سوف يبقى اسمُك في سفر العلا ... ويولّون كأصفار العدد

إنما يمكث في الأرض الذي ... ينفع الناس، ولا يبقى الزّبد[2]

❖❖❖

نَمْ قرير العين، فالإرث الذي ... خلّفتْ يمناك باق للأبد

فهو في أعناق جيل مخلص ... لتعاليمك ماضٍ محتشد

أيها المحروم منها ولداً ... جعل الله لك الجيلَ الولد[3]

من شبابٍ بارك الله لهم ... ذلك الجهد وحيّا وحمد

أخذوا الدنيا كما لقّنتَهم ... المنى فيها نصيب المجتهد

واقتفوا آثارك الغُرّ إلى ... هدف النصر، ومن جدّ وجد

ليس يستعجب منهم عجبٌ ... هذه الأشبال من ذاك الأسد

فدع الآمال في أعناقهم ... إنهم بعدك للخير رُصُدْ

---

(١) إشارة إلى مجموعة من المقالات كتبها الشاعر في الصحف دفاعا عن طلعت حرب في محنته، مما أثار عليه سخط أعداء طلعت حرب.

(٢) هذا البيت من وحي قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

(٣) كان لطلعت حرب ولد واحد، اختطفه الموت.

الصحافة

« ألقيت في الحفلة الساهرة التي أقامتها نقابة الصحفيين يوم أول يولية سنة ١٩٦١ بدار سينما ريفولي بالقاهرة » .

مليكتنا الحلوة المُسْعِدهْ ... مآثرها تملك الأفئدهْ
تقوم مع الفجر كالبشريات ... تحيي الحمى والذي وحّده
وتهدي القلوب وتغذو العقول ... وتصدع داعيةً مُنشده
وتروي التواريخ والحادثات ... وتصرخ منذرةً مُرشده
وتحسن للمحسنين الكرام ... وتوفي لهم أكرم الأرصده
وإن غضبت لحقوق الشعوب ... تجلجل مرغيةً مُزبده
وتدعو الأنام لظل السلام ... وتمحو الحفيظة والموجده

❖❖❖

مليكتنا فذة في الثراء ... وثروتها الفكرة الجيده
تكافح مؤمنةً بالكفاح .. ... وباليأس كافرةً ملحده
وتثبت في حلبات الصراع ... ثبوت الكتاب ومن أوجده
لها قلعةٌ تتحدى الزمان ... تقوم على أشرف الأعمده
وأسلحه من رءوس الطروس ... أشد من الذرة المرعده
لها التاج من ورق أبيض ... على سمرة الحرف ما أسعده
كأن النهار يضم الدجى ... ويلثم أبيضُه أسوده

❖❖❖

لها سلطة الشعب والحاكمين ... ونحن لها القوة الأيّده
فيا لرجال شداد المراس ... أقاموا على عرشهم سيّدهْ
يقال لها : أنتِ ذات الجلال ... وملكك في حبة الأفئده
تزول العروش وأربابها ... وعرشك في الدهر ما أخلده

المتنبي الجديد

« هبط القاهرة الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات ، المشهور باسم المتنبي الجديد ، وقد قضى حياته في مهجره بالبرازيل حاملا لواء القومية العربية ، متحديا خصومها في عناد وإصرار ، فاستقبلته القاهرة مرحبة ، وأقام له المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب حفلة تكريم بفندق هلتون يوم ٩ مارس سنة ١٩٦٠ ، ألقيت فيها هذه القصيدة التي تروى قصة حياة إلياس فرحات ، وكيف شرده الحب طفلا في وطنه الأم ، فذاق مرارة الحرمان في الهجرة » :

لا تلوموه إن تجاوز حَدَّهْ ... وجنى الروض وردةً إثْر وردهْ
لم يدعْ لي معنى أمد عليه ... يوم تكريمه بساط المودّه
لا تلوموه ، إنه صاحب الرو ... ض ، ونحن الفَرَاش نقطف بعده
فإذا صُغتُ فيه معنى أنيقاً ... فهو منه هدية مستردّه
شاعر فيه حكمة «المتنبي» ... وائتلاف «الرومي» [1] جرساً ووحده
وإباء « الشريف » [2] إذ يتحدى ... كل مستكبر يصعّر خدَّه
وعناد « العقاد » [3] حين يرى الرأ ... ي ويملي أن يسجد الكون عنده
وله تارةً جنوح « المعرّى » [4] ... لظنون تؤلب القوم ضده
وله في الجهاد من « شاعر النيـ ... ـل » [5] لهيب لا يطفئ السّيل وقده

(١) اشتهر ابن الرومي بأنه من أوائل دعاة وحدة القصيد.

(٢) الشريف الرضى ، الذي قال للخليفة في موضع التفاخر :

عفـوا أمـير المـؤمنين فإننـا في دوحـة العليـاء لا نتفـرق
ما بيننـا يـوم الفخـار تفـاوت أبـدا ، كلانـا في المفـاخر معـرق
إلا الخلافـة ميزتـك ، فـإنني أنـا عاطـل منهـا وأنـت مطـوق

(٣) عباس محمود العقاد ، والعناد من أبرز صفاته.

(٤) أبو العلاء المعري ، ولإلياس فرحات آراء خاصة في الدين أثارت عليه ثائرة المسيحيين ، مع أنه مسيحي .

(٥) شاعر النيل حافظ إبراهيم .

وله السحر من جزالة « شوقي » والقوافي السّرية المتسده
وبه في غرامه بعض ما بي أن ليلاه ليس تذكر عهده
قيّدته بخصلة الشعر طفلاً فارحموه إذا تَعَشّق قيده [1]
شرّدَتْهُ من جنة الشرق حوّا ء ، كما شرّدتْ من الخلد جدّه [2]
فمضى يركب المحيط ويسعى وهو يرجو السلوان في كل بلده

❖❖❖

لهف نفسي عليه في الشوق والغُر بة ، يبتاع شدتين بشدّه [3]
حاملاً « كشة » [4] ينوء بها الظّهْـ ـر ، وشمس الجنوب تحرق جلده
وقتاد السبيل يخرق تعليْـ ـه ، وحمل الهموم يثقل زنده
راح قوم من قبله ، واطمأنوا لحياة طريةِ العيش رغده [5]
غير أن الفتى بضاعته الشِّعْـ ـر ، وبين الرغيف والشعر عُقده
أيُّ بيتٍ في الحب أدنى إليه من قصور عتية القلب صلده

❖❖❖

عاش ما عاش ، والقناعة تطويـ ـه حزاماً ، إن عضه الجوع شدّه
أو تعرىّ ، يقول لا يتعرَّى من عليه من الكرامة بُرده
هكذا عاش فيلسوفا أبيّا يتساوى الهناء والبؤس عنده
إن بني الناس مجدهم من ثراء فهو يبني من الترفع مجده

❖❖❖

يا أخانا ، وقد بلغتَ حمانا ركعةً عند أرضه ثم سجده
ركعةِ عند قصة توقظ الشّرْ ق وتوحي له وترفع بنده

---

(١) خصلة الشعر : قصيدة مشهورة لإلياس فرحات ، ولها قصة في حياته ، فقد أهدته حبيبته عند الوداع خصلة من شعرها ، سافر بها إلى الهجرة ، واحتفظ بها طول حياته .

(٢) أي آدم .

(٣) أي أنه استبدل شدة الحب بشدتين هما الشوق والغربة .

(٤) الكشة : كلمة برتغالية الأصل ، شائعة في المهجر ، معناها صندوق من الزنك يحمله المتجول على ظهره ويطوف به بين القرى يبيع بضاعته ، وقد حمله إلياس فرحات ردحًا من الزمن .

(٥) إشارة إلى المهاجرين الذين أثروا هناك .

سجدةً عند ثورة تّدعم الحـ ـقّ ، وتنبي لـه وتنصر جُنده
وسلاماً على فتىً عربي عاهد الله ثم أنجز عهده
وعلى راحتيه قد وُلد الخيْـ ـر ، فلم تستطع قوى الشر وأده
نصرتْه عناية الله في الرّو ع على سابقيه عدًّا[1] وُعده
زأرة منه في العرين أطاحت بالأفاعي ، وجمّعتْ فيه أسْده
جمعتهم على بساط من النو ر ، شعاراته سلام وحَيْده
ودَعَتهم إلى جهاد يؤدي لجلاء يمضي إلى غير عوده
ونَمَتهم إلى البناء من القـ ـوّة لبْناته ائتلافٌ ووحده
انظُر الشعب من رحى بور سعيدٍ كيف يبني على الجماجم سدّه[2]
انظر الشعب في «الخليج»[3] كدفق الـ ـسَّيْل لا تملك العواصف صدّه
أنظر الشعب في المحيط مطيحا بفرنسا الغوّية المنهّده
انظر الشعب في العراق حميا كلما زاد خطبه ازداد حدّه
حكمته عصابةٌ في « تموز » خالها الناس أهل غوثٍ ونجده
فإذاها مآثم ، وفتاها آثم يسترقه أهلُ رِدّه
عصفوا بالملوك ، ثم أقاموا للمماليك دولةً مستبدّه
سحلوا الأبرياء في كل دربٍ وأحالوا القضاء دوّار عُمده[4]
في غدٍ يحمل الفراتُ إليهم غضبة الشعب حين يُحطم قيده
وغداً يحمل الفرات إلينا آية الله حين ينصر عبده
قد صحا الوعيُ ، وانتهى عهد من كا ن بحقّ الشعوب يلعب نَرْده

❖❖❖

أيها الشاعر الذي عشتَ تدعو الـ ـعُرْبَ للمجد ، قد بلغنا أشُدّه
وَصَدَقْنا في الثورة الوعد للـ ـه وحقًّا أن يصدق الله وعده

(١) إشارة إلى العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ .
(٢) السد العالي .
(٣) الخليج العربي .
(٤) إشارة إلى محكمة الشعب الهازلة التي سخرها فاضل المهداوي لمحاكمة أنصار القومية العربية في العراق .

تحية العائد

« تحية لعودة الرئيس جمال عبد الناصر من رحلة الهند وباكستان ، يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٦٠ ، وقد خرجت الأمة لاستقباله بصحراء ألماظة في يوم قائظ ، فأنزل الله المطر عند نزول الرئيس من الطائرة » :

يـا مرحبـا بـالعَوْد والعائـدِ ... سـلمت للعُـرْب أبـا خالـدِ[1]
سـلمت للـدعوة مَـبرورةً ... لَمـتْ شـتات الـوطن الواحـد
انظـرْ تَـرَ الأرواح يـوم اللُّقـا ... مـشبوبةً مـن شـوقها الزائـد
انظـرْ تَـرَ الـصحراء كيـف ازدهـت ... وكيـف باتـت كعبـة القاصـد
احتـشدتْ في حَرِّهـا أمـةٌ ... تـدعو مـن الأعـماق للقائـد
مرفوعـة الهامـات نحـو الـسما ... كأنهـا تعويـذة الراصـد

◆◆◆

حتـى إذا أهللـتَ ، جـاد الحيـا ... تحيـةَ الـرحمن للعائـد
ورحـمـةً منـه عـلى أمـة ... مقبلـة في جمعهـا الحاشـد
تـستقبل الـشمس التـي أطلعـتْ ... عـلى ليـالي عهـدها البائـد
تـستقبل العائـد مـن أمـة[2] ... رأتـه في تاريخهـا الـصاعد
رأتـه في « غانـدي » نبـي الفـدا ... وفي « جنـاح »[3] البطـل الرائـد
رأتـه في « نهـرو » ودعواتـه ... إلى الحيـاد الطيّـب الرافـد
رأتْ بهـم كيـف يُـشاد العـلا ... وكيـف تبـدو صـحوةُ المـارد
وكيـف يغـدو الـسلم في نهجهـم ... نـاراً عـلى المـستعمر الحاقـد
وكيـف تُغنـي قـوةُ الـروح في ... دعـوتهم عـن قـوة الـساعد
سـلمتَ للـدنيا أبـا خالـدِ ... تطربهـا مـن لحنـك الخالـد

(١) خالد : ابن الرئيس .
(٢) الهند وباكستان أمة واحدة في عنصرها ، حتى بعد انقسامها إلى دولتين وعقيدتين .
(٣) القائد الأعظم محمد علي جناح .

ابنة الرشيد

« تحية غنائية لبغداد يوم قيام ثورة ١٤ يوليه سنة ١٩٥٨ التي لقي فيها نور السعيد وأعوانه ونظامه مصارعهم ، وكانت هذه الثورة مأمولة لخير القومية العربية قبل انتكاساتها الحزبية » :

تحيـــة يـــا ابنـــة الرشـــيدِ | صـــدقت في الوعـــد والوعيـــدِ
يُمنـــاك للمجـــد والمعـــالي | ولـــيس للقيـــد والحديـــد
ومـــاؤك الحـــر لـــيس يجـــري | لترتـــوي غلّـــة العبيـــد
وكـــل تاريخـــك اعتـــزاز | فجـــدّدي المجـــد واســـتعيدي

تحيـــة يـــا ابنـــة الرشـــيد

❖❖❖

أحـــرارك الغُـــرّ يـــوم قـــاموا | لثـــورةٍ نارُهـــا ســـلامُ
تـــلالأ البِـــشْرُ في دمـــشق | وباركـــتْ صُـــنعك الـــشآم
وهللـــتْ للجهـــاد « صَـــنْعا » | وصـــفق الـــسيف والإمـــام
وقـــال في مـــصرَ كـــلُّ قلـــب | مـــن ثغرهـــا الحـــر للـــصعيد

تحيـــةً يـــا ابنـــة الرشـــيد

❖❖❖

يـــا[1] محـــور الحـــق والجهـــادِ | ســـلمتَ للـــسلم والحيـــاد
مـــن كـــل مـــستكبر وطـــاغ | وكـــل مـــستعمرٍ وعـــادي
توحَّـــدتْ بيننـــا الأمـــاني | تـــضافرتْ بيننـــا الأيـــادي
كنـــا مـــنَ المجـــد في ذُراه | فليرجـــع المجـــدُ مـــن جديـــد

تحيـــةً يـــا ابنـــة الرشـــيد

(١) كان المفروض عند قيام الثورة العراقية أن تؤلف الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية محورا للحياد الإيجابي .

علي بردي

« ألقيت في مهرجان الشعر الثالث الذي أقيم بدمشق في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٦١ » .

أتوب ، وأدعو ، وأستغفرُ ... وأُخلص لله ما أضمرُ
وأستعجل الله يومَ المآب ... ويومَ خلائقُهُ تُنشَرُ
إذا قيل موعده « الغوطتان » ... وموقع جنّته « دُمَّرُ »[1]
فإن لم يكن « بَرَدَى » كوثرى ... فيا ضَيعة العمر يا كوثر
تَفجّرَ من صخره السلسبيل ... وضَوّع من ليله العنبر
ومرّتْ يدُ الله فوق روابيه ... تُنمِي الكروم وتستقطر
وتجعل من « بردي » دنّها ... وتسكب فيه الذي تعصر
فيا لكَ نهراً إليه نحجّ ... ويا لكَ خمراً بها نسكر

◆◆◆

فديتُكَ يا « بردي » ما جريتَ ... تغنيتَ بالحب إذ تهدر
تجبّ عيونُك سحرَ العيون ... وتحسد رونقَك الأنهُرُ
على درجاتك طال الربيعُ ... وطاب بك الصحب والمعشر[2]
أكان الملائكُ إلا ذويك ... وهم فَلَقُ الصبح أو أطهر
لهم همّةٌ تتحدى الزمان ... وعزمٌ على الدهر لا يُقهر
كم انسربوا في شعاب الوجود ... وكم علّموه ... وكم عمّروا
وكم أزّ من جهدهم مصنعٌ ... وكم عزّ من كدّهم متجر
وضوّع من عرفهم مسرحٌ ... وأبدع من عزفهم مزهر

(١) الغوطتان ودمر : مواقع حول دمشق .
(٢) يشتهر بردي بأن نهيراته تجري في سبعة مستويات على الجبال .

وأينع من غرسهم فن مصر ... وغنَّى بشعرهم المهجر

❖❖❖

دمشق، وماذا تكون الجِنان ... سواك، إذا أذن المحشر ؟
وما الفَتَنُ الحور إلا بناتك ... والسحر فيهن لا يفتر
فديتُ التي طلعتْ كالبشائر ... والشهد من ثغرها يقطر
وقد هشَّ لِي البَرَدُ اللُّؤْلئِيُ ... وبشَّ لِيَ الكَرَزُ الأحمر
وطالعني الوردُ، وردُ الشباب ... وداعبني الفاتنُ الأحور
ورفرف لي خلف بيض الجوانح ... قلبٌ هو الفستق الأخضر
تُهامسني بالذي يُسْتَتر ... وتُومئ لي بالذي يُضفر
وتهتف بي من حجاب الحياء ... تقول أتى الشاعر الأسمر
وراحت تعاتبني أن تَغَيبتُ ... حولاً، هو العمر أو أكثر
فقلتُ لها: ما شعرتُ ببينٍ ... فقلبي على البين لا يقدر
تركتُكِ من مهرجانٍ مضى ... وحَيُّكِ بالقلب مستأثر
وقد عشت بَعدكِ من غير قلبٍ ... فكيف بِبُعدكِ أستشعر ؟
فقالت: لنا اللهُ في خافقينا ... أقلبك في حيّنا يخطر
وقلبي هناك على الشاطئين ... من النيل يفتنه المنظر
يحلّق من بُرج «بنت المعزّ» ... فيبهره ما بني «جوهر»[1]
وتُصْبيه معجزةُ الأوّلين ... وما خلّدت فنّه «الأقصر»
ويأخذه التيهُ من فِتْيَةٍ ... بناؤهم الهرم الأكبر
وتسحره لمعاتُ المآذن ... والعلمُ والنورُ والأزهر
وما شاقني مثلَ ما شاقني ... حديثٌ من المجد لا يفتر
حديث الأولى في سبيل العروبة ... لم يبخلوا بالذي أمهروا

(١) إشارة إلى برج القاهرة، والقاهرة هي العاصمة التي بناها القائد جوهر الصقلي بأمر المعز لدين الله.

وبــاعوا الحيــاة وأوهامهــا ... وهــاموا بأوطــانهم فاشــتروا

◆◆◆

عروبــةُ ، يــا وطــن الخالــدين ... ويــا مــن تغنّــت بهــا الأعصُرُ

وقــام عــلى صــخرها « مــأربٌ » ... ونامــت عــلى حَجْرهــا « تــدمُرُ »

نميــتِ عــلى أرضــكِ الأنبيــاء ... فعــزّ الوجــود بــما بشّروا

وأوفى بعهــدكِ مــن أســلموا ... ومــن نــصروا الله واستنــصروا

ومــا شــاب حُــسْنكِ إلا اليهــود ... ولا شــاه إلا الــذي دبّــروا

لقد ملأ « النقبَ » رهطُ « النضير » ... وعــادت بآثامهــا « خيــبر »[1]

وقامــت لهــم دولــةٌ في الــسُّفاح ... دعامتهــا الخمــر والميــسر

فــما لــسمائك لا تــستعيذ ... ومــا لرمالــك لا تنفــر

ومــا لرجالــك لا يغــضبون ... ومــا لــسيوفك لا تُــشْهَر ؟

أمَــا آن لــلأرض أن تُــسْتَرَدَّ ... وآن لأهلــك أن يثــأروا ؟

◆◆◆

عروبــة ، يــا مــن صــهرتِ الــشعوبَ ... وعــاش لُبابُــكِ لا يُــضهَرُ

وفــاز بــك الكُــرد و « الــصادقون » ... ولاذ بــك الــزنج والبربــر[2]

وألقــى الفــراعينُ طــاغوتهم ... وحجّــوا لــذاتك واســتغفروا

◆◆◆

سَــليني ... فعنــدي تــواريخ مــصر ... وفيهــا لــك الأثــر الخــيِّرُ

لكَــمْ لــجَّ في تُربهــا فــاتح ... وأوغــل طــاغٍ ومــستعمر

تخطَّــرَ « قمبيــز » في أرضــها ... وأعقبــه الفحــلُ « اســكندر »

ونامت عـلى عرشـها « كليـو بـاترا » ... وهــوّم في بحرهــا « قيــصر »

وهمُّــوا بــصبْغة أخلاقهــا ... بلــون الغــزاة ... فلــم يقــدروا

---

(١) بنو النضير وخيبر : هم اليهود الذين كانوا بالمدينة وحولها على عهد النبي عليه الصلاة والسلام .

(٢) الصادقون : أتباع جعفر الصادق .

إلى أن أتى الفارس العربي فأدركها صُبحُها المسفر [1]
وألقى « المقوقس » [2] مفتاحها إليه ، ودان له العسكر
وما كان فتحاً ، ولكنه كما يشرق الأمل المُزهر
شعاراته الباقيات التحرر والسَّلم والعمل المثمر
وآياته البيّنات السماحة والعدل ، لا اللون والعنصر

❖❖❖

أجل ، ذاك موسمنا يا دمشق وفيه خريفك يخضوضر [3]
وأنتِ إذا لم تكوني الجِنانَ فإنك من روحها عبقر
مشينا إليك مع المهرجان خُطَى المؤمنين إذا كبّروا
نرد زمانك يا « بحتريّ » ونُعلي مكانك يا منبر [4]
ونتلو من الشعر ما يُستطاب ونسمع منه الذي يُسكر
ونحمي القريض من العابثين به ، ونقدّس ما أهدروا [5]
يقولون جاؤوا بشعر جديدٍ يجبّ القديم الذي نُكبر
تفاعيله يزدريها الإطارُ ومبناه تُنكره الأبحُرُ
وأبياته كضمير اليهود تطول مع الزيف أو تقصر
وليسوا يقيمون وزناً له وليسوا يبالون ما يُكسَرُ
أجلْ، ليس يُوزنُ سَقْطُ الحجارة بل يُوزنُ الدر والجوهر
وما الشطرتان سوى المقلتين وفاقد إحداهما أعور
وكيف يُقاس الثرى بالثريا ويختلط الملح والسكّر

---

(1) الفارس العربي : عمرو بن العاص .
(2) المقوقس : عظيم القبط ، الذي أسلم العاصمة لعمرو بدون حرب .
(3) إشارة إلى انعقاد المهرجان دائما في الخريف الذي يزدهر بالشعر .
(4) إشارة إلى الاحتفال بذكرى البحتري في نهاية المهرجان .
(5) هذا البيت وما يليه دحض للدعوة الخبيثة إلى لون منحل من الأدب شاع في هذا العصر يسمونه « الشعر الجديد » وما هو بشعر .

وما الإثم إلا الذي يأثمون ... وما الشعر إلا الذي نشعر
شياطيننا كوجوه الملائك ... بِيضٌ، وشيطانهم أحمر
وإلهامنا عربيّ الضمير ... شريف الأرومة مستكبر
وإلهامهم أعجميٌّ يُباعُ ... ويُشرَى ويُكرَى ويُستأجَرُ
وكيف يصون الأمانة غِرٌّ ... ويحمي الرسالةَ مستهتِر؟
أجلْ، ذاك ميعادنا يا دمشق ... وموسمه عيدنا الأكبر
وما مهرجانك إلا الحساب ... لمن قدّموا الخير أو أخّروا
رعى الله من قومنا فتية ... مشوا للجهاد فما قصّروا
أقاموا الحياة اشتراكية ... يعزّ بها الكادح المعسر
ونادوا بمذهبهم في الحياد ... وقالوا هو الحلف والمحور[1]
وما أمنوا للألى أيمنوا ... ولا آمنوا بالألى أيسروا
ولكنْ تلاقوا على دعوة ... ينادي بها الثائر الأسمر
فيا ناصر الله، إنّا خففنا ... إليك، فمُرْنا بما تأمر
وصلِّ لربك، واصعد بشعبك ... وامضِ، وشانئك الأبتر

❖❖❖

(١) كانت الجمهورية العربية في طليعة الدول الداعية إلى مؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في بلجراد في شهر المهرجان نفسه.

الأخطل الصغير

« ألقيت في المهرجان الكبير الذي أقامه لبنان بمسرح اليونسكو ببيروت يوم الأحد ٤ يونيه سنة ١٩٦١ ، تكريما لشاعر لبنان الكبير بشارة الخورى - الأخطل الصغير - وقد مثل الشاعر شعراء الإقليم المصري ، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، في هذا المهرجان »

همسةٌ في حديث جارٍ وجارَهْ ... رنَّةٌ حلوةٌ على قيثارهْ
قطرةٌ عذبةٌ على نُوّاره ... زهرةٌ كلها شذًى ونضاره
موجةٌ من حنينها هدّاره ... بنتُ كرمٍ تدور في عصّاره
ماسةٌ خُبِّئتْ بجوف مغاره ... درّةٌ حُرّةٌ بقلب محاره
نفثةٌ ملؤها هُدًى وطهاره ... دعوةٌ عن ذنوبها كفّاره
كل هذي المعادن المختاره ... صاغ منها حبيبُنا أشعاره
وجلا من خيوطها أوتاره ... فعقدنا له لواء الإماره

❖❖❖

يا ابنة الأرز ، أن محظيّة اللّـ ... ـه ، وأختُ الكواكب السيّاره
اصطفاك الرحمن في قمة الدنـ ... ـيا ، فكانت ثلوجُها أنواره
وسرى في رُباك نور « شهاب[2] » ... بارك الله عهده وشعاره
واجتباك الخلود بالنغم العذ ... ب ، وأولاك طيره وهَزاره
فيك شب « الأمين[3] » في مرجة البا ... روك ، في نور عينها الفوّاره
وتناهَى لك « الرشيد[4] » حبيب الـ ... ـشام والنيل ، شاعر البرباره
وانجلي في سمائك الأخطل الفر ... د ، فدِنّا لقوسه بالصداره

❖❖❖

(١) الأخطل الصغير (١٨٨٥ - ١٩٦٨) هو الشاعر اللبناني بشارة الخوري الذي أصدر صحيفة البرق في بيروت عام ١٩٠٨ ، وقد شارك في مبايعة شوقي أمير الشعراء عام ١٩٢٧ ، وتغنى بشعره محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وفيروز ، أصدر ديوانه «الهوى والشباب» بالقاهرة سنة ١٩٥٤ ، وصدر ديوانه الكامل ١٩٦١ . «المحقق».

(٢) الرئيس فؤاد شهاب : رئيس الجمهورية اللبنانية الذي أطفأ نار الطائفية التي أشعلها كميل شمعون .

(٣) أمين نخلة ، شاعر نبع الباروك .

(٤) رشيد سليم الخوري ، الشاعر القروي ، الذي عاد من المهجر ليقضي بقية عمره في ضيعة « البربارة » بلبنان (١٨٨٧ - ٢٥ أغسطس ١٩٨٤). المحقق.

وُلِدَ الكأس والغرام على مَهْـ ـد أبي الكأس والغرام بشاره[1]
واستنامت له عَذارَى المعاني نومة البِكْر يومَ عُرس البكاره
وتعرَّى الجمالَ بين يديه وارتمى عنده وخَلّى عِذاره
وأقام الربيعُ في شفتيه ثم ألقى إليهما مزماره
وحباه الإله بالنَّفَس الحُلْـ ـو، وأولاده في الهوى أسراره
فقضى العمرَ يعشق الحسْنَ حتى عشق الحسْنُ شيبه ووقاره

❖❖❖

يا ابنة الأرز، قد تخايلتِ بالشِّعْـ ـر، وكرّمتِ تاجه ومناره
في زمانٍ أضلّه هدف العلْـ ـم، فأمسى بالعلم يحمل عاره
هلّل الناسُ للذي ركب الصا روخ، يبغي من الفضاء مداره
وقصاراه أن يجوز إلى النجـ ـم، ليبني القواعد الجباره
ومدى سعْيه التحكمُ في الكوْ ن، ليُلقِي حميمه ودماره
كل هذا نصيبنا من دُعاة الـ ـعلم، باسم الحجَى وباسم الحضاره
قذفوا في الفضاء بالقمر الطا ئر، لا يلحق الخيال غُباره
ينفر الوحي منه، ساعةَ يلقا ه شقيًّا بنفسه الأمّاره
كالقريض الجديد، منعدم الوزْ ن، عَجُول الخُطَى، قبيح الإثاره
همجيّ الخيال، مضطرب الجرْ س، غريب الصّدَى، مُجافٍ إطاره
أجوف اللفظ في فراغ المعاني كافر النهج قرمزيّ العباره
أين هذا الجديدُ من قمر اللّـ ـه، ومن شعره، سنيٍّ وطهاره
والذي أبدع المجرّة طرًّا قادرٌ أن يقدّه بشراره

❖❖❖

هاكُم الشاعر الذي سبق العلْـ ـم جلالاً وقُدرةً ومهاره
ركب الوحي قبل عهد الصوار يخ، وكانت أحلامه «راداره»[2]
كم تدانَى من الألوهة روحاً وتلقَّى من السماء إشاره
واستبان الدروب في الفلك السا ري، وغادَى بدر الدجى بزياره
وعلا قدرُه إلى منزل الشمْـ ـس، وأرسَى على المجرة داره

---

(١) في هذا البيت إشارة إلى بيت لبشارة الخوري يقول فيه:
ولد الهوى والكأس ليلة مولدي وسيحملان معي على ألواحي

(٢) الرادار: العين الالكترونية التي ترصد التحركات في السماء.

وقضى العمر ينظم الأنجم الزُّهـ ـــر عقوداً لكل جارٍ وجاره
ويحيي بها الحوادث في النيـ ـل، ويُهدى من الحمى أحراره
ويغني على أرائك لبنا ن، ويشدو به، ويحمي ذماره

❖❖❖

إخوة الأرز، ذلك الصوت فيكم نبويّ الصدى، عزيز السفاره
كلما طاف بالعروبة كفرٌ إلتمسنا في شعره استغفاره
عاش «خوريّكم» يبشّر بالحـ ـب، ويتلو في ليله أذكاره
ويحثّ الهلال في كل أرض ويهز العروبة الجباره
لتردَّ السيوفُ أرضَ فلسطيـ ـن، وتحمي الحمى وتمسح عاره
ويعز الصليبُ في حرم القَدْ س، وتصفو لأهلها البيّاره[1]

❖❖❖

إخوة الأرز، نحن أدنى من الكوْن إليكم، يمينه ويساره
إن تكن ضلت السياسة طوراً وشقينا بالطائفية تاره
واستطالت يد العدو على الحق، ومالت فسممت آباره
فلقد أنعمت علينا الليالي وقبلنا من الزمان اعتذاره
ورعى الله للعروبة لبنا ن، ووقاه تيهه وعثاره
قل لمن هام بالشماتة فينا: خدعتك الغشاوة المكاره
كم تبيت الزهور في هالة الشوْ ك، ويخفى الرحيق في الصبّاره[2]
ويطيب الدلال في ذروة الشوْ ق، ويحلو الدواء رغم المراره
وتنام العيون في مسرح الحـ ـب، ويصحو الهوى وراء الستاره

❖❖❖

ذلك الشرق أمنا وأبونا قبل عيسى وأحمد والبشاره
كم سجدنا لأرضه وسماه وعبدنا ما فيه... حتى الحجاره
لا تسيئوا لله بالحقد والبغـ ـض، وتستعجلوا على الأرض ناره
أنتمو من عوالم النور إشعا عٌ، ومن صفوة الصفا عُصاره
لا تزِلّوا بالدين، فالدينُ للـ ـه، ولا تجعلوا السماء تجاره
فبإنجيلها ترنم «شوقي» وبقرآنها تغنّى «بشارهْ»

---

(١) البيارات: حدائق البرتقال في أرض فلسطين.

(٢) الصبار في لبنان: هو الفاكهة المعروفة بالتين الشوكي في مصر.

تحية ... وأحسن منها

« فاز الأستاذ عباس محمود العقاد بجائزة الدولة التقديرية للآداب سنة ١٩٦٠ ، فبعث الشاعر إليه بهذه الأبيات الثلاثة ، فأبرق العقاد إليه بثلاثة أبيات من ذات الوزن والقافية ، وفيها إشارة إلى فوز الشاعر بجائزة الدولة التشجيعية للشعر في العام السابق » :

ولستُ أهنّيك بالجائزة   ولكنْ أهني بكِ الجائزةْ
ففي سعيها لك مجد لها   تتيه به ، فهي الفائزه
ولكنها لفتةٌ للسماء   وتزكية للعُلا حافزه

صالح جودت

❖❖❖

ستبلغها في غدٍ بارزاً   إلى كل منزلة بارزه
فإن بنّياتها الصُّغريات   إلى أمهن غداً رامزه
فسجِّلْ تهانيَّ في السابقين   بين مُزكّيك بالجائزه

عباس محمود العقاد

هاشم الرفاعي

« شاعر وطني ملتهب ، صرعته يد حاقدة آثمة وهو في أوج بريقه ، في العشرين في عمره ، عقب عودته من مهرجان الشعر الأول بدمشق سنة ١٩٥٩ . وقد ألقيت هذه القصيدة في حفل الأربعين ببلدته أنشاص حيث مثل الشاعر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب » :

اللاجئــــون يولولــــون عليــــك ولولــــة الثكــــالي
وبنــو الجزائــر يـصبغون بيـوم مـصرعك الجبــالا
وكــأن شـعرك كـان يـوم الـروع بينهمـو « بـلالا » [1]
أذّنــت فــيهم بالنـضال فزلزلــوا الــدنيا نــضالا

◆◆◆

والثــائرون بكــل أرضٍ حــرة تغــشى القتــالا
شــقوا محــاجرهم عــلى فجــر تهلــل ثــم مــالا
وتفطّــروا شــجنا عــلى القمــر الــذي ولّى هــلالا
وذووك في هــذا المجــال دمــوعهم تُنــدى الرمــالا
مــن كــل نائحــةٍ عليــك وكــل ســائلةٍ ســؤالا :
أيــن الــذي مــلأ الحيــاة بــشعره الـصافي جمــالا ؟
أيــن الــذي زاد الملاحــم مــن جوانحــه اشــتعالا ؟
وأنــا أســائل : أيــن قاتلــك الــذي هــدم المثــالا ؟

(*) هاشم الرفاعي (١٩٣٥-١٩٥٩) ، ولد في أنشاص بمحافظة الشرقية لأسرة متدينة ، والتحق بكلية دار العلوم ، حيث برزت موهبته الشعرية ، وأعطته قصيدته «رسالة في ليلة التنفيذ» شهرة واسعة ، اغتيل غدرًا في ٢ أغسطس ١٩٥٩ ، ونشر ديوانه بعد رحيله.

(١) بلال : مؤذن الرسول .

إن عـدّه نـصرا، فمغلـوبٌ مـن انتـصر اغتيـالا
أو كـان ثعبانـا ، فكيـف عـلى « الرفـاعيّ » [1] اسـتطالا ؟
أو كـان يطلـب مـا بلغـتَ عُـلاً فقـد طلـب المحـالا
أو كـان يطمـع في فنائـك فـالخلود إليـك آلا
ولـرُبَّ يـوم مـن شـبابك يعـدل الحقـب الطـوالا
يـوم كيومـك في دمـشق وقـد أدنـتَ لـك المجـالا
هامـت عيـون المهرجـان عليـك عُجْبـا واختيـالا
وتمايـل الجمـع الكبـير يـردد الـسحر الحـلالا
ودمـشق أم المكرمـات وخـير مـن يـزن الرجـالا
نـصرت صـلاح الـدين فـازدادت بنـصرته جـلالا
ودنـتْ إلى مـصرٍ وأعلـتْ فـوق هامتهـا « جمـالا »
وكفـاك منهـا أن علـوتَ بهـا وعـدتَ أعـز حـالا
وكفـاك منهـا أن غـدوتَ لكـل موهبـة مثـالا

❖❖❖

إن كـان لم يـرحم شـبابك شـانئ ركـب الـضلالا
فاركـبْ بُـراق الخالـدين ولُـذْ برحمتـه تعـالى

(١) كان هاشم الرفاعي من أبناء شيوخ الطريقة الرفاعية التي يقال إن الثعابين تمتثل أوامرها .

بلبلا النيل

« ألقيت في الحفلة التي أقامتها اللجنة الموسيقية العليا بنادي القوات المسلحة بالزمالك، يوم ١٢ أبريل سنة ١٩٦٠، تكريما لبلبلي النيل، السيدة أم كلثوم والأستاذ محمد عبد الوهاب، بمناسبة الإنعام عليهما بوسام الاستحقاق »:

مـا أطيـبَ الفـنّ ومـا أجملـهْ	وأنبـل القلـب الـذي ظلّلـهْ
وأكـرم الكـف التـي كرّمـت	مكانـة البلبـل والبلبلـه

❖❖❖

يـا نبـأ تختـال مـصرٌ بـه	وتهتـف الـشام لـه : يـا هَلـهْ [1]
يبـشّر الطـير بـه روضـه	ويُـسعد الزهـرُ بـه جدولـه
ويخفـق القلـبُ لـه راعـشا	كرعـشة الظـامي رأى منهلـه
كرعـشة العـصفور في فجـره	نـشوان إنْ قطـرُ النـدى بللـه
كرعـشة العاشـق بعـد النـوى	إن ضـمه المحبـوبُ أو قبّلـه

❖❖❖

كـم حُـرّمَ الحـبُّ عـلى أنفـس	فكنـتما الـسحر الـذي حللـه
وأنـتما الحـب وألحانـه	وأنـتما آياتـه المنزلـه
وأنـتما الفـن وألوانـه	وأنـتما الغـار الـذي كللـه

❖❖❖

يـا أم كلثـوم ونبـع المنـى	وحلـوة الآهـات والجلجلـه
أم الليـالي النّـيرات التـي	لا تجعـل الـصبح لـه منزلـه
قـولي لنـا ، مـاذا تقـول الربـى	إن لم تقـولي أنـت يـا بلبلـه ؟
مـاذا يكـون العـيش ؟ مـا طعمـه	إن لم تكـوني أنـتِ يـا مذهلـه ؟

(١) يا هله : تحية سورية شعبية .

مـاذا يقـول الـشعر ؟ مـا عنـده ؟ وأنـت فـوق الـشعر والأخيلـه
يـا صـورةً مهـما تمثلتهـا وجـدتها أحـلى مـن الأمثلـه
قـولي لنـا مـن صـاغ فيـك الشجى ؟ مـن سـكّر الصوت ، ومـن عسّله ؟
سـبحان مـن أولاك إعجـازه مـنغما ... سـبحان مـن أنزلـه

❖❖❖

ويـا أبـا «إش إش»[1] يـا خـير مـن تـسيّد اللحـن ومـن رتلـه
قـالوا : تنكـرتَ لميراثنـا مـن نغـم المـاضي ، ومـا أجملـه[2]
قلـتُ معـاذ الله ، مـا باعـه ولا بغـى فيـه ، ولا بدّلـه
وإنـما زوّده فتنـة لوّنـه ... عطّـره ... كحّلـه
جـرى بـه خلـف حيـاةٍ جـرت ذريـة اللهفـة مـستعجله
ألبـسه ثـوب الزمـان الـذي نعـيش فيـه : زمـن القنبلـه[3]

❖❖❖

فيـا أمـير الفـن ، لا تبتـئس فحاسـدوك الفئـة المهملـه
هـذا وسـام الحـق مـن « ناصر » بـاب خلـود حُـقَّ أن تدخلـه
في فرحـةٍ يُزْهَـى بهـا « معبـد » و « الموصـلي » الخالـد المنزلـه

❖❖❖

ذكّرتنـي الموصـل ، يـا ويحهـا مـن قـصة داميـة مخجلـه[4]
قـل لأخيـك الموصـلي انتبـه وارو لـه مـا قـد دهـى موصله
والله لـو عـاش عـلى عهـدنا لم يـستح الآثـم أن يـسحله
نحـن هنـا في مهرجـان العـلا نبنـي حمـى العُـرْب ومـستقبله

---

(١) إش إش : كبرى بنات عبد الوهاب .
(٢) التنكر للموسيقى الشرقية القديمة هي تهمة طالما وجهها البعض لعبد الوهاب .
(٣) القنبلة الذرية .
(٤) إشارة إلى المذبحة التي سحل فيها قاسم العراق خصومه من القوميين في ثورة الشواف بالموصل .

وكيف تُستكمل أفراحنا | وفي العراق السوط والمقصله ؟
وكيف يحيا الفن في قرية | تطربها الأحقاد والولوله ؟
وكيف يرعى الفن يوما فتى | لم يرع حتى الكتب المنزله ؟

❖❖❖

يا بُلبلينا في رياض الهوى | ونحن أرواح به مثقله
صوتكما كف المسيح التي | تبعث من شاء الهوى مقتله
ويا سلاحَيْنا غداة الرحى | وقصة العدوان مسترسله
قد ذُدتما عنا بأنشودة | كانت على الأعداء كالقنبله
واليوم، في ثورة هذا الحمى | يعرف كل منكما منزله
من نَفَس الله، ومن نوره | أوقد كل منكما مشعله
قد ذهب المُلك الذي طالما | ذقنا به المأساة والمهزله
لم يبق تاج غير تاجيكما | يبارك الثورة كالبسمله
لو لم يكن في الشرق إلا كما | لم ينقص الفن سوى خردله
والفن والمجد لدى « ناصر » | اقترنا مرحلةً مرحله
والفن مجد عبْر تاريخنا | والمجد فن القصة المقبله
قصة شعب خير ألحانه | أن يسعد الرحمن مستقبله

السد العالي

« غنيت هذه الأبيات بالإذاعة يوم الاحتفال بإرساء حجر الأساس للسد العالي بأسوان في يناير سنة ١٩٦٠ ، وقد نالت الميدالية الذهبية للمجلس الأعلى للفنون والآداب ، كخير إنتاج غنائي عن السد العالي » :

إصعد إلى عرشك بين الجبالْ	وقَوِّ أقدامك تحت الرمالْ
يا أيها المارد قم وانطلقْ	وانشر علينا وارفات الظلال
واطلع على العالم أسطورةً	واقعةً يَقْصر عنها الخيال
واملأ جنوب النيل خيراً ، ودعْ	فيضا من الخير لأهل الشمال
وابسطْ جناح العز في أمة	شماء لا تعرف معنى المحال
دلّ عليها الغرب ، فاستنكرتْ	بناءك العالي بذل السؤال[1]
بَنَتْك من معدن أهرامها	بعزمة الشعب ومال القنال
فقل لأعدائك لا تسرفوا	فالقول ما أملىَ عليكم « جمال »

(١) إشارة إلى وعد الغرب بمد العون لبناء السد العالي ، ثم حنثه بهذا الوعد ، مما أدى إلى تأميم القناة .

شاعر المهرجان

« ألقيت في مهرجان الشعر الثاني بدمشق، في سبتمبر سنة ١٩٦٠ »:

لا تقولوا غداً، فعمري قليلَ ... هذه اليأس والعناء الطويلَ
أمّنوا لي غدي لأصبر، لكنْ ... كيف يعطي الأمان عزرائيل ؟
لستُ أخشى الردى، فعمري هباء ... لم يُنوّرْ حماي منه فتيل
وإذا العمر لم ينوّر حماه ... فهو مهما يطل مداه ضئيل

❖❖❖

كل خوفي من الردى، أن أوَلّى ... وبظهر الوجود إسرائيل
أإذا جاءني ملائكة القبـ ... ـر، وحان الحساب وهو ثقيل
ومضوا يسألونني: أين حيفا ؟ ... أين يافا ؟ وأين أين الجليل ؟
فبأي الوجوه ألقاك يا ر ... بّ، وما حجتي ؟ أنا المسئول
أنا هذا الجيل الذي ضيّع الما ... ضي، وأيامه شهود عدول
أنا هذا الجيل الذي لن يرى التا ... ريخُ أن اعتذاره مقبول
أمة عدّها ثمانون مليو ... ناً، وفيها القرآن والإنجيل
ملء تاريخها البطولة والمجـ ... ـد، ومنها عيسى ومنها الرسول
وبها الكعبة الزكية والأقـ ... ـصى والقدس والذرا والسهول
وبها الأنهر السخية والزيـ ... ـت وفيها القوى وفيها العقول
تُبتلَى أرضها بمليون شلوٍ ... من رعاع اليهود ؟ ماذا أقول ؟

❖❖❖

أأقول انطوت رسالة هذا الـ ... ـمشرق وانجاب عهده المأمول
وقنعنا بالعيش سهلا ذليلا ... وسكتنا وعرضنا مبذول
ورفعنا أكفّنا نسأل اللّـ ... ـه فلم يستجب لنا المسئول ؟
إن قوماً مبددين شعاعاً ... وحماهم مضيّع مفلول
لا موافٍ دعاؤهم ساحة اللّـ ... ـه ولا واصل ولا مقبول

❖❖❖

أم أقول انتهت رجولة هذا الـ ـجيل، واعتاده الضنى والخمول
وكفانا مجالس « العَرَق » البيـ ـضاء أنسا يضج فيه الكحول
وكفانا « القات » اللطيف خيالا وكفانا الحشيش و « المنزول » ؟
كيف تحمي عنايةُ الله أرضا حامياها المخمور والمخبول ؟
أم أقول الملوك ضلوا سبيلا ولهم في الضلال باعٌ طويل
إن ألموا بقرية أفسدوها فإذا بالعزيز فيها ذليل
التمسنا الخلاص منهم فرُحنا تستبينا مطامعٌ وميول
اختلفنا، مذاهبا، فافترقنا فطواتا المستعمر البضليل
وادعانا طوائفا، ذاك عبد بربري، وذاك حرّ أصيل
ثم هذا درزٌ وذلك فرعو نٌ، وهذا كردٌ، وذاك دخيل
ثم هذا بعثٌ [1]، وذلك حزبٌ قرمزي [2] الميول حين يميل
ثم هذا « مُؤمركٌ [3] » نازح القلـ ـب، وهذا حبيبه « جونبول [4] »
ثم هذا « مُفَيْنِقٌ » [5] أرضـ ـه الأم فرنسا، وربه « ديجول »
فتنة ما لها قرار، وإفك وضلال مصيره مجهول
أم أقول انتكاسة العهد كانت يوم ألوى بنا الزعيم العميل [6]
اسألوه أين الألى في « تموز » قوّموه فوق الذرا ليميلوا ؟
أين عبد السلام ؟ أين الطبقلـ ـيّ، وأين الشواف يا قابيل [7]
أجزاء القومية السجن والسّحْـ ـل وقتل الأحرار والتنكيل ؟
أمِن العدل أنّ ميزان عدلٍ يتولاه صهرك المخبول [8]
أوَ بعد الذي هداك إلى اللّـ ـه لتقوى به وأنت هزيل
يتلقى فؤادك الوحي من سا دة موسكو، ويُعبد الدرفيل

(١) البعث: حزب كان قائما في الإقليم السوري قبل حل الأحزاب.
(٢) أي شيوعي: إشارة إلى اللون الأحمر.
(٣) أي ميال لأمريكا.
(٤) جون بول: رمز بريطانيا.
(٥) أي مدعي الأصل الفينيقي، وهذه دعوة شعوبية ينشرها الفرنسيون في لبنان العربي.
(٦) عبد الكريم قاسم.
(٧) هؤلاء بعض شهداء القومية العربية في العراق بعد الثورة.
(٨) المهداوي: صهر عبد الكريم قاسم، ورئيس المحكمة التي نكلت بالقوميين في العراق ؟

ويهـــون الكتــــاب في كــــربلاء ويعـــز الـــسندان والأزميـــل[(١)] ؟

❖❖❖

رَبِّ ألهَمْ قـومي الهـدى ، إن قـومي جمعـــتهم عـــلى الزمـــان أصـــول
فغـــزوا فارســـاً وانـــدلس الغـــر ب ، وعـــز الخمـــيس[(٢)] والأســـطول
وبلغْنـــا مـــشارف الأرض حتـــى دان منهـــا أعـــاجم ومغـــول
ذاك تاريخنـــا ، فلِـــم خـــذلتنا شرذمـــات تاريخهـــا مخـــذول ؟
فرقـــة ، ثـــم غفلـــة ، ثـــم يـــأس أفـــما آن أن تـــتم الفـــصول ؟

❖❖❖

زمـــرة المهرجـــان ، قلنـــا وقلـــتم وازدهانـــا التـــصفيق والتهليـــل
وحـــلا فاســـتخفنا الـــنغم العـــذ ب ، ورق التنغـــيم والترتيـــل
غـــير أني ســـألتكم : أي خـــير يجتليـــه حـــديثنا المعـــسول ؟
ومتـــى كـــان فيـــه نيـــل الأمـــاني ؟ وإلام الـــضلال والتـــضليل ؟
أتـــرون العـــدو يُرهبـــه الـــشعْـ ـــر ، وتُرديـــه فـــاعلاتنْ فَعـــول ؟
خـــبِّروني ، متـــى تـــسير الـــسرايا ؟ بـــشروني ، متـــى تـــدق الطبـــول ؟
لا تقولـــوا غـــدا ، فـــإن ضـــاع يـــومي فـــشبيةٌ بـــه غـــدى المـــأمول

❖❖❖

أتقولـــون وحـــدة ؟ هـــل لـــسيري مـــن بـــلادي إلى بـــلادي ســـبيل ؟
جئـــتُ عـــبر الهـــواء ، فـــالأرض مـــلأى بالثعـــابين ، واليهـــود تـــصول
يـــا لقـــوم بـــالأمس جـــاءوا فلـــولا فغـــدوا أمـــة ونحـــن الفلـــول

❖❖❖

أتقولـــون وحـــدة ؟ حَققوهـــا أنـــا عـــن نـــصف أمتـــي معـــزول
أمّنـــوا خطـــوتي وشـــقوا طريقـــي يجْـــلُ لي في ترابـــه التقبيـــل
افتحـــوا « النقـــب » واجعلـــوه مـــصبا « بَـــرَدى » يلتقـــي بـــه والنيـــل
يـــشرب اللاجئـــون منـــه مريئـــا حـــين تجـــري مياهـــه السلـــسبيل
إن حـــول الحـــدود مـــن أمتـــي عطـــ ـــشى ، وبنيـــاس[(٣)] لليهـــود يـــسيل

---

(١) رمز الشيوعية .
(٢) الخميس : الجيش .
(٣) بانياس : نهر عربي يصب ماؤه في فلسطين المحتلة .

إن حـــول الحـــدود أهـــلا جياعـــا كـل خـوفي مـن الطـوى أن يزولـوا
هلكـــوا في العـــراء ، لم يبـــق إلا الـــ ـجلد والعظـم والـبلى والـذبول
وانتهــوا للــضياع ، لم يبــق إلا الــ ـجرح والـدمع والأسـى والـذهول
أنـــا عريـــان إذ أراهـــم عرايـــا وذليـــلٌ مـــا دام فـــيهم ذليـــل
خـــدّروهم بالـــسم عـــشر ســـنين حـين قيـل التقـسيم والتـدويل [1]
قـــد تخلـــت عدالـــة الأرض عـــنهم يا حقوق الإنسان [2] ، أين الدليل ؟

❖❖❖

يـــا سراة البـــترول ، وهـــو ســـخيٌّ في الأنابيـــب ، واللقـــاء جزيـــل
رحـــم الله للمـــروءة عهـــدا زادُكـــم فيـــه ناقـــةٌ ونخيـــل
مـــالكم بعـــد أن تـــوافرت النُّعْـــ ـمى غـدوتم وزادكـم مغلـول ؟
إن جعلـــتم في ريعـــه الخُمـــس للّـــ ـه تغيثـــوا أشـــلاءكم وتقيلـــوا
وتـــؤدوا الزكـــاة عـــن عَـــرَض الدنْـــ ـيا ، وإن البقـــاء فيهـــا قليـــل
فـــإذا لم يكـــن لنـــصرة أهليـــ ـكم ، فـلا كـان ذلـك البـترول

❖❖❖

يـــا فلـــسطين أبـــشري ، إن فينـــا شـــاعراً مـــا ســـما إليـــه الفحـــول
شـــاعراً مـــا روى الملاحـــم ، لكـــن خاضـــها ، فـــانتهى لـــه الأكليـــل
طرّســـه جبهـــة العـــدا ، واليـــراع الـــ ـمرهف الحـــر ، ســـيفه المـــسلول
وقوافيـــــه حيـــــدةٌ وســـــلامٌ وجهـــاد يـــدنو بـــه المـــستحيل
وتفاعيلـــــه التعـــــاون والتـــــصـ ـنيع والـــسد والبنـــاء الجليـــل
والبحـــور المحـــيط في مغـــرب الـشْمـ ـس ، وفي شرقهـا الخلـيج الأثيـل
إنـــه الـــشاعر الـــذي أرســـل الـــصيـ ـحة وحيـــاً ، كأنـــه جبريـــل
إنـــه الـــساحر الـــذي ألهـــب الأ مـــة وعيـــاً كأنـــه تنزيـــل
إنـــه الثـــائر الـــذي حقـــق العـــ ـزة ســـعياً فقـــال مـــا لم تقولـــوا
إنـــه النـــاصر الـــذي عاهـــد اللّـــ ـه ، فـــأوفى ، وعهـــده المـــسئول

(١) إشارة إلى مشروع تقسيم فلسطين وتدويل القدس .
(٢) حقوق الإنسان : ميثاق من مواثيق الأمم المتحدة أهدرته إسرائيل .

قديس القومية العربية

« ألقيت في الحفلة التي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب يوم ٤ فبراير سنة ١٩٦٠ بفندق هلتون تكريما للشاعر القروي، رشيد سليم الخوري، الملقب بقديس القومية العربية، الذي عاش حياته في المهجر الأمريكي يحارب أعداء العروبة، وعاد أخيرا إلى وطنه ـ لبنان ـ صفر اليدين ؛ إلا من ثروة في الشعر القومي، وقد أكرمت الجمهورية العربية المتحدة وفادته وأنعم عليه الرئيس بوسام رفيع » :

سلامٌ على لحن من الشرق مُنْعِم ... سلام على صوت من الله ملهم
على ساحر في موكب الحق ثائر ... يجاهد في الدنيا بسيف منغّم
على « مُتَنَبٍّ » قال للعُرب آية ... تعز مسيحيا وترقى بمسلم
« سلام على كفر يوحد بيننا ... وأهلا وسهلا بعده بجهنم [(١)] »

❖❖❖

كتبتَ لشعر الجيل خير رسالة ... وأيقظتَ بالايقاع أحلام نوَّم
وكنتَ سراجا يقشع الغيّ بالهدى ... ويشرق في ليل من اليأس معتم
تدافع عن حقٍّ، وتدعو لوحدة ... وتتلو نشيد البعث في كل مَعْلم [(٢)]
وغيرك مجنون بليلي، وهائم ... على شفتَي لُبنى، وعدّاد أنجم
ومّداح أهل العرس في كل فرحة ... ونوّاح أهل الميت في كل مأتم
وهتّاف أحزاب، ونضو تعصب ... وبوق لأحلاف، وطبل لأعجمي

❖❖❖

سلام على غيث من الشعر صّيب ... أهلَّ على الفسطاط في خير موسم
أعندك أنّا قد نفضنا سُباتنا ... وسرنا إلى عهد على الله أكرم
رددنا إلى الشعب المعظم حقه ... وقد كان نهبا للمليك المعظم

(*) رشيد سالم الخوري، هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣، وأصبح من رواد شعراء المهجر، لقب بالشاعر القروي، له ديوانان «الرشيديات» و«القرويات». (المحقق)

(١) هذا البيت للشاعر القروي، وقد أحدث ضجة كبيرة حين قيل .

(٢) المعلم : المرحلة من الطريق .

وثرنـا عـلى البـاغي ، فـشد رحالـه إلى حيـث ألقـت رحلهـا أم قـشعم
وأنّـا بـذلنا للعـلا شـهداءنا وقلنـا تعـالَيْ أنـتِ يـا مصر واسلمي
وخُضنا مع العدوان خائضة الوغى وعُـدنا نغنـي بالقتـال المـؤمم
وقمنـا إلى السد الكبـير نـشيده بهمـة حـرّ مـن بنـي النيـل مُقْـدم
وانّـا بلغنـا عنـد سـوريّةَ المنـى وهل مصر من سورية غير تـوأم ؟
وانّـا دعونـا دعـوة عربيـة نراهـا سـوارا حـول أجمل معصم
نراهـا سـتاراً حـول أشرف أمـة بوحـدتها يـوم الكريهـة تحتمـي
تقـوم عـلى طـرف الخلـيج بمنسم وتنحـوَ عـلى شـط المحـيط بمبـسم
وبـين جناحيهـا أمـان لأهلهـا وفـدوى لهـم بالمـال والـروح والـدم

❖❖❖

دَعَوْنا ، فلبَّتنا الشعوب ، سوى فتًى بوجـه غـرابٍ في الفُـراتين أسـحم (1)
يطـل بـايهان العقـيم لربـه ويُـدلى بـرأي في الـسياسة أعقـم
وينكـر نـور الله في كـل خطبـة وكيف يحس النور مَنْ قلبه عمى ؟

❖❖❖

عفـا الله عـن قـوم أقمـتَ بحـيّهم إقامـة مغلـوب عـلى العـيش مُـرغم
لقـد كنـتَ فـيهم «صـالحا» في مقامـه بـأرض ثمـود هاديـا دون مغـنم (2)
تحدّث عـن سِـفر مـن الحـق ضـائع وتـنظم في معنـى مـن الخـير مـبهم
ومن أين للجهّال أن يدركوا الهدى ولـو قلـتَ في تفـسير ألـف معجـم
وفـيهم أصـول الجاهليـة لم تـزل وأسـطورة الأصـنام لم تـتحطم
فهـذا لـصهيون يـذل ويرتمـي وذا لـشمعون (3) يـضل وينتمـي

❖❖❖

عجبتُ لكـأس الحق ، يحلو مذاقها لـدى الحـر حتـى لـو تنـدّتْ بعلقـم
تمنيـتَ قـبراً في بـلادك مُـنعما ولم ترضَ قصرا عندهم غير مُنْعم (4)

---

(1) عبد الكريم قاسم .

(2) في هذا البيت إحالة إلى البيت القديم المأثور :

أنـا في أمـة تـداركها اللـه غريـب كـصالح في ثمـود

(3) كميل شمعون .

(4) كان أعداء العروبة في المهجر قد عرضوا على الشاعر القروي قصرا لعله يهز ضميره ، فأبى هديتهم ، وقال إن قبرا في أرض الوطن أحب إليه من قصرهم .

وكم ساوموك الأمس حتى خذلتهم ... فساموك في الدنيا عذاب جهنم
رموك بكفر حين بَشرتَ بينهم ... بحب مسيحي وعزمة مسلم
وحين تحديثَ التعصب دعوة ... يتاجر فيها كل باغ وأظلم
وحين تخيرتَ العروبة ملة ... تكابد من أعدائها كل أرقم
ألم تنبثقْ منها رسالةُ أحمد ؟ ... ألم يأتلق فيها كتاب ابن مريم ؟
ألم تتسعْ أحناؤها لمقدِّس ... يصلي لذات الله فيها ومُحْرِم ؟
أتوحيد مهد الأنبياء محرَّم ... وتبديده في الأرض غير محرَّم ؟
أعيذك من كفر رُميتَ بدائه ... وأرْقيك في الأبرار أرفع سلّم
فمثلك يعلو عند ربه ... على كل قسيس وكل معمم

❖❖❖

غداً تشهد الدنيا انطلاقة مارد ... قضى العمر مشدودا إلى جوف قمقم
غداً تحتفي باللاجئين ديارهم ... ويثمل من أقداحها العائد الظمي
غداً تزدهي أرض الجزائر بالمنى ... ويُنصر فيها كل صقر وضيغم
غدا ترتقي أرضُ العروبة ذروة ... من المجد لم تُسبَقْ ولم تُتوهّم
ويندم قوم عاندوك ، فقل لهم ... رجعنا حمانا ، لات ساعة مندم
فلن تنكروا شعري ولن تعقلوا يدي ... ولن تسلبوا روحي ولن تشتروا فمي
رجعتُ لقومي أستظل بظلهم ... وفي جعبتي فني وشعري ومنجمي
رجعتُ لهم صفر اليدين وعندهم ... من الحب لي كنز ، فلستُ بمعدم
وألفيتُ فيهم أسهم الحب ثرة ... وكم عندكم بالأمس ضيعتُ أسهمي

❖❖❖

رجعتَ لنا والنصر بالنصر لاحق ... وأمجادنا أنشودة المترنم
فقلنا لقد عاد « الرشيد » ولم يفز ... برامكة الدولار منه بمغنم
وبورك هذا الصدر من كف ناصرٍ ... بخير وسام حل في خير ميسم

❖❖❖

مهرجان شهيد

« ألقيت في الحفل الكبير الذي أقامه الاتحاد القومي بقاعة الاجتماعات الكبرى بجامعة القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، لتأبين الطيار الشهيد عدنان المدني ، الذي اضطرته الظروف الجوية إلى الهبوط بطائرته في أرض الأردن ، فاغتالته يد الخيانة والغدر الحاكمة هناك ، بعد أن زعمت في أول الأمر أنه جاء إلى الأردن لاجئا ، فلما أبى أن يذعن لما أرادت أن تملي عليه ، غدرت به فقتلته ، وزعمت أنه انتحر » :

طائر الشام ويا نسر الكنانه ... طِرْ إلى ربك واستقبل جِنانهْ
واملأ الفردوس طيبا وشذى ... واملأ التاريخ قدرا ومكانه

❖❖❖

يا رفاقي ، إن جمعتم جمعكم ... يومَ عدنانَ فأوفوا بالأمانه
لا تقيموا الحفل تأبينا له ... بل أقيموا عُرسه أو مهرجانه
واعقدوا الغار على هامته ... وانظموا فيه من الشعر جمانه
كلما استُشهد منا بطل ... لاح يومُ النصر يستدني أوانه
رُبَّ حي سادر في مُلكه ... لم يشرّف تاجه أو صولجانه
وشهيدٍ في سبيل الله إن ... سكن القبر جلا القبر وزانه

❖❖❖

أخرجوا عدنان من أكفانه ... وضعوا القاتل في اللحد مكانه
واسمعوا التاريخ يروى قصة ... من كتاب الغدر أو سفرْ الخيانه
زَيّف الحق ، فقالوا ، لاجىء ... جاءهم يرجو من العيش ليانه
جاءهم يبغي أمانا عندهم ... وأتى ينشر للناس بيانه[1]
ويحهم ، أي أمانٍ ؟ ومتى ... وجد الهارب في السجن أمانه ؟
ويحهم ، أي بيان عندهم ؟ ... أبيان القصّة الدنيا الجبّانه ؟
وهبوه لاجئا ... هل شرعهم ... في القِرىَ أن يصبح الموت خِوانه[2] ؟
بل هبوه عندهم متهما ... أيكون الحكم من قبل الإدانه ؟

---

(١) كان راديو عمان قد أعلن أن عدنان سيدلي ببيان عن مهمته التخريبية في الأردن ، بوحى من الجمهورية العربية المتحدة ، فلما جاء الموعد ، أذيع أنه انتحر .

(٢) القرى : إكرام الضيف ـ والخوان : المائدة .

يــا ضــياع العــدل في دولــتهم　　دولــة المستنــسر ابــن القهرمانــه

❖❖❖

يــا رفــاقي ، هــل رأيــتم ملكــا　　صــام للــضيم وصــلىّ للمهانــه ؟

قــد ســمعنا منــه بــالأمس عــلى　　منــبر العــالم هــذيا ورطانــه [1]

تــرجمَ القــول فأمــسى نبــأ　　أدّ راويــه وأخــزى ترجمانــه

عــربيٌ يــشبع العُــرب عــلى　　مــسمع الــدنيا ســبابا وإهانــه

هاشــميٌ آبــقٌ مــن هاشــم　　برئــتْ مــن رجــسه كــل ديانــه

راح للــدولار يــستجدي النــدى　　ويمــد الكــف يــستجدي الإعانــه

ويغــادي الحقــد جمهوريــة　　لحقــوق العُــرب قامــت ديدبانــه

تــستمد الــروح مــن ناصرهــا　　صــانها الــرحمن للعُــرب وصــانه

❖❖❖

يــا أجــبر الغــرب ، يــا غــر القــلى　　يا صغير القلب ، يا طفل الحضانه

هــذه اللهجــة لا ننكرهــا　　فهي من جدّك [2] نفس الأسطوانه

لا تَــسَلَ عــن دم عــدنان فقــد　　حُلــب الغــدر وأرضَــعتَ لبانــه

كُــنْ كــما شــئتَ ، وشــهّر وابتكــر　　أوَ لــست ابــن فــلان وفلانــه

أوَ لَــسْت ابــن المفاليــك الأولى　　فتحــوا في القــدس مــاخوراً وحانــه

وحفيــد العاهــل الفــدم الــذي　　مــا استحي إذ بــاع شــعبا بخزانــه ؟

❖❖❖

طــأطئ الــرأس ، فــما تــاريخكم　　في حمانــا غــير تــاريخ الخيانــه

كــان الاســتعمار فينــا حــافراً　　بــؤرا شــتى ، وكنــتم سرطانــه

نحــن قاومنــاه ، حتــى أقبلــتْ　　ســاعةُ الــصفر فزلزلنــا كيانــه

راح فــاروق وولّى فيــصل　　ومحــا النــاصر معنــى الاســتكانه

فترقّــبْ ســاعة الــصفر التــي　　كــم طــوت قبلــك مُلكــا وبطانــه

إبْــنِ مــا شــئتَ قلاعــا واتخــذ　　حولــك الآلاف جنــداً وســدانه

كــل تــاج لا يــرى أمتــه　　حــصنه ، هيهــات تجديــه الحــصانه

يمهــل الله ولا يمهــل مَــنْ　　أخــذ العهــد مــن الــشعب وخانــه

---

(١) إشارة إلى خطبة الملك حسين على منبر الأمم المتحدة قبيل الحادث بأيام ، وقد ملأها طعناً في الجمهورية العربية المتحدة .

(٢) الملك عبد الله .

غريب في لندن

« كان الشاعر في بعض المجتمعات بلندن ، حينما تساءلت عنه حسناء من بنات «التايمز» في استنكار ، ثم رقت لهجتها على إثر حديث عاصف عن مصر » .

قالت لهم : مَن الغريب ها هُنا ؟
أتجهلين يا « جوان » من أنا ؟
أنا ؟ أنا أكرم منك موطنا
أنا ؟ أنا أعرق منك معدنا
أنا ابن شعب يتحدى الزَمنا
ابن الروابي الخضر من أرض « منا »
المجد كان لجدودي وثنا
ولم أزل بما ورثتُ مؤمنا
أنا إذا ناديتُ للنجم رنا
أنا إذا أومأت للبدر دنا

◆◆◆

قالت : ألا تومئ للبدر هنا ؟
ألا ترى في سِمَتي منه سنى ؟
صف لي هواك ! قلتُ ليس هَينا
هل تعرفين خير ألحان المنى ؟
أنا الذي ألفها ولَحنا
هلاّ سميتِ بلبلا إذا حنا
على هواه في رباه موهنا
أدمى القلوب وأسال الأعينا
بنغم حبّب للناس الضنى ؟
لا تسألي عنه ، فإنه أنا

◆◆◆

قالت جوان : ليتني . . . ياليتنا

نشيد التعاون

« غنيت هذه الأنشودة بالإذاعة، كدعوة للنظام التعاوني الاشتراكي الديموقراطي » :

بنـــى الحمـــى تعـــاونوا قومـــوا ولا تَهـــاونوا

تعـــاونوا تعـــاونوا

❖❖❖

بنـــى الحمـــى تعـــاونوا طـــول المـــدى

عـــلى الـــسلاح والكفـــاح والفَـــدا

عـــلى الـــصلاح والفـــلاح والهـــدى

عـــلى الـــسلام والوئـــام والنـــدى

تعـــاونوا نَـــبْنِ الغـــدا تعـــاونوا نُقْـــنِ العِـــدَا

فـــإن لله يـــدا مـــع الـــذين آمنـــوا

تعـــاونوا تعـــاونوا

❖❖❖

ســـيروا عـــلى هَـــذِي الـــزعيم الثـــائرِ

قولـــوا لـــه لَبّيـــك عبـــد النـــاصر

إنـــا تعاونّـــا لخـــير الحـــاضر

وللغـــد الحافـــل بالبـــشائر

وباشـــتراكيتنا نحمـــي حمـــى ثورتنـــا

ورمـــز حريتنـــا تـــساندوا، تـــضامنوا

تعـــاونوا تعـــاونوا

الفيلسوف الضاحك

« ألقيت في مسرح نجيب الريحاني يوم الاحتفال بذكراه سنة ١٩٦٠ ، وقد جاء ذكراه في عيد الأضحى ، وعاصرت محنة أوشكت أن تعصف بالفرقة لولا لطف الله بالفن » :

اضحكْ من الدنيا ومَن فيها ... تضحكْ لك الدنيا وما فيها
إضحك ، فما الدنيا سوى ضِحْكةٍ ... إن لم تنلها .. سوف تبكيها

❖❖❖

اضحك من الجامع أمواله ... يعد فيها ثم يُخفيها
العيش يُشقيه بحرمانه ... والموت يطويه ويطويها

❖❖❖

اضحك من الواله في دُمية ... يسهر بالليل يناجيها
وربما دُميته لعبة ... في يد من ليس يساويها

❖❖❖

اضحكْ من العالم في برجه ... يشبع أهل الأرض تشويها
ما أكرم الجهل على أرضنا ... ما دام هذا العلم يُشقيها
اضحك من الباكي على راحل ... عيونه تُدمي مآقيها
أيهما أسعد في شرعه ... من فاتها أم من يعانيها ؟
اضحك من التائه في كِبْره ... وما أضل الكبر والتيها
لا يخرق الأرض ولكنه ... يحفر بئرا ينتهي فيها

❖❖❖

اضحك من الحسناء مجلوة ... تشتاقها الناسُ وتُطريها
فإن دَنَتْ للناس ، يا ويلها ... تعبث فيها ، ثم ترميها

❖❖❖

اضحك من الشاعر في وهمه ... يبني بيوتا ثم يلقيها
ضحّي لها العمر فلم تُغنه ... وإن يك الدرّ قوافيها

❖❖❖

اضحك من الظالم في دولة ... يحسب أن الظلم يلهيها
تفجعه في مُلكه ثورة ... الله يرعاها ويحميها

❖❖❖

يا بائع الأحلام في أمة ... أحلامها كانت تجافيها
قد كنتَ سلواها وترياقها ... في محنة عاشت تقاسيها

وعشتَ بالفنّ وآلائه — تحنو عليها وتواسيها
فكنتَ إشعاعاً لَطيف السنى — يشرق في سود لياليها
تُمثّل الواقع أكذوبة — وتجعل الآلام ترفيها
وترسم المأساة أضحوكة — لا يُدرك الغرّ مراميها
وتقلب العرش على ربه — وتشبع الأحزاب تسفيها
كم حكمة عصماء ترجمتَها — في نكتة حسناء ترويها
وكم سرى صوتك في بَحة — كأن صوت الغيب يضفيها
كأنما نبّئتَ عن ثورة — في الغيب لم تُلقِ مراسيها
قد أقبلتْ بعدك محفوفة — باليمن، بسم الله مجريها

❖❖❖

انفضْ تراب القبر تَلْقَ الذي — أمّلتَه في مصر يُهنيها
تَرَ الذي يُسعد أبناءها — ويُلبس الذل أعاديها
قد سرخت فيها عصا ناصر — فابتلعت كلّ أفاعيها
وأصبحتْ، والمجد أيامها — والنور والسعد لياليها

❖❖❖

علمتنا أن المنى خُدعة — إن عِفتَها مدّت أياديها
علمتنا أن الهوى فتنة — يحظى بها من لا يُرجّيها
علمتنا أن الأسى قسمة — أسعدُنا من ليس يدريها
وأن هذا العمر أنشودة — يشقي بها من لا يغنّيها
وأن كرّ العيش في ضِحْكة — أحلى من الدنيا وما فيها

❖❖❖

فلسفة أودعتَها روضة — قد عشتَ ترعاها وتسقيها
ومن لطيف الفن تعلو بها — ومن بديع الروح تشجيها
ولم تزل فرقتك المجتلَى — حاضرُها الزاهي بماضيها
تلبدتْ في أفقها غيمة — بالأمس، فاهتزت نواصيها
فأقبلتْ ذكراك واستصرخت: — هل فيكمو من ليس يفديها؟
جاءت مع الأضحى لتحكي لهم — عن تضحياتٍ أنت مُسديها
وعن ليالٍ أنتَ خلاّقها — وأنت رغم الموت مُحْييها
والبرُّ فيهم من يضحي لها — وليس منهم من يُضحّيها

ثورة الروح

« ألقيت في المؤتمر الكبير الذي أقيم بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة يوم أول نوفمبر في عام ١٩٦٠ احتفالا بدخول ثورة الجزائر عامها السابع ، وقد ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا رائعا في المؤتمر ، أشار فيه إلى اجتماع ثلاث ذكريات في ذلك الأسبوع: العدوان الثلاثي في ٢٩ أكتوبر ، وثورة الجزائر في أول نوفمبر ، ووعد بلفور في ٢ نوفمبر : وقد انتظمت هذه القصيدة ثلاث لوحات تتفق مع المناسبات الثلاث » :

في بلادي قصةٌ مأثورة بين البريّهْ
قصة الراعي الذي استنسر فاغتال الرعيه
كان ربّ العزش تركيًّا قليل الأريحيه
وبلادي أمة شامخة النفس أبيه
تعشق المجد وتُزهى بالأصول العربيه
حَكَمتْها في دُجَى الدهر عصابات عتيه
قسّمتها بين أحزابٍ وأهواء غبيه
وطغى الإقطاع في التربة مفتوح الشهيه
ورأى المستعمر اللقمة في فيه طريه
فطواها بين فكّيه كما تُطوَى الرميه
عاصرا من دمها المهراق في الشطآن ريّه
فتمطّت تُسْلم الأنفاس في الليل الضحيه
وتهاوت تشتكي لله ظلم البشريه
غير أن الروح ظلّت مثلما كانت قويه
لم يراوذها للاستسلام شوقٌ وهي حيّه
نفضتْ في ساعة الصفر تراب الآدميه

واستحالت ثورةً من نَفَس الله نقيه
عصفتْ بالظلم والظالم في الاسكندريه
ثم لَمّت شَعَثَ الشعب على السُّبْل السويه
حين صاحت فيه : لا حزبية ، لا طائفيه
ثم راحت ترغم الإقطاع أن يخلع زيّه
وتُسَوِّي فقراء الأرض في الأرض الغنيه
ثم قامت تطرد المستعمر المرّ الطويه
فجلا عنها وقد بيّت للعدوان نيه
وأتى العدوان في موكبه ذات عشيه
كاشفاً في الرجل الأبيض عُمْق البربريه
فانتفضنا ندفع العدوان بالروح الفتيه
وانتصرنا ، ورفعنا راية النصر عليه
وانحنى الكون يُزَكّي بأكاليل التحيه
أمةً صغرى اشر أبت تتحدى الهمجيه
وتُلَقّي العالم الحر دروس الوطنيه
ثم راحت تُشْهد الدنيا وتروي للبريه
أنها كانت ، وظلت ، وستبقى عربيه

❖❖❖

يا رفاقي في غمار النصر لا تنسوا البقيه
قصة البَغْي الذي ردّ زمان الجاهليه
قصة الشعب الذي اغتال فلسطين الشقيه
قصة الشعب الذي لم يحترم حتى نبيه
والوصايا العشر ، لم تَسْتَهْوِهِ منها وصيه

سرق البيت وأهل البيت غدراً وخَطِيّه
قتل المولود والشيخ ، ولم يرحم صبيه
أخذ الحرة بنت الحر في الحي سبيه
عبد الدولار . . . علاّه على الذات العليه
يا أخي في اللّد والرملة والقدس الزكيه
كل عدوانٍ على أرضك عدوان عَلَيّه
لا أرى أرضك إلا بور سعيد الأسيويه
وهبوها لرعاع الكون باسم العنصريه
ثم جروهم إلى العدوان جسرا ومطيه
قل لهم قد دنت الساعةُ للثأر صَدِيّه
يا بني موسى أفيقوا يا أفاعي البشريه
إن فينا ساحراً يغلب سحر الموسويه
رحم الله الثعابين إذا ألقى عِصِيّه
لم يزل يحمل جرحا من فلسطين الأبيه
هاتفا بالثأر واللعنة صبحا وعشيه
قل لهم إنّا استجبنا لنداء الناصريه
جمعتْنا المحنة الكبرى على دفع البليه
وأهابت : لا تعيدوا القصة الأندلسيه
قل لهم : وحدتنا لله عهد وأَلِيّه
وحدة باركها الرحمن بيضاء نقيه
زفّت ابن الفاطميين إلى بنت أميه [1]
ليجيء النصر من سيناء أو من طَبَرِيه

---

(١) إشارة إلى القاهرة الفاطمية ودمشق الأموية .

فتجلّـــدْ يـــا ابـــن يافـــا واصــــبري يـــا مجدليـــه
لكـــــما في قـــــصة العـــــدوان درس ووصــــيه
آمَنـــا بـــالروح ، إن الـــروح إن كانـــت قويـــه
فهـــي أمْـــضَى مـــن أســـاطير الـــرءوس النوويـــه
ووراء الليــــل فجــــرٌ وانتــــصارٌ للقــــضيه
لا تقـــولا هـــي ماتـــت ، وهـــى في الأعـــماق حيـــه
لا تقـــولا هـــي كانـــت ، فـــستبقى عربيـــه

◆◆◆

يـــا رفـــاقي ، لم تـــزل في قـــصة الظلـــم بقيـــه
قـــصة الثـــأر الـــذي نـــادى مـــن الغـــرب عَلَيّـــه
لـــــدماءٍ حُـــــرة في ســـــفح أوراس زكيـــــه
اســـتباحتها فرنـــسا ، بـــؤرة الـــدنيا الغويـــه
أنـــا بالثـــأر وبـــالثورة أيـــامي نديـــه
وحيـــاتي وحيـــاة العُـــرب للعُـــرب هديـــه
مـــا حـــدودي عنـــد أســـوان ولا الاســـكندريه
مـــا حـــدودي بالـــسويداء ولا باللاذقيـــه
بـــل مـــن البحـــرين للمغـــرب أهـــلي وذوِيّـــه
وطنـــي أكـــبر ممـــا تدّعيـــه التبعيـــه
وطنـــي في كـــل شـــبر مـــن بـــلاد العربيـــه
كتـــب الله عـــليَّ الوحـــدة الكـــبرى أليـــه
وحـــدود الله أبقـــى مـــن حـــدود البـــشريه
يـــا فرنـــسا . . . أيـــن أنغـــام الخلـــود الثورويـــه ؟
نَغَـــم الحريـــة الحمـــراء ضـــيّعتِ رَوِيّـــه

والإخـــاء الغـــامر الأرض بـــألوان هنيـــه
والمـــساواة التـــي تجمعنـــا في الآدميـــه
أيـــن تلـــك المثـــل العليـــا . . . حُلِيُّ الوطنيـــه ؟
أيـــن « فـــولتير » الـــذي رددت الـــدنيا دويـــه ؟
أيـــن « روســـو » فيلـــسوف اللمـــسات العبقريـــه ؟
ذهبـــوا .. لم تبـــق غـــير الـــذكرياتُ الدمويـــه
غـــير « روبـــسبير » قـــصاب الـــرءوس البـــشريه
عائـــداً في كـــل جيـــل لابـــساً للغـــدر زيـــه
فهـو « ديجـول » و « سـالان »[1] وبـاقي البلطجيـه
هكـــذا انهـــرتِ غـــداة الحـــرب ، رغـــم العنجهيـــه
أطفـــأت أنـــوارَ بـــاريس يـــدُ الله العليـــه
بعـــد أن كانـــت حِمَـــى النـــور وأم المدينـــه
هكـــذا لم تـــصمدي ســـبعة أيـــام ســـويه
وصـــمدنا للرحـــي ســـبعة أعـــوام عتيـــه
وســـتفنين . . . وتبقـــي أمـــة الأوراس حيـــه
تكتـــب النـــصر وراء النـــصر بـــالروح القويـــه
والتحيـــات لهـــا مـــن كـــل أرض عربيـــه

❖❖❖

(١) الجنرال سالان : زعيم المستوطنين الذين يحاربون حرية الجزائر .

عاطفيات

عصير التفاحة

لا تلوميني لأفكاري الجريئةْ — أول القصة في الأرض الخطيئةْ
لا أبونا آدمٌ عفَّ، ولا — أمّنا كانت من الذنب بريئه
عَصَرَا في دمنا تفاحة — ما لنا فيها تغذّيه مشيئه
هي في كل ذهابٍ نغم — ولها ترنيمةٌ في كل جيئه

❖❖❖

كل لذّات الدُّنَا غايتها — لذة في هوّة النفس خبيئه
لذة من جنة الخلد، وإن — قالها الناس بألفاظ بذيئه
النبي الأول[1] استغنى بها — عن جِنانٍ بالهناءات مليئه

❖❖❖

هي أصل الكون في نشأته — عجبا، كيف نسميها دنيئه
ولها في كل جيل دُفُّها — ولها ناياتها في كل بيئه ؟

❖❖❖

هـ[illegible]نُ الدهر في أعناقنا — يتقضّاه بأقساط بطيئه
نحن لو نذكر ما آباؤنا — لا نرى أبناءنا إلا نسيئه
كلما غابت وذابت شمعةٌ — أشرقتْ أُخرى على الأرض مضيئه

❖❖❖

ستقولين إذا فُزتِ بها: — أنها أجمل أحلامي الهنيئه

---

(١) آدم.

نداء الشباب

لـك الله ، مـا لـك يـا طفلتـي ... تـذوبين في حبـك الـصامت ؟
أطالعـه في اخـتلاج الـشفاه ... وفي لونـك الـشاحب الباهـت
وألمحه في رفيف العيّون ... وفي همـسك المطـرق الخافـت
وأقـرأه في اضـطراب القمِـيص ... عـلى صـدرك الخـافق النابـت
ومـا كنـتُ يومـاً حديـد الـشعور ... ولا كـان قلبـيَ بالمائـت

❖❖❖

ولكـنْ . . أتـصلح عـشرون عامـا ... تـدورين في طوقهـا الكابـت
وتمـشينها في رُواء الـشباب ... كأنـك أمثولـة الناحـت
لحـب فتـى جـاوز الأربعـين ... يجـرر في عمـره الفائـت
ويـسمع منـك نـداء الـشباب ... وتُرهبـه ضِـحْكَةُ الـشامت ؟

❖❖❖

فرحة العيد

أفديه لمّا أتى في ليلة العيدِ ... منغّم الخطو معسول المواعيد
العطر في صدره والشهد في فمه ... والورد في خده والفل في الجيد

◆◆◆

سألته وهو مُستلقٍ على كتفي ... ودمعة الشوق تجرى في الأخاديد
ماذا عليك لو اخترتَ الرضيَ وطناً ... وما يفيدك من هجرى وتشر يدي ؟
أتشرب الراح من دمعي ومن سهري ... وتستخفّك أنّاتي وتنهيدي ؟
فرشتُ دربك ورداً من رُبَى غزلي ... وزِنْتُ جوّك عطرا من أناشيدي
يا من عشقتُ فلم أشركْ به أبداً ... هل صنتَ عهدي وهل قدّرتَ توحيدي ؟
عرضتَ حريتي والقيد يخنقني ... فبعتُ حريتي واخترتُ تقييدي
وجدّد الناس في أهوائهم وأنا ... أراك أجمل أهوائي وتجديدي
عرفتني، ما جحود الفضل من خُلقي ... ولا تبدُّلُ عهدي من تقاليدي
لولا جمالك ما شفَّ الهوى نغمي ... ولا تعشّقت الدنيا أغاريدي
ملأتها من سلاف الحب شعشعة ... فخالها الناسُ معصور العناقيد

◆◆◆

طلعتَ في العيد مجلُوًّا على قَدَري ... كطلعة الغيمة الهمياء في البيد
فما رأيتُك إلا البعث في رمقي ... ولا دعوتك إلا فرحة العيد

◆◆◆

السنة المكسورة

« مهداة إلى الشاعرة الجميلة ك . . . فمن وحى السنة المكسورة النائمة بين صفين من اللؤلؤ . . . جاءت هذه الأبيات » :

عصفورتي . . . بالله يا عصفورهْ
ما سر هذى السِّنَّة المكسوره؟
وأين راحت ندفة البلّوره ؟
هل كسرتْها فكرة موتوره ؟
أم أكلتها شفةٌ مسعوره ؟
أم شربتها قبلةٌ مخموره ؟

◆◆◆

يا فتنتي من سحر تلك الصوره
من وجهك المُلقِى علىّ نوره
من الدرارى الحلوة المسطوره
كأنها قصيدة مشهوره
وبينها لؤلؤة منثوره
فديتُ تلك السِّنّة المكسوره
كأنها من الجَنَى باكوره
أو أنها بُنَيَّةٌ مذعوره
أو أنها عاشقة مهجوره
أو أنها موهبة مغموره
أو آيةٌ هاربة من سوره

◆◆◆

كأنهــــــا فـــــــستقةٌ مـــــــشطوره

أو حبــــة مـــــن عنـــــبٍ منقـــــوره

أو أنهـــــا غانيـــــة مغـــــروره

قـــد نزعـــت مـــن ثوبهـــا « التّنـــوره »[1]

❖❖❖

كأنهــــــا قنينـــــــة مطمـــــــوره

عطورهـــــا في قلبهـــــا مـــــستوره

قـــولي لنـــا : مـــن فـــتح ألقـــاروره

فانطلقـــــتْ عطورهـــــا نـــــافوره

تـــوزع العطـــر عـــلى المعمـــوره ؟

❖❖❖

حـــسناء . . . مـــا أنـــتِ ســـوى أســـطوره

فـــاخرة . . . ســـاحرة . . . مـــسحوره

❖❖❖

(١) التنورة : هي الـ Jupe هي في لغة أهل الشام . . . أي الجزء الأسفل من رداء المرأة . قيل: إن هذه القصيدة في الأديبة السورية «كوليت خوري» - المحقق-

القمر الأسمر

« كانت مع الشاعر سمراؤه يوم انطلاق القمر الروسي الأول ، فراح يرقبه في السماء ، فغارت السمراء من القمر الأحمر » :

رأتنـي أطـل لأفـق السـماء ... وأرنـو إلى القمـر الأحمـر
فقلـت : أينسيك هـذا الجديـد ... جنونـك بـالقمر الأسـمر ؟
فقلـتُ : معـاذ الهـوى أن تغـاري ... معـاذ السـني المشرق النـيّر
ومـا قـدّه في حساب الجمـال ... بـألطف مـن قـدك السـهمري
ومـا وهجـه وشـعاعاته ... بـأخطف مـن طرفـك الأحـور
ومـا نـاره وصـواريخه ... بـأحرق مـن صـدرك المثمـر

◆◆◆

تغـارين منـه ، ولـو غـار منـك ... لكـان مـن الأخلـق الأجـدر
ينابيعـه زمهريـر الشمال ... وأنـت مـن الخلـد والكـوثر

◆◆◆

تغـارين مـن قمـر طـائر ... يبيـع الحيـاة ولا يـشتري
وأنـت التـي تهبـين الحيـاة ... وتمـشين كالأمـل المزهـر ؟

◆◆◆

وكيـف تغـارين مـن كوكـب ... يـراه ذوو العلـم بـالمجهر
وأنـتِ التـي تملأيـن الوجـود ... بأضـواء هـذا الجمال الثـرى ؟

◆◆◆

تغـارين مـن قمـر الآدمـي ... ومـن نـوره الآفـل المـدبر
وأنـتِ التـي يتحـدى الإلـه ... بـتلك المتجـبر والعبقـري ؟
أعيـذك يـا فتنتـي أن تغـاري ... فتـوبي إلى الله واسـتغفري

فوق الظنون

كم أرجف المرجفون عنكا فهل تراني غضبتُ منكا ؟
ما قصدُهم ؟ أن أذوب ظنّا وأملأ القلب فيك شكا ؟
نكاية ما لها قرار وإن تصديقها لأَنْكي
أشك في معبدي وقُدْسي أعوذ بالله أن أشُكّا
ولو غدا قولهم يقيناً لكان كل اليقين إفكا

◆◆◆

أم قصدهم أنني لضعفي أمام عينيك لم أَصُنكا
وهَبْكَ خنتَ العهود يوما وهَبْك جُزْتَ الحدود.. هبكا
أي نعيم جناه غيري يَرْقي إلى ما جنيتُ منكا ؟
يا لهف نفسي على زمان لذل حسّادنا وأبكى
ولهف نفسي على مكان ما بيننا فيه ليس يُحكى

◆◆◆

أم قصدهم أن أخون عهدي يخونني الشّعر إن أَخُنْكا
أي جمودٍ أعيش فيه يا ملهمي لو نأيتُ عنكا
فكل نورٍ أراه ناراً وكل ورد أراة شوكا
وكل حسنٍ يحلو لعيني أعُده رِدّةً وشِرْكا

◆◆◆

يا ديْر حبي ويا صلاتي ملأتني صبوةً ونُسْكا
فأمرحْ من الطير في سماه واجعلْ لك العالمين مُلكا
وانشر جناحيك في الروابي وأبسطْها نشوةً وضِحْكا
وأنت فوق الظّنون عندي فدعْكَ عما يقال... دَعْكا

حكاية في الحي

قـــالوا حـــديث حبنـــا . . . حكايّـــة في حَيِّنـــا
يوغــل فيهــا الموغلــون . . . مــن قــصا ومــن دَنَــا
مــا ضرّنــا مــن قــولهم يــا فتنتــي . . . مــا ضرّنــا ؟
ومــا علينــا منهمــو ؟ ومــا لهــم ومــا لنــا ؟
أَمَــا ملأنــا الجــو عطــراً وجمــالا وســنى ؟
وأصــبح الزهــر ســلاماً وكلامــا بيننــا
وأغنيــات لا يعيهــا غــير أنــتِ وأنــا
كــم اتخــذناه حــساباً وعتابــاً لينــا
وكــم جعلنــاه مواعيــد تــضم شــملنا
الــورد : عنــد النيــل . . . والزنبــق : عنــد المُنحنَــى
وكــم تلهينــا بــه ليطمــئن حبنــا
أكرههــا : أحبهــا : تكرهنــا : تحبنــا

❖❖❖

أمــا جعلنــا صِــبْيَةَ الحــى نحــب مثلنــا ؟
أمــا رأينــا الأنجــم الزُّهــر تغنــى حولنــا ؟
أمــا شــهدنا البــدر يُــومِى بالإشــارات لنــا ؟
أمــا ســمعنا البلبــل الــشادي لنــا مؤذّنــا
نطــل مــن نافــذتينا إن دعانــا مَوْهنــا
ونــستجيب ونــصلّى مُهَجــاً وأعْيُنــا ؟
وكــم دعونــا الله للعــشاق في صــلاتنا
وكــم ســألْنا اللهَ غفرانــاً لمــنْ يــشى بنــا

❖❖❖

الله . . . مــا أجملهــا حكايــة في حّبنــا

حب من السماء

سلواي، يا أحلَى من الحلوَى | يا لذّة اللذّات يا سلوَى
أهواك في صبرٍ وفي عفةٍ | أهواك في طُهر وفي تقوى
أصنع من وحيك قيثارتي | وأملأ الدنيا بها شذْوا
ولا أرى معصية في الهوى | ما دمتُ أرضي منك بالنجوى
وأكتفي بالسهد في صبوتي | وأحتفي بالدمع والشكوى

❖❖❖

لو سنحتْ لي فرصةٌ للّقا | قلتُ على ذلك لا أقوَى
سلوى لغيري حسنها، ليس لي | إني امرؤ لا يحسن السَّطْوا
عندي لها التقديس في أوجِهِ | وعند غيري الخِدْر والمأوى

❖❖❖

أصون سلوى عن حديث الورى | والصب لا يفضح من يهوَى
طويتُ في قلبي أحلامه | وأنبلُ الأحلام ما يُطوَى
وقيل: ما شأوكَ في حبها | فقلتُ ألاّ أبلغ الشأوا
إني أحب الآه مكتومة | وأجعل القلب لها مثوى
وأنتشي بالراح مطمورةً | وأجعل الرُّوح لها قَبْوا
وأَهوَنُ القربان في حبها | أن أقطع العمر بلا جدوى

❖❖❖

من لامني إمّا شكوتُ الهوى | فليس يدرى لذة الشكوى
أوّل من أرثى لحرمانه | من لم يذق همًّا ولا شجوا
بُليتُ بالحب وأوصابه | وما ألذّ الحب من بلوى!
هل آدمٌ أشقَى بحوائه | أم آدمٌ أشقَى بلاحوًّا؟

أرض وسماء

نـــزل الـــستارُ عـــلى الروايـــةْ وتبـــدّلَتْ تلـــك الحكايـــةْ
طلـــع الـــصباح بنـــوره فرفعـــتُ للعـــصيان رايـــه
لا تـــسأليني مَـــنْ هـــواي الآن . . . مالـــك في هوايـــه ؟
يكفيـــك أنـــكِ لـــستِ أنـــتِ ولم تعـــدْ لي فيـــك غايـــه
فلكـــل عاطفـــةٍ مـــدًى ولكـــل عاصـــفةٍ نهايـــه

❖❖❖

إنْ كـــان غـــرّك أن حـــسنك آيـــةٌ فتنـــتْ صِـــبايه
ثـــوبي ، فقـــد ذهـــب الـــصّباَ واجتـــزتُ مرحلـــة الغوايـــه
وغـــدوتِ في عينـــيَّ للنكـــران والتـــبريح آيـــه

❖❖❖

يامـــا غفـــوتُ عـــن الاســـاءة واحتملتُـــكِ في البدايـــه
يامـــا شـــكوتُ لـــك الظنـــون ولم أمـــلَّ مـــن الـــشكايه
يامـــا غفـــرتُ لـــك الـــذنوب ، وكـــم صـــبرت عـــلى أسـايه
وتكلّـــم الواشـــون عنـــك فـــما أخـــذتك بالوشـــايه
ومـــضيتُ أســـقيك الحنـــان وبـــت أُوليـــك الرعايـــه
وأبثـــك اللحـــن الجميـــل فتـــسمع الـــدنيا صـــدايه
إلا فـــؤادك لا يُحـــسّ ولا يحـــن إلى ندايـــه
فرفعـــتُ رأسي أستجيـــر مـــن الـــضلالة بالعنايـــه
والله يهـــدي المـــستجير متـــى أراد لـــه الهدايـــه

❖❖❖

يـــا مـــن جعلـــتِ الحـــب تـــسلية لقلبـــك ، أو هوايـــه
إني استـــشرتُ العمـــر فيـــك فقـــال لي عمـــري : كفايـــه
لا تـــسأليني أن أعُـــود ، فـــأين أرضـــك مـــن سمايه ؟

صالح جودت

ديوان

حكاية قلبْ

(١٩٦٥)

(*) صدر ديوان «حكاية قلب عام ١٩٦٥ عن «دار المعارف بمصر» بغلاف ولوحات داخلية للفنان يوسف فرنسيس.

حكاية من الجنة

يومان يا روحي على الشاطئِ
هما شفيعاي إلى بارئيَ
يقول عنا الناس .. يا ويحهم
خاطئة بين يدىْ خاطئ
وما دروا أن الهوى آية
تخفَى على الجاهل والصابئ
لولاه، ما دبّت حياة الورى
على تراب الكوكب الناشيء
ألم تكُ الجنة خدر الهوى ؟
ألم يكن آدم بالبادئ ؟
ألم يهبه الله حوّاءه
يعبث في تفاحها الناتئ
ويلتقي في خدرها مذبحًا
يرد روح العاشق الظامئ؟
يا بنتَ حواء، بحق الهدى
لا تشفقي من نظرة الشانئ
بل اسألي أمك، كم آية
قد نزلت من جرحها الراقئ
فعمّرتْ في أرضنا جنة
يطيب فيها الحب للاجئ

يومـان يـا حبّـي عـلى الـشاطئ
ضـمّا هـوى ظمـأي إلى ظـامئ
بعـدهما الطوفـان مـا همَّـنى
بعـدهما .. مـا عـدتُ بالعـابئ
يقـول عنـا النـاس ، يـا ويحهـم
خاطئـة تـسعى إلى خـاطئ
ومـا دروا أن الهـوى رحلـة
في زورق الله إلى الـشاطئ
إلى جنـان الله في أرضـه
إلى جنَاهـا العـاطر الـدافئ
إلى صـلاة في محاريبهـا
وخلـوة في ديرهـا الهـادئ
إلى صـيام عـن جمـال الـدُنا
إلاك .. في عـش الهـوى الهـانئ

❖❖❖

لا تخجـلي مـن جفـوة المـدّعي
لا تجفـلي مـن قولـة الهـازئ
اختلطـت بـين الهـوى والهـدى
حكايـة الحـرف عـلى القـارئ

❖❖❖

أحلى أغنياتي

لا تقولي عن هوانا هو أحلى الذكريات
ذكرياتي هي أمسي... إنما أنتِ غداتي
كل ما فات شعاع الفجر ممّا هو آت
أمسنا كان أنيق الطيف معبود السمات
كان إشراق الثريا بالمنى والبسمات
كان سعي النصف نحو النصف في غير أناة
كان مجلي طاقة الحب وتفجير النواة
كان بُشرى ليلة القدر بأحلى الأمنيات
غير أن اليوم أحلى منه في أعماق ذاتي
واقعي في يقظتي أنت .. وحُلمي في سباتي
والتحيات التي أذكرها كل صلاة
ما الذي يسعدني إن لم تكوني في حياتي؟

❖❖❖

إن محا النسيان شعري وانطوى بعد مماتي
فستبقى قصة الحب حديثًا للرّاوة
وسيبقى ما همسناه ألذّ الهمسات
وسيبقى الجو مخمورًا بعطر القبلات
وستبقين على الأيام أحلى أغنياتي

❖❖❖

حب جديد

سوف أنسى لهفة الحب الجديدِ
وأمنى النفس بالماضي السعيدْ
عشت عامين بقلب من حديد
حيوانَ الروح وحشي الجمود
أكره الرق وأزري بالقيود
وأرى الحسن بوجدان البليد
وأرى في الحب أحلام العبيد

❖❖❖

ما الذي أيقظني بعد رقودي؟
ما الذي حركني بعد ركودي؟
أنتِ من أقبلتِ كالظنِ البعيد
لتعيديني إلى الماضي العهيد
أنت من أشعلت مخبوء الوقود
وتبديتِ لأحيا من جديد
في ضلال من صلاتي وسجودي

❖❖❖

شاطئ الحب

«من قصيدة من وحي الإسكندرية»

أسكندريةَ، فيك الري والظمأ
بأي قصة حب فيك أبتدئ؟
أقصة الحب طفلا، في ملاعبه
لا همّ أترابه الدنيا ولا عبأوا
أيام كنا نرى الحرمان معصية
ونأخذ اللهو كلاًّ ليس يُجتزأ
ونجعل الرمل قصرًا، ثم نهدمه
ونركب الموج عرشًا، ثم ننكفئ

❖❖❖

ولّت طفولتنا كالحلم مسرعة
ودب في إثرها المستقبل اللكئ
جاء الشباب، وكنا في ملاوته
نلهو فنغلو، ونستشري فنجترئ
أما الشباب، فقد قضت موائده
وما تخلّفَ إلا الجوع والظمأ

❖❖❖

تحية يا «أبا العباس» من نَفَس[1]
على شفاعتك الحسناء يتكئ
وأنت من تجتبي للروح غايتها
من الصفاء ويُجلى عندك الصدأ
إن كان ذنبيَ أني ضعتُ في نهمي
إلى الجمال، وعيني ليس تمتلئ

(١) «أبو العباس المرسي» ولي الله صاحب المسجد المأثور بالإسكندرية.

أو أنني في اشتهاء الحسن، ما برحتْ
نفسي تمور، وقلبي ليس ينطفئ
أو علتي أنني في الحب عاصفة
من الجموح، فأرشدني لمن هدأوا
أسائل الزاهدين الحسن، أي ضنى
يسترحمون عليه منذ أن برئوا
وأنت حارس هذا الحسن، تنشره
على الضفاف، وتدنيه لمن هتئوا
أمضّني الذنب، لكن لم أزل كلفًا
به، فجئت إلى مثواك ألتجئ

◆◆◆

إسكندرية، عفوًا عن خطيئتنا
ويجمل العفو إما يكبر الخطأ
كم مهرجان أقمناه على «بَرَدَى»
قد كنتِ أولى به لو أنصف الملأ
منازل الوحي في مغناك ما برحت
والملهمون على شطيك ما فتئوا

◆◆◆

يا ربة الشعر، يا بلقيس دولته
جودي علينا، فإنا كلنا سبأ
بناك للصيف ذو القرنين مروحة
تشفى بها المهج الحرى وتبترئ
سماء غيرك تزهى إن حوت قمرًا
وأنت أرضك بالأقمار تمتلئ
إني رأيت طلوع البدر من «بحري»[1]
فقلت هب لي أمانًا أيها الرشأ

◆◆◆

(١) بحري: حي بالإسكندرية مشهور بفتنة بناته.

بقية قلب

أتحبينني؟ .. تعالى .. أجيبي
رددي ألف مرة : يا حبيبي
املئي بالهوى فراغ حياتي
إنني عشتُ في فراغ كئيب
كل يوم يمر من غير حب
فمن العمر ليس بالمحسوب
والهوى جنة ، نهايتها النار
... ولكن ، هيهات منها هروبي
أوصدتْ بابها علىّ ، وقالت :
لك مني أزاهري ولهيبي!
فتجرعتُ منها كل صاب
وتذوقتُ منها كل طيب

◆◆◆

بك شيعتُ طيف حب قديم
ردني من لدنه غير مشوب
كان بيني وبين حواء ثأر
مستبد بقلبي ، المشبوب
وصفا الدهر ليلة ، فالتقينا
بعيون كثيرة الترحيب
فإذا أنت فتنة في سكون

وجمـــال مهـــذب بالـــشحوب
وعيـــون بـــشيرة بالأمـــاني
واختيـــال يطـــير فـــوق القلـــوب
وخيـــال يـــسمو بإلهامـــه الـــشعر
... ويـــوحي للـــشاعر الموهـــوب
تتهـــادين في حيـــاء حبيـــب
وتكـــادين رقـــةً أن تـــذوبي
وتـــزالين في الهـــوى طفلـــة القلـــب
... عـــلى فيـــك باقيـــات الحليـــب
وتهامـــستَ خلـــسة ... مـــا أتـــى بي؟
وإلى أيـــن بعـــد ذاك ذهـــوبي؟
ولم الكـــأس بعـــد كـــأس ... كـــأني
هـــارب مـــن مـــآتم وخطـــوب؟
ولمـــاذا أكـــون في زهـــرة العمـــر
... وفي نـــاظريّ لـــون الغـــروب؟
وأداري عـــن العيـــون شـــقائي
وأغنـــي الأســـى بلحـــن طـــروب
وتـــساءلتِ مـــن أنـــا؟ .. أنـــا لحـــن
عزفتـــه يـــد الـــشجى والوجيـــب
أنـــا روح شـــقية تعـــشق النـــار
... وتفنـــى في لـــذة التعـــذيب
أنـــا قلـــب محـــير، دائـــم الخفـــق
... قليـــل الرضـــا ... كثـــير الوثـــوب

ابتدأت الهوى صبيًّا، وأفنيت
... شبابي في سجنه المحبوب
ليت قلبي على يديّ لتلقى
صفحة من شبابه المنهوب
كان يهوى الهوى، ويخلص للحسن
... ويمشي بناظر معصوب
كل ثقب به، حكاية حب
بدموعي وحرقتي مكتوب
لا تضيفي إليه ثقبًا جديدًا
لم يعد فيه موضع للثقوب
اتقي ثورة الأسير إذا تاق
...لحرية الخلاص الرحيب
إن بيني وبين حواء ثارات
... تمنيك بانتقام رهيب
سألقيك للرياح هشيًا
ستكونين في عداد ذنوبي
إن في أضلعي بقية قلب
كان في حبه شهيد القلوب
هدهديه بحانيات الأماني
وتمليه في حنو الطبيب
ارفعي روحه كما رفع الله
... إلى خلده نبي الصليب

◆◆◆

ليلة الوداع

أسرعـــي الآن أسرعـــي
فـــات وقـــت التمنـــع
لم تعـــد غـــير ليلـــة
مـــن غـــرامٍ مـــودع
كنـــتِ بـــشري وجنتـــي
ومراحـــي ومرتعـــي
كـم عـلى صـدرك الحنـون
... توسـدتُ مـضجعي
وعـلى ثغـرك الحبيـب
... تخـيرتُ موضـعي
وحـــوالّي فرحتـــي
وحواليـــك أذرعـــي

❖❖❖

إن تكـــوني بعيـــدة
عـــن عيـــوني وأدمعـــي
فـــالهوى مـــلء غرفتـــي
والجـــوى مـــلء أضـــلعي.

❖❖❖

أغنيات المساء

وانتهينا إلى الحديث عن الحب
... فقالت في رقة وحياء
أترى أنت لا تزال على عهدك
... تصبو للأعين الزرقاء؟
وتشيم الجمال في ذهب الشعر
... فتهفو لموجه الوضاء ؟
فتحيرتُ ، إذ يغالبني الصدق
... وترنو إليّ عين الرياء
قلت : لا زلت ... غير أني تغيرت
... وبات الفؤاد رحب الفضاء
إن قلب الفنان يسجد للحسن
... بشتى الظلال والأضواء

◆◆◆

فرأيت الحنين في عينها معسولة
... السحر هاتف الأصداء
وجنون الغرام مضطرب الروح
... لعويًا بشعرها الكستنائي

◆◆◆

وطغى الصمت ... غير أني أحسست
... غريبًا ملثمًا بالخفاء
ينزع الزرقة الحبيبة من قلبي
... ويلقي بعسجدي للفناء

◆◆◆

إن يكن فجر حبها ذلك اللحن
... فيالى من أغنيات المساء!

ليالي الإسكندرية

أنــــت للـــدنيا ســــلام وتحيــــة
أنــــت فـــردوس القلـــوب العربيـــه
يـــا ليـــالي الـــصيف في الإســـكندريه

❖❖❖

موكب الحسن علي الكورنيش إذ يخطر
يمــلأ الجــو تــرانيمًا وأنغامًــا ومــيلا
كلهم في ذكريات من هوى قيس وليلى
يسألون الرمل والبحر هل الجنة أحلى
مـــن مغانيـــك الحـــسان العاطفيـــه
يـــا ليـــالي الـــصيف في الإســـكندريه

❖❖❖

هذه الحسناء مرت فتن الصيف عليها
فكــستها ســمرة تجتــذب الــدنيا إليهــا
رقص الموج على لحن الهوى بين يديها
فأجابت وابتسامات المنى في شفتيها
أنــــت أحــــلى مــــن ليـــالي البندقيـــه
يـــا ليـــالي الـــصيف في الإســـكندريه

❖❖❖

أنا في رحلة عمري طفت من واد لوادي
ما رنت عيني إلى أجمل من ثغر بلادي
المنى في كل شط والسنى في كل نادي
ها هنا البحر غذائي ، ها هنا الرمل
هـــا هنـــا ســـحر العيـــون العربيـــه
يـــا ليـــالي الـــصيف في الإســـكندريه

الموعد الخائب

وموعـد للوصـل يـا غانيـهْ
أخلفتـهِ ... للمـرة الثانيـه
نسيتِ؟ هل تُنسى وعود الهوى؟
يـا ليـت مـا أنسـاك أنسانيه
وقفت ... والشمس على هامتي
جهـنم .. مـشبوبة .. حاميـه
تـشفق مـن نـاري عـلى نارهـا
آواه لـو تـدرين نيرانيـه
ورُحـت أستلني أوان المنـى
بخطـوة رائحـة جائيـه
وأسـأل الـشاعر : مـاذا لهـا
أعـددتَ مـن وزن ومـن قافيـه؟
وأسـأل الـساقيّ : مـاذا لهـا
هيـأت مـن خمـر ومـن آنيـه؟
وأسـأل الجنّـان : مـاذا لهـا
نـسقت مـن زهـر ومـن داليـه
حتـى دنـا الميعـاد ... فاستعجلتْ
أشـواقُ روحـي اللحظـة الباقيـه
مـا بـال روحـي بـين أشـواقها
تخلـط بـين العـام والثانيـه ؟
وعقـرب الـساعة ، مـا خطبـه ؟

هل كفّ عن دورته الماضيه؟
أم راح يمشي القهقري ؟ أم مضى
يسخر من آماليَ الواهيه ؟

❖❖❖

ودقّت الساعة دقّاتها
تبشر الدنيا بميعاديه
واضطربَت في عقربيها الرؤى
فأي بشرى كتباها ليه ؟

❖❖❖

كم فتنة مرت ... وكم أقبلتْ
وكم تعلقتُ بأوهاميه
وكلما لاح سني عابر
يقول قلبي : أتراها هيه ؟
فيقشع اليأس ضباب المنى
ويسخر الدمع بإنسانيه
وهذه تمضي إلى عاشق
وتلك تنساب إلى ناحيه
ويسعد الناس بأحبابهم
إلا حبيبي ... لم أشاقنيه ؟

❖❖❖

وقفتُ كالتائه لا أحتفي
بالفتن الرائحة الغاديه
انفردت بالحسن في ناظري

مفتونة ... عابثة ... لاهيه
مجنونة القلب، تُرى ساعة
عاشقة والهة فانيه
حديثها همس، وألحانها
بكل ألوان المنى شاديه
وحبها أحدوثة للورى
وقصة في المثل العاليه

❖❖❖

وروحها في الحب صوفية
تحيا من العالم في زاويه
وثغرها يهتز في لهفة
للقبل الدافئة العاتيه
وساعة تنكر معنى الهوى
ساخرة ... ثائرة ... قاسيه
يبدو إله الحب في بأسه
فيسجد العالم ... إلا هيه
خُيلّ لي إذ طال بي موقفي
أن عيون الناس تهزا بيه
ومرت الساعات محزونة
ومالت الشمس عن الناصيه
وأظلم العالم في ناظري
فعدتُ ألقى ليلتي الداجيه

الله أكبر

أودعتـــك القلـــب فاحـــذرْ
أخـــاف أن يتكـــســـر
خفـــف عليـــه التجنـــي
كـــسرُ الهـــوى لـــيس يُجـــبر
أمـــا تـــراه جريحًـــا
عـــلى يمينـــك يقطـــر
يـــا مـــستبيح شـــباب
مـــن النـــضارة أنـــضر
ويـــا مـــذل فـــؤاد
مـــن التكـــبر أكـــبر
عيونـــك الـــزرق نامـــت
عمّـــن مـــدى الليـــل يـــسهر
طـــوت جفونـــك لونًـــا
للظلـــم يُطـــوى ويُنـــشر
جعلـــتَ روضي يبابًـــا
وكـــان روضي أخـــضر
مـــلأت جـــوى ظلامًـــا
وكـــان جـــوى منـــوّر
وكلـــما رحـــتُ أشـــكو
تقـــول: أنـــتَ المخـــيّر!

أجـــل ... أحـــبُّ عـــذابي
فهـــات هـــذا وأكثـــر

❖❖❖

يـــا دميـــة تتهـــادي
وفتنـــــة تتبخـــــتر
الـــصيف والرمـــل والبحـــر
... والنـــسيم المعطـــر
وشـــعرك المـــذهب الطيـــف
... مائجًـــا يتبعثـــر
إني أغـــار مـــن الـــشمس
... حيـــنما تتخطـــر
تجـــري عليـــك بـــسحر
حلـــو الـــسلافة أســـمر
وأنـــت تمـــشي الهوينـــا
تخـــاف أن تتعثـــر
ولا تبـــالي قلوبًـــا
عـــلى طريقـــك تُنثـــر
يـــا أكـــبر النـــاس حـــسنًا
لا تطـــغ ... فـــالله أكـــبر

❖❖❖

المشية الموقّعة

لحنتُ أشعاري على مشيتك الموقعهْ
إن سرتِ في الدرب سمعتُ في الفؤاد قرقعه
تحكم في ساحته .. وتستبيح أضلعه
كأنها قيثارة في قدميك مودعه
تسمعني في الخطوتين نغمات أربعه

❖❖❖

يا نغمات تحت أقدام الجمال طيعه
هل أنت من فن السماء ونهاها المبدعه
ترنيمة لم يدن «بتهوفن» منها إصبعه
وغنة أمامها ... أوتاره مقطعه؟

❖❖❖

أم آية لله في الأرض ... جمالا ودعه
توجه الكافر لله وتنضو برقعه
وتحكم الإيمان في مهجته المزعزعه؟

❖❖❖

أم أن كل خطوة ... شيطانة ملعلعه
إن خطرت بالعابد الساجد عند صومعه
أغرت بلحنها اللعوب قلبه ليتبعه
يكاد من فتنته باللحن ينسى مبدعه
قم أيها العابد واعبده وقبّل مرتعه
ولا تخف يوم عذابٍ ... فعلّ التبعه

❖❖❖

ساقاك ؟ ... لا .. بل عمد .. أنوارها مندلعه
مزاجها من الضحى والخمرة المشعشعه
وقدماك ؟ ... لا .. بل القيثارة المرصعه
أوتارها العشرة ذات الكسوة المدولعه
يا عجبي ... تعزف من غير يد موقعه

من القلب

يا حبيبًا لست أخشى فيه عين الرقباءِ
أتمناه ولا يمنعني عنه حيائي
هو في البأساء عوني وهو في الليل ضيائي
وعليه صلواتي ... ولمغناه دعائي

❖❖❖

يا حبيب الله والناس ... ويا نور السماء
يا مجيري من مصيري يا أمير الأنبياء
يا شفيعي يوم لا يسأل عني شفعائي
يا ثرائي يوم ألقى عَرَض الدنيا ورائي
أنا غنيت بذكراك صباحي ومسائي
وبذكراك انتشت روحي فأبدعت غنائي
وبنجواك ازدهت نفسي وتاهت خُيلائي
وعلى بابك يا أحمد ألقيت رجائي
كلما عانيتُ ناديتك فانداح عنائي
يا بشير المسلمين المؤمنين الأتقياء
إن تكن عني رضيًّا ، فأنا في السعداء
يا حبيب الله والناس ... ويا نور السماء

❖❖❖

بلقيس

«من قصيدة من وحي رحلة إلى اليمن»

لمن العيون الحالمات المغريات بألف نظرهْ؟
لمن الشفاه الحاليات المسْكرات بغير خمرّه؟
لمن الجبين الألمعي يذوب إشراقًا ونُضره؟
لمن القوام السمهري يزلزل الدنيا بخطْره؟
لمن الحرير الموصليّ على حرير أرق بشره؟
لمن السرير تهابه الدنيا وتحسده الأسرّه؟
مَن ربة التاج الحبيب المزدهي بأجل غُرّه
صلَّت رعيته عليه وسلمت لأعز دُرّه
وكأنما عقدتْ لآلئُه لها مُلك المجرّه
وكأن نور الشمس من لفتاتها يلتاع غيره
هذى المليكة مِن خطاها يبدأ التاريخ سيره
خلعتْ نضارتها عليه ووشحتْ بالنور فجره
بلقيس ... مَن وهبتْ حديث الجنس لذته وسحره
وتطاولت لذُرَى نفرتيتي وقمة كليوبتره

❖❖❖

مَن مثلها بين الإناث نُهيً ومنزلة وقُدره؟
سحرتْ سليمان الحكيم فباع حكمته بنظره
قالوا له جِنِّية مرتاشة الساقين وعره
فجبلا رخام طريقها وأشفه لتمرّ عبره
فجلت له ساقين كالنوّار إغراءً ونضره
تتحديان شفيف مرمره وتقتحمان كِبْره
وتشعشعان فتزريان بألف جارية وضُرّه

فصبا النبي ، وما عليه إذا صبا لأعز حُرّه
من لا يسبّح للجمال قضى عليه الله كفره

◆◆◆

بلقيس ... إني قد سعيتُ إلى حماك وخضتُ بحره
وحملتُ وعثاء الطريق إلى مزاركِ غير مُكره
أتنسم المأثور من ماضيك أو أستاف عطره
وبلغتُ شرفة «مأرب» أستلّ من ذكراك عبره
وأقول أين الضفتان ... وأين سدّك والبحيره
والعرش ... والذهب المقنطر ... والوسائدَ والأسرّه
والمعبد المأثور يحوي ألف زاوية وحجره؟
لم ألق في مغناك إلا دمنةً تشكو لصخره
وطلول أعمدة تنوح وتستنيح بألف عَبره
ولَقى تماثيلِ تدس وجوهها خجلاً وحسره
والشعب من حول الطلول هو الطلول المكفهره
من كل وجه في التراب يذوب متربةً وُصفره
فإذا تلفت للسماء ولم يجد في الغيم قطره
وإذا تمرغ في التراب ولم يجد في الأرض كسره
سكنتْ جوانحه وأسلم للغد المجهول أمره
لم يَقْوَ من إعيائه أن يشتكي لله فقره
وكأن هذا الشعب مات ولم يجد في الأرض حفره
وكأنه من عهد آدم ما تحرك قيد شعره

◆◆◆

بلقيس ... عفوًا إن حملتُ على الملوك بكل شرّه
لا الصولجان له البقاء ولا الأرائك مستقره
إن لم تكن لذوي العروش من التفاف الشعب سدره

◆◆◆

ليلى العراق

«من قصيدة من وحي رحلة إلى بغداد»

وحـــق الـــذي عقـــد الآصره
ووحــــد بغــــداد والقـــاهره
وذوّب في النيـــل حـــب الفـــرات
وقـــرّب مـــن عـــارف نـــاصره
دعـــاني إلـــيكم بنـــي الرافـــدين
حنـــين لكأســـها العـــاطره
ويـــا طالمـــا كـــان حُلمـــي العـــراق
وأمنيتـــي هـــذه الحـــاضره
فلـــما قـــضاها لي المهرجـــان
ركبـــتُ لهـــا الفرحـــة الطـــائرة
أســـائل أيـــن ليـــالي الرشـــيد
وأيـــن ملاعبـــه الزاهـــره؟
وأيـــن النـــدامى وأيـــن العبيـــد
يطوفـــون بالكـــأس والنـــادره؟
وأيـــن «زبيـــدة» فـــوق البـــساط
تجـــرّ أذيالهـــا الفـــاخره ؟
وأيـــن «دنـــانير» في ســـحرها
كـــأني بهـــا «ســـومة» القـــاهره؟
وأيـــن الجـــواري يلـــدن الفنـــون
ويرقـــصنها كالمهـــا النـــافره
وهُـــنّ المـــدافئ في الزمهريـــر
وهُـــنّ المـــراوح في الهـــاجره

سهرت أسامر هذا الخيال
وحلم بالصورة الباهره
إلى أن غزا الفجر ليل العراق
وأطلع أنواره الباكره
ومن خلفه أقبلت شهر زاد
كأجمل ما تُقبل الزائره
وراحت تحدثنا بالجديد
وخلّتْ أساطيرها الغابرة
وقالت : لقد راح عهد الرشيد
وفَضّتْ طلائعنا سامره
فإنّا زرعنا المنى والكرامة
والعزم في الهمم الخائره
وإنا نفضنا زمان العبيد
ودارت على ليله الدائره

◆◆◆

وحَق الذي عقد الآصره
على سيرة للعلا سائره
دعاني إليكم بني الرافدين
هواي بداركم العامره
فألفيتُ قلبي يخف إليكم
وتسبق أشواقه الطائره
يسائلكم عن مضارب «ليلى»
وطلعتها السمحة الباهره
وليلى العراق أعز الليالي
فأمُّ العلا بعدها قاصره
لها تِركةُ المجد عن كابر

وإرث الفـضيلة عـن كـابره
لهـا شرف «النجـف» المتـألق
بـالأنجم الحلـوة الزاهـره
لهـا النسب الفخـم مـن كـربلاء
وسـاكن تربتهـا الطـاهره
لهـا ألَـقٌ في سـواد العيـون
تكحلـن مـن بابـل السـاحره
لهـا رقـة الخـبَرَ الموصـليّ
يكـاد يـذوب عـلى الخـاصره
لهـا جاذبيـة تمـر العـراق
يسيل عـلى الشفة العـاصره

◆◇◆

فـلا تعـذلوني إمـا خفـضتُ
جنـاحي للـسـبلاكم الآسره
عركـتُ الليـاليَ مـن قبلهـا
فكـنَّ عـليّ رحـى دائـره
ومـا كـان مـن أمـر لـيلى أميـة
لّمـا يـزل يلفـح الـذاكره
ولّمـا يـزل في حنايـا الـسواد
أسـى مـن جراحاتهـا الغـائره
بـذلتُ لهـا مـن فـؤادي الحنـان
وهيـأتُ جنتـه النـاضره
فأدمتـه في فرحـة المهرجـان[1]
وفي ذروة الليلـة الـشاعره
لهـا الله مـن طفلـة غرّروهـا

(١) إشارة إلى وقوع الانفصال في ختام ليالي مهرجان الشعر بدمشق سنة ١٩٦١م.

فأمست بها آمنت كافره

❖❖❖

يقولون ليلى بأرض العراق
من السقم شاحبة ضامره
تكابد من علة في الخفاء
وليست بها علة ظاهره
أنا الصيدلي، وعندي الشفاء
وفي جعبتي الحكمة الماهره
دواؤك ليلى، دعاء إلى الله
يسري إلى السدرة العامره
يجنّبك الألم العنصري
ويطفيء نيرانه الساعره
ويكفيك شر القلق المنهي
ويحميك من نابه الكاسره
وينجيك من فئة ... بالسماء
وكل عقائدها تاجره
ويشفيك يوم انطلاق الجنود
إلى أرضنا الجلدة الصابره
وشد الزنود وخفق البنود
على مهد عذرائنا الطاهره
ليجمعنا المهرجان الكبير
على موعد في ربي الناصره

❖❖❖

إلى ليلى أمية

«مرت الطائرة فوق سماء دمشق في طريق عودتها من بغداد إلى القاهرة، فذكر الشاعر ليلى أمية في محنة الانفصال».

بلِّغوهـــا إذا بلغـــتم حماهـــا
أنبـــي المـــستهام رغـــم جفاهـــا
منعتْنـــي عـــن أرضـــها فتـــسامىَ
بيَ حبـــي، حتـــى بلغـــتُ سـماها
أقليـــلٌ عـــليَّ أن تـــتجلَّى
لعيـــوني... ولا أقبـــل فاهـــا؟

◆◆◆

ليتهـــا وهـــي تمنـــع الـــورد عنـــي
نفحتنـــي بحفنـــة مـــن ثراهـــا
بلِّغوهـــا أني عـــلى العهـــد بـــاقٍ
فعـــساها تثـــوب يومًـــا.. عـــساها

◆◆◆

مصري في الدنيا الجديدة

يـــا ربوعًـــا كيّـــف الله هواهـــا
وحباهـــا بالخيـــال النـــاعم
وغـــذا بالـــسحر والعطـــر رباهـــا
وســـقاها بالنبيـــذ الحـــالم
وكـــسا بالبُـــسُط الخـــضر ثراهـــا
فهـــي تحيـــا في ربيـــع دائـــم

خـــير زادي مـــن ليـــاليّ الطويلـــة ليلـــة في ســـان فرنـــسكو الجميلـــه

❖❖❖

ســـمعتْني فتنـــة الحـــان أغنـــي
وأنـــا أرنـــو إلى الوجـــه الحبيـــبْ
فاســـترابت .. ومـــضت تـــسأل عنـــي
كـــل مـــن حـــولي ، ولكـــنْ لا مجيـــب
قلـــتُ يـــا ســـاقية الـــراح اطمئنـــي
لا تهـــابي نظـــرتي، إنّي غريـــب

عـــربيّ الـــروح مـــصريّ القبيلـــه هـــائم في ســـان فرنـــسكو الجميلـــه

❖❖❖

فـــانتهى منهـــا الـــذي يجهلنـــي
وصـــحا التـــاريخ في أعماقهـــا
واطمأنـــتْ .. ومـــضت تـــسألني
عـــن نفرتيتـــي وعـــن عـــشاقها
وعـــن الزهـــو الـــذي يـــشملني
حيـــنما أنمَـــى إلى أعراقهـــا

نـــسبٌ لا يـــدّعى غـــيري مثيلـــه في مغـــاني ســـان فرنـــسكو الجميلـــه

نصف قديسة

سيّان، إن أخلصتِ أو خُنتِ
إني أحبك مثل ما أنتِ
وأرى بك الأنثى إذا انفجرتْ
وأشم فيك براءة البنت
من أيّ طينة راهبٍ نزقٍ
يتعشق الدنيا ... تكوّنت ؟
فيكِ الخطيئةُ والخلاصُ معًا
يتلوّنان .. وكم تلوّنت
بطهارة العذراء ذُبتِ تُقًى
وبلهفة الأنثى تزيّنت
ما بالوفاء كبرتِ في نظري
أو بالرياء صغرتِ أو هُنتِ
أنتِ الحياة ... وكنت أجهلها
إن الحياة كما تبيّنت
ألقاك لي ، فأقول يا ترفي
ولآخرٍ ... فأقول أحسنت
ويظل قلبي في تعلّقه
إمّا قسوتِ عليه أو لِنتِ
فإذا اختلفتِ ... صرختُ من جزعي
متوسلاً : عودي كما كُنتِ

***

(*) سان فرانسسكو – ١٩٦٤.

صالح جودت

ديوان

ألحان مصرية

(١٩٦٨)

(*) صدر ديوان ألحان مصرية عام ١٩٦٨ عن دار الكتاب العربي بالقاهرة بدون إهداء أو مقدمة وبغلاف ورسوم داخلية للفنان عبد العليم.

ماتت الشجرة

«إلى التي أهدتني يومًا شجرة من بنات الظل»[1]

واحسرتاه، ماتت الشجرهْ
وتساقطتْ في الظل مُحتضره
أهديتها لي بعد أن عَبرَتْ
ما بيننا أحدوثةٌ عطره
عن قطةٍ بيضاءَ ناعمةٍ
عاشت بغابٍ كلُّه نَمِرَه
سكّانه ازدحمتْ مطامعهم
فيها، وما كانوا بها برره
لكنها بجميل حكمتها
خرجتْ على الأطماع منتصره

◆◆◆

وسمعتُ من شفتيك قصّتها
والحُزْن من عينيك منحدره
وفهمت ما في الرمز من سبب
إن الرموز تعرّف النكره
ولمستُ كبتًا صامتًا عرمًا
يرتجّ تحت نعومة البَشره
وعواطفًا عذراءَ حالمةً
وأنوثةً شماءَ مُدّخره

◆◆◆

(١) هي قصة الشاعر مع حسناء قرأت عليه قصة رمزية، ثم أهدته شجرة ظل.. ثم اختفت.

وجرى بنا قَصصٌ إلى قَصَصِ
ومضى الحديث يكرّ كالبكَره
حتى وقفنا عند مُفترق
أطرقتِ فيه حيّةً خَفِره
ألقى السؤال إليك في حَذر
وإجابتاك الصمت والعَبَره
مأساتنا في العيش واحدةٌ
يا قطتي ، يا أجمل الحرره
في شرعة الغابات ، سيدتي
يشقىَ التُقاةُ ويَسعد الفجره

◆◆◆

وهممتِ واقفةً ، مُخلِّفةً
قلبًا يواجه في الهوى قَدرَه
وأردتُ أستبقيك من وهمي
فوددتِ ، واستأذنتِ معتذره
ومددتِ نحو فمي يدًا ظمئتْ
لحلاوة القبلات منتظره
فلثمتُها ، ولو اتقى خجلي
ضعفي إليك ، لثمتُها عشره

◆◆◆

أهديتِ لي من بَعدها الشجرهْ
فينانةً مخضلّةً خَضِره
وقَبلتُها وأنا أحس بما
في لُبِّها من لُعبَةٍ خطره
وهمستِ لي : أحسنْ رعايتها
ونَوِّلها بأنامل حذِره
واسهرْ عليها ، فهي غانية

مـن عاشـقات الظـل في الحُجُـره
والله يـشهد ، كـم نزلـت عـلى
همـس الجـمال وكـلّ مـا أمـره
ونفـضت عنهـا الـتُّرب منتشـرًا
وثنيـت عنهـا الـريح معتكـره
وذبيـت عنهـا الطـير عابثـةً
ورددت عنهـا الـشمس مـستعره
إلا فَراشـاتٍ ملوّنـة
هفهافـة ورديـة الـوبره
حامـت عليهـا تنثنـي طربًـا
وتراقـصتْ نـشوانةً سَـكرهْ
وتخايلـتْ بـاللون حاليـةً
وتحايلـتْ بالـضعف مـؤتزره
فنـسيتُ مـن ولهـي برونقهـا
أن الفراشـة أصـلُها حـشره
راحـت تدغـدغ في رقائقهـا
وتمـسّها في شِرّةٍ وشَرَه
وتمـص مـاء الجـذع واغلـةً
وتميـل نحـو الحـذر معتـصره
وأنـا لجهـلي ، لا أحـس بِـما
يجنـى الفَـرَاش فـأتقى خطـره
كـم مـن نفـوس ترتـدي كـذبًا
ثـوب الـضعيفة وهـي مقتـدره
أكلـت نـضارتها ، فـما تركـتْ
إلا قـشورًا هـشّةً نخـره

❖❖❖

واحسرتاه، ماتت الشجرهْ
وتساقطتْ أوراقُها النضره
من يومها، ما جاءني نبأ
عن قطتي والغاب والنمره
الفأل، ويح الفأل، يُغرقني
بهواجس مسودَّة عكره
توحي بأن مدى حكايتها
أكذوبة في الحب مبتكره
وتقول لي: تخذتك ألهية
بشجيرة كتمائم السَحَره
ماتت، وكانت غير مُثمرة
واهاً لغرسٍ ماله ثمره
وتضيف: أقصرْ فهي ناسيةٌ
هل قطةٌ للعهد مُذّكره؟
هي قطة، كبنات جلدتها
وقلوبهن ثعالبٌ مكره

❖❖❖

تقسو عليكِ هواجسي، وأنا
أحيا بنفسٍ نصف منشطره
تقسو عليكِ، فهل أصدّقها؟
أم أنها كذّابة أشره؟
سيقول عنا الناس في غدنا
بقي الأسير، وراح من أسره
فأقول، ضاعت خبرتي بدداً
وأضلّ أهل الحبِّ من خبره
فيم انتظاري وَهمَ عودتها؟
مات الهوى ... مُذ ماتت الشجره!

(*) القاهرة – ١٩٦٧.

غجرية

هــاتي فنونــكِ خُلَّــصًا ، ودَعــى
لَغــةَ الرّقّــى والرمــل والــودع
وحكايــةَ الآتي ، ومــا ادّخــرتْ
لغَـدِ الـصبية في هـوى «الجـدع» [1]
والجــارةَ الــسمراء ، إذ ســحرتْ
لهــا بطــول الهــم والوجــع
و «النقطتــين» عــلى لقــائهما
في لحظــة مــن أســعد الجُمَــع

❖❖❖

تلــك الحكايــة لا تحرّكنــي
إن لم تقــع يومًــا وإن تقــعِ
أنــا آخــذ الــدنيا كــما قَــدمتْ
في غــير مــا يــأسٍ ولا طمــع
وأحــب أيــامي ، وإن كــشفتْ
أحــداثَها عــن ألــف مــصطرع
مــالي وللمجهــول ، أعرفــه
فــأعيش بــاقي العمــر في هلــع؟
لابــدّ مــن دمــع ومــن سَــقَم
ودوائــرٍ ممــرورة الجُــرعِ
لمَ أعــرف الآتي وحلكتــه
إن كــان نجمــي غــير ملتمــع؟
ولمَ التعجــلِ في مفاجــأة

(١) في هذه القصيدة ، يتعمد الشاعر استخدام الألفاظ التي تجري على ألسنة الغجريات في لغتهن الدارجة. الجدع : الشاب ـ النقطتين : الفترتين ، والنقطة في عرفهن هي اليوم أو الأسبوع أو الشهر أو السنة .

حـــسناء ، لم تنــضج ولم تُــدَع ؟
إنّ التَـــشّوقَ وحــــده أمـــلٌ
كـــالبكْر في أحـــلام مفــترع
ومـــن اقتنـــى غرسًـــا ليخلعـــه
قبـــل الأوان ، جنـــى ولم يَـــع

◆◆◆

يـــا زهـــرةً بريـــةً نبتـــتْ
في قفـــر وادٍ غـــير منـــزرع
هـــاتي فنونـــك في أصـــالتها
غجريـــةً ، همجيـــة البـــدع
لمـــيّ الخـــزام ، واطلعـــي شـــفةً[1]
مـــشبوبة ، محبوبـــة الـــدلع
وخذي «البياض» سماحة ورضى[2]
مـــا تطمعـــي في بذلـــه نَطـــع
قُـــومي وضـــجّي ، وارقـــصي طربًـــا
وتمـــايلي بالـــدّف وانخلعـــي
وارمـــي بـــشَعرِكِ هاهنـــا وهنـــا
والهـــي بـــصدرٍ فـــاتن القَمُـــع[3]
وتعلّقـــي هـــذا وذاك ، ولا
تخـــشيْ ، وضـــلّ في خطـــاك وعـــى
وتـــأوّدي ، وتلـــوّدي ، وحـــدِي[4]
وتـــوغّلي في الجمـــع وانـــدفعي
واغـــرى بحـــسمٍ صـــارخٍ عـــرمٍ
متنـــاثر متطـــاير القطـــع

(١) الخزام : الحلقة التي تضعها الغجريات في أنوفهن .
(٢) البياض : في لغة الغجر ، الجعل النقدي .
(٣) أي بصدر مخروطي كالقمع .
(٤) تلودي : أعوجي .

متمـــرد الأعطـــاف ، يهلبـــه
لـــون النحـــاس الأســـمر اللّمـــع
وتـــأججي ، وتـــوهّجي ، وثبـــي
كلظَـى مـــن الراقـــود منـــدلع [1]
وتبّـــدلي قَـــدَمًا عـــلى قَـــدم
وقفـــي ، ولَقّـــى كـــالرحَى ، وقعـــي
واســـتنفري ســـاقيك ناهـــضةً
وتعلقـــي في الجـــوّ ، وارتفعـــي
واغـــلي ، ودوري ألـــف دائـــرة
برشـــاقةٍ مجنونـــة الـــسَّرَع [2]
واســـتظهري المكنـــون مـــن فـــتن
تـــرتج تحـــت شـــفائف الخِلَـــع

❖❖❖

وإذا رأيـــت القـــوم في سَـــكَر [3]
معلـــوّين بنوبـــة الـــصرَع
متـــــواثبين إليـــــك في شرهٍ
متكـــالبين عليـــك في جـــشع
تيهـــي ، ومُـــدّي نحـــوهم عنقـــا
متحـــديًا متكـــبر التلـــع [4]
وتقـــبلي إعجـــابهم، وخُـــذي
مـــنهم أحاديـــث الهـــوى ، ودعـــى
إن الرجـــال لفـــرط شِرّتهـــم
يتبـــذلون حكايـــة الولـــع
يلغُـــون في لـــذّات ليلـــتهم

(١) الراقود : الأتون .
(٢) السرع : السرعة .
(٣) السكر : الثمالة .
(٤) التلع : مد العنق من التيه والخيلاء .

وهيـــامهم فيهـــا بـــلا رَجَـــع[1]
ويغـــازلون الحـــسن في نهـــم
ويقيّمـــون الفـــن كالـــسّلع
فهبـــي لكـــل منهمـــو أمـــلاً
وتظـــاهري بالميـــل ، وامتنعـــي
وإذا أصـــابك ســـهم قَـــوْلتهمْ :
غجريـــة .. مبذولـــة المَتَـــع
منهوعـــة الكفـــين ، فـــاجرة
تهـــوى الهـــوى وتهـــيم بالخَـــدَع
لا تعـــذليهم ، إنهـــم هَمَـــلَ[2]
غجـــر النفـــوس ، كـــواسر الطمـــع
تـــستنزفين الجـــسم جائعـــةً
ويعربـــدون لكثـــرة الـــشبع
فـــإذا أفـــاقوا بعـــد ســـكرتهم
لبـــسوا قنـــاع الطهـــر والـــورع

◆◆◆

كـــم مـــن وجـــوهٍ جـــدّ لامعـــة
تعلـــو نفوسًـــا جمـــة البُقَـــع
لا تـــشفقي مـــنهم عـــلى أحـــد
إني أنـــــا أدريَ بمجتمعـــــي

◆◆◆

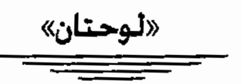
أحبيـــتُ ، لـــولا أننـــي رجـــلَ ،
لـــو مـــرّ بي لـــيلي ، وأنـــت معـــي

◆◆◆

(١) الرجع : الرجوع .
(٢) الهمل : أي كالإبل السارحة بالليل بلا راع .

القاهرة الجميلة

«لـوحـتان»



١ ـ هكذا تكلم رمسيس :

لبيّـــك يـــا أمَـــلَ العروبـــةْ   أفـــديك لا أرجـــو مثوبـــةْ

أهواك قاهرتي الحبيبةْ

❖❖❖

لبيـك مـن أغـوار عـاطفتي ومـن أعماق قلبـي

أهـواك يـا بنـت الأكـابر مـن فراعنـة وعُـرْب

يـا مُلتقى الـوجهين ، يـا وعـد الحبيبـة والمحـب

لازلـت بوتقـة الزمـان يلـينِ عنـدك كـل صُـلب

ويـذوب فيـك العنـصران الطيّـان أرق ذوب

متواعَـدْين عـلى المـسيرة للعـلا جنبًـا لجنـب

ويُطلّ رمسيس العظيم عليك في عَجَبٍ وعُجْب

متسائلاً : مَـن ذلـك العمـلاق مـن أبنـاء شـعبي

متـألق الفـودين رغـم شـبابه بأجـلّ شـيب

متـألق العينـين بالإقـدام لا يعنـو لخطـب

متـدفق الجنبـين بـالإيمان لا يمـشي لريـب

متـشبثًا بقـضية الأحـرار في سـلم وحـرب

متغنيًـا بكرامـة الإنـسان في شرق وغـرب

يخطـو ، فتلحظـه عنايـة ربـه مـن كـل صـوب

ويُجِلّه الثوّار إجلال المعلّم والمربيّ
ينهى ويأمر في القضاء فما له إلاّ يُلَبّى
ويترجم الآمال والرؤيا إلى عمل ودأب
ويشير للنيل العظيم فينحني دون المصبّ
ويشيع أنفاس الحياة وعطرها في كل جدب ؟

◆◆◆

مَن ذلك العملاق ، يمشي العمر من كسب
لو جاء في زمني لكان أعزّ من آمون ربي
يُحيي زمان المعجزات ويستهين بكل صعب
ويصون تاريخي ويرفع معبدي ويعز نصبي
ويقيم تمثالي على عرش من الأضواء رحب
وكأنما نافورتي تُهدى إلى الأجيال نخبي
وكأنني لم أنأ عن دنياي أو لم أقض نحبي ؟
لبيك عاصمتي التي دلّت على «منف» و «طيبه»[1]

لبيك يا أمل العروبة أفديك لا أرجو مثوبة
أهواك قاهرتي الحبيبه

◆◆◆

(١) منف وطيبة : عاصمتان من عواصم مصر الفرعونية .

٢ ـ المسلة والمئذنة والبرج[1] :

قَسَمًا بأيام النعومة والطفولة في «المنيرة»[2]
وبِبهجة البيت القديم المستعزّ بخير جيرة
بمقام واهبة الأمان لكل نفسٍ مستجيرة[3]
كم جُبت آفاق الوجود وذقت أنعمه الوفيره
وسبرت غور بحاره، وعلوت ممتطيًا أثيره
ورأيتَ طاقات الحضارة في عواصمه الكبيره
وعرفت ألوان الحياة المستطابة والوثيره
ومتى ذكرتكِ هلّلتْ عيني بأدمعها الغزيره
وتمثّلتك فأبصرتْ من بعدك الدنيا حقيره

❖❖❖

حَسْبي من الزهو المدلل أن أطلّ على الجزيره
وأرى بناتك في الضفاف يَسِرْن كالفتن المثيره
متدللاتٍ بالملاية واللبانة والضفيره
من كل لاهية القوام كظبية الوادي غريره
تمشي فتنطلق الخُطَى نغمًا وتشمخ كالأميره
وكأن ماء النيل ينبض في ملامحها السميره
وكأنها جيتاره الولهان يُسمعها خريره
وكأنها في عزّ مشيتها نفرتيتي الصغيره

(١) حينما يقف الرائي على ضفة النيل الشرقية، أمام فندق هلتون، تبدو أمامه ثلاثة أعمدة على حدائق الشاطئ الغربي، متجاورة، هي المسلة والمئذنة والبرج، رموز حضارات مصر الثلاث المتعاقبة: الفرعونية والإسلامية والحديثة.
(٢) المنيرة: حي معروف بالقاهرة.
(٣) السيدة زينب.

لمَ لا تدلّ ، وحولها التاريخ مؤتلق المسيره
وهنا الحضارات الثلاث هواتف بأجل سيره ؟
فهنا المسلة تمنح الوادي من الماضي عبيره
ومَجَ النقوش على جوانبها كأضواء الضهيره
وهناك مئذنة لعرش الله ناظرة مشيره
وهنالك البرج الكبير يدور دورته الجهيره
ليقص قصة جيلنا وحديث وثبتنا الأخيره

◆◆◆

تلك الحضارات الثلاث هنا موحدة الوتيره
في هذه العمد الثلاثة سر وحدتها الأثيره
سر امتداد وجودها عبر القرون بلا نظيره
وقيامها في كل مرحلة بمعجزة عجيبه
لبيك يا أمل العروبة أفديك لا أرجو مثوبه
أهواك قاهرتي الحبيبه

(باريس ـ ١٩٦٦)



حبيبتي

حبيبتي ، وإن قطعت من حنانها الأملْ
وعشت في يأسى بمرْوَدِ السُّهاد أكتحلْ
وبالعذاب أغتذى ... وبالدموع أغتسل
وللشجون والظنون والجنون أمتثل
لقلت من تعللي : أحبها ... ولم أزل

❖❖❖

حبيبتي ، إذا حملت في سبيلها الجبلْ
وإن ركبت في غرامها مهالكَ السُّبُل
وإن يكن طالع حظي في سمائها زحَل
وإن غدوت في ظنون الناس للصبر مثل
لقلت من توهّي : أحبها ... ولم أزل

❖❖❖

حبيبتي ، وإن أبتْ مني شفاعة الرسُل
ومزّقتْ قصائدي من النسيب والغَزَل
وإن سقيتُ تربها بأدمعي ، ولم تَسَل
وأسكرتني في تجنّيها بخمرة الفَشَل
لقلت من ثمالتي : أحبها ... ولم أزل

❖❖❖

حبيبتي ، إذا قضيتُ في غرامها الأجل

وجاء قبري الملكان يحصيان لي الزلل
وسألاني في التراب : هل أفقتَ من خبل؟
ألم تزل تحبها ؟ ألم تَشُبْ؟ ألم تَمَلّ؟
لقلت من تعبدي : أحبها ... ولم أزل

❖❖❖

حبيبتي ، وحُبُّها ملء دمي من الأزل
ترابها أغلى عليّ من خزائن الدول
تراثها دينيَ قبل الأنبياء والمِلَلْ
حبيبتي مصر ، وكم أنلتها ولم أنل
وقلت من تبتُّلي : أحبها ... ولم أزل
(القاهرة - ١٩٦٧)



قالت سها

يطالعنى وراء السّرب سربُ
ولي قلبٌ على الظَبَيَات حَدْبُ
أشاهدهن ألوانًا حسانًا
فلا أدري لأيتهن إصبو
فضامرةٌ بكفّى أحتويها
وفارعةٌ لَقامتها أشبّ
وسمراءٌ لها في القلب وقعٌ
وشقراءٌ لها في العين وثب
وعاقلةٌ لها فتَنٌ رواسٍ
وماجنةٌ لها هَذَرٌ ولغب
وساذجةٌ براءتها تغنيّ
وماكرةٌ لها دَلَعٌ ولَوْب
وقاسيةٌ محببة التحدّى
وناعمةٌ تَلَذّ وتُستحب
يثير جمالُهنّ شجون نفسي
كأنّ جمالهن عليّ ذنب

❖❖❖

وقال الشانئون: فتىً لَعُوبٌ
نوازع قلبه لا تستتبّ

(*)سها: اسم زوجة الشاعر، واسمها الحقيقي هو «سها عبد الحميد الصحن»، توفت في التسعينيات. (المحقق).

أحاديـــث الغــرام عليـــه تــترىَ
وهاتفُـــهُ المحلجـــلُ يـــشرئبّ
ويعبـــث في ملاعبـــه كطفـــلٍ
يظـــل إلى صـــدور الغيـــد يحبـــو
يهـــيم بحلـــوةٍ ، فتلـــوح أخـــرى
فيتْبعهـــا ، فثالثـــةٌ فيكبـــو
فرابعـــةٌ ، فيخـــدعها بعهـــد
ولا يـــدري أيُـــبرم أم يخـــبّ ؟
ولا تـــصل الحكايـــة منتهاهـــا
ألا تبّـــتْ حكـــايتهم وتَبّـــوا
أنـــا إن أغْـــرِ أحـــلام الـــصبايا
بـــما أغـــرى ، فلـــيس علـــيّ عتـــبُ
أتـــرجمهن للأيـــام شـــعرًا
تـــضوع بنـــشره صـــحفٌ وكتْـــب
وأمـــنحهن مـــن شـــعري خلـــودًا
كـــأني بـــالخلود لهـــنّ ربّ

❖❖❖

وقالـــت لي «سُـــها» : أتحـــب غـــيري؟
فقلـــت لهـــا : وحَقّـــك لا أحـــب
تخـــذتك دونهـــن هـــوىً مقـــيما
لـــه بيـــتٌ وناصـــيةٌ ودرب
وبعْتُـــك عِـــشْرتي ووهبتـــك اســـمي
ولي ، مهـــما ارتحلـــت ، إليـــك أوْب

ولكنّ الخيال يعزّ إن لم
يُحرّكْ شجوه بُعدٌ وقُرب
يعربد في تبذله فيحلو
ويقبع في تبتّله فينبو
وكيف أغض طرفيَ، أهْوَ أعمى؟
وكيف أردّ قلبيَ، أهو صُلب؟
وهل يرضيك أن أجفو خيالي
وأشهد لهفتي والنار تخبو؟
وأمّا الأخريات، فهن كأسي
من الإلهام، أشربها وحَسْب
وهنّ منابعي في الشعر، لكنْ
إليك المنتهَى، وهنا المصبّ

«القاهرة – ١٩٦٧»



الحب مات

قالت وفي القلبين جُرْح : الحبّ إحسان وصَفْح
إني ظلمتُك حين ضجّ بخاطري القلق المُلحّ
وكبا بيَ الشك العنيد فصحّ لي ما لا يصح
ورجَعتُ تائبةً إليك يردّني ندمٌ وبَرْح
خُذْني ، فإنك قمةٌ ، وأنا بغير هواك سفح
أفما ترى صوت الضمير يكاد من خجلي يُبَح ؟
إن الكريم ، وإن تعذّبَ بالإساءة ، لا يشح

❖❖❖

فأجبتُها مبتسمًا : الحُبّ مات فليس يصحو
قد كان لي قلبٌ كقلب النُور معطاء وسَمْح
يُضْفي حواليكِ الضياء وما انطوى لليل جُنح
قلبٌ يَزين لك الفصول فكُلّها عَبَقٌ ونفح
ويمد نحوك راحتين طِلاهما أمل وفَرْح
حتى تملككِ الغرور ولم يعُدْ يُجْديك نُصح
وغدوتِ أنثى ، في ثقوب ضميرها أفعىً تفح

❖❖❖

قالت : أجَلْ أذنبتُ ، فامْحُ الذنب ، إن الله يمحو
فأجبتُها : هل تطلبين من الضحايا أن يُضَحّوا ؟
خمد اللظى في جانبيّ ، فلم يعد للنار لفح
وخسرتُ فيكِ عواطفي الموجاء ، والخسران ربح
واسودّ قلبي ، لم يعد فيه لليل هواك صبح
إني نسيتُكِ ، فاذهبي .. الحب مات فليس يصحو

« القاهرة – ١٩٦٦ »



ساديزم

فَـــدَيْت مَـــنْ إن رآتنـــي
أنـــوء بـــالجرح تـــضحك
وإن تأوهـــتُ ، قالـــت
لا أبْـــرَأ الله جُرحَـــك

◆◆◆

ســـاديّة تتـــشَهّى
لـــونَ احـــتراق الـــشموع
غـــذاؤها مـــن عـــذابي
وسُـــكرها مـــن دمـــوعي

◆◆◆

مجنونـــة القلـــب ، إمّـــا
حَنَـــوْتَ ، تقـــسو وتجفـــو
وإن قـــسَوتَ عليهـــا
كجـــدول المـــاء تـــصفو

◆◆◆

إنْ آنـــسَها ذكَرتْنـــي
وإن أغِـــبْ أنكرتْنـــي
وإن أنَـــمْ أيقظتْنـــي
وإن أفِـــقْ أســـكرتني

◆◆◆

وفي شـــذاها مِـــزاجٌ
يَـــضُوع طُهـــرًا وخُبثـــا
فيهـــا بـــراءةُ بكْـــرٍ
يجتاحـــه شـــوق أنثـــى

◆◆◆

النـــار والـــثلج فيهـــا
والـــصمتُ والـــضوضاءُ
فنـــصفُها محـــض ذل
ونـــصفُها كبريـــاءُ !

« القاهرة - ١٩٦٦ »

ليلة في عمر الخيام

ليلةٌ في سان فرنسسكو نهبناها اختلاسا

في رواقٍ، عمر الخيام أرساه أساسا

ودعا فيه من النُّدْل الذي يرضى «نُواسا»

وجلا فيه من النقل الذي طاب غراسا

ومن «الليكور» ابريزًا وياقوتًا وماسا

ومن الأنغام والأضواء أبهاها انعكاسا

❖❖❖

فغَدًا للظّبيات الخَود في الحبي كِنَاسا

قد تقارينَ شبابًا وتخالَفن جنَاسا

فترى مخلوطةِ الألوان سمراء خِلاسا

وترى صينيةً ناعمةً لانت نُحاسا

ثم أفريقيةً تنفر خوفًا أو شِماسا

ثم إيطاليةً تقطر لطفًا وائتناسا

ثم أمريكيةً تزخر نارًا وحماسا

كلهنّ انتزعت من جسمها العقل فماسا

---

(١)عمر الخيام، أجمل حانة في سان فرنسسكو، وهي مدينة ساحرة، دائمة الربيع، تتعايش فيها أربعة أجناس تحتفظ بأصالتها: الأمريكيون البيض، والزنوج، والصينيون، والإيطاليون، ويملك هذه الحانة المليونير الأمريكي، أرمني الأصل، جورج مارديكيان، صديق مصر والمصريين، وصاحب كتاب the songe of America.

- الندل: الخدم - نواسا: أي أبو نواس، وكان يستلمح الغلمان - النقل: ما يؤكل مع الشراب (المزة) - الليكور: قائمة الأنبذة - الخود: الشابات - الكنائس: بيت الظبي - جناس: أجناس - الخلاس: المولدة من اللونين

ومـضتْ تفـترس اللـذة في الليـل افتراسًـا

مـا عليهن إذا أسرفـن في اللهـو انغماسًـا

في بـلادٍ لا تـرى في عَبَـث العُشّاق باسًـا

منطـق في حُرمات الـشرق لا يُـرضي أناسًـا

غـير أن الغـرب يـستطريه للعـيش أساسًـا

فهـو لا يقبـل في حريـة الحـب التباسًـا

❖❖❖

آه من بحبوحة العيش التي تُنسى الإياسًـا

أسـكرتْنا ، فكأنّـا قـد شربناهـا سُلاسًـا[1]

فـإذا نحـن قلـوبٌ بالأمـاني تَتَواسَـى

وأيـادٍ تتـساقَى وشـفاه تتحاسـى

وشـكا الخـمّار منـا ورأى الويـل وقـاسيَ

فهـو لا يرفـع كاسًـا قبـل أن يمـلأ كاسًـا

كلـما أنهـىَ إلينـا أربعًـا قلنـا خُماسًـا

وسـهرنا نقـدح الـصبح ونغتـاب النعاسـا

لـيس مـن صُـحبتنا مَـنْ يجعل الليـل لباسـا

نحـن لا ننـسى حقـوق الله ، لكـن نتناسـى

أمـلا في عفـوه الـسابغ عنـا ، والتماسـا

«سان فرنسسكو ـ ١٩٦٤»



(١) السلاس : الجنون .

قولي لهم



قولى لهم وأعلنى : أحبه ... يُحبني
أما ترون حبنا في خلجات الأعيُن؟
وتسمعون همسنا بالشجو والتحنن؟
وتشهدون بَوْحَنا كصلوات المؤمن ؟
وتعلمون أنّ بالحب الحياة تغتني
أما تَرَوْنَ أنه ... أما ترون أنني
أحبه ... يحبني؟

◆◆◆

قولي لهم : إنى جعلت من هواه موطني
سَوّرتُه بزنبقى ... وزِنْتُه بسوسنى
أنرتُ أمسياته بالأمل الملوَّن
نظمت أغنياته كوشوشات الأرغن
كأنها ابتهالةٌ في شَفتَىْ مُؤذّن
وخير ما بلغتُه من الحياة ... أنني
أحبه ... يحبني

◆◆◆

قولي لهم : بين ذراعيه بنيتُ مسكني
فديْته ، إني أعيش فيه أحلى زَمَنى
أعيش فيه من عواصف الهوى بمأمن

جـداثلي تلفّـه .. وعطفـه يَلُفّنـي
وشـعره إلى حـدائق المنـى يزفّنـي
وليس لي من طمع في العيش غير أنني
أحبه ... يحبني

❖❖❖

قـولي لهـم بـصوتك المـنغّم المدنـدن
-لا تشغلوا أنفسكم بالرجم والتكهُّن
أعبـده ، وكـل مـا يـشدّه يـشدني
منزلَه كاللات والعُزّى بقلب الوثني[1]
ونحـن في وفائنـا ، معدنُـه كمعـدني
فليعـرف الواشـون عنـا ... أنـه وانني
أحبه ... يحبني
« القاهرة - ١٩٦٦ »

(١) اللات والعزى : من آلهة العرب في الجاهلية .

أنشودة عيد العلم

يـا ابتـسامَ النـور في ثغـر الزمـان
أنـتَ أنـتَ العيـد في كـل أوانَ
يا نـبيلَ القـلبْ
يا حبيبَ الشعبْ
نَحـن مـن يُمْنـك حققنـا الأمـاني
وبإلهامـك غَنيتـا الأغـاني

◆◆◆

قـد سـلكنا سُبُلَ المجـد علىضـوء يَقينـكْ
وهتفنـا : يـا هُـدَى دنيـاك ، يـا نـاصر دينـك

يـا عـدوّ الظلـمْ
يـا رسـول السلمْ
يـا نـصير العلـمْ

هتـف الفـن لـديك أنتَ من طوّقتَ جيدي
ردّدَ الـشعر عليـك أنـتَ لحنـي ونـشيدي
أومـأ العلـم إليـك أنت قبل العيد عيدي
شـعلة العرفـان مـن صُـنع يمينـك
وسَـنَى الإيـمان مـن نـور جبينـكَ
يا نبيـل القلـب
يا حبيب الشعب
نحـن مـن يُمنـك حققنـا الأمـاني
وبإلهامـك غنّينـا الأغـاني

◆◆◆

إسـألوا هـل مَـرّت الـشمس بقـوم قبلنـا؟
الحـضارات الأولى وجـدتْنا هاهنـا
نُوقـظ الأيام

(*) سئل الشاعر أن ينظمها لتغنيها أم كلثوم ، وهي تحية للعلم ولراعي العلم ، الرئيس جمال عبد الناصر .

نصنع الأحلامْ
ننشئ الأهـرام

كـــم ذهبنـــا ثـــم عُـــدنا في ركـــــاب الكبريـــــاءْ
وعـــلى الأيــــام جُـــدنا بالأمـــــاني والـــــضياء
وعـــلى العـــالم سُـــدنا بـــك يـــا حلـــو الرجـــاء

هـــا هـــي الـــدنيا تغنـــي حولنـــا
كـــلّ أيامـــك أعيـــادٌ لنـــا
يا نبيـل القـلب
يا حبيب الشعب
نحـن مـن يُمنـك حققنـا الأمـاني
وبإلهامـــك غنينـــا الأغـــاني

❖❖❖

يـا صـدورًا تتحلىّ بأجـلّ الأوسـمهْ
من نُهاكـم تـتجلىّ اللمَحَاتُ الملهمه
دعوة التعـميرْ
صيحة التحرير
صرخة التفجير

فَجّـــــروا طاقـــــاتكم في ربيَ النيـــــل الـــــسعيد
وانـــــشروا آيـــــاتكم يطلـــع الفجـــر الجديـــدْ
وارفعـــوا هامـــاتكم لتحيّـــوا بالنـــشيدْ
رافعَ العلم على كل سمَهْ
فإذا الدنيا لكم مستسلمة
يـا نبيل القـلبْ
يا حبيب الشعب
نحن من يمنك حققنا الأماني
وبإلهامـك غنينا الأغـاني
«القاهرة ١٩٦٧»

❖❖❖

رامي

ما الذي أملك أن أهدي إلى أكرم شاعر

بعدما كلله المأثور من آلاء ناصر

غير أن أهمس في خاطره بضع خواطر

نابعاتٍ من مَدَى القلب ومن فيض المشاعر

◆◆◆

يا نجيَّ العمر يا ذخري إذا رمتُ الذخائر

يا عزائي في الملمات وأنسي في البشائر

ربع قرنٍ جمعتنا فيه حبّات الأواصر

ونمتنا ذكريات وعظات ونوادر

لم تزل في خاطري نورًا على نور النواظر

وهُدىً في رحلة العمر وزادًا للمسافر

◆◆◆

ربع قرنٍ ، وكلانا حافظ للعهد ذاكر

كنت ألقاك بدار الكتب تُمسي وتُباكر

وترى في الكُتْب قبل الناس أحبابًا وسامر

عاكفًا كالراهب الهائم في ظل الشعائر

نابشًا بين التواريخ كَجلاّب الحفائر

غارقًا بين القواميس كَغَوّاص الجواهر

ترضع الأوراق بالحكمة من ثَدْي المحابر

(*) ألقيت في الحفلة التي أقامتها جمعية المؤلفين والملحنين بنادي السيارات المصري في فبراير سنة ١٩٦٧ ، تكريمًا للشاعر الكبير أحمد رامي بمناسبة فوزه بجائزة الدولة التقديرية للآداب .

وتُـصَلِّيَ لكتـاب ذاهـب الطبعـة نـادر
وتُـضَحِّي زهـرة العمـر وطاقـات المحـاجر
حافظًـا كـل قـديمٍ ، دارسًـا كـل معـاصر
زاهـدًا في نعمـة الـدنيا ، عـلى الحرمـان صـابر
هاتفًـا : يـا عـصبة المـال وطـلاب المظـاهر
كـل مـا أطلـب مـن دنيـاكمو : ديـوان شـاعر

❖❖❖

ثـم ألممنـا بعهـدٍ في شـباب العمـر زاهـر
مـن ليـال في «عـماد الـدين» بيـضاء السرائر[1]
لم تُهَيِّـا لأخـي كـأس ولم تُكتـبْ لـساهر
ومجـالٍ كـان بالحـب وبالنـشوة عـاطر
كـان فيـه اللهـو والجـد كأنـصاف الـدوائر
لوّنتْهـا فـتن الحـسن بـألوان الـضفائر
وشـجتها ريـشة الفـن بألحـان المزاهـر
وجلاهـا سـادة التمثيـل أشـباه القيـاصر[2]
في زمـان كنـتَ فيـه عاشـق الليـل المغـامر
كنـتَ فيـه كاتـب المـسرح مجْلـوّ الـستائر
كنـتَ فيـه فـارس الـشعر وعمـلاق المنـابر
كنـت فيـه صـاحب الـصيحة مـشهود المـآثر
كنـتَ فيـه مَلِـكَ الحـب وأسـتاذ المـشاعر

❖❖❖

(١) عماد الدين ، كان شارع الليل والفن والبهجة بالقاهرة في الجيل الماضي .
(٢) يوسف وهبي وجورج أبيض ونجيب الريحاني وعزيز عيد وأضرابهم .

يـا أبـا «إلهـا م» لا زال بـك الإلهـام عـامر [1]

آه مـن صـحبتك الحسناء في مـاض وحـاضر

علمْتنـي كيـف يحلـو العيش في قيـد الـضمائر

علمتنـي لـذة العفـو ونـسيان الـصغائر

علمتنـي أن طـرح الكِـبْرِ مـن طَبع الأكـابر

علمتنـي أن للـصبر عـلى البأسـاء آخـر

علمتنـي أن سـلطان الهـوى نـاهٍ وآمـر

علمتنـي أن مـن لا يعـرف الـشوق مكـابر

علمتنـي أن مـن يكفـر بـالمرأة كـافر

علمتنـي أن أسـمى الـربح في الحـب الخـسائر

علمتنـي كيـف يحيـا الله في وجـدان شـاعر

❖❖❖

يـا أخـا «الخيّـام» يـا باعثـه في خـير سـامر [2]

في أغـاني آيـة العـصر وإعجـاز الحنـاجر

أم كلثـوم التـي نُزْهـى بهـا بـين الحـواضر

التـي تُنـشد ياليـل ، فتبـيض الـدياجر

والتـي تهتـف يـا عـين ، فتفـديها النـواظر

والتـي تنـشج بـالآه ، فتنـشق المرائـر

وَتَـرٌ أجمـل مـن وقـع المثـاني والمزاهـر

ولهـاةٌ في سـماء الله لم توهَـبْ لطـائر

وهـي في التـاريخ مـولاة الأوالي والأواخـر

---

(١) إلهام ، ابنة رامي .

(٢) كان رامي أول من ترجم رباعيات الخيام ـ التي تغنيها أم كلثوم ـ عن الفارسية شعرًا .

وأغانيهـــا دمـــاءٌ ، ولياليهـــا بـــشائر
وهـــي كالـسدّ وكـالأهرام في ثَبْـت المفـاخر
وهـــي ميعـادٌ مـع الأقــدار في تـاريخ نـاصر

❖❖❖

يـا رفـاقي ، إن رأيـتم فارسًـا حلـو الـسرائر
أبـيض الفـودين ، عـالي الـرأس ، نفّـاذ المحـاجر
أســمر اللــون كتـبر القمـح في ظـل البيـادر
فـارع القامـة ، صُـلب الجـأش ، كالبركـان ثـائر
هـادر الـصوت كإعـصار مـن الأعـماق صـادر
حافــل الأيـــام بالنـــصر مـــن الله المـــؤازر
ينـزع الأحـلام والأمجـاد مـن كـف المقـادر
فــصِلُوه بالتحيـات ، وصـــونوا في الـذواكر
إنـــه كـان أذان الفجـــر في الفـــن المعـــاصر
إنـــه جمّـــل دنيانـــا بـــألوان المـــآثر
إنـــه كـــرّمَ منـــا كـــل فنّـــان وشـــاعر
عـــاش للحـــب وللفـــن وللثـــورة نـــاصر

« القاهرة - ١٩٦٧ »



(*) أحمد رامي (١٨٩٢-١٩٨١) شاعر غنائي ، تغنت أم كلثوم بكثير من أشعاره بالفصحى والعامية، ولد بالقاهرة ، وتخرج في مدرسة المعلمين ، وأوفدته وزارة المعارف إلى فرنسا للدراسة اللغات الشرقية، أتقن الفارسية ، وترجم رباعيات الخيام، وعاد لمصر عام ١٩٢٥ ، أصدر ديوانه **الأول** عام ١٩١٨، وصدر ديوانه الشامل في السبعينيات . (المحقق)

فيروز (*)

مُغَــرّدة الأرز ، روحــي الفــداءْ
لهــذا الحنــان وهــذا الــصفاءْ
أأنـت مـن الغيـب أخـت الكواكـب
أم أنــت مــن رائـدات الفـضاء؟
ســموتِ إلى فَلَــك النــيرّيْن
وحلّقــت في رَحَبَــات الــسماء
وعلّمتنــا نغــمات النجــوم
وأســمعتِنا لُغَــة الأنبيــاء

◆◆◆

أتيـــتِ وأشــواقنا تزجيــك
وتــرقص مــن صبوةٍ وانتــشاء
وأقبلــت في غَــدَوات الخريــف
فــآب إلى الزهــرِ حلــو الــرواء
وســاءل أهــل الهــوى بعــضهم
أجــاء الربيــع ، أم الغيــث جــاء؟
أم انــسابَ صــوتٌ عــلى دفقــه
تــذوب الثلــوج ويــذوي الــشتاء؟

(*) ألقيت في الحفل الذي أقامته جمعية المؤلفين والملحنين بنادي السيارات المصري بالقاهرة تكريمًا للمطربة اللبنانية فيروز وصاحبيها عاصي ومنصور رحباني في أكتوبر سنة ١٩٦٦ .

(*) ولدت نهاد حداد «فيروز» في بيروت في ٢١ نوفمبر ١٩٣٧ ، وشكلت مع الأخوين رحباني عاصي (١٩٢٣) ، ومنصور (١٩٢٥) منظومة غنائية رائعة في مجال الأغنية العربية والموسيقا والأوبريت. (المحقق).

طلعــتِ عــلى النيــل أنــشودةً
مدللــةً بالــصبا والحيـاء
وحولـك كـالقوس مـن صـاحبيك
ضـياء هلالـين مـن كبريـاء
شـقيقين، يبتكـران الجديـد
ولا يحرمـان القـديم الوفـاء
وشِـعرهما كرقيـق الأذان
ولحـنهما كجميـل الـدعاء
ومَـنْ لم يُلَـبِّ نـداء الجديـد
جَفـاه الـورى وطـواه النـداء
ومَـنْ يتنكَّـرْ لمجـد القـديم
فقولـوا عـلى مـا يُغنـيّ العفـاء

❖❖❖

بأيـة مُعجـزةٍ يـا صـبيةُ
زان لهاتـك هـذا النقـاء
فألهمـت «منـصورك» الانتـصار
وصَـيرّت «عاصـيك» في الأتقيـاء[1]
وأجريـت أيـديها الملهـمات
عـلى وتـر عبقـري الأداء
ثُلاثيـةٌ مـن بنـات الخلـود
وأسـطورة تتحـدى الفنـاء

❖❖❖

(١) عاصي رحباني، زوج فيروز.

سـفيرة لبنـان ، يـا مرحبًـا
وخـير السـفارة أهـل الغنـاء
حنـاجرهم فرحـةٌ للحيـاة
وأوتـارهم مـوردٌ للرجـاء
ولـيلاتهم تجمـع العاشـقين
وآهـاتهم تـسعد الأشـقياء
فيـا «سـومة» الأرز ، غنـى لمـصر
وأحيـى القلـوب وروّى الظلـماء
وعنـد النـوى ، لا تقـولي الـوداع
وقـولي : إلى موعـد للّقـاء
«القاهرة- ١٩٦٦»



لوحة حيّة

عيناكَ يا مُسَهِّدي ... جزيرتا زمُرُّدِ
لفّهما شَعرُك في بحيرةٍ من عسجد
ووجنتاك جَنّتان من قرنفلٍ ندى
يسقيهما «باخوس» من نبيذه المورّد[1]
تُخبيء في غمازتَيْك ... في دنان معبدي
يحرسها خالٌ له سطوة عبدٍ أسود
يصرع من يدنو له بشفتَيْن أو يد
ولو دنوتُ ما بكيتُ ساعةً على غدى
وشفتاكِ ؟ أم إطار لؤلؤٍ مُنَضد؟
أم جذوتان تشعلان النار فوق البرَد
وتحملان بسمة مُغرية التردد
كدعوة لقُبلةٍ تأتي بغير موعد ؟
يا صورةً من الجمال الحركسيّ المفْرد
تنساب كالشمبانيا في قلب مُغرم صدى
أنيقة النكهة والوثبة والتأود
رشيقة الضحْكة والنبرة والتنهُّد
من وتر كأنه لحن كنار غَردِ
تزيد من فتنتها خفة بنت البلد
فريدة الدلال والرقة والتودد

(١) باخوس : إله الخمر ـ النبيذ المورد هو النوع المعروف باسم vin rose .

حين تقول للذي يعبدها: يا سيدي

◆◆◆

يا لوحةً من صنع فنّان السماء الأوحد

يخالهـا ناظرهـا في غمـرة التعبـد

عـذراء في كنيسـة أو آيـةً في مسجد

لو سلّطتْ شعاعها على ضمير مُلحد

لم ينم الليلَ من الصلاة والتهجد

زلفى لذات أبدعتْ معجزةً في جسد

معجزة أعيش في رواقها للأبد

وبغِناها أغتني، وبهداها أهتدي

◆◆◆

يا فتنتي، ما وُلد الشاعرُ لو لم تُولدي

«القاهرة - ١٩٦٧»

◆◆◆

صغيرتي

يقول لي : صغيرتي ... فهل أنا صغيرتُهْ؟
وهل أنا وحدي التي تضمها سريرته؟
وما أنا ، مهما وَعَتْ تجاربي ، نظيرته
أنا حديثة الضلال في الهوى غريرته
حياته «ألبوم» حبّ ، كم طوت وتيرته
وأصبحتْ صحائفًا من الجنون سيرتُه
فهل أنا غايته ؟ وهل أنا أخيرته ؟
هل استقرّتْ قدماه وانتهت مَسيرته ؟
يا لهفي ... يا ليتني دون الورى أثيرته
يضمني في صَلَفٍ ... كأنني أسيرته
يشدّ في ضفائري إذا استُثيرتْ غِيرته
يعضني في نهم ... كأنني شطيرته
وإن بكيت ، واعترفتُ أنني عذيرته
وأنني رقيقة الجناح ... بل كسيرته
يرحم ضعفي ، وأنا من قلّتي كثيرته
وكبريائي ، وأنا من صغَرى كبيرته
يهمس لي بأنني من المنى ذخيرته
وقِلّتي مُتعته ، ورّقتي مُثيرته
ونغماتي لحدائق المنى سفيرته

وأنني في غيبتي ، تلمحني بصيرته
وأغنيات الشوق في وحدته سميرته
وأنني أسرته وأهله وجيرته
وأنني غرامه ، وأنني عشيرته
وساده نهداي ، في دفئهما حظيرته
وقلبه يسجد لي ، كأنني أميرته
وأنني ظُلَّتُه إذا قَسَتْ ظهيرته
وأنني إن برّح الدهر به مُجيرته
روحي فداء جرحه ، وأضلعي جبيرته

❖❖❖

يا ليتني وحدي ، كما يهمس لي ، صغيرته
« القاهرة - ١٩٦٧ »

عمر الشاعر

يـا حُلـوة العـشرين ، لا تفزعـي
مـن همسة الخمسين في مـسمعي
أنـا شـبابٌ سرمـدي المـدى
أنـا ربيـعٌ دائـم المطلـع
لا يكـبر الـشاعر يـا طفلتـي
فعُمْـره في حـسّه الطّبـع
لا زلـتُ بـالروح قـويٌّ السّرى
كدفقـة النهـر مـن المنبـع
قلبـي عـلى العـشرين قيّدتـه
فعُمْـر قلبـي لـيس يجـري معـي

◆◆◆

أعـيش بالـشعر غريـر الـصبا
أمـرح في فردوسـه الممتـع
أهـوى العـصافير وأغـرى الدمى
وأفـرش النـوّار في مخـدعي
وأشـعل النـور بقلـب الـدجى
وأنثـر الخـضرة في البلقـع
وأبـدع اللحـن لكـي ترقـصي
وأغمـز الطـير لكـي تـسجعي
وأصـنع العطـر لتـستروحي

وأعصر الخمر لتستمتعي

وأحتوي حبك في خافقي

فأملك العالم في إصبعي

وأفتح التاريخ كي تدخلي

شرفته من بابها الأوسع

◆◆◆

يا نجمتي، لولا الذي صغتُه

فيك من الأضواء لم تلمعي

هل كنتِ قبلي غير أنشودة

في الغيب لم تُكتبْ ولم تُسمع

أنا الذي غذيتها من دمي

أنا الذي روّيتها أدمعي

أنا الذي غنّيتها للورى

مجلوّة الإيقاع والمقطع

◆◆◆

لولاي، ما أبصرتِ درب الهوى

يزخر بالسجَّد والركَّع

تجربة الخمسين، أفنيتُها

في صنع هذا الجوهر المبْدع

لا تُفسدي بالمن ما بيننا

وتدّعى بعض الذي ادعى

غدًا ترين الشيب يا طفلتي

يزحف في عارضك الألمع

ويحفر العمر تجاعيده
على حنايا جيدك المتلع
ويذبل الورد، ويغدو الصبا
أسطورة في عمرك المسرع
وتذكرين الأمس في لهفةٍ
كلهفة الطفل إلى المرضع
فيهمس الأمس إليك انتهى
ما فيك من شوقٍ ومن مطمع

❖❖❖

سيرجع الشاعر في حسّه
لزهرة العمر، ولن ترجعي
لا يكبر الشاعر يا طفلتي
فعمره في حسه الطيّع

«القاهرة - ١٩٦٧»



غضبي

كيف أنسى أن لي قلبًا أحبّا

دمية الصيف التي تخطر عُجْبًا

حين لاحت ثم راحت تتأبى

واللمى غضبان والنظرة عتبى

◆◆◆

غضب البحر وقد ألفاك غضبي

تعلن الصد على العشّاق حربًا

لم أغضيتِ وخضت الماء وثبًا

بين أنظارٍ تُصلّ لك قُرْبي

وقلوب ذوّبتها النار ذوبًا

كلما جافيتها زادتك حُبّا

وفناءً في الهوى روحًا وقلبًا

◆◆◆

ليت شعري، أترين الحب ذنبًا؟

«لوس أنجلوس ـ ١٩٦٤»



(*) ارتجلت هذه الأبيات ذات يوم مرح على الشاطئ الأمريكي الغربي.

حنان وقسوة

حكـــايتي في هـــواك نـــزوهْ يـــا مـن تـرى في العـذاب نـشوه

فـــما آنـــشغالي مـــدى الليـــالي
بطـــول ســـهدي وأنـــت ســـالٍ ؟
أنـــا أضـــحّي بكـــل غـــالي
وأنـــــت تغفـــــو ولا تبـــالي

وبيننــــا في الوفــــاء هُــــوّهْ أنـــا حنـــانٌ وأنـــت قـــسوه

◆◆◆

كأننـــا الليـــل والنهـــارُ
نحيـــا ، وكـــلٌّ لـــه مـــدار
أو أننـــا الغيـــث والقفـــار
قـــد اختلفنـــا ، فـــلا قـــرار
ولا لقـــــاء ولا ازدهـــــار
أنـــا ميـــاه ... وأنـــت نـــار

اثنـــان لا يُورقـــان ربـــوه أنـــا حنـــانٌ وأنـــت قـــسْوه

◆◆◆

أضـــاع مـــا بينـــه وبينـــي
مـــن كـــان أغـــلى مـــن نـــور عينـــي
يـــا مـــن تماديـــت في التجنـــي
حرمتنـــي لـــــذة التمنـــي
وكـــل ذنبـــي لـــديك أني

إن زدتُ ضـــعفًا تـــزداد قُـــوه أنـــا حنـــان وأنـــت قـــسوه

« القاهرة - ١٩٦٥ »

من القاهرة إلى تل أبيب

يا حبيبي ، قسمًا بالقسمات الساحرهْ
قسمًا بالهُدب ، حُرّاس الجفون الفاتره
قسمًا بالناتئ الناشئ فوق الخاصره
قسمًا بالنار تَنْدي في الشفاه العاطِره
قسمًا بالرمل تذروه خُطاك النافره
ما دعاني لك في هذى الليالي الشاعره
أمَلٌ في نظرة عَجْلي ولُقيا عابره
بعد أن فرّقنا ظلم الليالي الجائره
أنا في غزة أرنو من رباها الطاهره
من خلال السلك والشوك ولفح الهاجره
علني أسمع من خلف الخطوط الكافره
نبأ عنك يهدي من شجوني الحائره
لست أدري أين قادتك الخطوط العاثره؟
أنت في اللد أم الرملة أم في الناصره؟
أم شريدٌ ضائع بين الخيام الصابره ؟
أنت في الدنيا ؟ وما دنياك ؟ أم في الآخره ؟
يا حبيبي ، أنت في أعماق قلب الذاكره
أنت جرحٌ في حنايا كبريائي الثائره
لا تُروّع ، إن يوم النصر يدعو ناصره

(*) ألقيت في مهرجان الشعر الذي عقد بغزة سنة ١٩٦٦ .

إن فجــر الزحــف آتٍ مــن ســماء القــاهره

❖❖❖

يـا حبيبـي ، أنـا مـن أوليـك مـن قلبـي الشّغافا
افتــدي أرضــك بــالروح رمــالاً وضــفافا
الــسنين الــسود طالــت بــك ظلـما واعتــسافا
أوشــكتْ أن تنقــضي مــنهن عــشرون عجافــا
كــم طعمناهــا عــذابا وشربناهــا زعافــا
وعرفنــا في دجاهــا ذلــة العــيش كفانــا
غــير أني يــا حبيبــي أجعــل الــصمت غلافــا
مــا تــراني يــا حبيبــي لــست آلــوك اشــتياقا؟
أنــا لا أغفــو عــن الوجــد ، ولكــنْ أتغــاق
ريــثما اســتجمع القــوم حواليــك ائتلافــا
وأنــادي إخــوتي العُــرب ، تعــالوا نتــصاق
قــد تحطمنــا ضــياعا وتبــددْنا خلافــا
وســئمنا مــن ذوي التيجــان زيفــا وانحرافــا
وشــبعنا في الإذاعــات حــديثا وهتافــا
أقــسموا أن نــنهض الــساعة للنــصر خفافــا
ونــسوّي مــن ربــاط الخيــل للثــأر اختطافــا
ونــرد الأرض والعــرض إبــاء وعفافــا
ونــدير الكــأس في أمــسية النــصر سُــلافا
مــن رحيــق مــا أجــيْلاه غراســا وقطافــا
مــن عــصير البرتقــال النــضْر في جنــات يافــا

❖❖❖

يـا حبيبـي ، خُـذ نـسيبي لـك قُربانـا وزلفـى
لجلال الـشعر محـضا ... ولوجـه الحـب صرْفـا
خذ نـسيبي ، كعبير الفجر ، كالـشهد المُصفى
كـشعاع الـشمس طهـرا ، وكنـور البـدر لطفـا
عــربيّ الــشكل والمــضمون ، موزُونــا مُقفــى
لم تَــشبْه الانحرافــات ولم تُنقــصْه حرفــا
لم تدغدغــه الـــشعوبية إقـــواء وزحفـــا
وهـــي لا تـــؤمن بـــالله ولا تحفـــظ عرفـــا
لا ، ولا الغربيــة الهوجـاء دسّــتْ فيــه طرفـا
وهــي تبنــي كــل يـوم لعـروش اللـؤم حلفـا
وتـسلّ الفـرس والـترك عـلى الإسـلام سـيفا
وقناعــا وجْــه الاســتعمار فيــه يتخفــىّ
يا ابن روح الله ، سِيمَ الناس في واديك يتخفىّ
يا ابن روح الله ، سِيمَ الناس في واديك خسفا
بيتـك الطـاهر قـد أصـبح للأحـرار منفـي
يا نبيّ الحب ، أين الحب في الأرض ، وكيفا ؟
يـا رسـول الـسلم ، لا سـلم إذا لم نتـشفىّ
وإذا لم ننـتقم مـن غـدر إسرائيـل ألفـا
للـدم المـسفوك مـن أشـلائنا ينـزف نزفـا
في فيـافي «ديـر ياسـين» وفي شـطآن حيفـا

◆◆◆

يـا حبيبـي ، جفّـت الأدمـع مـن فـرط وجيبـي
كلـما قلـت حبيبـي ... قالـت الـريح : حبيبـي

الصدى يُرجع لي ما قلت ، أم أنت تُجيبي؟
والصدى والصوت مطعونان بالسهم المصيب
يا شقائي وأنا أدعوك من خلف الكثيب
وأرى الأرض التي أعبدها لا تحتفي بي
وأرى بعض بلادي يجتويني كالغريب
والروابي الخضر قد صوّحها طول النعيب
بعد أنْ كانت مني الوردّ وشوق العندليب
يا حبيبي ، لن أداري الوجد بالدمع الصبيب
فلهيب الشوق لا يُطفأ إلا باللهيب
عن قريبٍ سأوافيك مع الفجر القريب
مستعزا بهلالي ، مستعدا بصليبي
مستردا ما أضاع الغدر من حقي السليب
سوف أمحو وصمة العار من اليوم العصيب
وأواري نجم إسرائيل في قبر المغيب
فإذا متُّ ، فلي أجري من الله المثيب
وإذا عشت ، فلي أنت ولي فيك نصيبي
سيعود الفجر من عرفك ريّانا بطيب
ونصليّ لصباح النصر في تل أبيب

يا حبيبي
«غزة - ١٩٦٦»

❖❖❖

هيلدا

قالـــت ، ونحـــن بـــشاطئ «الـــرائِن»
متعانقـــــان كخـــــير إلفـــــين
واللحــــن دانٍ ، والنبيــــذ ، وهـــل
تحلـــو الحيـــاة بغـــير هـــذين؟
أتحبنـــي حقًـــا . فقلـــت لهـــا :
وأراك أنـــس الـــروح والعـــين
قالـــت : لأنـــك هـــا هنـــا ، وغـــدًا
يثنيـــك عنـــي طـــائر البـــين
وأظـــل وحـــدي بـــين نـــارين
أســـقى بـــدمعي شـــاطئ «الـــراين»

◆◆◆

مـــسكينةٌ هيلـــدا ، أمـــا علمـــت
أني ألـــفُ مـــدائن الكَـــونِ
ويقـــودني عيـــشي ، ويفـــصلني
عـــن كـــل أرضٍ شاســـع البـــون
وأعـــود في الـــوطن الحبيـــب إلى
لُطـــف الظـــلال وسُـــمرة اللـــون
مـــن كـــل حاليـــة وغاليـــة
مـــأثورة بـــالطهر والـــصون
فـــأقول مـــا في الكـــون أجمعـــه
فـــتنٌ كفتنـــة بنـــت فرعـــون

◆◆◆

لا تنكري

لا تنكري، وحياة عينيكِ
أني أنا أيقظت نهديك
نادي صباك عواطفي، فطغى
شوقي إليك، فقلت لبّيك
بشبيبتي روّيت منك ظمًا
وبقبلتي أشعلت خدّيكِ
وعلى يدي حلّقتِ طائرةً
وبصبوتي رنّحتِ عطفيك
حتى شَبِبْتِ تجلجلين بما
نقش الغرور على جناحَيْكِ

◆◆◆

ومضيتِ من فَنَنٍ إلى فَنَنِ
تتنقلين كطائر الأيك
أحببتِ بَعدي، غير منكرةٍ
أني أظلّ أعزّ حُبّيْك
جاء الجديد، فعاش مغتربًا
وظللتُ أحيا بين جنبيك
ما ضَرّني، في عمق عاطفتي
لو عاش غيري في ذراعيك ؟

◆◆◆

من يعشق الأعماق دافئة
لم يَستثره ما حواليك
حسبي اعتزازًا بالهوى أنفًا
أنْ لم أقلْ يومًا : حنانَيْك

«القاهرة - ١٩٦٧»

شهيد السماء

بغـــداد ، كيـــف تحمّلـــتِ يومَـــهْ
مَـــنْ كنـــتِ صـــبوته وهَمّـــهْ ؟
مَـــنْ كنـــتِ أغنيـــةً عـــلى
شـــفتيه ، صـــحوتَه ونَوْمـــهِ ؟
مَـــنْ كـــان مبعـــوثَ العنايـــة
والحـــوادث فيـــك جَمّـــه ؟
مـــن كـــان في ثغـــر الزمـــان
تحيـــةً ومُنـــى وبـــسمه ؟

❖❖❖

بغـــداد ، يـــا سِـــفْر الجـــلال
وقـــضةً للمجـــد فخمـــه
يـــا أخـــتَ قـــاهرتي ، ونـــشوةَ
نـــاصري في كـــل نَغْمـــه
مـــا كنـــت أوثـــر أن أعـــود
إليـــك والقَـــسَمات جهمـــه
وضـــفاف دجلـــةَ مطرقـــاتٌ
والفـــرات عليـــه غَيمـــه
بـــل كنـــت آمـــل أن أعـــود
لكـــي أرىَ للبـــدر تمّـــه
وأرى الـــذي بـــدأ الكتـــابَ
... الوحـــدويّ وقـــد أتمّـــه

(*) ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم في مايو سنة ١٩٦٦ بحديقة قاعة الشعب ببغداد ، بمناسبة ذكرى الأربعين لاستشهاد الرئيس العراقي المغفور له عبد السلام عارف في حادث طائرة .

فـــأعودَ كـــي أســـعى إليـــه
وكـــي أراه وكـــي أضـــمّه
وأرى المواكـــب بالتحيـــة
للحيـــاة تـــردد اســـمه
أمـــا الرثـــاء فلـــست شـــاعره
... فكيـــف أطيـــق نظمـــه ؟

❖❖❖

بغـــداد ، مَـــنْ لي بالرثـــاء
وكيـــف أســـتوحي ، ومِمّـــه ؟
مـــاذا أســـوق مـــن العـــزاء
ومنطقـــي دون الملمّـــه ؟
إلا حـــديث المـــؤمنين
إذا رمـــى المقـــدار ســـهمه :
إنـــا رضـــينا مـــن قـــضاء
... الله حكمتـــه وحُكمـــه

❖❖❖

عبـــد الـــسلام ، عـــلى رفاتـــك
ألـــف مغفـــرةٍ ورحمـــه
يـــا مـــن صـــبرتَ عـــلى الـــبلاء
وذقـــتَ قـــسوته وظلمـــه
ووهبـــتَ لليـــوم الكـــريم
صـــلاته ، ونـــذرتَ صـــومه[1]
وغـــضبت للحـــق اليتـــيم
وقمـــتَ للـــرحمن قَوْمـــه
نزلـــتْ عـــلى الـــشعب العظـــيم

(١) اليوم الكريم : ١٤ رمضان ... يوم الثورة .

هدايـــــــةً ورضي ونعمـــــــــه

❖❖❖

لـــــولا نــــضالك يــــا أبــــا

... الثـــورات لانتهيـــت المهمـــه

وغـــــدتْ بـــــلادك في فـــــم

... الهمجيـــة الحمـــراء لَقمـــه

وغـــدًا الـــضلال شريعـــةً

للنــــاس ، والإيـــمان تُهمـــه

أمّنـــــت أرواح الخلائـــــق

فانتـــشت مـــن بعـــد غُمّـــه

أنقـــذتها مـــن آثـــم

... التـــاريخ ، واســـتنكرت إثمـــه[1]

نجيتَهـــا مـــن كـــل زنـــديق

... غَـــوَى الـــشيطان حُلْمـــه

ونـــصرت ديـــن الله ، وهـــو

كرامـــةً وهـــدي وحكمـــه

وعـــصفتَ بالبعـــث المـــستمر

بـــالقلى ، ونزعـــتَ سُـــمّه

وهـــدمت عهـــدًا مـــا رعـــى

لله والأخـــلاق حُرمـــه

ونبـــذتَ دعـــوى العنـــصرية

وهـــي للإســـلام وصـــمه

وقـــضيتَ عمـــرك قمـــةً

وترُفعًـــا وعُلـــوّ همـــه

وأبيـــتَ إلا أن تمـــوت

(٢) آثم التاريخ : عبد الكريم قاسم .

كما قضيتَ العمر قمّه

◆◆◆

أسلمت روحك في السماء
شهادةً وعُلا وعصمه
وجعلتَ للرمق الأخير
... القبة الزرقاء خيمه
تسقيك فيها من رضى
... الرحمن بالرحمات غيمه
ودنوتَ من عليا الجنان
مع الأشاوس والأئمه
واخترتَ دارك في السماء
لكي تكون أعز نجمه
تمسي على ليل العراق
فتنجلي بك كل ظَلمه
وتضيء مشكاة الهداية
في الليالي المدلهمّه
وتنير أعلام الطريق
.... الوحدويّ لخير أمّه

◆◆◆

عبد السلام، على رفاتك
ألف مغفرة ورحمه
في ذمة الله العزيز
وإنها لأبرّ ذمّه

«بغداد - مايو ١٩٦٦»



عيناك

لا تكسري جَفنيكِ ، لا تغلقي
أبواب هذا الساحر الأزرق
عيناكِ يا نجواي ، أهواهما
أذوب في عُمقهما الأعمق
أرى خيالي في مغانيهما
يسرى بلا عقل ولا منطق
تلك بحيراتي التي أجتلي
فيروزها يسبح في الزنبق
تلك خميلاتي ، وفي ظلها
ألمح لون الأمل المشرق
تلك نُجَيْماتي ، على سُلَّم
من نورها نحو السما أرتقي
وتلك جَنَّاتي ، فلا تحرمي
منها فؤاد العابد المُتَّقي
وأغنياتي الزرْق ، مجلوةً
من ذَهَب الأهداب في جوسق
وملهماتي الشعر ، لو لم تُثِرْ
لواعج الإلهام ، لم أنطقِ
لم يُخلق الشاعر يا فتنتي
لو أن هذا اللون لم يُخلق

« القاهرة – ١٩٦٧ »



مينيون
MIGNIONNE

يحبني .. أحبه .. ويزدهيني حَبه
وَفْرَتُه تعجبني ... وقِلّتي تعجبه
كأنني في إصبعيه حينما أقْرَبُهُ
سيجارةٌ، تؤنسه .. تُدْفئه .. تُلهبه
كأنني لعبته .. وأضلعي ملعبه
كأنني عصفورةٌ .. زقزقتي تُطربه
يضمني في يده ... ويحتويني جيبُه
أكاد من تيهي به آكله ... أشربه

❖❖❖

تعجبني غيرتُهُ وهجْره وعتبه
تخلبني نظرته وكِبْره وُعجْبه
تجذبني سمرتُه وصوتُه وشيبه
تُذهبني قسوته وشده وجذبه
تُلهبني قوتُه وسخطه وضربه
أعشق أن يغلبني دومًا، ولا أغلبه

❖❖❖

يعجبني، وكل ما في قلّتي يُعجبه

(*) هي المرأة الحلوة قليلة الجسد، وليس لهذه الكلمة مقابل في الفصحى، ولكنها بالعامية «قطقوطة».

بلاهتـي تُسعده، سذاجتي تطربه

أروي له ما قد يعنيني ولا أكذبه

وكل ما فيّ من السحر، له أنسبه

وقد أرى العيب به، ويزدهيني عيبه

وقد يهيم في الضلال بي، وأستصويه

وقد يحمّل العذاب لي، فأستعذ به

إن المحبّ قد يكون في ضناه طيِّبُهُ

◆◆◆

كم ليلة من ولهي في هاتفي أطلبه

فألتقي هاتفه عن أملي يحجبه

هاتفه مُنشغلٌ بمنْ ؟ وما مأربه ؟

وهل تكون امرأةٌ تهواه أو ترغبه ؟

مَنْ التي تشغله ؟ ما خَطْبها ؟ ما خطبُه؟

مَنْ التي من جنّتي تحلم لو تنهبه ؟

لعلها أجمل مني ... طولُها يجذبه

أوّاه .. مَنْ يُبْلغني قوامها أصلبه

أوّاه .. مَنْ يُمْكنني من دمها أشربه

وبعدها الطوفان إمّا جاء لا أرهبه

◆◆◆

ويلاه من تحكُّم الشك وما يجلبه

وما يضمّ ليلُه .. وما تَلُفّ سُحْبه

ما حيلتي في قَدَري العاتي وما يكتبه ؟

ما حيلتي ؟ هل أجتوي قلبي، وهل أجُبه

أم ألعن الحظ وأقضي ليلتي أندبه ؟
أم هل أقدّ هاتفي ؟ وهاتفي ما ذنبه ؟
أنا التي يجني عليّ أنني أحبه

❖❖❖

كم خاطرٍ محيرٍ يذهب بي مذهبُهُ
يظل يستجوبني الليلَ وأستجويه
وفي الصباح أسمع الصوت الذي أرقبه
فيه من الحب الحنون صفوه وذوبه
فأستسر غضبي وحدي، ولا أغضبه
وخافقي أكبته .. وناظري أعصبه
وربما أسأله هونًا ولا أتعبه
فينتقي لي كلمات الحب، وهي دأبه
فأنتشى وأمسح الدمع الذي أسكبه
ويذهب الشك الذي عانيت، أو أغلبه
وأنثنى أقول هل يخون ؟ لا أحسبه
وقد يكون كاذبًا ... لكنني أحبه
فديته، إن الحبيب كم يلذ كذْبُه
ما دام قد عاد ... فقد عاد إليّ قلبه

«القاهرة - ١٩٦٤»



عيد الصحافة

بـــارك الله للحمـــى أهدافـــه
بـــدّدتْ ثـــورة الهُـــدَى أسـدافه
ذهـب الظلـم والظـلام ، ودالـت
دولـــة العـــابثين والمُتَافـــه
وهَـوَى عرشُـها . ولم يبـق عـرشٌ
قائم الركن ، غير عرش الصحافة
هـي ذات الجـلال ، ينطلـق الـوحْي
... أمينًــا مــن روحهــا الـشفّافه
الهـــدَى صـــولجانُها ، وحُـــلاه
آيـة الـرأي والحجـا والحـصافه
صنعتْ تاجهـا مـن الـورق الطُّهـر
... وصـبّتْ مـن الـسّنى أليافـه
ثـم أضفَتْ عليـه مـن صـوَر الحـق
... جـــلالاً وفتنـــةً وطرافـــه
وأقامـــت لنفـسها مـــن رصـاص
..الحرف جيشًا من النهى والثقافه
يـصنع النـور والهدايـة للـشعب
.. ويُوليـــه مـــا يمـــس شَـــغافه

(*) ألقيت في احتفال نقابة الصحفيين بالعيد المئوي للصحافة ١٩٦٦ ، بمسرح الأوبرا ، وقد قدمت النقابة للشاعر في تلك الليلة ميدالية تقديرية ذهبية .

ذهب الظلم والظلام، ودالت
دولة الليل بعد طول المسافه
كانت الصحْف في البلاد ضياعًا
يرث المزدهى بها أسلافه
هي إقطاعُهُ. فكيف يغذي
.. الشعبَ من كان دأبه استنزافه؟
كيف يدنو له ويحنو عليه
مَنْ يمص الدماء كالنشّافه
همُّهُ المال، وهو يغترف
.. المال حرامًا، متى أراد اغترافه
لِمَ لا يفتري؟ أليس يرى
.. الدار ومَنْ في رحابها أوقافه؟
لا يبالي مذلّة العامل الكادح
... يَشْقى وليس يَلْقى كفافه
لا يبالي مشقة الكاتب البائس
... يَطْوَى ولا يذوق قطافه
لا يبالي مصاير البلد المسكين
... يبكي جراحه النزافه
رَبُّ أمواله وعبد هواه
لا يبالي ضميره وانحرافه

❖❖❖

يا رَعَى الله للكنانة عهدًا
رُدّ في ظله اعتبار الصحافه

فَكَّ أغلالها، فآلت إلى الشعب
... ومَدّتْ ظلالها الرفّافه
تبتغي خيره، وتستلهم الحق
... بوجدانه، وتحمي ضعافه
وترى الرأي، لا مغاليةً فيه
... لوجه الهوى، ولا طفّافه
وتهدّ القوى التي هدّت الشعب
... زماناً، وبدّدتْ إيلافه
وتصون الميثاق في العين والقلب
... وترعى آياته الهدّافه

◆◆◆

يا دعاتي لمنبر العيد، هل لي
... اليوم أن أستغلّ حق الضيافه؟
إن لي يوم عيدكم كلماتٍ
هي في دَورق الضمير سُلافه
لو جلوتم دستوركم بطلاها
لازدهته ورنّحتْ أعطافه
أنا منكم، فقرّبوها إليكم
واجعلوها لما بنيتم إضافه
اجعلوا الصحْف كعبةً ليس يَغْشى
قُدْسَها الطهر من يرى الحق آفه
جَنّبوها من المداد أذاه
ومن الحرف سُمّه وزعافه

جنّبوها في الحق سطحية الرأي
... وهُونَ الكلام أو إسفافه
طَهّروها من كل غرّ وزنديق
... ومن كل تافهٍ يتتافه
علّموها صناعة الغوص، إمّا
تَرد العُمق فتّحتْ أصدافه
لقّنوها الفناء في الحق، إمّا
تجد الظلم حطّمتْ أسيافه
اجعلوها على العروبة فَيْئًا
أسمر الظل أخضر الصفصافه
اجعلوها مصريةً تسعد النيل
... وترعى رماله وضفافه
لا شيوعية الرداء، ولا ...
غربية الميل والهوى متلافه
انشروها لكي يُصَلِّيَ عليها
لا لتغدو لأي شيء لفافه
فجّروها قنابلاً تحرق العادي
... وتذرو في نارها أحلافه
أي حلفٍ يؤلف الفُرسُ والترك
... ورجعية القُوىَ أطرافه ؟
أصدقاء اليهود يدعون للدين
... ويعلون في القُرى أكنافه ؟
عملاء المستعمرين يذوبون

... على البيت غيرةً ومخافه ؟
يا شقاء الإسلام من ليل حكم
همجي . دستوره السيّافه
في بلادٍ تقودها حسبة ...
الرمل ، وتنبى تخطيطها العرّافه
وقصورٍ ترى الحريم نعاجًا
في قطيعٍ والحاكمين خِرافَه
ونظام يؤسس الجهلُ ركنَيْهِ
... ويُولي أموره أجلافه

❖❖❖

رَبِّ نجّ الإسلام من صاحب
.. الحلف ومن معشر يطوف مطافه
رَبِّ ذكّره مادها حلف بغداد
... وما حل قبله بالخلافه
رَبِّ أطلق في قومنا صيحة
.. الحق ، وأزهق بها حديث الخرافه
« القاهرة - ١٩٦٦ »

❖❖❖

خائنة الأعين

آمنت بالحب، ولم تؤمني
ويحكِ يا خائنة الأعيُن
طبيعة فيك، ويا طالما
حاولت أثنيها، فلم تنثن
أشهدها في النظرات التي
تصدر عن وجدانك الهيّن
وكم تحايلت لإخفائها
في شعركِ الهادل كالسوسن
فانفلتتْ منه، فغلّفتها
بكسر جفنيك، فلم تحسني

❖❖❖

قوامكِ الرائع ما راعني
وشعركِ اللامع ما همّني
ولا هَفَتْ روحي إلى لذة
أبلغها من عُودك اللين
ولا شجاني نَفَسٌ عاطر
ينساب من ثغرك كالسنسن[1]
ولا حديثٌ ناعمٌ هامسٌ
كأنه وشوشة الأرغن
كل انفعالي بك، ينبوعه
عينان سوداويتا الموهن

(١) السنسن: حلوى صغيرة سمراء تشيع عطرًا حلوًا في الفم.

❖❖❖

أهـــواك ، لا أنكـــر أن الهـــوى
مكمنُـــه في طرفـــك الأرعـــن
يـــسألني قلبـــي : ومـــا سرُّه ؟
أقـــول : لا أعـــرف .. يـــا ليتنـــي
لعلـــه حـــيرة ظنـــي إذا
لم تُظهـــري شـــيئًا ولم تُبطنـــي
أو اعتيـــادي منـــك طـــول الجـــوى
كـــما تطيـــب الخمـــر للمـــدمن
أو ابـــتلاء الله لي بـــالهوى
هـــل يحمـــل البلـــوى ســـوى المؤمن ؟

❖❖❖

لعلـــه في النظـــرات التـــي
تنطـــق عـــن ذبذبـــة المعـــدن
جانحـــة تـــسأل عـــن مرفـــأ
شـــاردة تبحـــث عـــن مـــوطن
جائعـــة ، والـــزاد دانٍ لهـــا
وأتعـــس النـــاس الفقـــير الغنـــي

❖❖❖

لعلنـــي أعـــشق فيـــك الـــذي
لا ألتقـــي في عـــشقه مـــأمني
وكـــل مـــا اعلمـــه أنتـــي
أهـــواك يـــا خائنـــة الأعـــين

« القاهرة - ١٩٦٧ »



عزة

يا عزّة الحسن، أي شيء
أهديك في عيدك السعيد ؟
وكيف أهديك من قصيدي
وأنتِ أحلى من القصيد ؟
وصوتك العذب حين يسرى
أرق من همسة النشيد ؟

❖❖❖

«عَزّ» انظري البحر، والدراري
تغار من درّك النضيد
واستطلعي البدر كيف يبدو
سناكِ في نوره البعيد
فهل تقبّلْتِ من صديق
يُهدي إلى حسنك الفريد
حكاية عن حياة قلب
معذب هائم وحيد
ما فاز من حبه بوعدٍ
إلا انتهى الوعد بالوعيد
لعل في شعره دعاء
يهمس في قلبك الوليد
أن تبلغي أجمل الأماني
في عمرك الزاهر المديد

«الغردقة - ١٩٦٦»

(*) إلى آنسة التقى بها الشاعر على سطح باخرة في رحلة بالبحر الأحمر، وحل عيد ميلادها، فلم يجد في ذلك الفراغ ما يهديه إليها غير نسخة من ديوانه «حكاية قلب».

نصيحة

مـا للمـدلّل أغـضَى .. فقلبـه لـيس يَـرْضىَ
أرنـو إليـه ، فيُـضْني جفنيـه رفعًـا وخفـضًا
كأنـه ، وهـو منـى ، بعـضي يُعَـذب بعـضا
منحتُـه الـودّ صرفًـا ، فـسامني الـدل محـضا

❖❖❖

يـا مـن أسـوق إليـه شـفاعتى تـترضى
قلبـي بكفيّـك رهـنٌ ، فهـب حنانـك قرضـا
كفـاك تيهًـا وكـبرًا وابـسطْ جناحـك خفـضا
وعـدْ بوصـلك يومًـا واكـتمْ لوعـدك نقـضا
عـدْني بـه عنـد مـوتي ، فـأقطع العمـر ركـضا

❖❖❖

خلَّيْـتُ في الحـب عقـلي ، فخَـلّ عقلـك أيـضا
دعنـا نجـنّ ونلهـو في الكـون طـولا وعرضـا
ونـشعل الليـل نـورًا ، ونحـرم العيـن غمـضا
فكـارهو النـور عُمـيٌ ، وعاشـقو النـوم مـرضي
دعنـا نـذوق الجنـي في كـل المواسـم غَـضا
ونحـسب القيـظ فيئًا ، ونبـصر الجـدب ، روضـا
ونعـصر الـشمس خمـرًا ، بجامهـا نتوضّـا
ونـشرع الحـب دينًـا ، ونجعـل الوصـل فرضـا
ولا نطيـع نبيًّـا يـشيع في الكـون بُغـضا
لا يعـرف الله إلا مـن يجعـل الحـب فيـضا

« القاهرة - ١٩٦٧»

في ذكرى الشابي

لم ينفر الوَحْيُ ولم يَغْربِ

عن قمة الإلهام في يعرُب

مَنْ زعَم الشّعر انتهى عهده ؟

كم جاء بعد المتنبي نبي

شوقي ، وهل شوقي سوى سُورةٍ

في مُحْكَم التنزيل لم تُكْتب

لينعم الشّعر بآياتها

وتَغْمر الفصحَى على الأحقُبِ

وشاعر النيل الذي هزّنا

بشعره المستعر الْمُلهب

أشعلَها في دمنا ثورةً

وقودها الغاصب والأجنبي

وشاعر القطرين ، مَنْ جاءنا

بكل قول مؤنسٍ مُعْجِب

علّمنا الرّقة في أَوْجهها

والحبَّ في أسلوبه المُذْهب

قد رضي الوحي على قومنا

(*)كان مقررًا أن يمثل الشاعر بلاده في الاحتفال الذي أقامته الحكومة التونسية في سنة ١٩٦٥ إحياء لذكرى الشاعر التونسي الخالد أبو القاسم الشابي ، الذي مات في مطالع الثلاثينات ، وهو دون الثلاثين (١٩٠٩-١٩٣٤) ، وكانت نشأة شهرته على صفحات مجلة جمعية أبو للو ، التي كان الشاعر يومئذ أصغر أعضاء مجلس إدارتها . ولكن القطيعة وقعت قبل موعد الاحتفال ، على أثر موقف سياسي ؛ فلم يسافر الشاعر ، ولم تلق القصيدة .

وأتبــع الكوكــب بالكوكــب
إن غــاب عــن مشرقنا شــاعرٌ
تــألق الــشاعر في المغــرب

❖❖❖

هيهــات ننسى لأبــو للــو يــدًا
ياما سقت مــن غيثهــا الصيب
مــرّتْ عــلى مطلــع أيامنــا
ونحــن كالحبّــات في الطحلــب
فقرّبــتْ منّــا بعيــد المــدى
واطلعــتْ منّــا زهــور الــرُّبي
وكــان فينــا وتــرٌ ســاحر
يخطــر في بُــرد الــصبا الأقــشب
مــن تــونس الخضراء ، مــن روحهــا
مــن سَمْتها الحــر الــذكيّ الأبــي
صــلاته للحــسن صــوفية
في هيكــل الحــب كنجــوى نبــي [1]
لا يُنكــر الــرحمن إحــسانها
لــو تُليــتْ للنــاس في «يثــرب»
مــا علّمــوه الــشعر ، لكنّــه
لألأه مــن روحــه الطيــب
منغّم اللفــظ ، جديــد الــرؤى
ينــساب مــن عَــذب إلى أعــذب

(١) إشارة إلى قصيدته الفريدة «صلوات في هيكل الحب».

وآيـــة التجديـــد أن تلتقـــي
حـــلاوة الـــصنعة والمؤهـــب[1]

وتطلـــع الـــصورة مجلـــوَّةً
بـــاللحن في إيقاعـــه الخُلَّـــب

لا أن يخـــون الـــشعرُ ميزانـــه
ويغـــرقَ المبنـــيُّ في المُغـــرَب

ويفقـــدَ الـــنظم تقاليـــده
ويُـــصبحَ الفـــن بـــلا مـــذهب

◆◆◆

قُـمْ يـا أبـا القاسـم واسـخرْ معـي
مـن قـصة الحـصرم والثعلـب

مـن الألى سُـدَّتْ مـزاميرهم
فأعرضـوا عـن شـعرنا المطـرب

اضـحكْ مـن الـشعر الجديـد الـذي
لم نَـدرِ مـن أمٍّ لـه أو أب

مـن الألى اختلـتْ مـوازينهم
فاسـتبدلوا الميـزان بـالعقرب[2]

لـوَوْا عمـود الـشّعر حتـى انحنَـى
وسـار بـين النـاس كالأحـدب

مهلهـل الجـرس، لقـيط الجنـى
لم يُـنمَ للعُـرْب ولم يُنْـسَبِ

---

(١) المؤهب: الموهبة.
(٢) أي قلبوا أبراج الشعر.

فشطرةٌ تخلص في كلمةٍ
وشطرةٌ تمتط كاللولب
وفكرةٌ صفراء صينية
وفكرةٌ حمراء كالصقلب[1]

فما استقام الشكل من عورةٍ
ولا خلا المضمونُ من مثلبِ
إن كان هذا شعْر أيامنا
فيا ضياع الشعرَ في يعرب

❖❖❖

عفوًا أبا القاسم إن لجّ بي
حديثُهم في يومك الطيّب
وأنت مَنْ بالبحر في عمقه
وبالقوافي صعبة المطلب
غَنىَّ الجبالَ الخضرَ ألحانَه
وأطلق النايات في السبسب
وضاء بالحب ستار الدجى
وأطلع الزنبق في المجدب
وزفّ بنت النور أنشودةً
نشوانة الأنغام في الموكب
أطلعها تختال في مُلْكها
كأنها بلقيس في «مأرب»
والتفت الشرق له هاتفًا

(1) الصقلب: العنصر السلافي.

يا عجبا من سحر هذا الصبي

في ميعة العمر وإشراقه

يرنو إلى عرش أبي الطيّب[1]

قد عاش ما عاش على رقّةٍ

لم يحْفِ بالجاه ولا المنصب

بل عاش للشعر وأقداسه

ينزفه من قلبه المتعَب

ويوغر الشعب على طُغمةٍ

تحتمل الأوزار كالمشجب

ويبعث الصيحة في قومه

أن ينفروا من غفلة الغيهب

إن غضب الشعب على قيده

فالله سيف النصر للمُغضَب

◆◆◆

عاش وما عاش، فما عمْره

إلا كعمر الورد، لم يُشْهب

ومات، لا بل عاش في موته

كما يعيش الدين بعد النبي

يا ليته عاش إلى عهدنا

عهد «جمال» الناصر الأغلب

(١) أبو الطيب المتنبي.

ليشهد الليل وكيف انجلى[1]
وانكسر الصلب على الأصلب
ويلتقي «بنزرت» في عُرسها
مجلوّةَ المسرح والملعب[2]
كانت متاعًا لغريب الحمى
فأصبحتْ مقبرة الأجنبي
«بنزرت» يا أخت انتصاراتنا
يا بورسعيد الشاطئ المغربي
عَدُوُّنا جوهره واحدٌ
رغم اختلاف الناب والمخلب
إذا افترقنا فهو مستأسد
أو اتفقنا فهو كالأرنب
وإن توحدْنا بلغنا الذرا
على نواصي فلك الكوكب

◆◆◆

تونس ، يا منْ أنجبتْ «بيرمًا»[3]
اللهَ للمُنْجَب والمُنجِب
الله للدور إذا صاغه
مبتكرًا في الغصن والمذهب[4]

---

(١) إشارة إلى بيتيه المأثورتين :

إذا الشعب يومًا أراد الحياة	فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي	ولابد للقيد أن ينكسر

(٢) كان الاستعمار الفرنسي قد اصطدم يومئذ بالشعب التونسي في ميناء بنزرت ، فهبت مصر لنصرة تونس .

(٣) الشاعر الشعبي المصري ، تونسي الأصل ، محمود بيرم التونسي .

(٤) المقصود هو الدور الغنائي ، الذي يتألف من قسمين : الغصن والمذهب .

يَـــدلّ معنـــاه عـــلى غـــيره
تـــدلل البِكْـــر عـــلى الثَّيـــب[1]
وأم كلثـــوم تغنـــى بـــه
فتمـــزج المُـــرقِص بـــالمُطْرب
ونحتـــسى المعـــسول مـــن لَفظـــه
ونتـــشّى مـــن دنّهـــا المُـــذْهب
كأنهـــا بُـــشرى إلهيـــة
بوحـــدة المـــشرق والمغـــرب

◆◆◆

الله للمـــوّال ، يـــشتُّقهُ
مـــن آهـــة المكـــروب والمتعـــب
في لُغـــةٍ كالنيـــل سلـــسالة
مـــصرية الرقـــة والمـــشرب
مـــن لهجـــات العُـــرْب ، لكنهـــا
خَلَـــتْ مـــن الحوشـــيّ والمغْـــرب
يـــسخر فيهـــا مـــن دبيـــب الهـــوى
عـــلى سريـــر الملـــكِ النّـــيْربي[2]
ومـــن سكـــوت الـــشعب عـــن زمـــرة
توغـــل في إقطاعهـــا الأشـــعبي
ويـــدفع القـــوم إلى وثبـــةٍ
تطـــيح بالعهـــد الـــذليل الغبـــي
كـــم ســـيق للمنفـــي ، فـــما آده
وعـــاد لم يكفـــرْ ولم يَرْهـــبْ

(١) أي أنه كان يجيء بالمعاني البكر ، أي الجديدة .
(٢) النيربي : الظالم .

عـــاد إلى الـــشعب يغنـــي لـــه
في ثـــورة تأخـــذ بالأصـــوبِ
وتجعـــل العـــيش اشـــتراكيةً
تحنـــو عـــلى المعْـــدم والمـــترب
وتجمـــع العُـــزب عـــلى حُجـــةٍ
في الحـــق لم تُـــدحَض ولم تُـــشْجَب
هديـــة للنيـــل مـــن عنـــدكم
أنعِـــمْ بهـــا ، أكْـــرِمْ بهـــا ، أخْبِـــبِ
ولم تـــزل للـــشعر في داركـــم
تحيـــة المفتـــون والمُعْجَـــب

القاهرة – ١٩٦٥

◆◆◆

بديع خيري

لا تقولوا مضى وخلّف دارهْ
وطوتْ ذمة الرَّدَى تذكاره
ربّ ميْتٍ تحت الغبار ثوىً
يَعجزُ الحيّ أن يشق غُباره
صاحب الفن ، وهو نصف نبيٍّ
لا يداري غروبُه أنواره
وحياة الفنّان بين الأماني
والمآسي روايةٌ جبّاره
تتوالَى الفصول فيها ، ولكن
يبدأ المجد من نزول الستاره

❖❖❖

يبدأ المجد حين يرتفع الروح
... إلى ربه وينضو إزاره
ويغيب الثناء والنقد والحقد
... وتَفْنَى العوارض المنهاره
ويرى الله كل صاحب جهدٍ
حاملاً في يمينه آثاره

(*) ألقيت في حفل الأربعين لهذا الرائد الكبير الذي اشتغل بالتدريس والتأليف والتمثيل وكتابة الزجل وتأليف الأفلام والأغاني ، وكان فذًّا في وفائه وفي حبه للمسرح ، إلى حد أن وفاة ولده اللامع عادل خيري لم تؤثر في عزمه ومواصلته لجهاده في سبيل المسرح . وقد أقيم الحفل بمسرح الريحاني في ١٤ مارس سنة ١٩٦٦ .

ويحين الحساب للحق والتاريخ

... والفن والحِجَا والحضاره

❖❖❖

يا أبا «عادلٍ» وقد كان كالفجر

... ضياءً، وكالورود نضاره

عاش كالبرعم الذي يُسعد الفنَّ

.. شذاه، ومات كالنوّاره

عَرَضتْه الآلام في زهرة العمر

... على لُطف ربه فاختاره

وحسبناك بَعده تهجر الفن

... وتنساق للأسَى والمراره

غير أن الإيمان زادك عزمًا

وثباتًا وهمةً وحراره

قد تذرّعتَ بالتجمل والصبر

... تُداري الأسى وتطفيء ناره

وتأسيْتَ بالرسالة ترعاها

... وتُحيي في ظلها تذكاره

وتُنَمِّي بناتك المسرحيات

... وترعَى أبناءك النظّاره

❖❖❖

يا بديع الزمان، يا من إذا ما

قيل أين الوفاء، كنتَ شعاره

كنتَ فينا الخِلّ الذي عرف الكلَّ

... نــــداه ، وأكـــبروا إيثـــاره

لم تُغَــيرْ خلالــه محنــةٌ هــدّتْ

... قـــواه وقَلّمــــتْ أظفـــاره

يــشهد الله ، كــم رأيتــكَ محمــولاً

... تداري الـضنى وتمشي المساره(1)

تخــدم الفــن ، أو تعــود مريــضًا

أو تــواسي دمــوع جــارٍ وجــاره

أو تـردّ الجميـلَ ، أو تـصل العــاجز

... في الــضّنك ، أو تعــين صِــغَاره

كنــتَ أولىَ بــأن تُــزار ، ولكـــن

كنـــتَ ســبّاقنًا لكـــل زيـــاره

كنـــتَ حُبًّـــا ورقـــةً وصـــفاءً

كنـــتَ نُـــبلاً وعفـــةً وطهـــاره

❖❖❖

صاحبَ النصف من تُراث «نجيب»(2)

أنـــت أعليـــتَ ركنـــه وجـــداره

عـشْتَ فــيها أنجــزتَ عُمــرين ...

جَبــارين .. إن عَــدّد امــرؤ أعــماره

ويعــيش العظــيم عُمــرين ، إمّــا

وهـــب المجـــدَ ليلـــه ونهـــاره

---

(1)عاش بديع خيري سنواته الأخيرة مقطع أصابع القدمين من أثر مرض السكر . ولكنه ظل يواصل جهاده متوكئًا أو محمولاً في أكثر الأحيان .

(2)نجيب الريحاني ، وكان شريكًا له في التأليف وفي المسرح .

كنت دنيا من التأمل والحكمة

... واللطف والنهى المختاره

كنتَ في الناس شاعرًا بارك

... الشعبَ وحيًا من الحمى أحراره

كنتَ فيهم معلّمًا يعصر الكُتْب

... ويُهدي إلى بَنيه العصاره

كنتَ فيهم ممثلاً من رعيلٍ

وهب الفنَّ زهوه ووقاره

كنتَ فيهم مُنمّقَ الزجل

... الحلو أنيق البيان صافي العباره

كنتَ فيهم أبا الأغاني التي

... تُطرب أوزانُها بلا قيثاره

كنتَ فيهم مؤلفَ الشاشة

... الرائد، لا يَعْدل الغناء حُواره

كنتَ «موليير» أمة سلّط الغدر

... عليها قواه واستعماره

أمة أطفأ الطغاة سناها

وهي كانت لكل عصرٍ مناره

ودهاها الإقطاع فيما دهاها

فسقاها الطّوَى كئوسًا مُداره

وأذلّ الفلاّح، يكدح في

... الأرض ويشقى ولا يذوق ثماره

وطغتْ شَهوة الخواطر والرّشوة
... حتى غدا الفساد شطاره [1]

كل هذا ، سخرتَ منه بفنٍ
صائب السهم عبقريِّ المهاره
كان إرهاصةً لثورة شعبٍ
بارك الله في الخطَى ثُوّاره

❖❖❖

أيقولون : كرِّسُوا الفن للفن
... ولا تجعلوا القيود إطاره ؟
أم يقولون : كرِّسوا الفن للشعب
... يؤججْه لانطلاق الشراره ؟
هو هذا وذاك ، فالفن والشعب
... لزامٌ ، كالقوس والقيثاره
أجمل الفن ما يضيف إلى الفن
ثوابًا ، كحجة وزياره [2]
قد رأيتم على مهاد نجيب
وبديعٍ صفاءه وازدهاره
عَمّقَا للرسالتين أساسًا
وأقاما ذراهما عن جَداره
ملأ الكأس بالسلافة صرفًا

(١)كل هذه الموضوعات عالجها بديع خيري في مسرحياته بسخرية بالغة في أوج طاغوت الاستعمار والإقطاع والملكية.
(٢)أي كمن يحج إلى مكة ويزور المدينة .

ثــم حطّــا لُبابهــا في القُــراره
لاَ صراخٌ ، لا شــهوةٌ ، لا ابتــذالٌ
لا دمــاءٌ ، لا قــسوةٌ، لا اســتثاره
إنــما نكتــةٌ تشعــشع في القلــب
... فتــشفي جراحَــه وانكــساره
إنــما ضــحْكةٌ تــذيب الــرواسي
ومــراحٌ يهــز حتــى الحجــاره
إنــما لفتــةٌ بتوريَــة القــول
... تــؤدي أهــدافها بمهــاره
إنــما فكــرةٌ تجــدد للــشعب
... أمانيّــــه وتُــــذكي أواره
إنــما حكمــةٌ تنــدد بالطغيــان
... طــورًا ، وبالتخــاذل تــاره
هكــذا الفــن ، يطعــن اليــأس
.. بالآمال في مطلب العُلا والصدارة
إن سر الفنــون مــن نَفَــس الله
... فــلا تجعلــوا الفنــون تجــاره
اجعلوهــا لله عــن عبــث المــاضي
... وعــن طــول ليلــه كفّــاره
« القاهرة - ١٩٦٦»

(*) بديع خيري (١٨٩٣ - ١٩٦٦) ولد بالقاهرة، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا ١٩١٨ ، وعمل مدرسا، ثم غلبته هوايته ، فكتب الأوبريتات والأغاني لسيد درويش ، ثم كتب أروع المسرحيات الفكاهية لنجيب الريحاني مثل : «إلا خمسة» ، «حكم قراقوش» ، «الدلوعة» ، «٣٠ يوم في السجن». «المحقق».

بنت الجيران

لا تسألني متى أدنو وألقاك
بل اسألي الله أن أنأى وأنساك
بيني وبينك سدٌّ فوق طاقتنا
من شائعاتٍ وأسوار وأشواك
يا جارتي ، كم طوينا ليلنا سهرًا
كأننا في الدّجى أشباح نُسّاك
وليس ما بيننا إلا قليلُ خطى
حُفّت بألف رقيبٍ ساهرٍ حاك
طبيعة الحسن أن يَشْقَى ببيئته
هل يزدهي الورد إلا فوق أشواك؟

❖❖❖

يا جارتي ، هل دَرَى ما في جوانحنا
مَنْ بالتجمل أوصاني وأوصاك ؟
تَنهُّداتك في شباكك اشتعلتْ
وأدمعي أحرقتْ أضلاع شُبّاكي
وأصبح الحي يروي عن صبابتنا
ملاحمًا من حياة الشاعر الباكي

❖❖❖

خلقتُ في غَزَلي الأسماءِ كاذبةً

وما عشِقتِ من الأسماءِ إلاك

وما وصفتُ سوى وجهٍ له سِمَةٌ

ليست تشعشع إلا في مُحياك

غمّازتاك ، وما أحلى انقباضهما

إذًا ابتسامةُ حُبٍّ آنست فاك

غمّازتاك هما حانات عاطفتي

هما هواي وأوثاني وأشراكي

تدنو فتثمل من عطريهما شفتي

فما ألذّك يا سُكري وأشهاك

« القاهرة -١٩٦٧»



دمشق

هنـــا دمـــشق ، ومـــا أحـــلاه مـــن نَغَـــمِ
أنـــشودة في فمـــي ، أم نـــشوةٌ بـــدمي ؟
هـــذِي دمـــشق تنـــاديني ، فأبلغهـــا
ســـعيًا عـــلى نغـــماتي ، لا عـــلى قَـــدَمي
دمـــشق ، يـــا معبـــد الأشـــواق في حُلُمـــي
يـــا كعبـــة الـــروح بعـــد القُـــدْس والحَـــرَم
يـــا عـــزّ قـــوميتي ، يـــا أخـــت قـــاهرتي
يـــا نجمـــةً يزدهـــي في نورهـــا عَلمـــي
فـــوق الجـــراح سَـــمَوْنا في عروبتنـــا
فـــما نَفَـــى حَـــدَثٌ أنّـــا ذووُ رَحِـــم
مـــا زال حبـــك منقوشًـــا عـــلى قَـــدَرِي
فـــوق الزمـــان ، وحبـــي غـــيرُ مـــتّهَم
إن كـــان آلَمَنـــا يـــومٌ لـــه سِـــمَةٌ
مـــن الـــسواد وجهـــاءٌ مـــن الظُّلَـــم
حـــديثُ لـــيلَي وقـــيسٍ في الهـــوى ألَمٌ
لا يكـــبرُ الحـــبُّ إلا في ربيَ الألم

❖❖❖

الليـــل يُقْـــسم أن العـــين مـــا غفلـــتْ
والله يـــــشهد أن الـــــشوق لم يـــــنم
وقـــد صـــفا شـــفق الأحـــلام فابتـــسمي
مـــا أجمـــل النيـــل إذ يُـــصْغى إلى بَـــرَدَى
وقاســـيون ينـــاجي قمـــة الهـــرم

◆◆◆

هـــذى فلـــسطين تـــدعونا إلى قَـــسَم
وآن منّـــا أوان الـــصبر بالقَـــسَم
فيـــا دمـــشق دعـــاك النـــصر فانتفـــضي
ويـــا عروبـــة نـــادي الثـــأر فـــانتقمي

«دمشق - ١٩٦٧»

عيد الكويت

في موكـــب الخـــير والـــسّماح تعـــيش مرفوعـــةَ الجنـــاح

بلادنـــــا مطلـــــع الـــــصباح

❖❖❖

بلادنـــــــا ، درّة الخلـــــــيج
صَـــحَتْ عـــلى عيـــدها البهـــيج
ترفـــــل في البـــيشر والأريـــج
كأنــــــه موكـــــب الحجـــــيج

يهتـــف حاديـــه في البطـــاح يقـــول حَـــيّ عـــلى الفـــلاح

بلادنـــــا مطلـــــع الـــــصباح

❖❖❖

بلادنـــــا في الـــــورى نـــشيدُ
وشـــعبُها صـــاعدٌ رشـــيد
وعهـــدها مـــشرقٌ ســـعيد
وعيـــــدها للحيـــــاة عيـــــد

تنهـــل مـــن صـــفوه المتـــاح بـــشائرَ الخـــير والـــصلاح

بلادنـــــا مطلـــــع الـــــصباح

❖❖❖

بلادنـــــا ، حلـــــوة المجـــــالي
فريـــــدة الخـــــيرْ والمثـــــال
شـــــهود أمجادهـــــا الليـــــالي
حـــــروف تاريخهـــــا الـــــلآلي

راحتُهـــا فـــوق كـــل راح رايتُهـــا العطـــر للريـــاح

بلادنـــــا مطلـــــع الـــــصباح

«الكويت – ١٩٦٧»

(*) غنتها نجاة الصغيرة في العيد القومي للكويت سنة ١٩٦٧ .

إلى الضمير العالمي

قفْ قليلاً واستمعْ لي يا أخيَّ البشريهْ
خَلِّني أرْوي لوجدانك ذكرى ووصيه

◆◆◆

قبل عام النكبة السوداء في أرضي الشقيه
كان لي في وطني الفاتن أيامٌ نديه
كان أهلي قُنّعًا بالعيش في أرضي الزكيه
كم أحبتْهم أباةً وأحبوها أبيه
وأقاموا العمر فيها بين جنّاتٍ هنيه

◆◆◆

ثم كانت ليلةٌ ليلاء من عام البليه
شرّدتهم في فجاج الأرض ظُلمًا وخطيّه
أسلمتهم لضياع العيش في البيد العتيه
ورمتهم للطّوَى ... للتيه ... صبحًا وعشيه

◆◆◆

ثم جاءت بفلولٍ من غُلاة العنصريه
غرباءٍ عن تُراب الأرض ... أرضي العربيه
يحملون النار والعار وظُلم البربريه
يغصبون الدار مني ... دارَ أهلي وبَنيّه

(*)هذه هي القصيدة التي نقشت على لوحة في مدخل الجناح الأردني بمعرض نيويورك الدولي سنة ١٩٦٤ ، وقد نظمها بالإنجليزية السيد صلاح أبو زيد ، الوزير الأردني يومئذ .

ويغيرون على النور الذي يُومي إليّه

❖❖❖

وعلى ناصية الأردن والأرض الشقيه
فوق جنّات بلادي وضفافي القُدسيه
أطرق النور حزينًا يائسًا يبكي عَلَيّه

❖❖❖

يا رفيقي ، لم تزل تلك الفلول الهمجيه
تسكن الدار التي أمستْ وأهلوها ضحيه
وأنا عنها غريب تائه بين البريه

❖❖❖

ثم ماذا ؟ لم تزل في قصة الظلم بقيه
ها هو النهر الذي ينبع من أرضٍ نقيه
الذي ينساب من قلب الجبال العربيه
ليُرَوّي أرضها ، وهي إلى الماء صديّه
ادّعاه غرباء الأرض ، ريّاه وريّه

❖❖❖

يا أخي في الخير ، ناشدتُك باسم البشريه
وطني ... نهري ... أنا .. أهلي .. ذَويّه
كلنا ندعوك للحق الذي يحمي القضيه
كُنْ ضميرًا يقظ النخوة عدل الأريحيه
ووداعًا يا صديقي ، وسلامًا وتحيه

«نيويورك ـ ١٩٦٤»

محمد القصبجي

عشّاق «سومةَ» في ميعادها الغالي
هلاّ التفتّم لذاك المقعد الخالي ؟
أين الذي كان بالإلهام يملؤه
وبالتراث الأصيل الشامخ العالي ؟
ترنو له أمّ كلثومٍ، فيلهمها
كأنه آهةٌ في قلب موّال
والتخت من حوله كالظل يتبعه
واللحن من عزفه مستعذَبٌ حالِ
والعود في حضنه ينساب في نغمٍ
كرائق من سماء الله سلسال
هذا النحيل الذي رقّت ملامحه
قد كان رابع جيل ماله تالِ
أبو العلاء، وداود، وصاحبنا
وشيخنا زكريا الراحل الغالي[1]
جيل من القمم العليا، اذا نُصبتْ
له الموازين، لم يُوزَنْ بأجيال
صانوا لنا النغم الشرقي من عبثٍ

(*) كان المرحوم محمد القصبجي من أعلام التلحين في مصر، وكان له مكان ثابت في تخت أم كلثوم، عن يسارها، يعزف على العود فيبدع. وقد صاحب أم كلثوم منذ نشأتها، ولحن لها مئات الأغاني، وهو أول من انتقل بها - وبالموسيقى العربية عامة - من التخت إلى الأوركسترا مع حفاظه على التراث الأصيل. وقد ألقيت القصيدة في ذكراه الأولى بمعهد الموسيقى العربية في مارس سنة ١٩٦٧ .

(١) الشيخ أبو العلا محمد وداود حسني وزكريا أحمد.

باسم الجديد ادّعاه كلّ محتالٌ
الجوهر الحر لا تخفى أصالته
في صدرِ غانيةٍ أو بين أطلال

❖❖❖

يا معهد الفن ، يا حامي رسالته
وكم لآلك من أيد وأفضال
هل أكتمنّكَ ما يزّوَرّ في خَلَدي
أم أشكوَنّك أشجاني وبلبالي
كبا بنا الفنّ في أغوار منزلقٍ
من الجديد بأرضٍ ذات أوحال
من معشرٍ جعلوا الدنيا بضاعتهم
وروّجوها ، فباعوا الفن بالمال
وأفسدوا الليل والأذواق ، فانحدرت
قوائم الفن من حالٍ إلى حال
وأهدروا بهجة الدنيا فما تركوا
فيها سوى جاهلٍ يشدو لجُهّالِ
ما كلّ صارخةٍ في الحيّ شاديةٌ
أو كلِ صاحب مهماز بخيّال

❖❖❖

يا معهد الفن ، يا حامي رسالته
أشرقْ علينا بأحلام وآمال
أرددْ بَنيكَ إلى الماضي وروعتِهِ
وقلْ لهم كيف يبقى أيّ تمثال

بَنى القُدَامَى أصول المجد من حَجَرٍ
وما بَنَوْا بترابٍ أو بصلصال
فعاش ما خَلّفوا ذخرًا لأعصرنا
ومن هُداهم بنينا سدّنا العالي
يسقي من الأرض ما شحّتْ منابعه
بدافقٍ من يد الرحمن سيّالِ
ويبعث النور في الوادي بمعجزةٍ
من أول الدهر لم تخطرْ على بال
كذلك الفن ، يدعوكم إلى عملٍ
يُضفي على عهدكم أضواءَ شلاّل
العصر عصر بطولات وتضحية
والفن يصرخ فيكم : أين أبطالي ؟
هيا اجمعوا جمعكم وادعوا لمؤتمر
يحرر الفن من هون وإذلال

◆◆◆

محمد ، يا أبا التجديد عن ثقةٍ
وفي إطار من الإبداع مُختالِ
وفي حدود تراثٍ عزّ معدنُه
فعايش الدهر في صبر وإجلال
مَنْ أيقظ اللحن من تابوت نومته
وفضّ عنه غبار الهيكل البالي ؟
ومَنْ جلاه أنيقَ الثوب مؤتلقًا
ومَنْ نَضَا عن شجاه كل إملال
وأطلع الدّوْر مزهُوًّا ومبتكرًا

وجـــاء فيـــه بأبعـــادٍ وأطـــوال
وزيّـــنِ الـــنَغَم الحـــالي ، وبهرجـــه
ضـــمنَ الإطـــار بـــألوان وأشـــكال
وطـــوّر التخـــت فازدانـــت مطالعـــه
وزاد فيـــه مـــن التوقيـــع والآل
هـــذا هـــو الفـــصل في التجديـــد يبهرنـــا
فنرتـــضيه بإحـــسانٍ وإقبـــال
وأنـــت مَـــنْ كنـــتَ ســـبّاقًا لقمّتـــه
دون الـــذي يدّعيـــه كـــلّ دجّـــال

❖❖❖

يـــا نـــصفَ قـــرنٍ مـــن الأمجـــاد ، مـــا برحـــتْ
ألحانُـــكَ الزُّهْـــر تحيـــي كـــل آصـــال
حيّـــا لـــك الله قـــبرًا أنـــت زهرتُـــه
وجـــادك الخـــير مثقـــالاً بمثقـــال
قـــد عـــشت عُمـــرًا تـــوالىَ شـــقوة وأســـىً
فعـــش بأعماقنـــا في عمـــرك التـــالي
«القاهرة - ١٩٦٧»



(*) محمد القصبجي (١٨٩٨-١٩٦٦) درس بالأزهر وتخرج في مدرسة المعلمين عام ١٩١٥ ، لكنه نبغ في الموسيقا ، وتألقت موهبته في الفترة من ١٩٢٤ حتى ١٩٤٢ حين تغنت أم كلثوم بألحانه وأشهرها «رق الحبيب» ، يعد من المجددين في الموسيقى العربية. (المحقق)

من مصطفى جواد

شوقي إليك عظيم، لا أقدّره
إلا كما قدّر الإبلال ممراضُ
ذكّرتني عهد أحباب، وأنت لهم
عينُ القلادة بالآداب نهّاضُ
الذكريات لنا سلوى، فقد سلفتْ
أيامنا البيض، فالأجسام أنقاضُ
أيام يدعو «أبو شادي» وعصبتُه
إلى جديد قريضٍ، وهو مُرتاضُ
مضى الشباب حميدَ العيش، يعطفه
فؤاد مرتمضٍ بالهم مُنْهاضُ

إلى مصطفى جواد

أيا أخي مصطفى، يا قلةً بقيتْ
من الصحاب، وكم ولّوا وكم غاضوا
بحثت عنك بمصر أبتغي شرفًا
من اللقاءِ وشوق القلب فيّاضُ
وقَبْلها كنت في بغداد أسألهم
ما للجواد يجافينا ويهتاضُ ؟
وكان في مطلع الأيام ناصرنا
إذا المشايخ في آدابنا خاضوا
حتى التقينا، فما دامت علالتنا
إلا كما أرعش الأجفانَ إغماضُ
ثم افترقنا، وعاد الدهر عادته
وما تقضّتْ لنا في الشوق أغراضُ

(القاهرة – ١٩٦٧)

(*) كان العلامة اللغوي العراقي، الدكتور مصطفى جواد، عضو المجمع العلمي ببغداد، من أصدقاء الشاعر في أول شبابهما، في عهد جمعية أبو للو، ومن المدافعين عن حركة التجديد التي حملت أبو للو لواءها يومئذ، وهاجمها أبناء الشيوخ. ثم عاد مصطفى جواد إلى العراق، وتفرغ للدراسات اللغوية، وفصلت بينه وبين صاحبه ثلاثون سنة، التقيا بعدها بالنظر عن بعد، غمضة عين، في عيد العلم بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٧، فبعث مصطفى إلى صاحبه، عبر الصفوف، بهذه الأبيات، ثم تدافعت الصفوف فلم يلتقيا عند الخروج، ومرة أخرى عاد مصطفى إلى بغداد فأرسل له الشاعر ردًا على تحيته، وكلاهما مرتجل.

العودة

فيحاء يا بلد الأهلّة نشر السلام عليك ظلّة
وهبتْكِ هامات المآذن بالتحية والتَجلّه
يا كعبةَ الهدف الكبير ولمحة الأمل المُطلّه
لولا كرامة مكّةٍ لجعلت من مغناك قبله
أو عزّ حَجّ البيت جئت إلى حماك أطوف حوله
أو جفّ ماء زبيدةٍ لتَخذت من بَرَدَى تَعلَّه
وسجدت للأرض التي احتضنت أميّةَ وهي طفله
وبنتْ بها للمُقبلين مع الرسالة خير دوله
تتوارث الأجيال آية مجدها في كل رحله
ويهبّ منها النسر يقهر من أرادوا النصر غيله
وتظل في كل العصور دمشق للثوّار شُعله

◆◆◆

فيحاء ، عاد إلى رحابك شاعر الغزل المُدَلّه
يُضفي عليكِ من العواطف والعوارف خير حُلّه
وكم استحثّ تعلّةً يأتي بها مغناك وهله
حتى دعا داعي الوفاق فقال أشرقت التَعلّه
وسعى إليك يُطيع لهفة قلبه ويجيب سُؤْله
لا تنكريه يا دمشق وأنتِ للظمآن عَلّه
لا تنكريه فإنه من تعرف الأيام فضله
ابن الألى يومَ اختراع المجد كانوا المجد قبله
عرفوا الهُدى من قبل أن يتخيّر الرحمن رُسْله

(*) قيلت بعد صفاء الجو بين القاهرة ودمشق في مطلع عام ١٩٦٧ .

وترنمــوا برســالة التوحيــد ، والأيــام غفلــه

◆◆◆

ابــن الألى صــنعوا المعابــد والهياكــل والمســلّه
وبَنَوا أبا الهول العظيم يشيع في الأعداء هولـه
وأتَوْا بصُنّاع الـسدود ليملئـوا الـصحراء غَلّـه
ويعمرُوا الأرض اليباب ويُسعدوا الدّور المُقلّه

◆◆◆

ابــن الألى انقــادت قلوبهمــو لــدين الله ســهله
وسَــعَوْا لعَمْــرو محبــة في الله ، لا رَهبًــا لــصوله
واســتنفروا ابــنَ زيــادَ أن يعتــدّ عــسكره وخيلــه
ليمــد للإســلام في ركــن المحــيط أعــزّ دولــه

◆◆◆

ابـن الألى جعلـوا العروبـةَ حَسْبهم شرفًـا وملّـه
وتنكــروا لخديعــة الأحــلاف والقــيم المُــضلّه
وتـشبثوا بالوحـدة الكـبرى تـضم الـشمل كُلّـه
مـن ذاق كـأس الوحدوية لـيس يملـك أن يَمَلّـه
ومـذاق مـاء النيـل لا يغنيـه عـن بَـرَدَى ودجلـه

◆◆◆

ابــن الأبــاة الثــائرين عــلى المهانــة والمَذلّــه
الفــاتحين كُــوَى الحيــاة إلى الحيــاة المــستقله
المفــسحين لكــل إنــسان عــلى الــدنيا محلّــه
الآخــذين الثــأر مــن عنــق الــشعوب المــستغله
الحــاملين عــلى ملــوك الهــون أجــلاف الجبلــه
مــن كــل مطعــون المهــاد وكــل موتــور وأبلــه
قــومٌ إذا دخلــوا القُــرى جعلــوا أعزتهــا أذِلّــه
وأنا ابن من هزموا الملوك وحطّموا الـصنم المؤلّـه

وعَنَوْا الملك الله ، لا مُلْكِ العروش المضمحله

❖❖❖

فيحاء ، قُرباني إليك هو القصيد ، وما أقلّه
لي فيكِ من ترنيمة العاني ومن ولَه المولّه
ما يعجز النسيان أن يسعى إليه وأن يَفُلّه
لي فيك حبٌّ لا تطيق ستائر الأيام سدله
وأواصرٌ في سطح «دُمَّر» شرفةِ الله المطله
لهفي على الركن المعلق والسحاب له مظله
والسرب خلف السرب يضحك للهوى ويميل ميله
من كل حسناء القوام كظبية الوادي مُدلَّه
تختال في صَلَف الشباب وزهوه ، وتجر ذيله
يتفتح النَوّار عبْرَ طريقها ويمد ظله
ويدير في فمها قُرنفلةً وفي النهدين فُله
ويلم من ذهب الأصيل لكي يلوّن كلّ خُصله
تمشي ، فأتبعها ، فتطرق حيّة الخدّين خَجْله
وأظل أغريها بما لم يَشْدُ عنترة لعبله
وحكايةٍ في الحب أحلى من حكاية «ألف ليله»
من ذوب سُكرِها تغردّ في الجوانح كل جمله
وأقول يا ليلى ... فيهمس ثغرها : أنا لست ليله
فأقول حسْبي أن تكوني من جنى بردي نُسَيْله
كوني جهينة أو بثينة أو سُمَية أو سُهيْلَه
لازلتِ لي ليلى أميةَ يا منى قلبي وشُغْلَه

❖❖❖

لـيلاي في الـشطر الحبيب ، على جبينك ألف قُبلة
الـثلج ذاب بقاسـيون وراح يطفـئ كـل غُلـه[1]

ودنـا لنـا صـفو الزمـان وأنكـر المـاضي سـجله
وتقـضّتْ الـست العجـاف فحسُبنا المَـا وعُزلـه[2]

الحـب يـصفح عـن خطيئتنـا ويغفـر كـل زلـه
لا أظلمنّـكِ في الوفـاء ولا ألـوم عليـك ثكلـه
فلقـد سـبرتك في سـواد الحادثـات فكنـت أهلـه
نطقـوا بألـسنة الهـوى فرمَـوْا هـواي بـألف علّـه
وبكـل أرض يـا بُنيـة مـن دعـاة الـسوء قلّـه
صـدّقتِ زيـف حـديثهم وأشـحتِ غاضـبة مُدلّـه
وصرمـتَ حبـل مـودةٍ مـا كـان تُعْوِزهـا الأدلّـه
ها هم دعاة الحب قد وَصَلوا الذي قطّعتِ حَبْله
ووَفَـوا بعهـدٍ كـان في عنـق العروبـة مـا أجَلّـه

◆◆◆

فيحـاء ، عـاد النـور يفـترع الـدجى ويفـض كحلـه
وأتيـتُ بالـشوق الكبـير أزفّـه ، فلقيـت مثلـه
لا زلـتِ للإيمـان وجـدانًا وللعينـين مُقلـه
وظللـتِ بوتقـة اللقـاء ، ودمـت للأحـرار شـعله

«دمشق - مايو ١٩٦٧»



(١) قاسيون : جبل معروف بأطراف دمشق .
(٢) الست العجاف : سنوات القطيعة بعد الانفصال من ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ .

سراب

سرابٌ ... وكـــل حيـــاتي سرابْ
وفي وهمــه قــد أضــعت الــشبابْ
سرابٌ ، وأســـلمتُه خـــاطري
فعللنـــي بالأمـــاني الكـــذاب
وتابعتـــه ، رغـــم يـــأسي بـــه
ومعرفتـــي أنـــه لا يُـــصاب
يـــروح كمقـــتربٍ في ابتعـــاد
ويغـــدو كمبتعـــدٍ في اقـــتراب
وأجهـــدني الـــسير في إثـــره
فـــلا القلـــب مـــلّ ولا العقـــل ثـــابْ

❖❖❖

كـــأني بروحـــيَ أدمنتُـــه
فأصـــبحت لا أســـتطيع الإيـــاب
أحـــث إليـــه الخُطَـــا راضـــيًا
بـــأني عـــلى خطـــأ في الحـــساب
وأمـــلأ منـــه كئـــوس المنـــى
وأشربهـــا ، فيطيـــب الـــشراب

❖❖❖

وهامـــسة ، صـــوتُها نـــاغمٌ
كأنـــشودةٍ مـــن شـــفاه الرّبـــاب

يصوّرها سمعي دمية
منمقةً بالثنايا العذاب
تحدثني الليلَ في هاتفٍ
بعيد المنال قريبِ الخطاب
وتُصدقني في حكاياتها
وتفتح لي قلبها كالكتاب
وألمح في عمرها حيرةً
وفي صوتها قلقًا واضطراب
كأني بها تتشهّى الهوى
وتشفق منه إذا الحظ خاب

◆◆◆

وظلّت لقاءاتُنا في الخيال
فكانت لنا واحةً في اليباب
وطالت أحاديثُنا الحالمات
كوشوشةٍ من وراء الحجاب
وساءلتُها ليلةً ما اسمها ؟
فقالت : سؤالٌ عصيٌّ الجواب
أنا في حياتك وهم الحياة
وأنت خيالٌ وراء الضباب
فما همَّكَ اسميَ إن قلته ؟
أنا كالسراب ، فقل لي سراب
ودعنا نعيش على قصة
تتيح لنا في المنى ألف باب

ونـــصنع في الحــب أســـطورةً
مجــردةً مـــن ســـات الـــتراب
فـــلا لوعـــة ، لا أســـى ، لا شـــجى
ولا حرقـــة ، لا ضـــنى ، لا عتـــاب
ونعـــشق في الـــوهم ... إن الحقيقـــة
كـــم تُـــنكر النـــاسَ مـــرًّا وصـــاب

◆◆◆

فقلـــت لهـــا : أنـــتِ مخدوعـــةٌ
أخـــذتِ القـــشور وفُـــتِّ اللبـــاب
وقـــد كنـــتُ مثلـــك حتـــى أفقـــتُ
فأدركـــت أنـــي أضـــعت الـــشباب
أفيقـــي مـــن الـــوهم يـــا طفلتـــي
وردي الـــصراع وخـــوضي العبـــاب
فـــما خمـــرة الحـــب إلا الـــدموع
ومـــا لـــذة الحـــب إلا العـــذاب

«القاهرة - ١٩٦٧»



من أناشيد المعركة

- القصائد التالية كلها من وحي معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وقد نظمت خلال شهري يونيه ويوليه سنة ١٩٦٧ .

العار

العار لوجهك يا «جونسُنْ»
يا هادمَ أعلام التّمدينْ
يا خانق أنغام الأرغن
يا قصّاب الفتناميين
بات اسمك تبصقه الألسُنْ
في ساحة معركة فلسطين
في الشام ومصر والأردن
يا سفّاح القرن العشرين

❖❖❖

بحنايانا ثأر مشبوبْ
سيمرّغ رأسك في التُّربه
سيعيد لنا الوطن المسلوب
سيبيد الوحشة والغُربه
ويقول الغالب للمغلوبْ
قد هزّت أمريكا الضّربه
ويناديك الحق المصلوب
أنت يهوذا القرن العشرين

السّلم على يدك تحطّمْ
والطّيبة والإنسانية
وضميرك مات ولم تندم
يا وصمة عصر الحريه
وصليبك في يدك استسلم
لضلالات الصهيونية
يا ويلك من غضبة مريم
يا مأساة القرن العشرين

◆◇◆

العار لوجهك يا «جونسن»
يا مغتال حقوق الإنسانْ
والعار لوجهك يا «ولسُنْ»[1]
يا صانع أقنعة العدوان
يا صورة عصرك من «نلسُنْ»[2]
يا رافع أعلام القرصان
قد ثار الثأر فلن يسكن
يا أشرار القرن العشرين

(القاهرة - يونيو ١٩٦٧)

◆◇◆

(١) رئيس الوزارة البريطانية.
(٢) القرصان البريطاني المشهور.

ولدي في المعركة

«رسالة من أم عربية إلى ولدها في الجبهة»

ولـــــدى في المعركـــــة
خلــف أســلاك الحــدود الــشائكه
تحــت أســتار الــدخان الحالكــه
إننـــــي لا أتـــــألمْ
فتجلّــــــــذ وتقــــــدّمْ
أنـا لا أحيـا عـلى حُلـم انتظـاركْ
إنـما أحيـا عـلى صـوت انتـصارك
فــإذا مــا غبــتَ عنـــى
في ســبيل الله يـــا ابنـــي
عـشت في بُعـدك مـن زهـوي أغنـى
كــل أمّ مُدركـه دورهــا في المعركــه

♦♦♦

ولـــــدى في المعركــــــه
هــذه الأيــام مــن عمــر الزمــان
تبهــر التــاريخ منهــا صــفحتان
فــيها نــصر بــــلادِكْ
فــيها ســفْر جهــــادك
قــل لأصــحابك : أمــي لا تنــادي
فهــي لا تــرضى سَــوى ثــأر بــلادي

فـــإذا حقّقـــت ظنـــي

في ســـبيل الله يـــا ابنـــي

عشت طول العمر من زهوي أغني

كـل أم مدركـه دورهـا في المعركـة

◆◆◆

ولـــدى في المعركـــه

ولـدى... في كـل أرضٍ عربيـة

قـل لهـم إنـك مـن أمٍ أبيّـه

هـي لا تقبـل عُـذرَكْ

قبـل أن تأخـذ ثـأركْ

تتمنّـاك جريحًـا أو شـهيدا

دون أن يحيـا أهاليـك عبيـدا

فـإذا مـا ضـعت منـي

في سـبيل الله يـا ابنـي

عشت من بعدك من زهوي أغني

كـل أمٍّ مُدركـه دورهـا في المعركـه

(القاهرة – مايو ١٩٦٧)

◆◆◆

دُمْ للشعب

غناء أم كلثوم

قُمْ واسمعها من أعماقي

فأنا الشعبْ

إبْقَ فأنتَ السّد الواقي

لمنى الشعبْ

إبق فأنت الأمل الباقي

لغد الشعب

أنت الخير وأنت النورْ

أنت الصبر على المقدورْ

أنت الناصر والمنصور

فابق فأنت حبيب الشعب

دُمْ للشعب

◆◆◆

قُمْ إنّا جففْنَا الدمعا

وتبسّمْنا

قُمْ إنّا أرهفنا السمعا

وتعلّمنا

قم إنّا وحّدنا الجمعا

وتقدمنا

(*) قيلت يوم ٩ يونية سنة ١٩٦٧ ، حين أبدي الرئيس جمال عبد الناصر رغبته في اعتزال منصبه بعد النكسة.

قـــم للـــشعب وبـــدِّدْ يأسَـــهْ
واذكـــرْ غَـــدَه واطْـــرحْ أمـــسَهْ
قم وادفعنا بعد النكسه
وارفعْ هامة هذا الشعب
دُمْ للشعب

❖❖❖

قُـــمْ للـــشعب وقُـــلْ للنـــاس
قُلْ للعصْر
فوق الجرح وفوق اليأس
عاشت مصر
وغدًا ستحّيى الأجراس
يوم النصر
قُمْ إنا أعددنا العُدَّهْ

❖❖❖

قُم إنّا أعلينا الوحده
فارسم أنت طريق العوده
وتقدّمْ يتبعْكَ الشعب
دم للشعب

(القاهرة – ٩ يونيه ١٩٦٧)

❖❖❖

دعاء

أناديكَ يا مَنْ تُلَبّي النداءْ
وأدعوكَ يا مُستجيب الدعاء
أنلْنا الأمانا
وسدّدْ خُطايا
وطهّرْ حمانا من الأشقياءْ
بحقّ حبيبك في الأنبياء

◆◆◆

تقول لكَ الروح : يا خالقي
حملتُ الجهاد على عاتقي
وأوليتُه همّة الواثق
ورمت الحياة بلا عائق
وردّدت للخير أغنيّتي
فغالت قُوَى الشر أمنيّتي
وأنت تُبارك حريّتي

◆◆◆

فبسم الصغير اليتيم الوليدْ
وبسم الشهيد وأمّ الشهيدْ
وبسم الطموح لفجرٍ جديد
وبسم الكرامة واسم الفداء
أناديك يا من تلبي النداء

وأدعـوك يـا مـستجيب الـدعاء
أنلنـا الأمانـا وسـدّد خطانـا
وطهّـر حمانـا مـن الأشـقياء
بحـق حبيبـك في الأنبيـاء

❖❖❖

أيرضيكَ يـا صـاحب القبلتينْ
قيـام اليهـود عـلى الحُـرمتين
مـسار المـسيح وجـدّ الحـسين
ونحـن نُلبّيـك في المـشرقَينْ
ونعنـو لـذاتك يـاذا الجـلالْ
ونبـذل أرواحنـا في النـضال
لنحمـي هـداك ونمحـو الـضلال

❖❖❖

فبـسم محمـدَ واسـم المـسيحْ
وبـسم الأسـير وبـسم الجـريح
وبالثـأر أقـسَمَ لا يـستريح
إلى أن يحـينَ انتقـام الـسماء
أناديـك يـا مـن تلبـي النـداء
وأدعـوك يـا مـستجيب الـدعاء
أنلنـا الأمانـا وسـدّد خطانـا
وطهّـر حمانـا مـن الأشـقياء
بحـق حبيبـك في الأنبيـاء

❖❖❖

أنشودة المعركة القادمة

ارجعوا أيها الطغاة

أطرقوا أيها البُغاة

أطرقوا .. شعبنا زحفْ

فاحذروه، فقد عرف

وحدة الصف والهدف

◆◆◆

ارجعوا أيها الطغاه

آن أن نرفع الجباه

أطرقوا .. شعبُنا الكبيرْ

بدأ الزحف والمسير

غاضبًا ثائر الضمير

مُدركًا وحدةَ المصير

رائع الركب كالحجيجْ

من أجادير للخليجْ

يخطب المجد والشرفْ

فاحذروه، فقد عرف

وحدة الصف والهدف

◆◆◆

ارجعوا أيها الطغاه

لن تمروا من القناة

فهـــي في الحـــب خـــيِّره
وهـــي في الحقـــد مُنكَـــرةَ
هـــي في الـــسلم قنطـــره
وهـــي في الحـــرب مقـــبره
لا تـــــداعت قناتنـــــا
تفتـــــديها حياتنَـــــا
موعـــد الثـــأر قـــد أزف
فاحـــذروه ، فقـــد عـــرف
وحـــدة الـــصف والهـــدف

◆◆◆

ارجعـــوا أيهـــا الطغـــاه
بلـــغ الحقـــد منتهـــاه
حقـــدنا مالـــه أمـــد
وســـيبقى إلى الأبـــد
وستمـــضون كالزَّبَـــدْ
وســـيبقى لنـــا البلـــد
حقنـــا ذروة الحيـــاة
حقـــدنا غـــضبة الإلـــه
مـــارد الثـــأر قـــد زحـــف
فاحـــذروه ، فقـــد عـــرف
وحـــدة الـــصف والهـــدف

تمثال الحرية

أطرِقْ تمثالَ الحريــة
واهــبط في المــاء
يمناكَ على الدم مطويـه
وعلى الأشــلاءْ

◆◆◆

من قلب الأرض المسلوبة
من نار الحقد المشبوبه
في البيّارات المنهوبه
من روح الحق المصلوبه
من دعوة عيسى القدسيه
ومن العذراء
تلحقك اللعنة أبديه
صبحا ومساء
أطرق تمثالَ الحريه
واهبط في الماء
يمناك على الدم مطويه
وعلى الأشلاء

◆◆◆

أطرقْ من غضبة كل أبي
أطرقْ من لعنة كل نبي

(*) تمثال الحرية ، ينتصب في المحيط عند باب أمريكا ، أمام مدينة نيويورك ، حاملا في يده الشعلة .

بيمينك يا عبد الذهب
يا مغتال الحق العربي
اسلمتَ إلى الصهيونيه
بيت الإسراءْ
وغمرتَ الأرض العربيه
بدم الشهداءْ
أطرقْ تمثالَ الحريه
واهبط في الماءْ
يمناك على الدم مطويه
وعلى الأشلاء

◆◆◆

سنقيم من الحقد مظلّهْ
ونُرَوّى من دمك الغُلّه
سنُعيد الأرض المحتله
وسنطفئ من يدك الشّعله
يا وصمة عصر الحريه
خَلِّ الأضواء
سيضيء ضميرُ البشريه
رغم الأنواء
أطرقْ تمثال الحرية
واهبط في الماءْ
يمناك على الدم مطويه
وعلى الأشلاء

يارب ...

يـا حَـيُّ يـا قَيُّـومْ   أنـت بنـا عـالِمْ
اعطـفْ عـلى المظلـوم   واغـضبْ عـلى الظـالِم

❖❖❖

لوجهـك المعبـود يـا رحمنْ
قُمنـا نـرد الظلـم والعـدوان
بـالحق والقـوة والإيـمان
فانتـصر الـشيطان بالـشيطان
يا غضبةَ العذراءْ
والقبة الغرّاءْ
ومهبط الإسراءْ

غامـت عليهـا الغيـومْ   مـن قـسوة الغاشـمْ
وغادرتهـا النجـوم   في ليلهـا القـاتم
يـا حـيّ يـا قيـوم   أنـت بنـا عـالم
اعطـف عـلى المظلـوم   واغـضب عـلى الظـالم

❖❖❖

أوّاه مـن هـذا الـضنى أوّاهْ
يعرفهـا مـن يعـرف المأسـاة
يقولهـا اللاجـئ في منفـاه
الله لا يحمـي عـدوّ الله
يا ربّ هل ترضى
من يسرق الأرضا
ويسلب العرضا؟

قـضاؤك المحتـوم   لا يـرحم الآثـمْ
وحقنـا المهـضوم   ربيعـه قـادم
يـا حـي يـا قيـوم   أنـت بنـا عـالم
اعطـف عـلى المظلـوم   واغـضب عـلى الظـالم

هبُوا لي سيفا

خواطر بقلم : توفيق الحكيم

- يا من تحملون سيوفا ، اعطوني سيفا(*)
- فعدو بلادي على بابنا
- يا من ترفرف عليكم الأعلام
- حارسين لأعتابنا
- خلفكم رابضة قلوب
- كل قلب هو قلب أسد
- وإلى جوانبكم تقف شعوب
- أخوة وأشقة وضمائر كالنهار
- فإذا ألقى الباطل في وجه الشمس الغبار
- فبالله الذي نفسي بيده
- وبالنيل الذي يجري في العروق دما
- وبالطفل الذي ينظر لغده
- لسوف ترون المقعد يقفز من مقعده
- والشيخ يفجر من شريانه نهرًا .
- والأخرس يطلق لسانه شعرًا .

الأهرام

توفيق الحكيم

٣ يونيه سنة ١٩٦٧

(*) هذه القصيدة ترجمة شعرية لخواطر نثرية نشرها الأستاذ توفيق الحكيم قبيل المعركة .

«الترجمة الشعرية»

هبـــوا ليَ ســـيفًا رفـــاق الكفـــاح

أذُدْ عـــــن كرامـــــة محرابنـــــا

وكيـــف أظـــل مكـــاني ، وهـــذا

عـــدو بـــلادي عـــلى بابنـــا ؟

فيـــــا رافعـــــين لأعلامنـــــا

ويـــــا حارســـــين لأعتابنـــــا

وراءكمـــو مـــن رواسي القلـــوب

أســـودٌ تزمجـــر في غابتنـــا

وحولكمـــو مـــن إخـــاء الـــشعوب

ضـــياء ضـــمائر أحبابنـــا

فبـسم الـذي الـنفس ملـك يديـه

وبالنيـــل يجـــري بأعـــصابنا

وبالطفـــل يرقـــب مَـــسْرى غـــدٍ

ويهتـــف للنـــصر هيـــا بنـــا

لـــسوف تـــرون انتفـــاض القعيـــد

يـــسابق وثبـــة أعقابنـــا

وســـوف تـــرون حمـــاس الـــشيوخ

يفجّـــر أعـــراق أصـــلابنا

وألـــسنة الـــبُكم تنطـــق شـــعرًا

يجلجـــل في سِـــفْر آدابنـــا

انتصار

كنت هناك من شهورٍ أربعهْ
في غزّةَ الطيبة المروّعه
في بلدةٍ تعيش وسط المعمعه
وتصطلي لهيب كل موقعه
خيامها الحزينة المرقّعه
نسيجها من الهوان والضعه
طعامها فتات كل مزرعه
شرابها كؤوس دمع مُترعه
أذانُها القنابل المفرقعه
مدينة الوشائج المقطّعه

❖❖❖

كانت هناك ... في مدينة الدوارْ
خلف الخيام والضّياع والدمار
صبيّةٌ فارعةٌ ذات اسمرار
كان اسمها كما روته لي «انتصار»
ألفاظها مُشْربةٌ بالاحمرار
كأن تحت صوتها موقد نار
تمشي بغير زينةٍ ولا سوار
تعيش للعيد الكبير في انتظار
تسألني : متى سيطلع النهار ؟

متـــى متـــى عودتنــا إلى الـــديار؟

◆◆◆

كانـت - ويـا قلبـي عليهـا - تنتظرْ
تكــاد مــن طــول الملــل تنفجــر
وثأرهـــا في جانبيهـــا يـــستعر
ولا تـــرى عُـــذرًا لأي معتـــذر
كانـــت بجيـــشها الجديـــد تفتخـــر
وهـــو يـــصيح واثقًـــا : ستنتـــصر
ولا نحـس دور «جونـسون» القـذر
المتـــآمر الكبـــير يـــأتمر
وخلـــف برقـــع اليهـــود يـــستتر
والحـق يبكـي .. والـضمير ينتحـر

◆◆◆

هـل تـسمعين يـا انتـصار عهـدنا ؟
إن الطمـــوح كلـــما نـــأى دنـــا
لقـــد حـــشدنا لليهـــود حـــشدنا
فـــإن أبي الغـــدر علينـــا عَوْدنـــا
فلـــن تـــرى الأرض حيـــاةً بعـــدنا
وســـتكون لحـــدهم ولحـــدنا
لا ترهبـــي مـــن يقفـــون ضـــدنا
لا تيـــأسي منـــا ، فلـــسنا وحـــدنا
نحـــن مـــع الله صَـــدَقْنا وعـــدنا
نحـــن مـــع الله ... فلـــن يَرُدَّنـــا

النجمة المظلمة

لمــن هــذه النجمــة المظلمــه
متاهاتُهــا الزرقــة المبهمــه
تــشير إليهــا جــراح المــسيح
وتلعنهــا الأمّــة المــسلمه
ويــبرأ منهــا نظــام الــسماء
وتنكرهــا الأرض في الأنظمــه
ويُطفئهــا مــن يــشيع الــضياء
ومــن يــصطفي بالــسني أنجمــه؟

❖❖❖

أنجمــةَ صــهيون ، هــذا الــصراع
نــذير بأيامــك المعتمــه
حكيمــك لــوّن منــك الــضلال
بلــونِ الغــروب ، فــما أحكمــه
عرفنــا مكانــك بــين النجــوم
بــشؤم الــضلوع وذلّ الــسّمه
صداســية كبيــوت العناكــب
مُفْرغــة القلــب كالجمجمــه
وأبعــادك العــار والــسلب والنهــب
واللــؤم والغــدر والدمدمــه
تقــولين دينــك ديــن الكلــيم

فهـل تـؤمنين بمـن كلّمـه ؟
وهـل تحفلـين بتـوراة موسـى
وأنـتِ تحلّـين مـا حرّمـه ؟
ألا أيـن دعوتُـه للحيـاة
وللحـق والخـير والمرحمـه ؟
وأيـن مـزاميره النـاغمات ؟
وأيـن أناشـيده الملهمـه ؟
وأيـن وصـاياه ، يـا مـن جهلـتِ
معـاني الفـضيلة والمكرمـه ؟
سـلي شرعـة العـدل ، مـن آدهـا ؟
سـلي مبـدأ الحـق ، مـن يتّمـه ؟
نزعـتِ فلـسطين مـن أهلهـا
وطوّلـتِ أيامهـا المظلمـة
وللمـتِ فيهـا رعـاع الـشعوب
لـكِ العـار يـا دولـة اللملمـه !

❖❖❖

ويـا أمـم الغـرب ، ناشـدتكم
بحـقّ المـسيح ، ومـا أكرمـه
أمـا تؤمنـون بعهـد يـسوع
وتتلـون آياتـه المُنعمـه ؟
فمـن أنكـر العهـدَ غـير اليهـود
ومـن صـدّ عنـه ، ومـن جرّمـه ؟
تقولـون : هـم صـلبوه وصـاحوا

«دعونـــا ، فـــإن علينـــا دمـــه»

فكيـــف غـــضبتم لإعدامـــه ؟

وكيـــف انتـــصرتم لمـــن أعدمـــه ؟

وهـــلاّ ذكـــرتم حـــديث «يهـــوذا»

وصـــوت «بلاطُـــس» في المحكمـــه ؟

فكيـــف مـــشيتم بغفـــرانكم

لـــشعبٍ أبى الله أن يرحمـــه ؟

❖❖❖

أناشـدكم ، هـل قـضى ابـن البتـول

لكي تَخَلُّص القـدس لابـن الأَمَـه ؟

وكيـــف جعلـــتم معـــاد النبـــوّة

وقفـــا عـــلى الفئـــة المجرمـــه ؟

وكيـف أبحـتم ثـرى بيـت لحـم

لمـن لـيس يُـضمر أن يُكرمـه ؟

وكيـــف تـــركتم كنيـــسة مـــريم

والنـــار مـــن حولهـــا مـــضرمه ؟

❖❖❖

أيـا أمـم الغـرب ، جـدّ النـضال

ومـــا نحـــن بالأمّـــة المُحجمـــه

لقـــد نفـــر المـــارد العـــربيّ

وألقـــى عـــلى رأســـكم قمقمـــه

أفـــاق عـــلى ضربـــة الغـــادرين

وأعماقُـــه بـــالقلى مفعمـــة

وأدرك أن النـــوى مزّقـــه
وأبـــصر أن الهـــوى نوّمـــه
وأن الـــذي ضـــاع مـــن حقـــه
أطاحـــت بـــه الفرقـــة المؤلمـــه
تحـــرّك مـــن عـــضة الأفعـــوان
ليعـــرفَ وجـــه مـــن اســـتخدامه
رأى دولـــةً مـــن وراء المحـــيط
عـــلى ســـائر الكـــون مـــستعظمه
تـــشلّ الوجـــود وتثنـــى الحـــدود
وتبنـــي الممالـــك والأنظمـــه
وتُمْـــلِي عـــلى الكـــون ســـلطانها
كـــأنْ نـــصّبتْ نفـــسها قيّمـــه
تكـــافئ مـــن يخفـــضون الـــرءوس
بفـــيض المعونـــة والأطعمـــه
لقـــد مَـــرّ في فمنـــا قمحهـــا
وعافـــت ضـــمائرنا علقمـــه
وهـــزّ قلاهـــا أصـــم الفـــؤاد
وأنطـــق موقفُهـــا أبكمـــه
ألاّ أبلغوهـــا بأنّـــا التحمنـــا
لنجعـــل أيامنـــا مَلْحمـــه
وأنّـــا إذا عـــزّ نيـــل الرغيـــف
شـــددنا عـــلى بطننـــا الأحزمـــه
وأنّـــا إذا هـــان شـــأن الحيـــاة

فأرواحنــا بــالرّدى مُغْرمــه

وأنّــا إذا أثختتنــا الجــراب

رأينــا جراحاتنــا أوســمه

❖❖❖

ألا أنــذروها بــأن الــضرام

ســيحرق أحــلام مــن أضرمــه

وأنّــا إذا مــا ســددنا القنــاة

جعلنــا قوافلهــا ملْجَمــه

وأنّــا إذا مــا حبــسنا الزيــوت

فضــضنا خزائنهــا المتخمــه

وأنّــا عرفنــا الطريــق الطويــل

إلى النــصر والــضربة المبرمــه

إلى هــذه القمــة المرتجــاة

تــسير جحافلنــا المُقْدمــه

لنبقــى كواكبنــا في الــسماء

ويــشهد كــوكبكم مأتمــه

(القاهرة – يوليو ١٩٦٧)

❖❖❖

القمح المرّ

أرغيفَ العيش، بنا غُلّهْ
لن يُطفئها غير الثارِ
فلترجعْ يا ثمن الذّلّهْ
يا فيض رعاةِ الأبقار
أبلغْ أمريكا المعتلّه
خبّازةَ كل استعمار
إن تَبْنِ من القمح مظَلّه
تُخفي سكّين الجزّار
لن تغفل أعيننا وهلَه
عن مذبحة الحق العاري
لن تسقط من يدنا الشعله
لن يهدأ عصف الإعصار
لن ننسى الأرض المحتلّه
ويمينِ الله الجبّار
لن نرضى العيش على الفضله
لن نأكل خبز الفُجّار
لن نطلب لقمتنا سهله
لن نقبع خلف الأسوار
بيع الحرية بالغَلّه
هو بيع العزة بالعار

فلتخـــل مـــن الخبـــز الـــسّلّه
فلينْـــأ القمـــح عـــن الـــدار
ولـــنطْعَمْ أخـــلاف الرملـــه
ولنقـــضمْ صـــلد الأحجـــار
ولنمـــضغْ أفـــواف النخلـــه
ولنأكـــل ألـــسنة النـــار
ولنقنـــغ بأقـــل القلّـــه
ولنهلـــكْ بـــالجوع الـــضاري
ولنطـــرحْ أيـــام العُزلـــه
ولنعـــرفْ طعـــم الإصرار
فـــالقمح المُـــرّ هـــو الغفلـــه
عـــن لـــذة عـــيش الأحـــرار
البـــائع فيـــه لـــه الجولـــة
والـــضائع فيـــه هـــو الـــشاري
والـــصبر عـــلى الـــصبر مذلّـــه
يأباهـــــا ربّ الأقـــــدار
والثـــأر الثـــأر هـــو القِبْلـــه
في ســـفْر صـــلاة الثُّـــوار

(القاهرة – يوليو ١٩٦٧)

نهاية الأسطورة

في عـــصرنا أســـطورةٌ مـــردّده
تلعنهـــا آمالُنـــا المبـــدّده
أســـطورة قديمـــةٌ مجـــدّده
يقـــال عنهـــا الأمـــم المتحـــده

◆◆◆

كانـــت قـــديمًا في «جنيـــف» تـــؤتَمّ
كـان اسـمها إذ ذاك «عـصبة الأمـم»
يعنـــو لهـــا النـــاس كأنهـــا صـــنم
يتّهمـــون مـــن بَغَـــى ومـــن ظلـــم
ويحلمـــون أن تـــبرّ بالقَـــسَم
فـــلا تجيـــبهم بـــلا ... ولا نَعَـــم
كأنهـــا غانيـــةٌ بغـــير فـــم
أو أنهـــا شـــادية بـــلا نغـــم
تجمّـــدتْ فيهـــا العقـــول والهمـــم
وصُـــودرتْ فيهـــا الحقـــوق والـــذمم
وســـيطرتْ فيهـــا شريعـــةِ الأكـــم
الأقويـــاء وحـــدهم لهـــم قـــيَمْ
أطماعهـــم فـــوق الـــصدور كـــالورم
والـــضعفاء ضـــائعون كـــالغنم
كـــأنهم مقاعـــدٌ بـــلا رقـــم
وحـين بـات صرحهـا بـلا دَعَـم
وعـــاث فيـــه العنكبـــوت وازدحـــم
توكّـــأ الكـــون عليهـــا فانهـــدم

وبعـد أن هَـوى الـضمير وانعـدم

❖❖❖

هـبّ القـوىّ بـالقويّ فـارتطم
وثـار فـيها الغـرور واحتـدم
وأفلـت الزمـام وافـترى الـنهم
كـأنما الله لنـا قـد انـتقم
ووقفتْ ساح الـوغى عـلى قَـدمَ
ونامـت الأرض عـلى بـساط دم
وازدحمـت ربَي الحيـاة بـالرمم
وأدرك الهـازم أنـه انهـزم
ورقـص المهـزوم رقـصة الألم
وجلّـل الـدنيا شـعور بالنـدم
فجمّعـتْ أشـلاء عـصبة الأمـم
تريـد أن تبعثهـا مـن العـدم
عـلى وشـائج البقـاء والـتّلَم
شـاهقة الـصرح كأنهـا عَلَـم
قمتهـا أرفـع مـن كـل القمـم
ملاطهـا أصـلب مـن صـخر الهـرم
وجانباهـا للمـساواة حَـرم
فلـيس فيهـا سـادة ولا خـدم
ولـيس فيهـا مـارد ولا قَـزَم
لكـي تكـون للـسلام سـيّده
وتفـرض الإرادة الموحّـده
وتنـصر الحقيقـة المجـرّده
وتحمـل اسـم الأمـم المتحـده

❖❖❖

ونقلوهـا مـن «جنيـفَ» الوادعـه
إلى بـلاد الناطحـات القارعـه
كأنهـا تغـزو الـسماء الـسابعه
وأنـشأوها فـوق أرضٍ شاسـعه
كتحفـةٍ مـن الزجـاج رائعـه
وزيّنوهـا بـالزهور اليانعـه
وبالثُريّـات الحسان الـساطعه
وزوّدوهـا بـالبنود البارعـه
وأقبلـتْ كـل الوجـوه اللامعـه
وأقـسمتْ ألا تُعبـد الواقعـه
ووقّعـتْ في الـصفحات الناصـعه
وباركتهـا بقلـوب خاشـعه

◆◆◆

وانبثقـتْ مـن الجهـود الجامعـه
كتائـب المـنظّمات التابعـه
هـذي لأخطـار الوبـاء دافعـه
تردّهـا بـالحملات الناجعـه
وهـذه للاجئـين . دامعـه
وكفُّهـا لغَـوْثهم مُـسارعه
وتلـك للمـستعمرات شـافعه
تهـبّ عـن حقوقهـا مُدافعـه
وتلـك مـن حُـبّ البقـاء نابعـه
تـسعىَ لإطعـام الـشعوب الجائعـه

◆◆◆

مبـادئٌ كـالنَّيرين طالعـه
تحـوّل الـدنيا جنانًـا واسـعه

لو أن حلم الكوّن أمسى واقعه
ولو صَفَتْ للخير كلّ نازعه
وأخلص الكون ... وأمريكا معه
الاخطبوط ذو النوايا الخادعه
الأفعوان ذو السموم الناقعه
السرطان المرتدي براقعه
يخفي وراء زيفها مطامعه
وحوله بعضِ الشعوب الضالعه
يحمون أحلاَم اليهود الضائعه

❖❖❖

وهكذا تعود نفس القارعه
وهكذا تهوى الأداة الرادعه
تائهة في الظلمات مائعه
كأنها بقيةٌ من شائعه
في عالم يبكي لعمق الفاجعه
ويشهد الأسطورةَ المُهَوّده
وكيف باتت للشعوب مَضيده
هل يقدر العالم أن يحمي غَدَه
من اخطبوط الأمم المتحده ؟

❖❖❖

سنقول لهم

ويقـــال لنـــا : ضــاعت عـــزّة
فيزلزلنـــــى عمــــق الهـــزّه
ويثــور دمــي .. ويــصيح فمــي :
العـــودةَ مـــن أجـــل العـــزّه

◆◆◆

ألمحهـــا ... ألمـــح أعــدائي
أيـــديهم تُـــشعل فيهـــا النـــارْ
ألمحهـــا .. ألمـــح صـــحرائي
قـــد لبـــستْ فـــوق الرمـــل النـــار
ألمحهـــا .. ألمـــح ســـجنائي
بـــسلاسلهم خلـــف الأســـوار
وأرى أطفـــــالي ونـــــسائي
جثثًـــا تتـــساقط كـــالنُّوّار
وأرى أشـــــباح الـــــشهداء .
يمـــشون إلى عمـــر المختـــار
فـــأزمجر مـــن ألم الـــوخزه
يـــا حُلكـــة ليلـــك يـــا غـــزه

◆◆◆

الفاســـق في غـــزة هاشـــم
يـــا رَوْعَ ثـــري جـــدّ محمّـــد
أتـــراه اليـــوم بـــلا عاصـــم

للغوث يهب إذا استنجد ؟
يا ربُ ، أينتصر الغاشم ؟
يا ربّ ، هل الحقّ تهوّد ؟
أترحب أرضى بالظالم
وحياة اللاجئ تتبدد ؟
هل أكثر من نصف العالمْ
يحيا بضمائرَ مهتزه
تنحار إلى الجنب الآثم
وتقول لنا : ضاعت غزه ؟

◆◆◆

يا غزّة لا ... ورسول الله
قَسَمًا بالقدس وبالكعبة
قَسَمًا بمحمدَ في مسراه
وكنيسة مريمَ والقُبّه
وحياة شهيدك في مثواه
سنعود لها بعد الغيبه
قد طال الصبر على المأساه
وامتدّ بنا عمر النكبه
فكرهنا الصبر وأنكرناه
وأفقنا من عنف الضربه
ولممنا الشمل ونظّمناه
للوثبة ، يا أرض الوثبه
وغدًا ، بشفاه معتزه
سنقول لهم : عادت غزه

◆◆◆

ألمافيا

هل تعرفون «المافيه»

وليدةَ الرفاهيه ؟

لا ... نحــن لا نعرفهــا .. ولا نحــس ماهيــة

فــنحن لا نعــرف ألــوان الحيــاة الكابيــه

نعــيش مــن آفــات شّــذاذ الــورى في عافيــه

وقــد ننــام في المــساء ببطــونٍ خاويــه

وتكتــوي أقــدامنا فــوق الهجــير حافيــه

ونحمــل الرعــشة في بــرد الليَــالي القاســيه

لكننــا نطيقهــا بكــل نفــسٍ رَاضــيه

فــنحن مــن مجتمــع في طهــره سواســيه

ونحــن لا نفخــر إلا بــالقلوب الــصّافيه

ونحــن لا نعــشق إلا النزعــات الــساميه

ونحــن لا نحيــا عــلى سفك الــدماء القانيــه

ونحــن لا نأكــل مــن خــير الــشعوب الثانيــه

مــن أجــل هــذا لقبونــا بالــشعوب النامــيه

❖❖❖

هل تعرفون «المافيه» ؟

هل تعلمون ما هيه ؟

عــصابةٌ قانونهــا التــدمير والكراهيــه

ودأبهــا العــدوان والخــسّة والأنانيــه

تجمُّعـاتٌ مـن عـصابات اليهـود الباغيـه
ومـن حثـالات الـسجون ورعَـاة الماشـيه
ومن ذوي الماضي البغيض والأكفُّ الداميه
ومـن أحـطّ مـا يحـطّ شـان كـل جاليـه
تحكـم أمريكـا بكـل ثقلهـا ... علانيـه
ويرتـضيها «بيتهـا الأبـيض» عـن طواعيـه
حكومـة تعـيش في حكومـةٍ مُواليـه
قوّتهـا فـوق القُـوى آمـرة وناهيـه
أصـواتها في البرلمـان جمـةٌ وداويـه
لهـا ملـوكٌ وبنـوكٌ وحـيٌ وحاميـه
وإن قـضت في أعظـم الأمـور فهـي القاضيـه

◆◆◆

هل تعرفون «المافيهْ»

بأي أرضٍ راسيه ؟

مقرهـا صـحراء «نيفـادا» الكئـود النائيـه
قـد مهـدوا رمالهـا ... فأنكرتْهـا الباديـه
وأنـشأوا فنادقًـا عاليـةً وحاليـه
ونَـصبوا الموائـد الخـضر بكـل ناحيـه
وجنّـدوا للنـزلاء ألـف ألـف غانيـه
وأمـروا الحاخـام أن يرفـع شـأن الزانيـه
وجـرّدوا القـانون والأمـن مـن الـصلاحيه
وكلفـوا الـضمير ألا يعـرف الحـساسيه
وهيـأوا للنـاس كـل نـزوة مُواتيـه

وجعلوها غابةً شريرة مُعاديه

يخرج منها المليونير مُعْدِمًا في ثانيه

فإن تحدّى ... جرّدوه في الرمال السافيه

وَدفنوه ... وانتهت حياته بلا دِيَه !

◆◆◆

هل تعرّفون «المافيهْ»

وكر السموم العاتيه ؟

تجارةٌ واسعةٌ وحرة وطاغيه

تملأ بالشرور والفجور كل زاويه

تغرق بالحشيش والمورفين كل ناصيه

تخدّر القُوى الكبار والعقول الواعيه

تقذف في سوق الرقيق بالزهور العاريه

وتقتني أسهمها ... بائعةً وشاريه

وتشتري حتى الرئيس والرءوس العاليه

وتدفع الجيل الجديد نحو شرّ هاويه

ونارها من المحيط للمحيط ساريه

فلا ترى ولايةً من شرها بناجيه

لها بكل معبدٍ وحانةٍ زبانيه

وهكذا تحيا زعيمة الشعوب الراقيه

وتزدهي بالعار ... لا خَجْلي ولا مُباليه !

هذا حديث «المافيه» ...!



لا وقت للحب

تتساءلين لم أنثني قلبي ؟
يا طفلتي ، لا وقت للحب
لا تسألي ما خَطْبُ قصتنا
وتأملي ما جدّ من خطب
ما عاد بي شوق أكابده
وأنا أكابد محنة الشعب
أالحب ، والعدوان في وطني
متوغل كالشوك في جنبي
وكرامتي في البيد نازفة
نوّاحة لكرامة العُرْب؟
أوّاه من جرحي ومن خجلي
ومن الشعور بعقدة الذنب
ذنب الملايين التي جَمَعت
أحلامها وتلفتت صوبي
ذنب المساكين الألي احتشدوا
وتأهبوا للمسيرة الأوْب
ذنبي أنا ، إذ نَدّ عن حَذَري
غدرُ اليهود وخدعة الغرب
إن لم أكفِّرْ عنه منتقمًا
فلأقضِ قبل هزيمتي نحبي

◆◆◆

يا طفلتي ، لا وقت للحب
لا وقت للآهات والعتب

أفـمـا تـريـن الـشجو في نغمـي
أفـمـا تـريـن الـشوك في دربي ؟
فبـأي وجـهٍ ألتقيـك ، وقـد
مرّغـتُ هـذا الوجـهِ في الـتُّرْب؟
دَهَـم اليهـود قناتنـا ، وغـدتْ
سـيناؤنا جـزءًا مـن «النقـب»
صـلبوا حقـوق اللاجئـين ، كـأنْ
لم يـسأموا مـن قـصة الـصّلب
وعَـدَوا عـلى مَـسْرَى النبـي ، ولم
يترفقـوا بكنيـسة الـرّبّ
لا تـسأليني أيـن عـاطفتي
وجَـوَى المحـب ولهفـة الـصّب
مـن تثقـب الأحقـاد مهجتـه
خرجـتْ عواطفُـه مـن الثّقْـب
الوقـت وقـت الكـره مـشتعلاً
الوقـت وقـت الطعـن والـضرب
الوقـت وقـت الثـأر ، أطلبـه
غُـولا بـلا عقـلٍ ولا قلـب
أمـشي إليـه معربـدًا شرهًـا
بمـشاعرٍ أقْـسى مـن الـصلب
أمـشي لـردّ العـار عـن وطنـي
حتـى أعـود مُطهـر الثـوب

❖❖❖

يـا طفلتـي لا وقـت للحـب
إمـا دعـا الـداعي إلى الحـرب
لا تـسألي الغيـب الـسلامة لي

إن الـــشَهادة قمـــة الغيـــب
أو تجعـــلي حُـــبّ الجبـــان مُنـــىً
فـــالجبن لا يـــصبو ولا يُـــضبى
الحـــب يـــومَ أرى كرامتنـــا
مرفوعـــةَ الهامـــات للـــسُحُب
الحـــب يـــوم أرى عَـــدوّتنا
أســـطورةً صـــفراء في الكُتُـــب
الحـــب يـــوم يعـــود لاجئنـــا
متحـــررًا مـــن عيـــشه الجـــدبَ
الحـــب يـــوم تـــضيء رايتنـــا
في ثالـــث الحَـــرَمَيْن كالـــشهْب
الحـــب يـــوم تطـــير فرحتنـــا
فـــوق القنـــاة وشـــطّها الرحـــب
فهنـــاك موعـــدنا وملعبنـــا
بـــين الـــسنى والمـــاء والعـــشب
أمـــشي إليـــك بقلـــب منتـــصر
مـــترنم بحـــلاوة الكـــسْب
وأقـــول يـــا حُلمـــي ويـــا وَلَهَـــي
هـــاتِ شـــقائق ثغـــرك العـــذب
قـــد آن أن نخلـــو إلى الحـــب
فـــدعي شـــجونك واشربي نخبـــي

◆◆◆

صالح جودت

ديوان
الله والنيل والحب
(١٩٧٥)

(*) صدر ديوان «الله والنيل والحب» عام ١٩٧٥ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب برسوم داخلية للفنان «المسيري»، وبدون إهداء أو مقدمة، وهو الديوان الأخير الذي أصدره الشاعر في حياته.

ديوان
الله والنيل والحب (١٩٧٥)

الثلاثية المقدسة «غناء أم كلثوم»

١ - في رحاب الكعبة :

رحـابَ الهـدى يـا منـار الـضياءْ
سـمعتكَ في سـاعة مـن صـفاء
تقـول : أنـا البيـتُ ، ظـلّ الإلـه
وركـن الخليـل أَبـى الأَنبيـاء
أَنـا البيـتُ ، قِبلـتكم للـصلاة
أَنـا البيـت ، كعبـتكم للرجـاء
فـضموا القلـوب وولّـوا الوجـوه
إلى مـشرق النـور عنـد الـدعاء
وسـيروا إلى هـدف واحـد
وقومـوا إلى دعـوة للبنـاء
يُزكّـى بهـا الله إيمانكـم
ويرفـع هامـاتكم للـسماء

٢ - في رحاب المدينة المنورة :

يـا عطـاءَ الـروح مـن عنـد النبـي
وعبـيرًا مـن ثنايـا « يثـرب »
يـا ضـياء الحـرم الطهـر الـذي
يـشرق النـور بـه في الغيهـب
قـمْ وبـشّر بالمـساواة التـي

أَلَّفتْ بين قُلوب العرب
والإخاء الحق والحب الذي
وحَّدَ الخطْو لِيَسْتَنِرِ الموكب
والجهاد المؤمن الحر الذي
وَصلَ الفتح به للمغرب

◆◆◆

أَمة عَلَّمها حب السماء
كيف تبنى، ثم تعلو بالبناء
فمضت ترفل في عزتها
وتُباهي في طريق الكبرياء
بِيَد تُوسع في أرزاقها
ويَد تدفع كيد الأشقياء
سادت الأيام لما آمنتْ
أن بالقوة يسمو الأقوياء
فإذا استشهد منهم بطل
كانت الجنة وعد السعداء

٣ - في رحاب القدس:

من ساحة الإسراء في المسجدِ
من حرم القدس الطهور الندى
اسمع فى ركن الأسى مريما
تهتف بالنجدة للسيد
وأشهد الأعداء قد أحرقوا
ركنا مشت فيه خُطي أحمد

وأبـــصر الأحجـــار محزونـــة
تقـــول : واقدســـاه يـــا معتـــدي

◆◆◆

لا والــضحى والليــل إمّــا ســجا
وكـــل ســـيّار بـــه نهتـــدي
لــبن يطلــع الــصبح علــى ظــالم
مــستغرق في حقــيده الأســـود
ســترجع القــدس إلى أهلهــا
مجلّـــوة بالمجـــد والـــسؤدد
والمـــسجد الأقـــصى إلى ربـــه
يزخـــر بـــالركع والـــسجد
ستــشرق الــشمس علــى أمّـــة
لغيـــر وجـــه الــــه لم تـــسجد

◆◆◆

نهاية قصة

يا قلب لا تحفلْ بها ... واكتب نهاية حبها
لا ... لا تصدقها وإن حلفتْ بعزة ربها
إن التي أحببتها يا قلب عبدة كذبها
وهل التي لا تحتوي قلبًا، تحب بقلبها ؟

◆◆◆

لو أن فيك بقية مما تحس، فخَبِّها
أفما ترى شرك الخديعة في مظلة هدبها
وعيونها المتلونات بغدرها وبريبها
والفتنة الرعناء تقطر من قرارة جيبها ؟
تعطيك أجمل ما اشتهيت إذا ظللت بقربها
فإذا نأيتَ هنيهة، لعب الهوان بلبها
ومضت إلى الجار القريب فكفنته بثوبها

◆◆◆

دعها، وعد الواقفين على مسارب دربها
الآخذين من الحياة بلهوها وبلعبها
واربأ بنفسك أن تكون مطية في ركبها
من عبَّ من خمر الطريق السهل، غُصَّ بشربها
يا قلب، قد أحببتها حب القطاة لزغبها
وركبتَ هُوج الطائرات وما حفلت بصعبها
وبححت صوتك في الغناء لأرضها ولشعبها
وسهرت في الزلفى لها ولأهلها ولصحبها
وعبدت آثار المسالك تحت رفة كعبها
وجعلت دجلة والفرات يسبحان بحبها

عامان ضاعا من حياتك يا شهيد بذنبها
متغزلا ومهللا ومدللا ومشبها
يا ضيعة الشعر الذي رقرقته من ذوبها
وخسارة الزهر الذي نمقته في جدبها
ومرارة الكأس التي عاقرتها في نخبها

◆◆◆

فإذا تمردت الكرامة في هواك فلّبها
وأفقْ، فإنك واهم إمّا خدعت بلوبها
أحرق معالمها وصورتها وساحرَ كتْبها
وارجع إلىّ وخلِّها تمضي لظلمة غيبها
واقر الوداع وقل أنا ما انتحرت لخطبها
أحسست رعشته ولكن لم أزل متنبها
وأنا الذي خبر الكئوس بمرها وبعذبها
من كان خمرته السراب، صحا ولم يسكر بها

◆◆◆

في الطريق إليها

أنـــا فى الطريـــق إليـــك ، أحمـــل فرحتـــي

وتهلفـــــــي وصـــــبابتي وعتـــــابي

أنـــا في الطريـــق إليـــك أحلـــم بـــالمنى

عنـــــد اللقـــــاء فأســـــتعيد شـــــبابي

أنـــا فى الطريـــق إليـــك أمـــسح غـــضبتي

وأزيـــــل ســـــالف حرقتـــــي وعـــــذابي

أنـــا مـــا نـــسيتك يـــا هـــواي ، وإن يكـــن

بي مـــن شـــكوكي في وفائـــك مـــا بي

أنـــا رغـــم علمـــي بالـــسراب ووهمـــه

وحيـــاةِ حبـــك مـــا نـــسيتُ سرابي

◆◆◆

رسالة إلي مغرورة

رُدِّي علـيَّ تحيتـي رُدِّي
لا تُسرفي في قلـة الـود
عيناك جوهرتان من ألـق
لونُ الزمرد فيهما يُـردى
لا تخفضي الجفنين في تـرفٍ
ترفُ المُدلّ يبوح بالقصد
إني لألمح فيهما ظمـأ
لن يرتوي من شاعر بعدي
إن كان غرك فرط ما وصفوا
من حسنك الطاغي على الحد
والقامة اللّفاء فارعة
ممشوقة كالأبيض الهندي
واللثغة الغيناء ناغمة
بعبارة تنساب كالشهد
وتأوّد الجنبين في دعة
وتمرد العطفين والنهد
ومناجم الذهب التي انصهرت
وجرت على الكتفين والزند
وخمائل العطر التي انسكبت
من جوسق النسرين والورد
وغلائل الشفق التي انسدلت
بحدائق الشفتين والخد
والجيد إذ يختال في تلع

فتغتـــــار منـــــه لآلِيء العِقْـــــد
لا تخـــــدعنك فتنـــــة الأَنثـــــي
فـــتن الرجولـــة كلهــا عنـــدي

◆◆◆

أو كـــان غَـــرَّكِ أَنَّ أَلـــف يـــدٍ
تمتـــد نحـــو هـــواك تـــستجدي
لا تقحمينـــي في الزحـــام ، فـــما
كانـــت يـــدي مـــن هـــذه الأَيـــدي
إن الـــدم المـــصري يعـــصمني
فكرامتـــي شـــمّاء كالـــسد
لا تحـــسبني مهـــا طغـــى وهـــى
أني أطيـــق مذلـــة العبـــد

◆◆◆

ســيغيب في الأَمـــواج زورقنـــا
ويـــضيع بـــين الجـــزر والمـــد
بحماقـــة الأنثـــى إِذا اقتـــدرت
وبكبريـــــاء النـــــد للنـــــد
فاستـــسلمي للحـــب طائعـــة
لا تُطعمـــي عينيـــك مـــن ســـهدي
لـــولاك يـــا حـــواء ، مـــا لفظـــتْ
أَبنـــاءَ آدم جنـــةُ الخلـــد
حبَّبْتِنـــا في النـــار ، فانطلقـــتْ
أَرواحنـــا مـــشبوبة الوقـــد
وجهـــنم أَحـــلى وأنـــت معـــي
مـــن جنـــة أَحيـــا بهـــا وحـــدي

◆◆◆

صلاة

على كل ناصية شاهدُ — بأنك دون الورى خالدُ
وفي كل ما حولنا آية — «تدل على أنك الواحد»

◆◆◆

لوجهك أنت أحب الحياة — لأنك أنت وهبت الحياة
أحبك في نفحات الزهور — وشدو الطيور وهمس المياه
وفي كل نور يضيء العيون — وفي الابتسامات فوق الشفاه
وفي كل نجوى لذات الإله — يبوح بها الراكع الساجد
وفي كل ما حولنا آية — «تدل على أنك الواحد»

◆◆◆

أراك القويّ بعصف الرياح — أراك السَّنيّ بنور الصباح
أراك الضياء إذا الشمس هلت — أراك الصفاء إذا البدر لاح
أراك الهنا والسنى والمنى — أراك الهدى والندى والسماح
غمرتَ بنعمائك العالمين — فكل الورى شاكر حامد
وفي كل ما حولنا آية — «تدل على أنك الواحد»

◆◆◆

إلهي ... وأنت العلا والجلالْ — وأنت جميل تحب الجمالْ
حنانك يارب مِلْء الوجود — وعفوك فوق حدود الخيال
وأنت الكريم وأنتَ الرحيم — ومنك العطاء ومنك النوال
يؤمل عفوك جسم الذنوب — ويسعد في حبك العابد
وفي كل ما حولنا آية — «تدل على أنك الواحد»

قاهرتي

أُحبــــــه ، أعــــــشقه ، أَزْهَــــى بـــه للأَبَـــد
وخــــير مـــا أَشـــدو بـــه أَنـــى أُحـــب بلـــدي

❖❖❖

يـــا جَنَّـــي ، يـــا كـــوثري يـــا هُبَـــةَ النيـــل الثَّـــرِي
يـــا بهجـــةً نائمـــةً عـــلى بِـــساطٍ أَخـــضرِ
يـــا شـــعلةً دائمـــةً عـــلى طريـــق الأَغـــضُرِ
حبيبتــــي ، قـــاهرتي لـــن تُغلبـــي ، لـــن تُقْهـــري
أفـــديك يـــا حبيبتـــي مـــن شرِّ كـــلِّ مُعتـــدي
وخــــير مـــا أَشـــدو بـــه أَني أُحـــب بلـــدي

❖❖❖

يـــا بلـــدي يـــا ربـــوةَ الأَهـــرام والمعابـــدِ
آمنـــت مـــن فَجْـــر الزمـــانِ بالإلـــه الواحـــد
يـــا آيـــة الإيـــمانِ يـــا عاليـــة المـــساجد
أَفـــديك يـــا حبيبتـــي مـــن عـــين كـــل حاســـد
ومـــا أَجـــلّ المُقْتَـــدَي ومـــا أَقـــلّ المُقْتَـــدِي
وخــــير مـــا أَشـــدو بـــه أَني أُحـــب بلـــدي

❖❖❖

قرطاجية

قسمًا بسحر عُيونك الخُضْر ... يا أَجمل الأَلوان في عُمْري
وَبِدُرِّكِ المنظوم مُزْدَهِيًا ... بالأَحمر المضموم في الثَّغْر
وبصوتك المنغوم يهمس لي ... وبعطرك المشموم في النحر
وبصدرك المعصوم من نزقي ... وبليلك المقسوم في الشَّعر
وبقدك المرسوم تُرْقصُهُ ... فِتَنُ الخلاعة في [illegible] البحر[1]
وبأَرضك الخضراء وارفةً ... بالتين والزَّيتون والتمر
وبشطِّك الهادي ورملته ... مجلوّة بالطِّيب والتبر
وبروعة التاريخ في حقب ... صفحاتها تنهلّ كالعطر
وبيوسعيد وطيب سيرته ... والشاذلي ومهده الطهر[2]
وبلهفتي من يوم فرقتنا ... يمضي عليّ اليوم كالشَّهر
وبأُغنياتي فيك، أَنظمها ... لتكون ليلة عودتي مهري
ما كان لي إلاّك أمنية ... لو طالعتني ليلة القدر

❖❖❖

فدّيت ذات الأَعين الخُضر ... حسناء قرطاجية الكِبر
لما تزل من عهد أَندلس ... في صوتها ترنيمة تسري
وتطوف بالمالوف شادية ... فتزيدني سكرًا على سكر[3]
مرّت «بحلق الواد» تسأَلني ... من أَين أَنت؟ فقلت من مصر[5]

(*) قيلت في مهرجان الشعر بتونس سنة ١٩٧٣ .

(١) الخلاعه في اللهجة التونسية الدارجة ، هي الاصطياف على البحر .

(٢) بورسعيد . ولي من أولياء الله في تونس له شاطئ معروف باسمه ، كسيدي بشر في الإسكندرية .

(٣) المألوف : لون من الغناء الشعبي في تونس .

(٤) حلق الواد : شاطئ في [illegible] .

قالت : وكيف النيل ؟ قلت لها : رغم الحوادث لم يزل يجري
متحملا لجراح عزته متذرِّعًا بالحلم والصبر
مترصِّدًا للمحدقين به متحفِّزًا للأخذ بالثأر
ما زالت الأهرام شامخة والسد مختالاً على النهر
والكرنك المرفوع مؤتلقا يحلو دبيب الروح في الصخر
وصلاة إخناتون خاشعة غبّارَة كمؤذن الفجر
وهواية الأمجاد ما برحت مهوى قلوب الفتية السمر
الصامدين بحلو نكتتهم يرووها في العسر واليسر
ومن العجائب في طبائعهم لطف الحمام وعزة النسر
شربوا التفاؤل من تعطّشهم للنيل في تياره الثورى
يروي أبو الهول الأمين لهم ما شامه من حادث الدهر
نقش الفراعن في براثنه تعويذة مجهولة السر
مرّ الغُزاة به فما هبطوا من سفحه إلا إلى القبر
لم يلق منهم فاتح سكنًا في أرض مصر عصية الظُّهر
إلا جنود الله ، إذ قَدِموا في موكب الإيمان والخيْر
يسعون والقرآن رايتهم والله ناصرهم على الكفر
يمشون فيها رحمة وهدى ويباركون الكون بالذكر
فتحتْ لهم مصرٌ منازلها واستقبلتهم رَحْبَةُ الصدر
وعنت لدين الله قانتة ودنت له بالحمد والشكر
وحنت على عمرو مهللة يا بارك الرحمن في عمرو

◆◆◆

الله أكبر ، هكذا انطلقتْ تلك المواكب في المدى القفر
تنساب من بلد إلى بلد وتسير من نصر إلى نصر
حتى أتت قرطاجة فرأت صور الحضارة في الربى الخضر

ورأت علـى طـول المـدى زُمَـرا ... ضـاقت بعهـد الشرك والنكـر
فبنـت في الأرض مملكـة ... مـأثورة بالمجـد والفخـر
عـزت بـدين الله وانتسبت ... للحُـرة الزهـراء في الخـدر
وسـما المعـز بهـا لـذروتها ... فتألقـت كالكوكـب الـدرى
الفاطميـة جـسر لُحمتنـا ... أكـرمْ بهـا في الله مـن جـسر
وأنـا ابـن قـاهرتي، وقـاهرتي ... بنـت المعـز وآلـه الزُّهـر
ولكُـم بهـا في أرضـنا نـسب ... أقـوى مـن الأرحـام والـصهر
ووشـيجة مـن صـنع جـوهركم ... ووثيقـة أبقـى مـن الـدهر
ولكـم بيـوت الله عـامرة ... ومنـازل الإحـسان والـبر
والأزهـر المعمـور، تربطـه ... بـالقيروان قداسـة الفكـر
رُكنـان في صرح الهـدى اقتربـا ... قربـى الرسـول إلى أبي بكـر

***

يـا تـونس الأحـلام، يـا كنفـا ... للفـن والأنغـام والـسحر
يـا بلـدة الـشابيّ وهـو لنـا ... خـدن الـشباب وزهـرة العمـر
ورُبـى «أبوللـو» النُـضر تجمعنـا ... حـول الـشباب وعهـده النـضر
كـم ضـللتنا في مُلاوتـه ... أسـطورة تـدعى الهـوى العـذرى
عـشنا نـسبح باسـمها زمنـا ... تـسبيحة النـسّاك في الـدير
عـشنا لوجـه الحـب، يـسعدنا ... في الوصـل والحرمـان والهجـر
عـشنا نـرى الأيـام حاليـة ... بالنـاس، خاليـة مـن الـوزر
عـشنا بـلا حقـد ولا طمـع ... الكـوخ يبهرنـا عـن القـصر
عـشنا لوجـه الـشعر متـشحا ... بـالنور والإيـمان والطهـر

***

حتـى نـأى الـشابيّ فاغتربـتْ ... حُلـل الـشباب ونـضرة الزهـر
وليّ، وعـشنا بعـده لنـري ... عنـف الغريـزة حـين تستـشري

في عـــالم كالغابـــة انتحـــرتْ ... في قلبــــه أُســـــطورة الخـــير
الحـب فيــه خرافَــة نُــسجت ... بــالإثم والـــشهوات والغـــدر
والحـــق فيــه روايـــة صُـــبغت ... بــالظلم والإرهــاب والمكـــر
والعـــدل فيـــه قـــضيةٌ وئـــدت ... بالإفـــك والعـــدوان والـــشر
والعلـــم فيـــه خطيئـــة ســـفحتْ ... أمـــن الـــشعوب يهولهـــا الـــذرى
والبـــدر ، كـــم وطئـــوا طهارتـــه ... بنعـــالهم ؛ لهفـــى عـــلى البـــدر
والله . حتـــــى الله .. أنكـــــره ... مـــن آمنـــوا بـــضلالة الحُمـــر
أيـــن الحـــضارة ؟ أيـــن مكـــسبها ... وقـــضية الإنـــسان في خـــسر ؟
يـــارب أنـــزل منـــك مرحمـــة ... أولا فقـــرب موعـــد الحـــشر

◆◆◆

يـــا بلـــدة الـــشابيّ معـــذرة ... إن كنـــت موتـــورا فمـــن قهـــري
أنـــا صـــاحب الـــشابيّ ، مـــذهبنا ... ألا نخـــون خليلنـــا البـــصري
وأمانـــــة الـــــشابيّ في عنقـــــي ... والـــذود عـــن ذكـــراه مـــن نـــذري
مـــا زال في قلبـــي وفي خلـــدي ... منـــه شـــذى متـــأرج العطـــر
وأحـــــسه روحـــــا مرفرفـــــة ... في المهرجـــان كرفـــة القُمـــري
وأكـــــاد ألمحـــــه بقامتـــــه ... مـــــترنما بروائـــــع الـــــدر
وأكـــاد أســـمع صـــوت غـــضبته ... ممـــا ألم بحـــرم الـــشعر
جحـــدوا الـــتراث ، وبـــاركوا رجـــزا ... متهتـــك الإقـــواء والكـــسر
متطـــاولاً متقـــاصرًا قلقـــا ... مـــترددًا كالمـــد والجـــزر
ســـموه بـــالحر الجديـــد ، ألا ... يـــا رحمتـــا للـــشاعر الحـــر

◆◆◆

الشعر موسيقى منغمة ... إمّا حنا شطر على شطر
وتأنقا وزنًا وقافية ... وتألقا بثقافة العصر
وتجملا بحلي قوامها ... وتراقصا في موجة البحر
والنبت لا يخضل رونقه ... إن عاش منبتًّا عن الجِذر
والشعب لا تزكو ثقافته ... ولبابها مستورد الفكر

◆◆◆

يا تونس الحسناء، معذرة ... إني شجيتك دون أن أدري
عفوًا إذا شط الحديث بنا ... فنسيت ذات الأعين الخضر
وغفلت عن ولهي بفتنتها ... وبأرضها وبأهلها الغُر
حان الوداع، وظل لي أمل ... في ملتقاك يشد من أزري
سأعود يا خضراء بعد غد ... من وكرك الحاني إلى وكري
سأعود، في جنبيَّ أجمل ما ... حملتنيه من هوى مصر
سأعود من بلد الحبيب إلى ... بلدي لأشهد ساعة الصفر

◆◆◆

فإذا حييتُ فإن لي أجَلا ... وإذا قضيت فإنَّ لي أجري
أنا لست من ديني ومن نسبي ... إن عشت مغلوبا على أمري
سأعود من وطني إلى وطني ... وكلاهما بصبابتي يُغري
وأظل أستدنيك في حُلمي ... وأعد أيامي على الجمر
حتى أعود إليك ثانية ... وعلى يديَّ شهادة النصر

أنشودة القاهرة

صـلاة عـلى أرضـك الطـاهره
سـلام عـلى روحـك الـشاعره
وحـب مـدى الـدهر يـا قـاهره

♦♦♦

سـلام عـلي ليلـك المـؤنسِ
سـلام عـلى الـورد والنـرجس
إذا انـتفض الغـدر لا تيـأسي
وإن عـبس الـدهر لا تعبـسي
سـتدنو الأمـاني الجليلـة
وتنمـو الزهـور الجميلـة
وتحلـو الليـالي وتـصفو المجـالي ويعلـو ابتهـالي

وترجـع أيامـك الزاهـره
وتعلـو بنـودك يـا قـاهره

♦♦♦

تباركـتِ يـا حلـوة الـضفتينْ
بنـور الحـسين وأخـت الحـسين
تُواليـك مـن رحمـة الله عـين
تُلألـئ نـورك في المـشرقين
ليخفـق حـول المـآذنْ
يحيـي عـروس المـدائنْ

ويرعـــاك حبـــي ويفـــديك قلبـــي ويحميـــك ربي

وتحرســـــك القـــــدرة القــــادره

ويبقـــــي جمالــــك يــــا قـــاهره

❖❖❖

عـــلى شـــاطئيك مـــشت مـــريمُ

وحـــج لأرضـــك مـــن أحرمـــوا

وصــــلى المــــسيحيّ والمــــسلم

وقـــالوا الـــسلام ومـــا استـــسلموا

فيـــا نفحـــة الأنبيـــاءْ

ويـــا حلـــوة الكبريـــاءْ

ســـلامًا ســـلامًا وســـيري أمامـــا وعيـــشي دوامـــا

مباركـــــة حـــــرة ظـــــافره

وحـــيٌّ عـــلى النـــصر يـــا قـــاهره

❖❖❖

جلالـــك يـــصنع نـــور الـــصباح

وحقـــك يعلـــو ولا يُـــستباح

فكـــم مـــن غَـــويٍّ أتـــى ثـــم راح

وكـــم مـــن عتـــيٍّ طوتـــه الريـــاح

ولا زلـــتِ مـــن ألـــف عـــام

منـــــار الهـــــدى والــــسلام

وأرض الخصوبةْ ونهر العذوبة وحصن العروبة

ومطلـــــع ليلتنـــــا الــــساهرة

عـــلي موعـــد في ربـــى النـــاصرة

شارع الأمل

بلادنـــا حـــدائق الغَـــزَلْ
نجومنـــا عـــلى الـــسما قُبَـــل
وبيتُنـــا في شـــارع الأَمـــل

◆◆◆

نـــسير في بلادنـــا الجميلـــةْ
مواكبًـــا مواكبًـــا طويلـــه
نـــردد المبـــادئ الأَصـــيله
ونحمـــل المـــشاعر النبيلـــه
نـــستقبل الـــصباح بابتـــسامْ   ونكـــره الحيـــاة في الظـــلام
ونعـــشق الجـــمال والـــسلام
وروحنـــا لا تعـــرف الملـــل
ودأْبُنـــا الوفـــاء للعمـــل
وبيتنـــا في شـــارع الأَمـــل

◆◆◆

بلادنـــا ضـــفافها ملونـــةْ
بـــوردة وفلـــة وسوســـنه
وهيكـــل وقبـــة ومئذنـــة
تـــشرق منهـــا الـــصلوات المؤمنـــه
وكـــم تـــصدت للحـــشود المـــشركَة   وأَقـــسمت بالثـــأْر أَلاّ تتركَـــه
وانتـــصرت في أَلـــف أَلـــف معركـــه

ونحـــــن للجهـــــاد لم نـــــزل
فكيـــــف نـــــستكين للفـــــشل
وبيتنــــــا في شــــــارع الأَمـــــــل

❖❖❖

يـــا نيـــل يـــا هديـــة الألـــهْ
يــــا نغـــــمًا كأَنـــــه صـــــلاه
يــا قُبْلـــة الحـــب عـــلى الـــشفاه
ويـــا حيـــاةً تُـــسعد الحيـــاه
ســـــيكتب الله لـــــك الـــــسلامَه فـــشاطئاك الحـــب والكرامَـــه
وأَنـــت مهـــد المجـــد والـــشهامه
وأَنــــــت للحريــــــة المثــــــل
يحمـــي حمـــاك شـــعبك البطـــل
وبيتنــــا في شـــــارع الأَمـــــل

❖❖❖

خيالي

مـن خيـالي فيـكَ أحببـتُ خيـالي
وتأسّـيتُ عـلى مـر الليـالي
كلـما أطلقتَنـي ... قيّـدني
وإذا قيـدتَني ... فـكَّ عقـالي
وهـو إن لا قيتَنـي ... هنـأني
وإذا جـافيتَني .. رقّ لحـالي

◆◆◆

وهـو أحنـى منـكَ في صـبوته
وهـو أوفى لي وأدنـى في النـوال
وإذا طافـت بـه أنـشودة
حلـوة الإيقـاع ناداهـا : تعـالي

◆◆◆

بـتُّ أهـواكَ وأهـواه معـا
لستما في قَـدَرِي غـير سـجال
مـن خيـالي فيـك أحببـت خيـالي
وتأسـيتُ عـلى مـر الليـالي

◆◆◆

أنـا أهـواه ... لمـا يرسـمه
لـك في الخـاطر مـن حلـو المجـالي
هـو مثّـالٌ ... إذا طالعتَـه
في الهـوى ، طالعـه خـيرُ مِثـال
لا أرى حـسنك إلا صـورةً
روحـه الفنـان قـد هيأهـا لي

وهـــو يُـــدنيكَ إذا باعـــدتَني
فـاقتربْ أَو فـامض في هـذا الـدلال
ثـــم أهـــواك لمـــا تـــوحي بـــه
مـــن رؤى حـــب وآيـــات ابتهـــال

❖❖❖

رُب لحـــنٍ قـــد تغنيـــتُ بـــه
ســـاحر .. لـــولاه لم يخـــاطر ببـــالي
مـــن خيـــالي فيـــك أحببـــت خيـــالي
وتأَســـيت عـــلى مـــر الليـــالي

❖❖❖

أَنـــتَ منَّـــانٌ إذا واصـــلتني
وهـــو لا يعـــرفُ مَنًّـــا في الوصـــال
أَنـــت مَنَّـــاع الهـــوى .. لكنـــه
كلـــما ســـاءلته لبـــيّ ســـؤالي
أَنـــت غيَّـــار ومـــأثورُ القِـــلَى
وهـــو مهـــما أَتجنـــى .. غـــير قـــال
أَنـــت في الأَرض وفي أَهوائهـــا
وهـــو في قمتـــه ذات الجـــلال

❖❖❖

أَنت بـدري .. وهـو الـشمس التـي
مـلأَتْ روحـك مـن نـور الجـمال
فـــإذا مـــا حجبـــتْ أضـــواءها
فهـــلالٌ أَنـــت .. أو دون الهـــلال
مـــن خيـــالي فيـــك أحببـــت خيـــالي
وتأَســـيت عـــلى مـــر الليـــالي

مترجمات عاطفية
عن الفرنسية

ألوان

«عن توفيق الحكيم»

ينظـــر النـــاس للوجـــود بعـــين لا تـــذل النبـــات والحيوانـــا
فـــالزهور الملونـــات بياضـــا واصـــفرارًا وحمـــرة أرجوانـــا
لا يراهـــا الإنـــسان إلا زهـــورًا فاتنـــات تُجمِّـــلُ الأكوانـــا
والجيـــاد المطهـــمات جيـــاد وإذا مـــا تباينـــت أبـــدانا
فالحـــصان المُـــسْودُّ والأَبـــيض النـا صـــع والـــورد لـــيس إلا حـــصانا
فَلِـــمَ النـــاس ينظـــرون إلى النـــا س بعـــين تُمَيِّـــزُ الأَلوانـــا
فـــإذا كـــان جلـــدهم غـــير جلـــدي فأَنـــا لـــست مـــثلهم إنـــسانا

◆◆◆

حب في ثلاث لوحات

«عن توفيق الحكيم»

(١)

سمعت ضراعتها في المساءْ
تشق إلي الله صمت السماءْ
تقول له : رحمة يا إلهي
ومغفرة يا وحيد البقاءْ
بحبك لي لا تَزِنْ مَعصِياتي
فحبك يغمرني بالصفاء
فقلتُ لها : يا فتاتي خطئت
وأعماك فرطُ الأسى والعناء
فإمّا ضللْتِ سواء السبيل
فلا تُسرفي فتضلي الدعاء
وقولي له : باسم حبي لذاتك
إنَّك تُولي الرضا من تشاء

❖❖❖

فقالت : وما ذاك كل الذي
أرى فيه روعة أو بهاء
فأروع من ذاك أني وإنْ كنتُ
في الأرض مخلوقةً كالهباء
أرى الله من حبّهِ للعِباد
يمدُّ لمثلي سبيل الرجاء
ويشملني بجميل الحنان
ويغمرني بجزيل العطاء

(٢)

قــبران في سَــمْتِهما توأمــانْ
في وحــشة الــصحراء مستأنــسانْ
خيِّــل لي أنهــما في الفــلا
حمامتــان انــسابتا تلهــوان
فــضلّتا إلــوكر ، وألقــتهما
في ذلــك المَهْمــهِ ريــحٌ عــوان

❖❖❖

وقلــت للقــبرين : مَــن فــيكما ؟
فقيــل لي : إنهــما عاشــقان
أشــقاهما العمــر ، فلــما انتهــي
تجــاوروا في حــضن هــذا المكــان
وانبهــر القفــر بأعجوبــة
إذ نبتــتْ في تُربــه دوحتــان
زاهيتــا النــوار مجلوّتــان
وارفتــا الأفيــاء مخــضلّتان
تُــضفي عــلي القــبرين كفَّاهمــا
غلائــل العطــف وبُــرْد الحنــان
كــأنها القــبلات مطويــة
في الــورق الأخــضر والأقحــوان
وقيــل : مــن يــوم اصــطفي آدم
حــواءه في بــدء عمــر الزمــان
لم تُنبــت الــصحراء في تُربهــا
نبتــا كهــذي الــشجرات الحسان
وهكــذا الحــب إذا مــا ســما
مــدَّ عــلى الــصحراء ظــل الجِنــان

(٣)

وكان بعش جيراني أليفان من الطيرِ
يعيشان لوجه الحب ما طاب من العمر
يحب الذكر الأنثى ويهواه بلا غير
ويعتقدانِ أن الناس موسومون بالخير
فهذا صاحب البيت يوافي ساعة الفجر
ولا يألو يمدهما ببعض الماء والبُرّ
ولا يضمر عدوانًا ولا يطمع في شكر
وفي يوم تهادي الجار مطويًا على أمر
وفي كفيه سكّين عليها سمة الغدر
وأهوى بيد الجاني على أنثاه في الوكر
وأرسى الطعنة النجلاء بين الرأس
فرف الطائر المسكين كالملسوع بالجمر
وطار ودار واسترخى كمن أثقل
وخرَّ وحوله دمه غزير النزف كالبحر

◆◆◆

وجنَّ جنون أنثاه فهبت نحوه تجري
وصاحت صيحة المغلوب لا يقوى على الثأر
وألقت نفسها في دمِّه مفقودة الصبر
وراحت رعشة للموت في أوصالها تسري
ولم تلبث أن استلقت وأن ماتت على الفور

◆◆◆

تعالى الحب في الإنسان والحيوان والطير
فما في العيش إن راح أليفُ العمر ما يغري

◆◆◆

القتيل الأول

«عن توفيق الحكيم»

حينما ضلَّ الهدى واغتال قابيل أخاه
اقشعرت أرضُنا العذراء من مرأى دماه
فإذا أول زلزال على وجه الحياه

◆◆◆

وإذا الشمس التي تلمع كالماس المصفيّ
تتوارى خلف أجرام السموات وتخفىَ
هكذا كان كسوف الشمس إشفاقا وعطفا

◆◆◆

والورود الناصعات العودِ مسَّتها الدماءْ
فاكتست أوراقها بالأحمر القاني رداء
ونما الشوك بها حزنا على موت الإخاء

◆◆◆

ورأى المأساة ماءُ البحر فاهتاج وماجَا
إذ رأى بين الشقيقين صراعا ولجاجا
كان حلوا فغدا من سخطه ملحا أُجاجا

◆◆◆

الطائر المحبوس

«عن سلوى حجازي»

وبـاب الـوكر مفتـوحٌ بـلا قيـد ولا حظـرِ
وهـذا الطـائرُ المحبـوس لا يمضي مـع الطـير
لقـد عـاش بـه دهـرًا فآلفـه مـع الـدهر
ومـا زال جناحـاه يرفـان عـلى الـصدر
ولـو طـارا بـه لا نطلقـا مـن عـالم الأسر
ولكـنهما شِـلوان مـشلولان بالـصبر
وعينًا الطائر المحبوس من خلف كُوى الوكر
تطـلان عـلى الجنّـات ذات البُـسُط الخـضر
ويهفـو الطـائر المسكين للربـوة والزهـر
ولا يملـك أن يـدنو إلى ألوانهـا النـضر
فـضاءُ الكـون يـدعوه إلى المنطلـق الحـر
يمـد لـه ذراعـين مـن الإينـاس والبـشر
ويـصغي الطـائر المسكين للـصيحة في قهـر
ويعلـم أن ملءَ الكون مـا يشجي ومـا يغـري
ولا يجـسر أن يخطـو إلى عالمـه الـسحري
فحـسب الطـائر الزاهـد أن يـسبح بـالفكر
وأن يحلـم بـالأحلام والآمـال والعطـر
وأن يـرضي بمـأواه رضـا الراهـب بالـدير
يـرى في ظلـه وطنـا قريـر الأمـن والخـير
وينـسى أنـه سـجن يقيـده مـدى العمـر
ويحيـا العمـر للألحـان والألـوان والـشعر
يغنـي للحقـول الخَـضر نـشوانا بـلا خمـر

مشمشتي العجوز

« عن سلوى حجازي »

أراك تعـــــــودين للابتــــــسام
وتزدهـــــرين بـــأحلى الفِـــتنْ
كأنـــك لم تجمـــدي في الـــشتاء
ولا مَـسّ جلـدك عـصفُ الـزمن
ولا صـــفعتك أكـــفّ الرِّيـــاح
وآذاك قـــذف الجـــهار الخـــشن
وكـــل الـــذي كـــان قبـــل الربيـــع
طـــواه الربيـــع كـــأن لم يكـــن
وعُـــدتِ محمَّلـــة بـــالثمار
تشعـــشع في عاليـــات الفـــنن

◆◆◆

أمشمـــشتي ؛ يـــا عجـــوزا تخبّـــئ
سر الحيـــاة وراء الـــدرن
ســألتك بـــالله كيـــف انتفـــضتِ
وعـــاودتِ صـــحوك بعـــد الوســـن
وكيـــف اتـــزرتِ بهـــذا البيـــاض
وعـــاد شـــبابك بعـــد الـــوهن
وألبـــستِ ألوانـــك الحاليـــات
وطالعْتِنـــا بـــالرواء الحـــسن
ألا عَلِّمـــي النـــاس كيْـــف ازدهـــرتِ
ومزقـــتِ عنـــك ســـبيل الـــصمود
لعـــصف الريـــاح وكيـــد المحـــن
لنـــصحو إلى حقنـــا في الحيـــاة
ونـــسعى لآمـــال هـــذا الـــوطن

في ربيع سنة ١٩٦٨

بعد السينما

« عن سلوى حجازي »

لم أنــس يــوم التقينــا
في مسـرح للخيــالِ
ورحــتَ تـنظم شِـعرًا
مــنغمًا في جمــالي
أكنــتَ حقــا تــراني
وحيــدةً في المثــال
وبيـن فـيض الأغــاني
وبيـن زهــر الـدوالي
رأيتنــي يــا حبيبــي
أنيقــة في اختيــالي
فريــدة في شــبابي
كدُميــة المثــال ؟

◆◆◆

ألا تــزال تــراني
شـأن الليــالي الخــوالي ؟
أم أننـي كنــت سـحرًا
صــاغته كـفّ الـضلال ؟
أو حلــم ليلــة صـيف
مـصيره للــزوال ؟

◆◆◆

أم كنــتَ مـثلي وحيــدا
بـين الـصفوف الطــوال
وترتجــي أي سـلوى
تُنـسيك هــم الليــالي ؟

أول شعرة بيضاء

« عن سلوى حجازي »

قالت المرآة إذ أطللتُ فيها منذ وهله
إن شيئًا جدَّ بي اليوم ؛ ولم أعهده قبله
في جبيني شعرة بيضاء تبدو وسط خصله
وتحاكي نجمة تلمع في أعماق ليله
فتطلعتُ لها في نظرة من عين طفله
لا تُبالي بالذي فات ... وما حل محله
وتحسستُ بكفي سمتها وهي مُطله
وتبسمتُ ، فهبّتْ كالنُّفُور المستذله
تتحداني ، كم تملك في النور الأدلة :
لم تعودي في ضُحى العشرين ، فالأيام رحله
قلت : حقًّا ، غير أني لا أرى للعمر صوله
فابتساماتي ستبقى في فمي ترقص حوله
وأمانيَّ ستحيا غضة في كل جوله
وبإحساس شبابي سوف أَحيا العمر كله
لا أُبالي تصعب الرحلة أم تخطر سهله
فلقد أقنعت نفسي أنني ما زلت طفله

❖❖❖

بداية الضعف

« عن سلوى حجازي »

كان قلبي في الهوى طوع يدي
إن تهامستُ إليه يهتدي
ما له اليوم عصيٌّ ؟ ماله
خان ميثاقي وجاف موعدي ؟
طالما عاهدني أن يتقي
قسوة الحب وظلم الحُسَّد
ماله يمشي إلى أهوائه
مِشية الطفل الشقيِّ الأمرد ؟

❖❖❖

أيها القلب الذي ضقتَ بكبتّي واصطبارك
إنني أسمع آهاتك حرَّى من قرارك
لا تهددني على صبري وصمتي بانتحارك
لا تهددني ، ولا تنفذ لضعفي باقتدارك

❖❖❖

أنا لا أدري إلى أين أسير ؟
ولماذا أرتضي عيش الأسير ؟
وإذا عشتُ حياتي مثلما
عشت ماضيَّ ، فما أشقى المصير !
قَدَرٌ يا قلب ، ما في طوقنا

غير أن نحياه لليوم الأخير !

وقضاء في ضمير الغيب ، إنْ

صحَّ يومًا أن للغيب ضمير

ويله من تزحف الأقدار بالقيد إليهِ

إذ يرى كأس المنى مبذولة بين يديه

ثم لا يملك أن يسكبها في شفتيه

ويمر العمر ، والحرمانُ مكتوب عليه

❖❖❖

أيها القلب الذي يُشقي حياتي

يا هوائيَّ المنى والنزوات

أنت تدري أنني محرومة

أنا لا أملك حرية ذاتي

وكلانا رهن قيد ظالم

دون ذنب ؛ فأعنّي في ثباتي

إنني أخشى إذا أغريتني

أن أرى أول ضعف في حياتي

❖❖❖

البائع العجوز

« عن سلوى حجازي »

«من وحي بائع البسكويت الفانيليا العجوز الذي لا يزال يدق صنجاته على شاطئ بورسعيد »

أهكـــذا الـــدهر بنـــا يجـــري

ويأكـــل العمـــر ، ولا نـــدري ؟

ذكّـــرني مـــرآكَ كيـــف انقـــضت

عـــشرةُ أعـــوام مـــن العمـــر

وأنـــت في مغربهـــا لم تـــزل

كـــما وعتـــك العـــينُ في الفجـــر

تـــدق صـــنجاتك ، تلـــك التـــي

كانـــت تهـــز الـــنفس بالبِـــشْرِ

ونفـــس جلبابـــك ، لـــولا الـــبلَى

محـــا ظـــلالَ اللـــون والـــسطر

❖❖❖

عـــشرة أعـــوام ، تَـــوالىَ عـــلى

حالـــك فيهـــا حـــادثُ الـــدهر

عـــدا عـــلى وجهـــك عـــادي الـــضنى

فاغتـــال منـــه بـــسمة الثغـــر

وذاك صـــندوقك ، مـــا خطبُـــهُ

بعـــد الـــسنين المـــرة العـــشر

تدفعـــه الآن عـــلى مركـــب

وكنت تدليه على الظهر ؟

◆◆◆

أَجل تغيرنا ... وهذى أَنا
أَقول : أَصبحتُ أَنا غيري
وهذه الحلوَى التي طالما
أَغرتْ صبانا ، لم تعد تُغْرى
ودَقة الصنجات في مسمعي
خلت من البهجة والبِشر
فإن أَكن أَقبلتُ في لهفة
عليكَ إذ تمشى علي البحر
فليس إقبالي لأجلي أَنا
كشأَن أَيام الصبا الغُرّ
لكنَّ إقبالي لأجل ابنتي
فإني قد فاتني دوري
وكلما أَلقاك في شارع
أَرى دموعي بالأسى تجري
كأنك الماضي الذي عشْته
في ظل أَحلام المنى البكر
ذوي مع الأيام فردوسُه
ومال ما فيه من الزهر

◆◆◆

يا طفلتي ، حاضرك المزدهي
قد كان ماضيَّ من الأمر

قد كان ماضيّ، وشيعتهُ
بكل ما فيه من السحر
قد كان ماضيّ، وضيعتُه
بالخوف، بالغفلة، بالكِبْر
عيشيه أَنت اليوم واستمتعي
بخير ما فيه من الخيّر
والتهميه لحظةً لحظةً
واغتنميه قبل أن يجري
لا تتمنيْ أَن يمر الصِّبا
وتبلغي مثلي من العمر
فإن أيام الصِّبا إِن مضتْ
مضي زمان الورد والعطر
لو صادفتنا لحظةٌ خلوةٌ
من بَعده، لم تَخْلُ من مُر

❖❖❖

يا طفلتي، أُمُّكِ في نصحها
تُغْرق في الوهم إلى الصفر
كم مرةٍ قالت لها أُمُّها
هذا... فلم تسمع، ولم تَدْرِ

❖❖❖

المأوى

« عن عليّة فهمي »

ادن منـــي أَجـــد الراحـــة والأَمـــن لـــديكْ
إن قلبـي يـا حبيـب الـروح مـشدود إليـك
وأَرِحْ رأسي ودعـــه يوســـدْ كتفيـــك
حـسبه سُـهد الليـالي وهـو ملهـوف عليـك

◆◆◆

صـوتك البـاهر أَغـراني ، فأَسـلمتُ شـبابي
فبحـق الحـب والرحمـة لا تُكثـر عـذابي
رُدَّ عنـي الـنغم الـسائل كالـشهد المـذابْ
أَو كأَنغـام المثـانى ، أَو كـأَحلام الربـاب

◆◆◆

لـك في كـل التفاتاتـك موسـيقي غنيّـهْ
وانـسجام قـد تفـردت بـه بـين البريّـه
وأَحاديـث عِـذابٌ ، وحكايـات شـهيّه
هـي مـأواى إذا مـا قَـسَت الـدنْيا عَلَيَّـهْ

◆◆◆

أَنـت في صـمتك تـروي لي روايـات جميلـهْ
صـمتك الـساحر أحلى مـن أَغاريـد الخميلـه
كنتُ من قبلك كالأَعمى الـذي ضـل سـبيله

لا أَرى لي في حيـاتي هـدفًا أَبغـى وصـوله

❖❖❖

مـا الـذي أَوقفنـي عنـدك لا أَنـشد غـيركْ
وكـأَن الـزمن الـساري بنـا لا يتحـرك
وكـأَني طـرتُ مـن حريتـي أَشتـاق أَسرك
أَي سر فيك ؟ قل لي ... ليتني أَعـرف سرك

❖❖❖

لهـف نفـسي إذ تلاقينـا عـلى عهـد وثيـقْ
أَي نـار بـين كفينـا سَرتْ ؟ أَيّ حريـق !
عجبـا ، كيـف أَفقنـا مـن هـوى لـيس يُفيـق
وتفرقنـا مـع الأَيـام ، كـلٌّ في طريـق ؟

❖❖❖

نجوى

« عن عليّة فهمي »

يا حبيب العمر ، يا أجمل أحلام الليالي
ما طموحي فيك إلا كطموحي في المحال
وستبقى طيلة العمر بعيدًا عن منالي
رغم أني طالما ألقاك في دنيا خيالي
وسُلوّى عنك لمح العين لم يخطر ببالي

◆◆◆

كل ما ألقاه من بُعدك لا يوقظ همي
فكفاني منك أن ألقاك في عالم وهمي
وكفى أنك تحيا في خيالي كل يوم
وأنا في عالم الأحلام في صحوي ونومي
حيث لا يفجعني الواقع في أجمل حُلم

◆◆◆

إنني أحيا وأسري وحياتي تتنقل
وبنجواك أرى الأشياء حولي تتبدل
كاد قلبي في دُجى وحدته أن يتعطل
ثم جاءت دعوةُ الحب إليه تتسلل
فاحتسى ينبوعه القدسيّ كأسا ، فتعلل

◆◆◆

كنت لا أدرك أشواقي إلى هذا النغمْ
نغمٌ تعبيره أنت ، مع الروح انسجم
ليت أنا ما التقينا ، ليته كان حُلم
ليته ... ما دام حظي من أمانيّ عدَم
وحصادي من هيامي بك دمع وندم

تمنيات

« عن عليّة فهمي »

يـا حبيبـي أَصـغِ لي يومًـا ودعنـي أتكلـم
فأنــا في كــل أنفــاسي بــصمتي أتــألَم
كيــف في بعــدك عنـي لـشجوني أتكـتم
لا شـفاهي عنـك صـمّاء ولا قلبـيَ أبكـم
أنـا في بُعـدك لا أَعـرف للبهجـة موسـم
وأَرى الأَيــام مــن قــسوتها لا تتبــسم
وأَرى الجـو الـذي شعـشعته بـالنور أَظلـم

◆◆◆

يـا حبيبـي أَصـغِ لي يومًـا ودعنـي أتكلـم
يـا وجـودا طالمـا حمّلنـي الظلـم وجـشَّم
كــل إغــراءات دنيــاه إليــه تتقــدم
مـا سبيلي إن تطلعـتُ إليـه ؟ لـست أَعلـم
مــا سـبيلي إذ أَرى المجـد إليـه يتـسنم ؟
يا حبيبي ، لـيس لي في مجدك الشاهق مَغْنَم
إنـما أَهـواك روحـا هـي مـن روحَـي تـوأَم

◆◆◆

يـا حبيبـي أَصـغ لي يومًـا ودعنـي أَتكلـم
كــل همــي أنّي أَعــشق تمثــالا يعظّــم
وأَرى قلبـي عـلى صـخرة مجـدٍ يـتحطم

ويل هذا المجد ، كم أكرهه ، كم أتألّم
لو تجردتَ من المجد لكنت اليوم أكرم
لَبَنَيْنا جنةً من جَنة الفردوس أنعم
وازدرينا هذه الدنيا التي تقسو وتأثم

◆◆◆

يا حبيبي أَصغِ لي يومًا ودعني أتكلم
إنَّ فردوس الهوى أَحلى من المجد وأعظم
لك فيه كل ما تهواه من جو منغم
وحواليك سياجي ، وهو من حبك مضرم

◆◆◆

أَيها الشاعر ، يا من عشتَ تستوحي وتنظم
أَنت يا من ترسم الأَجيال في أَبدع مرسم
وتزيح الستر عن أَمجاد ماضيها الملثم
قد ترنمتَ طويلا ، فاستمع لي أترنَّمْ
يا حبيبي ... أَصغِ لي يومًا ودعني أَتكلم

◆◆◆

النيل

« عن فرانشيسكو إيروبيللو سفير الأرجنتين بالقاهرة »

أيها الساري على بحر الليالي كالسفينْ
حاملاً من سيرة الماضي عبير الخالدين
وأساطير الخوالي وتراث الغابرين
قل لمن يسأل عن عمرك : ما عمر السنين ؟
أنت يا نيلَ شباب دائم في كل حين

◆◆◆

أنت ملاّحٌ ضحوك الثغر شادٍ يتغنّي
أي لحن خافت الإيقاع في واديك رنّا
من مجاديفك ذات السحر ينساب إلينا
أيها المتعب مثلي سرْ وئيدا ، ما علينا ...
إن قطعنا العمر هونا وتمشينا الهوينا ؟

◆◆◆

أيها الماء الذي يحمل أسرار الحياة
زحفك القدسيّ في الوادي ابتهال وصلاه
فاصطحبني ، لا إلى البحر الذي ضلت رُؤاه
وترامىَ نحو يأسٍ لا ترى العين مداه
سِرْ جنوبا بي ، وقرّبني إلى روح الإله

◆◆◆

سِرْ إلى منبعك الخالد ، لا نحو المصبِّ
علّني أدنو إلى الله وأجلو كل غيب
علني أنتزع النسيان عن صورة ربي
إن ربي فكرة خالدة في نبع حبي
هي إن غابت عن العين ، ففي أعماق قلبي

القسم الثاني

القصائد المجهولة

(*) المقصود بقصائده المجهولة هي تلك القصائد التي تركها الشاعر صالح جودت مخطوطة أو التي نشرت في مجلات وصحف على مدى رحلته الشعرية ولم تجمع في دواوين أثناء حياته للقراء فأصبحت مجهولة القراء بسبب تباعد نشرها وصعوبة الاحتفاظ بالدوريات المتفرقة وهي تغطي فترتين من حياة الشاعر هي فترة أبوللو، وما بعدها (١٩٣٢ - ١٩٤٠) والفترة الثانية تغطي فترة (١٩٦٧ - ١٩٧٦).

قصائده المجهولة

(المرحلة الأولى ١٩٣٢ – ١٩٤٠)

يا زهرة في خيالي

يَـــا زَهـــرَةً فِي خَيَـــالِي　　رَعَيْتُهَـــا فِي فُـــؤَادِي
جَنَـــتْ عَلَيهَـــا اللَّيـــالِي　　وَأَذْبَلَتْهَـــا الأَيـــادِي
وَشَـــاغَلَتْها العُيـــوْنْ　　فَـــتَاتَ سِـــحْرُ الجُفُـــوْنْ

❖❖❖

يَـا غَرَامِـي كُـلُّ شَيءٍ ضَـاعَ مِنِّـي　　فَنَزَعْـتُ الحُـبَّ مِـنْ قَلْبِـي وَرُوْحـي
وَوَهِبْـتُ العُمْـرَ أَوْتَـارِي وَلَحْنِـي　　وَتَغَنَّيْـتُ فَـدَاوَيْتُ جُرُوْحِـي
أَنَـا طَـيْرٌ فِي رُبِـى الفَـنِ أغنَّـي　　لِلطّيُـور، لِلزُّهُـور، لِلغُصُـونْ

❖❖❖

رُدِّي جَمَالَـكِ لِلْمَحْـرُومِ وَالخَـالِي　　لاَ تَطْمَعِـي فِي فُـؤَادِي، إِنَّـهُ سَـالِ
شُـغِلْتُ عَنْـهُ بِـأَحْلاَمِي وَآمَـالِي　　كَـأَنَّ حُبَّـكِ لَمْ يَخْطُـرْ عَـلَى بَـالِي
يـــا زهــــرةً في خَيـــالي　　رعيتُهـــا في فـــؤادي

❖❖❖

(*) هذه القصيدة تغني بها الموسيقار فريد الأطرش في فيلم حبيب العمر الذي عرض لأول مرة في ٢٧ مارس ١٩٤٧ بالقاهرة (المحقق).

يا ممرضتي الحسناء

فليرحم الله آمالي وأهوائي ... إني قنعت بهذا المخدع النائي
بقية العمر أيام تدب على ... صدر تهدم إلا بعض أشلاء
أعيشها ناسكا في ركنِ صومعة ... قامت على صخرة كالموت صماء
يبدو خيال الأماني لي فأطرده ... حتى كأن الأماني بعض أعدائي

❖❖❖

أواه من عزلة كالسجن مغلقة ... على جراح وآلام وأرزاء
ما هذه الجثث الملقاة في سرر ... أنصاف موتى على أنصاف أحياء
صفر الوجوه كأن السقم عفرهم ... بحفنة من تراب القبر صفراء
للآه فيهم تراتيل منغمة ... تنساب من قصبات نصف خرساء
وما لهم من نهار فيه مرحمة ... ولا لهم ليلة ليست بليلاء

❖❖❖

من يا ممرضتي الحسناء قدّر لي ... أن ألتقيك بأرض غير حسناء
ماذا أتى بي هنا ؟ ما خطب عافيتي ؟ ... وكيف غال شبابي غائل الداء
قد كان لي موعد في الصيف مرتقب ... على الشواطئ بين « الرمال » والماء
فما لذا الصيف يمضي بي على جبل ... جهنمي اللظى في جوف صحراء
وأنت .. هل عطفك المبقى على رمقي ... عطف المحبين أم عطف الأطباء
إن كان ذاك فيا سعدي ويا فرحي ... أو كان هذا فإني في الأذلاء
الحب يشهد أني يا ممرضتي ... ما صدني عنك إلا فرط إعيائي

(*) تعرض صالح جودت لأزمة صحية حادة عام ١٩٣٩ ، حيث أصيب بنات الرئة دخل على إثرها المستشفى للعلاج ، حيث كان هذا الداء قاتلاً في تلك الفترة ، وأشفق عليه الأدباء وأصدقاؤه ومحبيه ، ومنهم د . زكي مبارك الذي كتب عنه مقالا ضافيا بمجلة الرسالة يشيد فيه بعبقريته ، ولكن طبيعة صالح الشعرية وحبه للحياة ، جعلته يستوحي من المحنة هذه القصيدة الرائعة التي سماها « نحو الآخرة ».

سامر

بين زهور الخيال[1]

ذكّرتني بكِ الريّاضُ النواضرْ وأعادت إليَّ ماضِي الخواطرْ

جَرَيانُ الغدير يُجري دموعي ومسيلُ الدموع يدمى المحاجرْ

ملأ الصبَّ من جمالكِ سحراً شفقُ الخدِّ تحت ليل الغدائرْ

فوق صبح من المحيَّا صبوح يكشف السترَ عن ظلام الدياجرْ

يا مثالَ الجمال من « أفروديتى »[2] ومثالَ الصدود من كل كاسرْ

ما جنى الصبُّ من غرامك إلا ما جَنى قيسُ من بنيَّة عامرْ !

◆◆◆

في سكون الظلام ـ في وحشة الليل وضوء النهار بين المقابرْ

نقلتني إلى حدائق نُضرٍ من رياض الخيال حُمرُ المَياثرْ[3]

بين تلك الرياض زهرةُ رَندٍ كم نفت بلبلا وأودت بطائرْ

قُمتُ في ليلها ، وَيشهدُ جَفني ـ أنسج الشعرَ من رقيق المشاعرْ

لوُنها كان في الجمال يتيماً حَسَدَت حُسنَه حسانُ الأزاهرْ

ساءَلَتْ يا سُعادُ نفسي رُباها أيّ روض أرى ؟ لأيّ المعاشرْ ؟

أيّ وادٍ لقيتُ حتى كأنّي لبني عذرةٍ[4] هدتني المقادرْ ؟

فانثنتْ زَهرتي وقالت بعطف دولةُ الحبِّ والجمال الساحرْ

---

(١) أبو للو / فبراير ١٩٣٣.

(٢) آلهة الحب والجمال عند الأغريق .

(٣) المياثر : الحمر من مراكب ملوك الفرس القدماء .

(٤) بني عذرة : قبيلة كانت تعيش في بلاد العرب ، ويروى أنهم كانوا إذا أحبوا اشتد بهم الحب حتى الجنون .

دينهـا الـذلّ ـــ مـن يـشاء لـديها عـزة الـنفس في هـوى فهـو كـافرْ !
وأنـا في الريـاض طيـفُ سـعادٍ وأنـا الـوحي في هـوى كـلّ شـاعرْ
قلـتُ : يـا زهـرتي أرى الحـبَّ يقسو فـاجعلي للهـوى بحقـك آخـرْ !
فـانثني عودهـا وقالـت : فـؤادي مـستهامٌ وشـوقةٌ متكـاثرْ
قلـتُ : والعهـد هـل سلاه ؟ فقالت أنـه حـافظٌ لعهـدك ذاكـر
قلـتُ : والنـوم قـد جفـاني ! فقالت إنتـصّفناه ! إنّ طـرقَ سـاهرْ !
قلـتُ : والـدمع لا يجـفّ ! فقالـت « فـيضُ دمعـي مـن البعـاد كـواثرْ
غـير أني أخـاف مـن عاذلينـا لـو يـذيعون مـا وراء الـستائرْ »
وكثـيرٌ عـواذلي في هواهـا قوتل الناسُ من وحوشٍ كواسرْ !

❖❖❖

سـامرٌ في الخيـال أشربـتُ فيـه من بنات الـدنانِ بنت المحاجرْ !

❖❖❖

القلب الشارد

أسـدلَ الليـلُ دُجـاهْ فـإذا الكـونُ سـكونْ
واعـتلى هَـمُّ الحيـاهْ عـرشَ قلبـي المستكينْ

كـلُّ مـا في الكـون رقـراقٌ سَـمُوحْ
غـير قلبـي فهـو مكلـومٌ جـريحْ
تـارةً يـشدو وأطـواراً ينـوحْ
وهـو أحيانـاً مـع الليـل يهـيمْ !

(*) أبو للو / فبراير ١٩٣٣.

شكوك

غمرتُ قلبي بطول ظني ... في كل ما ليس منه فكٌّ
يا طيبها سلوةً لو أني ... أشكُّ في أنني أشكُّ !

❖❖❖

أشكُّ في النور حين يبدو ... شعاعه في الصباح هاتف
فما لآفاق كلِّ نفسٍ ... تغمرها حلكةُ العواطف ؟
وما اصطدام المنى ؟ وهلا اهتدَتْ ... بها انساب في المشارفْ ؟
أم هل تُرَى أننا نُخدِعنا ... وهذه ضحكةُ السوادفْ
تسخر من غفلةٍ ووهنٍ ... والنور من ثغرهنّ ضِحْكُ ؟
يا طيبها سلوةً لو أني ... أشكُّ في أنني أشكُّ !

❖❖❖

أشكُّ في اللحن، كم أراهم ... يستشعرون الجمالَ منهُ
يصوغه معزفٌ شرودٌ ... أناملُ الفنِّ لم تَزِنْهُ
توثبوا نشوةً وغنوا ... بالسحر يَستُبنه مما عزفتُ عنهُ
فهل بقيثارهم جمالٌ ... لكنَّ أذني لم تستُبنه ؟
أم ذلك المعزفُ المغنَّى ... تابٍ، وما قيلَ عنه إفكُ ؟
يا طيبها سلوةً لو أني ... أشكُّ في أنني أشكُّ

❖❖❖

أشكُّ في الحبِّ يا حبيبي ... هل يعرف الحبَّ غيرُ آدمْ
ولو تراءتْ حوّاءُ أخرى ... له لألقى بها تقادَمْ

(*) أبو للو / ديسمبر ١٩٣٤ .

طبيعـــةٌ حكمهـــا علينـــا في كـــل جيـــلٍ وكـــل عـــالمْ
أن تفـــتح القلـــبَ للأمـــاني وكـــم ظفرنـــا بهـــا ويـــا كـــمْ
عُـــدنا إلى ســـاحة التمنـــي نـــشغل في نارهـــا فتـــذكو
يـــا طيبهـــا ســـلوة لـــو أني أشـــكُّ في أننـــي أشـــكُّ !

◆◆◆

أشـــك فـــيمنْ لـــو قلـــتُ عنـــه بـــلا احتيـــال ، لَقِيـــلَ كـــافرْ
فهـــل أنـــا ذو الغبـــاء وحـــدي والنـــاس تهـــديهمُ البـــصائر ؟
أم العمـــى مَـــرَّ لم يَعـــذْني وعـــادهم يـــسرق النـــواظرْ
فأشـــعلوا النـــارَ فـــوق رأسي ؟ يـــا حـــيرةَ الأنفـــس الـــشواعرْ
يـــدكُّها جهلُهُـــم ويثنـــي مـــا لـــيس يُثنَـــى ولا يُـــدَكُّ !
يـــا طيبهـــا ســـلوةً لـــو اني أشـــكُّ في أننـــي أشـــكُّ !

◆◆◆

من سماء الخلود

مِنْ سماء الخلود أَسمعُ حَيَّا ... ردَّدَ اللحن في السماءِ شَجِيَّا
شاعر الخُلْدِ يُطربُ اللهَ في الأخْرَى ... بلحنٍ لم يَخْفَ عن أذُنيَّا
قُلتُ لَمَّا سمعتهُ: يا إلهي ... قد سمعنا نِدًّا له في الدنيا
فأهاب الإلهُ بي: ذاك شوقي ... يقرأ الشِّعرَ في السماءِ عَلَيَّا
قلتُ: لكن جَنى المماتُ عليه ... وهْوَ فينا يقول لم يَجْنِ شيَّا
قال ربي: إنَّ المماتَ وفاءٌ ... تلك عاريَّتي ورُدَّتْ إليَّا
أرسلُ الناسَ في الحياة وأزْجي ... رُسُلَ الموت خَلْفَهُمْ تتهيّا
فإذا نَادتْ المنيةُ خَفَّتْ ... لِنِدَاها النفوسُ حَيّاً فَحَيّا
كلُّكمْ سائرٌ إلى الموتِ يوماً ... ليس منكم مخلَّدٌ يا بُنَيَّا
ومن الناسِ ميِّتٌ في حياةٍ ... ومِن الناسِ مَنْ يموتُ ليحيَا

❖ ❖ ❖

نحن نجري الدموعَ في مَوْقِفِ الذِّكْرَى ... ونبكيكَ شاعراً عبقريا
إنْ يكُ الله فَضَّلَ النَّثر يوماً ... بكتابٍ قد أعجزَ العَرَبِيَّا
أنت أَعجزْتَ دولةَ الشِّعْرِ في الضَّادِ ... وسُقْتَ العزيز منها سَبِيَّا

❖ ❖ ❖

سِرْتُ بين القبور يا مصرُ والدَّمْعُ ... سَكوبٌ مُعَذِّبٌ عَيْنَيَّا
وتَبيَّنْتُ بَينها جَدثَ الشِّعْـ ... ـرِ يُواريُ شَعَاعَةَ القُدُسِيَّا
فبعثْتُ الشجونَ عن مصر والشَّرْ ... قِ فقَدْ عانَيَا المصابَ سَوِيَّا

(*) أبو للو: نوفمبر ١٩٣٣: ألقاها الشاعر في حفل تأبين أمير الشعراء أحمد شوقي الذي رحل في ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ بمسرح رمسيس بالقاهرة.

قلْتُ يا ساكنَ الجنانِ أما مِنْكَ ... إليْنَـا شَـوْقِيَّةٌ تتهَيـا ؟
كـم سَعَيْنَا إلى الـتُّراب حثيثـاً ... واستمعنَا إلى الرُّفـاتِ مَلِيَّـا
فرأيْنَا السُّكونَ يمشي على القبر ... كـأنَّ المكـانَ بـاتَ خَلِيَّـا !
فسألْنَاكَ هـل نسيتَ هَوىَ النيلِ ... وكنـتَ المولَّـهَ المَشْجيَّا ؟
فأجابَـتْ نـداءَنا نَفَثـاتٌ ... مِـن سماءِ النُّهـى وجَـوِّ الثُّرَيَّـا
هـو ما زال في غرامِكِ يا مصـ ... ـرُ يُعاني من الشجونِ العَتِيَّـا
ولـو أنَّ الآذانَ تُرهِـفُ للخُلْـدِ ... لألْفَـتْ حنينَـهُ السرمَدِيَّا !

◆ ◆ ◆

فاتَّجهْنَـا إلى الخلـودِ حَيَـارَي ... نسأل الطَّيرَ لحنَـهُ العبقريَّـا
فلمحْنَـا في جَـوِّه روحَ شـوقي ... تَعِسـاً ، يائسـاً ، حزينـاً ، شـقِيَّا
فهتفْنَـا : يـا ساكنَ الخُلْدِ غَـرّدْ ... فأجـابَ : البكـاءُ أرْضَى إلَيَّـا
وَطَنـي لـو شُغِلْتُ بالخُلْـدِ عنه ... لتَمنَّيْـتُ أنْ يُـرَدَّ عَلَيَّـا
كيف أسْلو وقد ترَكتُ (حُسَيْنا) ... في حِماه ؟ وكيف أنسَى (عَلِيًّا) ؟[1]
كيـف أسْلوك جَنَّـةَ الله في الأرْ ... ضِ وأنـتِ التـي رَعَيْتِ بَنِيْنَـا ؟
قـد رضـعْتُ الحنـانَ منـكِ وليـداً ... فعرفْـتُ الغـرامَ فيـكِ صَبِيًّا
وتفَانَيْـتُ في الهَـوَى أو تناهيْـتُ ... وإنْ لم يَـزَلْ غرامُـكِ حَيًّـا !

◆ ◆ ◆

أنـا يا مصرُ كـمْ أحِنُّ إلى النِّيـلِ ... ومـاءٍ لـه حبيـبٍ لـدَيَّا
كـم حملتُ اليـراعَ تحت ظـلالٍ ... كنـتُ في كرْمَـةِ الهَـوَى أتفيَّـا
وقطَعْتُ الزمـانَ أكتبُ ما يُـو ... حِـي ومـا يبعثُ الغـرام إليَّـا
أنـا يا مصرُ لا أحيدُ عن العهْـدِ ... ولكـنْ أرى القضـاءَ عَتِيًّـا
لاح مِنْكَ الوفاءُ يا شاعرَ الشَّرْقِ ... يُـرَوِّي غرامَـكَ الأبـدِيَّا

(١) أنجب شوقي ولدين هما: حسين وعلي ، وابنة واحدة هي: أمينة.

أَسَبَاكَ الرَّدَى وما كنتَ يا شوْ ... قي لغيرِ الجمالِ يوماً سَبيًّا ؟
كفَّنَتْكَ الحياةُ في سُحُبِ الخُلْدِ ... فلم تحْجبْ الشعاعَ السَّنيًّا
والذي تلمح البريَّةُ منه ... رقَّةَ القلبِ وابتسامَ المُحَيَّا
ورياضاً من الخيالِ تعهَّدْتَ ... فطابَتْ بَنهلِ روحِكَ ريَّا

❖ ❖ ❖

أَنا في مصر سامِعٌ لوعةَ الشرقِ ... ودَارٍ بمهجَتَيهِ الدَوِيًّا
يذرفون الدموعَ في مَأتمِ الليلِ ... وفي مَأتمِ النهارِ سَوِيًّا
وَيَذُوبُونَ حَسْرَةً والْتِيَاعاً ! ... كَلَّما يسمعونَ عَنْكَ الرَوِيًّا

❖ ❖ ❖

لم يَرُعنَا مُعَمَّرٌ يَغْلِبُ المَوْ ... تَ وَيَحْيَا في دهرِهِ مَنْسِيًّا
والذي راعَنَا وراعَ المنايا ... أَنْ تموتَ الجسومُ والذكرُ يَحْيَا !

❖ ❖ ❖

عاصفة

(مثال من الشعر الرمزي)

عاصفة في سكون الليلْ
راجفةٌ مِن مسيل السبلْ
ردَّدتْ في رهيب الصوتْ
ما شدتْ آلهاتُ الموتْ
وانثنتْ في رُبى نيسانْ
فجَنَتْ زهرَةُ الغيسانْ
ومضتْ تنفضُ الأزهارْ
ونضتْ هيكلَ الأَطيارْ
ها هيَ جُنَّةُ المَلاَّخْ
طافيةْ في النوى المجتاخْ
الإلهْ قدْ أبى الرِّفقا
يا مِياهْ تشتكي الغَرقى !

◆◆◆

(*) أبو للو : فبراير ١٩٣٤.

القصيدة الأخيرة

(انتابت الشاعر نوبة من الندم بعد طبع ديوانه الأول سنة ١٩٣٤ فأزمع ألا يقول الشعر ما عاش)

لا رعاكَ الله يا شعري على الدهر ولا حيّاك حيّ
قد تمرّدتُ على الله فحلّتْ نقمة الله عليّ

❖ ❖ ❖

يا إلهي قد نفضتُ الشّعر عن قلبي وأخليتُ يديّ
وكسرتُ اليوم أقلامي وأغلقتُ بقلبي شفتيّ
وتنكرتُ لليلايَ التي أوحَتْ بأشعاري إليّ
عدتُ للمسجد والتقوى وأوهنت صلاةً ركبتيّ
وغدا القرآن في يمناي يسترحم من نشرٍ وطيّ
يا إلهي دمعة النادم خَفّفْ نارَها في مقلتيّ

(*) أبو للو : أبريل ١٩٣٤ / ص ٦٨٥ .

يومان

اليوم الأول

(على الشاطئ)

هي : ما لعينيكَ يا رهيبُ تشيران   طيوفَ الأوهام حولَ أماني

هو أنا يا فتنةَ الوجودِ ؟

هيّ : أجَلْ أنتَ !

هو :   وكيف اتَّهمتِ ؟

هي :   مجنونتانِ !

فيهما حيرةٌ وغمرةُ شكٍ   ومَعانٍ ما تُرجمتْ بلسانِ

كم علتني غشاوةٌ عند لقياكَ   فأنكرتُ رؤيةَ الإنسانِ

لستَ كالناسِ !

هو : هل أكون ملاكاً ؟

هي :   حيرتي في الملاك والشيطانِ ؟

هو : أنتِ يا مَنْ سكبتِ خمرة إلحادي   وأترعتني من الإيمانِ

عند عينيكِ تنتهي أعينُ الله   فأنّى مضيتُ شارفتاني

سهدُ جفنيهما من السرمدِ الخالدِ   مهما يطول لا يَغفُوانِ

غير أني أحسُّ سِرّاً دفيناً   وهما دون سرِّهِ مغلقانِ

هي : ثم ماذا ؟

هو : أهواكِ يا هيكلَ الحسنِ !

هي :   وماذا أعددتَ للقربانِ ؟

(*) أبوللو : ديسمبر ١٩٣٤ ص ٧٣٧.

هو : كل ما شئت لا يعزّ وإن كان محـالاً فانه لـك دانٍ

هي : قم بهذا الكراز أنضب لي البحر !

هو : وهل أستطيع ما فوق شاني ؟

هي : خلّه عنك ! قم وأنضبْ من الشاطئ بعض المياه !

هو : يختلطانِ ؟

هي : كاختلاط الشهوات بالأثرة العمياء في لجةٍ من الوجدانِ

واختلاط الغرام ـ عندك ـ والعقل فتبني من المحال الأماني

أوَما قلتَ إنه ليَ دانٍ مالك الآن نؤت بالبرهانِ ؟

هو : لستُ ربّاً !

هي : وما أنا ؟

هو : أنت عندي ربّةٌ فوق عالم الفنّانِ

هي : كيف تبغي إذا هواي وما أنت بصنوٍ ، مكانه مِن مكاني ؟

هو : اجعليني فيما ملكت قطيناً أو هبيني موكّلاً بالجِنان

هي : هل رأيتَ الجنانَ ؟

هو : في جسم أنثى. عبقريّ الظلالِ والألوان

جسدُ المرأةِ الجميلةِ أنأي مُتمنَّي النُّساكِ والكهانِ

فعلى صدرها الثمارُ وفي الثغرِ مِن الخمر سلسبيلُ المعاني

وعلى شعرِها المذهَّبِ أشباحُ قُصورٍ ما شيدتها يدانِ

اليوم الثاني

(هي وهو خارجان من الصومعة)

هي : كنتَ في الليل راعياً في الجِنانِ! ليلُ أمسِ في ذمّةِ النسيانِ

هـو: كنتِ فيـه الهـةً !

هـي : مـا أنـا السـاعة ؟

هو : | لا شيء ، أنـتِ كـالجثمانِ

أنـت مخلوقـةٌ تعيـشين بالجسم | وتُفنيـكِ شـهوةُ الحيـوانِ

هي : قبلةً !

هو : ما وراءَها ؟

هي : هي معْنًى

هو : | هتكـتْ شـهوةُ الجسومِ المعـاني

ونـفضت سـترَ ناظريـك وذاع | الـسِّرُّ فـيها فقـدت مـن أكـوانِ

هـي : أوَ أنزلتْـني عـن العـرشَ لَّما | ذاع سرى لـديك ؟ أيّ بيـانِ !

هـو : لـيس بـين الإلـه والنـاس إلا | سرّه المنطـوي الخفِّـي المكـانِ

ظـلَّ في معـزلٍ عـن النـاس حتـى | لا يُـداني الخفـاء مـنهم مُـداني

هي : كيف ؟

هـو : سٌر لـو أنهـم عرفـوه | بـات قـدرُ الإلـهِ كالإنـسانِ !

وأنـا مَـن يقـيم عنـدك بالجسم | ويحيـا بـالروح فـوق الزمـانِ

هي : غادرٌ أنتَ !

هـو : نحـن للفـنِّ نحيـا | ونـراكم لـه مـن القربـانِ

فنـضحي بكـم عـلى مـذبح الفكـر | ليهـدَى بـالفكر جيـلٌ ثـانِ

❖ ❖ ❖

بين عالمين

(إلى روح أبي القاسم الشابي)

مـن وراء الغيـام، في الأفـقِ الـذاهل ... مــن حُلكــةِ القــضاء المغيَّــبْ
طـــالعتْني في رهبـــة وجـــلالٍ ... لمحـــةٌ مِـــن خلالـــه تتوثَّـــبْ
عَـــبرَتْ بي كـــالحلم في ليلـــة اليـــأس ... فـــأودتْ بكـــل داجٍ وغيهـــبْ
جاذَبْتهـــا الـــسماء والأرض حتـــى ... لتراهـــا حيرانـــةً تتذبـــذبْ
كلــــما لاح فــــاتنٌ يــــسكن الأرضَ ... تغنــــى بــــه حجاهــــا وشَــــبَّبْ
هــي كالعبــدِ الــذي هجـرَ الأرضَ ... وولَّى في عزلــــــةٍ يترهَّــــــبْ
مـا لهـا في الحيـاةِ غـير نـواحي الفـنِّ ... ـفنٌّ والـسحر والأناشـيد مَـذْهَبْ
مِـن أغـاني الرعـاة، مـن نَغَـم النَّهـر ... وإشراقـــة الـــصباح المحبَّـــبْ
وافتتـانِ الآفـاقِ بالـشفَق الـساحِرِ ... في روعـــة الغـــروب المـــذهَّبْ
شـارفَتْني ثـم انثَنَـتْ عـن عيـوني ... وهـي في القلـب لم تـزلْ بَعـدُ ترقـبْ

❖❖❖

أيـه! مَـن أنـتَ أيهـا الجسد النُّوريُّ؟ ... مِـــن أيَّـــةِ الفـــرادس تـــسكبْ؟
كيف مَسراكَ؟ أنـت تشرق في الرُّوح ... وفي مـــوطن النـــواظر تغـــربْ؟
كيف يخبو ضياكَ من ساحة الكوْنِ؟ ... فـداكَ الـضياءُ مـن كـل كوكـبْ؟
أيّهـا الـشاعرُ الـذي بعـث النـشْوةَ ... في عـــالمٍ جـــريح مُعَـــذَّبْ
كلـــما رجَّعـــوا نـــشيدك عـــادوا ... مُهَجـــاتٍ بلحنـــهِ تتطـــرَّبْ
أيهـا الـساحر الـذي هدهـدَ الأرضَ ... ســـناه هنيهـــةً وتغيَّـــبْ
الهنيهـــاتُ لا يَقِفْـــنَ خلـــوداً ... فهـو كـالله عمـرُهُ لـيس يُحسب!

❖❖❖

يـا أبـا القاسـم انتهيـتَ إلى الأخـرَى ... فحـــدِّث بـــما رأيـــتَ وأســـهبْ

(*) أبوللو: ديسمبر ١٩٣٤.

هـاتِ لحنـاً يَهُـدُّ مِـن ريبـة المـوْتُ! أجــزْ لي إلى الحقيقــة مَــذْهَبْ!
هـل رأيــتَ الإلــه والغيـبَ والخُلـدَ ومــا ضــلَّ فيــه رأي وكــذَّبْ؟
مـن أغـاني الحيـاة يـا شـاعر الفـرْدَوْس أن الغــــدير يجـــري لينـــضبْ
مِن أغـاني الحيـاة يـا شـاعر الفـرْدَوْس أن النجـــوم تبـــدو لتغـــربْ
مِـن أغـاني الحيـاة يـا شـاعر الفـرْدَوْس أن الحيـــاة تـــأتي لتـــذهبْ
فأغــاني الحيـــاة أمــرٌ عجيـــبٌ وأغـاني المـمات لا شـكَّ أعجـبْ
أن أنــأي طمــوح فلــسفةِ الأرض لأغنيـــةُ الإلــــهِ المحجَّـــبْ

❖❖❖

ليتني كنـتُ مـن صُـفاتك في الرِّحْلـة ترنـــو إلى الــدُّنى وهـــي تلعـــبْ
فــإذا مــا قطعــتَ مَرْحلــة الأرض وشــارفتَ كوكبــاً بعــد كوكــبْ
وانتهــى الــسيرُ والــسُّرَى لمقّــرِ سرمـــدي مِـــن الإلـــهِ مقـــرَّبْ
رُحْــتَ تــشدو، ومعــزف الـشعر في يُمْــناك يقفـوكَ في رجيـع مرتَّــبْ
وعــلى جانبيــك مِــن ملــك الجنــة مُـــصغ وُجدانُــــهُ يتوثـــبْ
وحواليـــك مـــن مفـــاتن هـــوميرَ ودانتـــى وزمـــرةِ الفـــنِّ موكـــبْ
يـــا لخمـــرِ ســكبتَهُ يثمــلُ الخمــرَ ويهفـــو عـــلى الالــــهِ فيطـــربْ
ليلــــةٌ عنـــــد عــــالم عبقـــريّ وقـــفَ اللهُ رأدهـــا يتعجـــبْ!

❖❖❖

(*) أبو القاسم الشابي (١٩٠٩-١٩٣٤) شاعر تونسي مجدد توفي في عمر مبكر، نشر قصائده في مجلة أبوللو المصرية، اشتهر بقصيدته «صلوات في هيكل الحب»، وقصيدة «إرادة الحياة»، نشر ديوانه «أغاني الحياة» عام ١٩٥٤ في القاهرة بعد رحيله «المحقق».



حُلم

تَغَنَّتْ لمطلعها الساحرِ ملائكةُ الحبِّ في خاطري

فأهدتْ إلى شَفَتي قُبلةً وقالتْ : أحِبُّكَ يا شاعري !

وراحتْ تُدللني كالصغيرِ وتغمرني بالرِّضا الغامرِ

وتَجعلُ مِن صدرِها مَخدعاً لأجفانِ مجنونها السَّاهرِ

فقلتُ حرامٌ علىَّ الكرَى إذا كنتُ في الحرَمِ الطاهرِ

لكم رُمْتُ اغفاءةً كي أرَى خيالَكِ عند الكرى زائري

فأمّا : وقد ضمَّنا الملتقي فلستُ على النومِ بالقادرِ

❖❖❖

ومَرَّ الظلامُ ورانَ الصباحُ وهامَ الضَّياءُ على ناظري

فألفيتُه حُلُماً قد مضَى فقَسِّرْهُ باللهِ يا هاجري !

❖❖❖

(*) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٤ .

الهوى والسلام

للشاعرة إيلا هويلر ولكوكس

مَلاكـــان يَنــشرُ سِرُّ الالَـــسهِ بـروحيْهما طيـبَ مـا يحمـلُ
همـا رحمـةٌ هبطـتْ في القلـوبِ ونـورٌ مـن الله يسترسلُ
ومِـنْ عجـبٍ أنَّ ثـانيهما يبادلــه النقمــةَ الأولَ
فـما التقيـا مـرةً عنـد قلـبٍ وآواهمـا بابــهُ المقفَــلُ
إذا وقعْـتُ مقلتَــا واحــدٍ علـى نــدِّه شَـدَّ مـا يجفـلُ
وقـد تنطـوي في الأسـى لـذَّةٌ وينحـو علـى البومـةِ البلبـلُ
وتـأوى إلى اليـأسِ بعـضُ الأمـاني ويبـسُم للـشعلةِ الجـدولُ
ويفنـي النفيـضان مـن كـل أرضٍ ويَحْطِـمُ حامِلَــهُ المِعْـوَلُ
فـما إن يطـلّ مـلاكُ الـسلامِ يـواري مـلاكَ الهـوى معـزلُ
يظـلاَّن مـا ظـلَّ عمـرُ الوجـودِ عَـدُوَّين بيـنهما فيـصلُ
فأمَّـا انقـضى العمـرُ جـال الـردَى فـضمَّهما في الثـرى موئـلُ



(*) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٤ .

المرحلة الثانية (١٩٦٧-١٩٧٦)

إلى رفقاء الجرح

يـا رفقـاء الجـرح ، لا تيأسـوا — فـإن عـين الله لا تـنعسْ
أعـداؤكم لـجّ بهـم كـبرهم — وجـرّعتهم زهوهـا الأكـؤس
اختطفـوا جـولتهم خلسـة — وأرخـص الجـولات مـا يُخْلسُ
فعربـدوا في الأرض مـا عربـدوا — ودلّسـوا في الحـق مـا دلّسـوا
ودنّسـوا التـاريخ جـيلا ، وهـم — تـاريخهم مـن عرضـهم أدنسْ
مـروا عـلى المسجد مـا كـبّروا — وبـاركوا القـدس ، فـما قدّسـوا
وعنـدكم مـن وعـيكم مـا يعـي — أن ضـيـاء الله لا يطمـس
ومـن قـواكم مـا يهـد القـوى — ومـن ربـاط الخيـل مـا يـشمس

❖ ❖ ❖

لا توجـسـوا ممـا يـداري غـدٌ — فالنـصر لا يمـشي لمـن أوجسـوا
أن أَنزلـوا نكـسة أَمـس بكـم — فغـدهم مـن أمـسكم أنكـسْ
مـا أسّـس البـاغون مـن دولـة — إلا مـضى الله بـما أسـسوا
هبـوهم الرومـان ، أيـن انتهـوا — حـين تجـلّى الفـاتح الأَشـوس ؟
هبـوهم الفـرس الـضواري ، فهـل — أبقـى علـيهم شـعبنا الأفـرس ؟
هبـوهم الهكـسوس في بطـشهم — أَلم يبـدد شـملهم أحمـس ؟
لا بـل هبـوهم قـوم موسـى ، فهـل — جزاهم الـسحر الـذي وسوسـوا ؟

❖ ❖ ❖

(*) من وحي وقفة على جبهة القناة بعد نكسة معركة ٥ يونيو ١٩٦٧م.

نحــن بنــو مــصر ومــن ذاقنــا ... يــأرق أو يــشرق أو يــضرس
نحــن الزنــود الــسمر مــن أمــة ... عــدتها الأحجــار والأفــؤس
نحــــن بنـــاة الـــسد ، آلاؤه ... شــقيقه الأهــرام ، بــل أنفــس
وســـادة التـــاريخ مـــن فجـــره ... وفي حمانـــا قدســـه الأقـــدس
ومبــدعو التوحيــد قبــل الهــدى ... وعهــد أخنــاتون لا يــبخس
ونـــاظمو التريـــة أنـــشودة ... أوتارهـــا العـــسجد والـــسندس
وزادة الفـــن ، فكـــل الـــورى ... مـــن غرســـنا أو أرثنـــا يقـــبس
وصـــانعوا الحـــرف وآياتـــه ... في حـــين كـــان الكـــون لا ينـــبس
وأقويـــاء الـــروح في همنـــا ... نلقـــي الأعاصـــير ولا نعـــبس

❖❖❖

مـــن آل صـــهيون ، ومـــا عـــدهم ... إن ضــاعف التهجــير مــا كدســوا ؟
نحـــن الملايـــين ، وهـــم قلـــة ... لـــو عثـــرت في دربنـــا تُـــدهسُ
نحـــن إذا دارت علينـــا الرحـــى ... فـــنحن مـــن أحجارهـــا أيـــبس
وإن تعرينـــا ، فكـــم كـــسوة ... مـــن جهـــدنا أو زهـــدنا نلـــبس
وهــم خفــاف الظهــر مهــما احتمــوا ... وهــم عــراة الــدهر مهــما اكتــسوا

❖❖❖

ذكرى عارف

صلاةٌ عليك أبا أحمدِ ... سلام على سيفك المغمَد
مضى الحول، والجرح لم يترِدْ ... وأخمدَ، والنار لم تخمد
وأوصد بابك عصفُ المنونِ ... وما كان بابك بالموصَدَ
وأنباك من يرصدون السماء ... فأعرضتَ عن نبأ المرصد [1]
خففت لها تتحدى الرياح ... وتسخر من عصفها الأربد
وكم زخرت صفحاتُ حياتك ... بالحاقدين وبالحسَد
فلم يبلغوك بعدوانهم [2] ... وكان القضاءُ هو المعتدي
ولو قبل الله مني الفداء ... فديتك يا خير مُستشهد

❖ ❖ ❖

ذكرتُ بيومك يوم المسيح ... وأنت المعلّم والمقتدي
ألم تعلُ طائرةً كالصليب؟ ... ألم تتعذبْ؟ ألم تصعد؟ [3]
ألم تدنُ من عتبات السماء ... تقول لها: يا سماء اشهدي
لغيرِ مُنَى أمتي ما غدوتُ ... وغيركَ يا رب لم أعبُد

❖ ❖ ❖

لنا الله فيك أبا الثائرين ... وجارَ الملائك والفرقد
بأي هدى منك لم نهتد ... وأي يدٍ لك لم نَحمد؟
دعوتَ إلى اللطف في العنصرية ... دعوى المؤذن والمنشد
وما أنا كرد، ولكنني ... أرى فيهمو عزة الأفهد
وما الكرد إلا ذوو لُحمة ... عزاز على الأرض والمسجد
جرى عرقهم «لابن ماء السماء» ... كريم الأرومة والمحتد

(*) قيلت في الحفل الكبير الذي أقيم في بغداد يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٦٧، احتفالا بالذكرى الأولى للرئيس الشهيد عبد السلام عارف، وقد دعي للمشاركة في هذا الحفل باسم شعراء مصر.

(١) كان المرصد قد حذر الشهيد من الرحلة، ولكنه لم يتراجع.

(٢) تعرض الشهيد لأكثر من مؤامرة على الأرض وفي الجو، ونجا منها.

(٣) تشبيها لجسد الطائرة بشكل الصليب، وإشارة إلى عذاب المسيح وصعوده إلى السماء.

وناديتَ باللين في المذهبية — لم تتعصب ولم تجمد
وما أنا من شيعة المسلمين — وإن همتُ في صاحب المشهد
وطّوفتُ في روضة الحسنين — بشوق المُلحّ وقلب الصدى
وليس التشيّع إلا اعتزازا — بوجه الإمام الكريم الندى
وتزكيةً لحبيب النبي — وزلفى إلى المجد والسؤدد

❖ ❖ ❖

وبشّرت بالدعوة الوحدوية — لم تعدُ عنها ولم تحرد
وأني ، وإن تكُ مصر مهادي — وفي ضفتيْ نيلها مولدي
أحب الشآم وأصفو لها — وأجعل من «بردي» موردي
وأعشق لبنان في زهوه — بلطف الظلال وحلو الدد
وأهفو إلى زمزم والحطيم — وأجثو على الحجر الأسود
وأحنو على اليمن المستجير — وأمشي له مشية المنجد
وأرنو إلى الشاطئ المغربي — على أمل فيه لم ينفد
وأولي الجزائر خير الصلاة — على أرض مليون مستشهد

❖ ❖ ❖

وأما العراق ، وأهل العراق — فهم في ربوع الهوى معهدي
لمستُ بليلي ، فداويتها — فكحّل سهدي بها مرودي
فلما تعافت ، عرفت السقام — وأصبح عُوّدها عُوّدي
يجيئون مصر ، فيلقونني — أناجيك يا ليلَ في مرقدي
أسبح باسمك ، ما سبّحتْ — لربك قرقرةُ الهدهد

❖ ❖ ❖

جزى الله بالخير ليلى العراق — فقد جمّعتنا على موعد

لقيتُ بـه وجـه عبـد السـلام ... وكـبّرتُ إذ يـده في يـدي

وقلـتُ : أهـذا الوديـع الـذي ... يبـسمل في خطـوه المُـرود [1]

ويهمـس كـالنغم الشاعري ... ويطلـع كالملـك المسـعد

كبـير التواضـع جـم الحيـاة ... كعيـسى عـلى درج المعبـد

أهـذا أبـو الثَـورات الـثلاث ... عـضّى العريكـة والمقْـود

يـذوب عـلى سـيفه العنفـوان ... ويهـوى عـلى صـخرة الأصـلد ؟

أجـل ، هـو في الحـب عبدِالسـلام ... وفي الحـرب زمجـرة الأبـرد [2]

وقـد يَنبـت الزهـر مـن يـا بـس ... وينـبجس المـاء مـن جلمـد

كـما قـرّ في زحمـة المعمعـان ... وخـرّ عـلى هـدأة الفدفـد

❖ ❖ ❖

رعـى الله يومـك ، يـوم انتفـضتَ ... ولا حـق فيهـا لمـستعبِد

وأيـدت دعـوى أبي خالـد [3] ... وكنـت لـه غايـة المعقـد

دعـا بـك للوحـدة المرتجـاة ... فقمـتَ وقلـتَ لـه : وَحِّـد

مـددتَ لـه في الأمـاني يـدا ... لغـير إلهـك لم تُمـدد

فـردّد فيـك حـديث «الـشريف» ... ومـا عـازه شرف المقـصد :

«وأني إذا لم أجـدْ نـاصرا ... وجـدتك انـصر لي مـن يـدي»

أبـا قـيس ، في وجهـك العـربي [4] ... عـزاء لنـا في أبي أحمـد

نـرى في خطـاك امتـداداً لـه ... وسـعيا إلى الهـدف الارشـد

يقيـل فلـسطين مـن ليلهـا ... إلى موعـد مـشرق في غـد

ويهتـف بـالحلمُ الوحـدوي ... ويخفـق بالأمـل الـسرمدي

---

(١) المرود : المتمهل ... ومنه «رويدا» .

(٢) الأبرد : النمر .

(٣) أبو خالد : جمال عبد الناصر .

(٤) أبو قيس عبد الرحمن عارف ، الذي خلف أخاه عبد السلام في الحكم .

بين بابل وطيبة

أقبلتُ في ركب الوفاء ، وكيف لي الاّ أجيئَهْ
واليوم يوم أبي الوفاء وليل رحلته العصيبه
أقبلتُ ، واللهبُ الحزين تؤجج الذكرى شبوبه
أهفو إلى الأمل الشهيد وصانع السِيَرَ الذهبيه
وتخلّص الأيام من عثراتها الحُمر الخضيبه
وأضم في قلبي العراق وأهله ، وأشم طيبه
وأبث بغدادي الحبيبة هَمَّ قاهرتي الحبيبه



عبدَ السلام ، لك التحية والمبرة والمثوبه
أينا ابتسامتك الطهور ، وأين ساحتك الرحيبة ؟
أين انطلاقك للجهاد ، وأين طلعتك المهيبة ؟
أقبلتُ في ذكراك ، والأيام حالكة جديبه
وزواحفُ العدوان تسكر من مدامعنا الصبيبه
والشهر إثر الشهر يدعس صبرنا بخطى رتيبه
ونزلتُ أرض الرافدين أضخ من قلبي لهيبه
وأقول هل أبكي مصابك ، أم أنوح على المصيبه



أعلمت ما كتب الزمان على مرابعنا السليبه ؟

(*) ألقيت في الاحتفال بالذكرى الثانية لاستشهاد الرئيس العراقي الراحل عبد السلام عارف ، الذي أقيم ببغداد يوم السبت الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٩٦٨ .

عـشرون عامـا والمـدامع مـن محاجرنـا سـكيبه
نبكـي عـلى البلـد الـسليب ونلعـن الفئـة الجريبـه
ويعودنـا شـبح الـردى ، ونحـسّ في دمنـا دبيبـه
ونرى السبيل إلى الخلاص.ونكتفي بخطى جنيبه
حتـى أتي اليـوم الرهيـب يغـذ نكـسته الرهيبـه
وإذا حـصيلتنا لَقـيً ... وإذا نهايتهـا كئيبـه

❖ ❖ ❖

يـا إخـوة النهـرين : يـا أهـل النـضارة والعذوبـه
إنــا لتجمعنــا أواصرنــا البعيــدة والقريبــه
فينــا مــن الأبــد الأبيــد الألمعيــة والخــصوبه
ولكـم حـضارة بابـل ، ولنـا حـضارة أرض طيبـه
ولقـد صـنعنا في الأوائـل كـل معجـزة عجيبـه
صـفحاتنا الإبـداع والإلهـام والهمـم الوثيبـه
وبيوتنـا الإيـوان والأهـرام والـشُرَف القـشيبه
وعروقنـا القــرآن والإسـلام واللغـة الأديبـه
الله يجمعنــا عــلى أرض النبــوة والربوبيــه
أرض الألى حملـوا هـلال الله أو حملـوا صـليبه
لا تـذكروا لغـة الحـدود ، فأنهـا لغـة مريبـه
رسـم العـدو خطوطهـا لتكـون خطتُهـا وثوبـه
عودوا إلى التاريخ ، فهو أجلّ مـن يَهـدي شعوبه
من عهد «هولاكو» تكشّف كيـد أعـداء العروبـه
دهـم المغـول حمـى الرشـيد بكـل داهيـة حزيبـه
فتحرك النسر الجسور وزمجرت مصر الغضوبه

وصحا أبو الهول المصور وأورد العادي مغيبه

فدفاعكم عنّا كفاء،دفاعنا عنكم ضريبه

الله وحّدنا على الأجيال ، حتى في المصيبه



قولوا لحكّام الشعوب : زمانكم وَعْي شعوبه

حتّام نتهم القضاء ونحن صنّعنا خطوبه

ونعيب ما تلد الحوادث والنفوس هي المعيبه



قولوا لهم : لا تنبت الأزهار في أرض حطيبه

العصر عصر العلم والعرفان والفطن اللبيبه

من عاش في كهف من الظلمات تأكله الرطوبه



قولوا لهم : رُدُّوا انحرافات الحياة عن الشبيبه

ليسبّحوا بحلاوة الإيمان إن رضعوا حليبه

من صان عهد الله كان الله في الجُلَّ حسيبه



قولوا لهم : عودوا إلى الإيمان والتزموا دروبه

وتنكروا للشرك والإلحاد والقيم الجليبه

الله عاقبنا بتهمتنا وأمعن في العقوبه



قولوا لهم : لا تأمنوا الأحلاف والشِيَعَ الغريبه

صَحَتْ الظنون ومجت الإسماع نغمتها الكذوبه

وبلاؤنا من صنع أمريكا وكلبتها الربيبه

❖ ❖ ❖

قولوا لهم: ولّوا الكفايات الذكية والأريبه
ما أجمل الدنيا لو أن لكل مجتهد نصيبه
لا أن يكون الفضل والإيثار للذمم المشوبه

❖ ❖ ❖

قولوا لهم: تُجْلَى الحقائق بالتساؤل والمجوبه
لا تجعلوا الدستور لعبتكم، وأهل الرأي أُوبه
عودوا إلى الشورى فلم تعد الشعوب لكم رَكُوبه

❖ ❖ ❖

قولوا لهم: حرية الإنسان منطلق الرغيبه
قبل الهواء أو الغذاء أو الكساء أو الوجيبه
فاطووا الرقيب، فلا رقيب سوى ضمائرنا الرقيبه

❖ ❖ ❖

عفواً إذا شط الحديث وقلّب الآسي جنوبه
ومضى يعدد كل مثلبة ويكشف كل ريبه
عفواً لغصة شاعر نزفت مدامعُه كروبه
قد كان معسول النسيب فغالت البلوى نسيبه
واهتاض «الليل» والخميلة والضفيرة والقصيبه
وأنا الذي كانت قلائده منغمة العذوبه
ذوبتُها في النار كي اغتال من وطني عيوبه
وسللت أسنان الرماح على التردد واللغوبه
شخّصتُ بيت الداء في وطني ولم أكتم ندوبه

وعرفت أن الشعب مسئول ، ولم أرحم ذنوبه
وسألته أن يستجيب إلى الفداء لكي يجيبه
لا يبرأ الجرح العميق إذا المريض عصى طبيبه

❖ ❖ ❖

عفواً أبا قيس إذا ما صعّد العاني وجيبه [1]
إنساب في هذا المقام يشق من ندم جيوبه
أقبلت أذكر المصاب فغالني ذكر المصيبه
أخوك يغفر لي إذا طففت في الذكرى نصيبه
هو الذي ملك القلوب تسامحاً وتُقى وطيبه
أخوك من برز القضاء له فلم يرهب ركوبه
أخوك من صنع الشروق فكيف لا نبكي غروبه
أخوك من عاش الحياة ومات من أجل العروبة
رآك تنهج نهجة وتسير سيرته النجيبه
وتقود شعبك يا أبا قيس إلى شرف الطليبه
فعسى صراح القول أن يمحوا التردد أو يذيبه
ويعدنا لقضية العدوان متّحدي الكتيبه
وأراك أنت وناصري متوثبين إلى الرغيبه
لأعود في ذكرى شهيد الحق مزهو الحقيبه
مترنما في عامها الآتي بقافية قشيبه
والشعب موفور الكرامة والعنايةُ مستجيبه
والنصر خفاق البيارق فوق ساحتنا الرحيبه
وبلادنا في الشرق سيدة الوجود بلا ضريبه
ويقال : غنى النيل فرحته وأطلق عندليبه
ليث بغداد الحبيبة شوق قاهرتي الحبيبه

---

(١) أبو قيس : الرئيس عبد الرحمن عارف ، شقيق الفقيد وخليفته .

عودة حزيران

بغداد يا دار الكرامة | وحمى الخلافة والإمامة
يا جارة السبط الشهيد | وركن من سدنوا مقامه
ورسالة الشرف التي | غنى بها سُود العمامه
يا من أخذتِ على بني | ... العباس عهدك من تهامه
ورفعت في التاريخ أعلام | ... الهداية والزعامه
ودرجت من عهد الرشيد | على الأناقة والفخامه
وتألقت فيك القصيدة | ... والمقالة والمقامه
وصفا بيان «الأصمعي» | وصاغ منطقه «قُدامه»
وتميز الفن المنغم | بالعذوبة والدسامه
وافتن أرباب «المقام» | فصادف النغم انسجامه
يا حلوة الميعاد إني | من يصون له ذمامه
آتيك حولا بعد حول | أستطيب بك الإقامه
وبخافقي الولهان شوق | ... المستهام لمستهامه
أهديك من شعري منمقة | ومن قلبي ابتسامه
وأبث دجلة والفرات | حنين قومي واضطرامه
ودعاء قاهرتي لأهلك | بالأمان وبالسلامه

❖ ❖ ❖

ما بال «ليلى» اليوم مغضبة | ... موردة الجهامه ؟
ألأن شاعرها ألمّ | ومرّ لم يقرى سلامه ؟

(*) قيلت في مهرجان ببغداد، في أبريل سنة ١٩٦٩ .

العفـــو يـــا لــيلى ، فــما — أنــا مــن تُــساق لــه الملامــه
لا تظلمينـــــي في الوفـــــاء — فلـــست احتمـــل اتهامــــه
أهـــواكِ مـــا هـــدلت مطوقـــة — ... ومـــا دكـــرت يمامـــه
و «أروح فـــدوى» طلعـــة القمـــر — ... الـــذي أوفى تمامــــه[1]
هـــل في الوجـــود أعـــز منـــك — مكانـــة وأليـــذ شــــامه
وأرق عاطفـــــة وألطـــــف — طلعـــة وأعـــز قامــــه ؟
لَـــوددتُ لـــو قلبـــي يعـــي — ليـــل مـــن شـــوق أوامـــه
ويعيـــد أيـــام الـــصبابة — في رحابـــك يـــا غُلامـــه
لكـــن محنـــة أمتـــي — رســـمت عـــلى عينـــي غمامـــه
حتـــى غـــشيت عـــن الملاحـــة — والوضـــــاءة والوســـــامه
وغـــــدوت أعـــبر لا أرى — إلا التحـــــسر والندامـــــه

❖ ❖ ❖

هـــذا حزيـــران الحـــزين — يعـــود مـــؤتزرا قتامـــه
مـــا كـــان أســـوَده عـــلى — تاريخنـــا وأخـــس عامـــه
وكـــأن ظلمـــة يومـــه — كانـــت مـــن الله انتقامـــه
الله جمّعنـــــا عـــــلى — وطـــن فآثرنـــا انقـــسامه
ودَعـــا بنـــا اعتـــصموا بحبـــل — الله ، فاهتـــضنا عـــصامه
وقـــضى علينـــا بالجهـــاد — ونحـــن آثرنـــا الـــسلامه
فلهـــا بنـــا حتـــى اليهـــود — وهـــم مـــن الـــدنيا لمامـــه
وغـــدوا هـــم الظفـــر المظفـــر — بعـــد أن كـــانوا قُلامـــه
وتبـــذلوا في المـــسجد الأقـــصى — ... ومـــا احترمـــوا حرامـــه
وعـــدوا عـــلى مـــسرى النبـــي — ودنـــسوا ديـــر القيامـــه

(١) أروح فدوى : تعبير عراقي دارج رقيق معناه : روحي فداء .

عامـــان ، والبركـــان يقـــذف فـــوق جبهتنـــا ركامـــه
والـــشعب ينتظـــر الخـــلاص ولا رجـــاء ولا علامـــه
حتـــام يـــضربنا العـــدو ونحـــن نقنـــع بالظُلامـــه ؟
وإلام تخـــدعنا الحلـــول وزيـــف بارقهـــا ، إلامـــه ؟
ويجيئنـــا أهـــل الوســـاطة بالمخـــدر والكمامـــه ؟
ويزورنـــا رســـل الـــسلام ونحـــن نؤكـــل كالحمامـــه ؟

❖ ❖ ❖

هـــذا حزيـــرانٌ يعـــود ومـــا رأى الجـــرح التئامـــه
لـــن يغفـــر التـــاريخ زلتنـــا ... إذا كتـــب اتهامـــه
سيـــضمنا القفـــص الكبـــير غـــدا ويُلزمنـــا أثامـــه
ويزيـــل زيـــف وجوهنـــا ويـــزيح عـــن كـــل لثامـــه
ويقـــول : ذاك هـــو الجـــزاء وتلـــك عاقبـــة الوخامـــه
نحـــن الألى اخترنـــا الهزيمـــة ... بالتواكـــل والفدامـــه
مـــا كـــان أعظـــم شـــعبنا وأعـــزه في الـــدهر هامـــه
لـــو كـــان مـــشرقه ومغربـــه ... معـــاً عقـــدا رتامـــه
ولـــو أن وحـــدة مـــصر والـــسودان ... قـــد شـــدت زمامـــه
ولـــو أن أبنـــاء الخلـــيج حملـــوا بزيتهمـــو صـــمامه
ولـــو أن لبنـــان الـــشقيق رأى عروبتـــه دعامـــه
ولـــو أن وادي النيـــل يـــوم ... العـــار لم يفقـــد شـــآمه
ولـــو أن رهـــط الانفـــصال كبـــا ولم يطلـــق ســـهامه
ولـــو اجـــتلى الـــيمن التـــآمر خلـــف مهزلـــة الإمامـــه
ولـــو أن حـــول البيـــت مـــن نـــادي إلى الجُـــلَّى نيامـــه
ولـــو أن كـــل مـــسوّد أولى لوحـــدتنا اهتمامـــه

ولـــو أن كـــل موكـــل بـــالحكم لم يفـــسد نظامـــه
ولـو أنـه أبقـى عـلى الدسـتور ... بالـــشورى احترامـــه
ولـــو أنـــه اختـــار الرجـــال مـــن المعـــادن لا القمامـــه
ولـــو أننـــا لم نعـــترك حـــول الرئاســـة والزعامـــه
ولـــو أننـــا قمنـــا إلى النقـــد ... الكـــريم بـــلا ملامـــه
ولـــو أننـــا لم نُخـــفِ أسـبّاب ... الهزيمـــة كالنعامـــه

❖ ❖ ❖

يـــا إخـــوتي في الله مـــلّ ... الـــصبر واكتـــوت الـــسآمه
هبّـــوا إلى العمـــل الفـــدائي ... المتـــوج بالـــشهامه
هبـــوا وكونـــوا كلكـــم «فتحـــاً» تـــرى الـــدنيا ضرامـــه
فتحـــاً يـــدك عـــدوكم فتحـــاً يزلـــزل مـــن أقامـــه
فتحـــاً ، إذا عـــشتم رفعـــتم في الحيـــاة أعـــز هامـــه
وإذا قـــضيتم فالـــشهادة صـــككم يـــوم القيامـــه

❖ ❖ ❖

يـــا فـــتحُ ، يـــا نَفَـــس الإلـــه ويـــا مرجّعـــة كلامـــه
يـــا غـــضبة الليـــث الهـــصور إذا الكـــلاب غـــزت أجامـــه
طلقاتـــــك الحمـــــراء في ســـمعي منغمـــة الرخامـــه
يـــا مـــن نـــذرتِ إلى حمـــاك صـــلاة جمعـــك أو صـــيامه
مـــن كـــل معـــسول الـــشباب ويـــين جنبيـــه أُســـامه
يمنـــاه تـــسبق ســـيفه وجراحـــه تجلـــو وســـامه
تخـــذ الـــدماء ثيابـــه ودخـــان مدفعـــه خيامـــه
ورضـــا العنايـــة خبـــزه ودعـــاء أمتـــه أدامـــه
وجمـــاجم الأعـــداء كؤوســـه ... وأدمعهـــم مدامـــه

يا فتح يا درب الشهادة	يا مجلجلة الكرامه
ارمي بجند الله خصم	... الله وانتزعي حسامه
واستقبلي العدوان بالعدوان	... واقتحمي زحامه
إن هلّ صبح فاحرميه	... النور ، بل كوني ظلامه
أو حلّ ليل ، حرميه	بحد سيفك أن ينامه
لا تجنحي للسلم إلا	إن ختمت به انهزامه
وتركته شبحا يجرّر	في تراجعه حطامه

❖ ❖ ❖

يا رب ، هذا الجيش جيشك	... فارْضَ عنه وكن عرامه
يا رب ، هذا الشعب شعبك	فاحمه من كل ضمامه
يا رب ، هذا القدس قدسك	... فامحُ من بالذل سامه
يا رب ، هذا الدين دينك	... فاسقه أندي غمامه
يا رب ، ما ساءت حكاية	بدئه ... أحسِنْ ختامه

❖❖❖

الأخطل الصغير

أين الهوى والخمر بعد رواحه ؟ أتراهما حُملا على ألواحه ؟ [1]

أقبلتُ ، ما ألفيتُ في لبنان ما عُودتُ من دَدِةٍ ونشوة راحه

العهد من لبنان أبيض كأسه والأحمر الخدين من تفاحه

والبشر يلمع في وجوه رجاله والسحر يرّقص في عيون ملامه

والأرز مخضل المظلة وارف والثلج كالتيجان فوق طلاحه

والليل يضحك ، والقلوب حفية تجلو ببهجتها سواد وشاحه

والبحر يحتضن الجبال كعاشق يزهي برملته ولطف جناحه [2]

والنبع مختال على نظرائه بصفاء رونقه وخضرة واحه

وكأنما بيروت عرس دائم تتحدر الأنوار من أفراحه

والدابكات الفاتنات عرائس يخطرن في زهو الصبا ومراحه [3]

والعيش أنسٌ والمحافل بهجةٌ في جلوتي فيروزه وصباحه [4]

واللحن مؤتلق برحبانيه ووديعه وهنائه ونجاحه [5]

وظريف زحلة ، فيلسوف زمانه يكسو لواذع جده بمزاحه [6]

وأنا على «الفوار» أحتضن الربي في فرحة الطفل الكبير بداحه [7]

و «أبو وداد» في صفاء وداده وجمال صحبته وحلو سماحه [8]

عيناه مرآة الجمال ، وقلبه مأوى صبيحات الحمى وصِباحه

(*) قيلت في تأبين الأخطل الصغير «بشارة الخوري» في بيروت سنة ١٩٦٨ .

(١) إشارة إلى بيته المأثور :

ولد الهوى والخمر ليلة مولدي وسيحملان معي على ألواحي

(٢) الرملة والجناح : من شواطئ بيروت .

(٣) الدابكات : راقصات الدبكة .

(٤) فيروز وصباح ، شاديتا لبنان .

(٥) إخوان رحباني ، ووديع الصافي ، وهناء الصافي ، ونجاح سلام .

(٦) ظريف زحلة : نجيب حنكش .

(٧) الفوار : فوار انطلياس ـ الداح : ما يعلل به الطفل ليبتهج .

(٨) للأخطل الصغير ابنة حسناء ، اسمها وداد .

هو ذاك لبنان، كما خلفته ... بعد انفضاض المهرجان وساحه
وتربع الملك الذي توجته ... وعقدت عهد الصولجان لراحه [1]
مالي أتيت اليوم أنشد داره ... في شوق ملهوف الهوى ملحاحه
فإذا النعي ينوح بين طلولها ... وإذا البلى يعوي بسود رياحه [2]
وإذا خرائبها تسائل من أنا ؟ ... من ذلك الشادي برجع نواحه ؟
أنا عين قاهرتي، أتيت بدمعها ... أبكي مصاب الأرز في صداحه

❖ ❖ ❖

يا إخوتي في الأرز، ما لبنانكم ؟ ... ما وجه فتنته وسحر بطاحه ؟
ما سر وشوشة الجبال بسمعه ... وتهافت الدنيا على أمداحه ؟
أترونه في اللهو يختلب الرؤى ... إما التقى محظوره بمباحه ؟
أبشارع الحمراء في أضوائه ... وروائه وضجيجه وصياحه ؟
أم في نوادي الليل تجتذب الألى ... ظلموا جمال الليل من سوّاحه ؟
أم في رحى الملهى الكبير إذا ازدهى ... بموائد خضر على رحراحه ؟
أم في الدنانير التي يشقى بها ... العابرون البحر من نزّاحه ؟
لا تظلموا لبنان، إن جباله ... لأجل من أن تستوي بسطاحه
والله ما لبنان لبنان، ولا ... طابت أجنّته بطيب لقاحه
إلا بفضل الحرف في تاريخه ... وبلمسة الإلهام في أرواحه

❖ ❖ ❖

والله ما لبنان لبنان، على ... ما أخضل من وديانه وطلاحه
إن لم يعد الشعر أشرف ذخره ... والقمة الشماء من أرباحه

❖ ❖ ❖

الشعر ... لا الشعر الجديد وما نرى ... من هزله وهزاله وكساحه
الشعر بحر مائج الإيقاع، لا ... يدنو لشاطئه سوى ملّاحه
الشعر قافية ترد سماؤها ... من لا يحلق في العلا بجناحه

---

(١) إشارة إلى المهرجان الكبير الذي أقيم ببيروت سنة ١٩٦٤ لتتويج الأخطل الصغير وكان لي شرف تمثيل جامعة الدول العربية ومجلس الفنون والآداب وشعراء مصر.

(٢) من أسف أن دار بشارة الخوري هدمت قبيل وفاته، بدلا من أن تبقى متحفاً لذكراه.

الشعر من لغة الملائك جرسه ... وخلاخل الفردوس من أوضاحه
الشعر في بيت الخليل، ربابه ... عاص على المحروم من مفتاحه

❖ ❖ ❖

هذا الذي زهد الحياة وزيفها ... إذ بات ساح الخلد رحب سراحه
والجنة الفيحاء بعض رياضه ... والسدرة العصماء من أدواحه
هذا المحلق في السماء بني لكم ... مجدا يحار المجد في إيضاحه
أرسى لكم بالشعر ما لم يُرسه ... متغطرس بسيوفه ورماحه

❖ ❖ ❖

يا إخوتي في الأرز، إن أحببتمو ... تكريم سيرته وطيب نفاحه
لا تنكروا الفصحى، فما لبنانكم ... عالي الذرا إلا بفضل فصاحه
لا تنكروها، إن دارج قولكم ... كالماء، يمزج نكره بقراحه
أم اللغات، وفي عزيز تراثها ... ما أذهل الفقهاء من شَرّاحه
الأخطلان تطلعا لسمائها ... فمشت لكل منهما بطماحه
لغة إذا أحسنتها ألفيتها ... أحلى من العنقود في أقداحه
تختال موسيقى وترقص رقة ... وتبين سحر القول في إفصاحه
أرسي بها «شوقي» دعائم عرشه ... وجرى بها «مطران» في مرماحه
وسقى «الأمين» بها تراب خميله ... فزكت على الباروك نضر أقاحه
لغة الكتاب وترجمان رسوله ... والمنحة الغراء من منّاحه
ورسالة الفتح المبين وجنده ... وتميمة الإعجاز من فتّاحه
فضحتْ مُسيلمة الكذوب، وبيّنت ... زيف المصنف في حديث سجاحه
لو أدركت عهد المسيح لبوركت ... بالطاهر القلميّ من إصحاحه
لبنان جملها وزاد ربابها ... وترا ونضرها بنضرة واحه
فضلَ اليسوعيين في تاريخها ... صفحاتهم تغنيك عن إيضاحه
ملأوا البيان معجما وروائعا ... لم يُسدها البلغاء من أقحاحه

❖ ❖ ❖

يا صاحب «البرق» الذي بهر النهى ما نمنمته يداك من لماحه[1]
قاومت عهد الترك في جبروته وغمست عودك في دما سفاحه[2]
ولعنت ليل الانتداب وما جرى لقضية الأحرار من أشباحه
ونظمت للشرق الجريح ملاحما مشبوبة كانت ضماد جراحه
وسألت أبناء العروبة أن يفوا حق الحياة وبأخذوا بصراحه
وكشفت للوطن الكبير وأهله ما اغتال رأس المال من فلاحه
حتى انتفضنا في الحمى وجواره نضفي على الفقراء فضل شحاحه
هدف الرسول من الزكاة وفرضها والناصريّ ببره وسماحه

❖ ❖ ❖

يا صاحب «البرق» القضية لم تزل والشر لم يفتأ حبيل براحه[3]
كم مرة زحناه عن شرفاتنا فاحتال حتى عاد بعد زواحه
ليقيم إسرائيل بين جنوبنا وكأنها في الشرق بنت سفاحه
ويشيع فرقتنا ويضمن خلفنا ويرى خسائرنا لقاء رباحه

❖ ❖ ❖

قم يا بن عبد الله واتل قصيدة للشعب تحيي فيه روح كفاحه
وإذا الحمى طلب الخلاص مؤثلا فسلاحه الأقلام قبل سلاحه
انشر كتابك في الجهاد وخله هديا يسير الركب في مصباحه
رأهب بقومك ينصتوا لنصيحتي هل يغضب المجروح من جرّاحه ؟
لن تصلح الأقدار من هفواتنا ما تقصر العزمات عن إصلاحه
هذا عدو الله في عتباتكم عاوٍ يهددكم بطول نباحه
ويعد للعدوان إن لم تعملوا لزوال شرته وكبح جماحه
أنتم من الوطن الكبير جفونه وكساء عزته وغمد صفاحه
ردوا بهمة «حلوه» و «جماله» أيام «خالده» وعهد «صلاحه»[4]

(١) البرق : صحيفة كان الأخطل الصغير يصدرها قبل استقلال لبنان .
(٢) السفاح المعروف جمال باشا .
(٣) حبيل براحه : أي كالأسد المستشري .
(٤) حلوه : شارل الحلو رئيس جمهورية لبنان يومئذ وجماله: جمال عبد الناصر، خالده. خالد بن الوليد ، صلاحه: صلاح الدين الأيوبي.

محمد فريد

أيها الثائرون في كل عصر ... أيها الباذلون من أجل مصر
كل ثوراتكم بنات لأخرى ... نفحت جيلها بأطيب ذكر
ما نهضتم للمجد لو لم تهيئ ... لكمو بالفداء أكرمَ جسر
رحم الله في الزمان أوانا ... كان فيه الجهادُ من غير أجر
رحم الله في الرجال رعيلا ... عاش ثواره كرهبان دير
استخفت صدورهم بالمنايا ... فأثاروا الدماء في كل صدر
ثورة بعد ثورة ما ابتغوا منها ... سوى البر بالتراب الأبر
ثورة السيد النقيب الذي اطلع ... بعد الظلام أول فجر
بورك اليوم، يوم قال: «أنا الشعب ... ولا يملك المقاليد غيري
وأولى الولاة باسمي، أنا الشعب ... وهذا حماي والأمر أمري»
وعرابي، وهل نسيتم عرابي ... الذي علم الرجال التجري
وتحدي الأمير في ساحة القصر ... وما ريع من أمير وقصر
قال: «فيم استعبدتم الناس، هل في ... الناس إلا ابن حرة وابن حر؟»
وزعيم الشباب، أكرم من قال: ... «بلادي، وأنت عزي وذخري
لك حبي ومهجتي وفؤادي ... لك تجري دمي وزهرة عمري
إن أرُم فرحة فإنك عرسي ... وشبابي إلى ترابك مهري
أيها الشعب، لا حياة مع اليأس ... فخل الآمال كالنيل تجري
أنا لو لم أكن من المهد مصريا ... بروحي وددت لو كنت مصري»
ثم سعد، وكيف ينكر سعد ... وهو في الخالدين قمة عصر
وأبو ثورة تجلىَّ بها الحق ... تجلى الإيمان في يوم بدر
يا رواة التاريخ، أما كتبتم ... قصة النيل بين مد وجزر

(*) قيلت في في نوفمبر سنة ١٩٦٩ في ذكرى مرور خمسين عامًا على استشهاد الزعيم الطاهر محمد فريد، بدار الأوبرا المصرية.

فـــاذكروا في الكتــاب أن فريـــدا ... كـــان في الثـــائرين آيـــة طهـــر
لفــظ الجــاه والمناصـــب للحـــق ... ... وأوفي لـــه بـــأشرف نـــذر
لـــبس القيـــد صـــابرا دون ذنـــب ... وأتي الـــسجن كـــابرا دون وزر
وأبي العفـــو منّـــةً مـــن أنـــاس ... اضـــمروا للـــبلاد خطـــة نكـــر
وهـــب العمـــر للجهـــاد مقـــيما ... وشريـــدا يـــسعى بـــلا مـــستقر
راضـــيا مـــن كفاحـــه بحـــصاد ... للأمـــرّيْن مـــن جحـــود وفقـــر
وقـــضي في اغترابـــه ، لم يـــشيَّع ... بـــصلاة ، ولم يـــودَّع بـــشكر

❖ ❖ ❖

أيلومـــون أنـــه هجـــر القطـــر ... وأمـــسى يـــصول في كـــل قطـــر
طائفـــا بالـــديار يـــستنهض النـــاس ... ... لكـــي ينـــصروا قـــضية مـــصر ؟
مـــا قـــام المجاهـــدين إذا مـــا ... وَلِيَ الأمـــر كـــل فـــدم وغـــر ؟
الرســـول الكـــريم هـــاجر مـــن مكـــة ... ... لمـــا غـــدتْ بـــدعواه تُـــزري
إنـــما هجـــرة إلى غايـــة الله ... . لخـــيرٌ مـــن قعـــدة رهـــن كفـــر
وإذا الطـــير لم تـــسعه مغانيـــه ... ... هفـــا للغنـــاء في أي وكـــر
ليـــت شـــعري ، مـــاذا أغنيـــه للنـــاس ... ... إذا حفـــت القيـــود بـــشعري ؟
فـــإذا مـــا انطلقـــتُ أوقـــظ قـــومي ... مـــن بعيـــد ، فكيـــف ينكـــر عـــذري ؟
وإذا الأرض أظلمـــت واكفهـــرت ... هـــل يـــلام امـــرؤ إلى الـــشمس يـــسرى
ليـــزيح الـــضباب عنـــا ، ويلقـــي ... بـــشعاع في جونـــا المكفهـــر ؟
وإذا النـــسرّ إن أصـــيب بـــسهم ... أمـــن الـــسفح فهـــو لـــيس بنـــسر
وإذا العمر ضاع في الصمت والكبت ... ... فميزانـــــه قلامـــــة ظفـــــر

❖ ❖ ❖

يـــا أخـــا مـــصطفى ، عليـــه ســـلام ... يـــوم تـــذكارك الجليـــل الأبـــر
يـــا نبيـــل الخـــصال في غـــير زهـــو ... وكبـــير النـــضال في غـــيرِ كـــبر
لَعزيـــزٌ والله أن تقبـــل الـــذكرى ... ... ومـــلء القلـــوب حرقـــة جمـــر
قـــم تلفـــتْ إلى الوجـــوه وحـــدِّق ... لا تجـــد في الوجـــوه بـــسمة ثغـــر
قـــم تطلـــع إلى العيـــون ، تجـــدها ... ظامئـــات تطـــل في عمـــق بئـــر

قم تساءل متى الخلاص، يجبك الحي ...في كل بقعة : لست أدري
قمة النائبات أنا خرجنا ورجعنا من الجهاد بصفر
كلما أزهق النضال احتلالاً مُني الشعب باحتلالٍ أمر
خرج الإنجليز ليلة قدر فدهانا اليهود ليلة غدر
واستخفوا بنا ثلاثة أعوام ... تقضت كأنها ألف شهر
ووقفنا نقول يا رب لطفاً وقفة النادمين في يوم حشر
فعسى أن تكون ذكراك فألا مشرقا بالمنى ومقدم خير
واندفاعا لثورة في حنايا فتية من فراعين النيل سُمر
وعلى رأسهم فتى ألمعيّ صبوة النيل بين جنبيه تجري
حسبنا منه أن عزم صلاح الدين ... في قلبه وإيمان عمرو

❖ ❖ ❖

يا أبا خالد، وذكرك يحلو كلما مر عيشنا بين مر
قد عرفناك، لا يهدك اليأس ...ولا تزدهيك نشوة نصر
وعرفنا فيك الصعيدي، إمّا مسه الضر فاستمات لثأر
فاحتضنّاك والظلام محيق ونصرناك يوم تسع وعشر
وعقدنا عليك آمال شعب لم يعد في احتماله أي صبر
لا تُرجَّ الخلاص من مجلس الأمن ... ولا من حوار بيض وحمر
إنه مسرح طويل المآسي كل لون يقوم فيه بدور
إنه مسرح، ونحن الضحايا في مدار من العدالة قفر
أنت واعدتنا، ووعدك صدق أن ترد التراب شبراً بشبر
إن تكن خيبر القديمة عادت تخرق الأرض من غرور وكبر
فاتبع خطة الرسول مع الشرك ... وورودُ السيوف من كل حبر
وتوكل على العناية واجعل أرضنا لليهود أوسع قبر
أن أرضا ترابها عربي لمن العار أن تحل لعبري
قم فأذّن في المؤمنين، وبشّر أن بعد الظلام أروع فجر

بنك مصر

لبيك يا ملك البنوك وكيف لي ألا ألبي
وأنا المدين لراحتيك بكل عاطفتي وحبي[1] ؟
أو ما بدأت بك الخُطا ؟ أو لستُ من أبناء «حرب» ؟
أو لم يقم هذا البناء على يدي أنا وصحبي
أو لم أقف في كل شبّاك وناصية ودرب ؟
أو لم أفتش في خزائنك الكبار بغير حُجب ؟
أو لم تهبني خير ما يهب الحبيب إلى المحب ؟
أو لم تعلمني الذي جهلته جامعتي وكتبي
فظفرت منك بثروة في الروح رغم خلو جيبي
وخرجت منك ورأسمالي الكبرياء ، وذاك حسبي ؟

❖❖❖

العفو يا ملك البنوك وقد هجرتك دون ذنب
وأنا وأنت على شفا العشرين ، في عهد التصبي
ووهبتُ عمري للصحافة وهي بالأضواء تسبى
لكنْ حفظت لك الوفاء بقلب مفتون وصب
حتى دعوتَ ، فجئتُ أشرب يوم عيدك خير نخب
وكم انتفعت بفلسفاتك بعد أن قاربتُ شيبي
ونعمتُ منك بمنهل من حكمة الأرقام عذب
وأنا أرى الأيام لا تنفك في شد وجذب
فذكرت أن الحظ جارٍ بين إيداع وسحب

(*) قيلت في الاحتفال الكبير الذي أقامه بنك مصر سنة ١٩٧٠ بمناسبة مرور خمسين سنة على إنشائه وفيها إشارة إلى بدء الشاعر حياته في بنك مصر عقب تخرجه في كلية التجارة سنة ١٩٣٧ .

(١) طلعت حرب منشئ بنك مصر .

وذكـرتُ أن الـدهر مجبـول عـلى طـرح وضرب
وعرفـتُ أن الـشر لا يُرْبـى وأن الخـير يربـى
وعرفتُ أن رصيد عمري ما صنعت به لشعبي

❖❖❖

هـذا هـو العلـم الـذي لا تعتريـه ظـلال ريـب
أو لم يكـن «حـرب» العظـيم لنـا المعلـم والمربي
طـوبى لـه فيهـا أقـام بهمـة وعلـو كعـب
لمـا رأى شـوك الغـضا متـوغلا في كـل جنـب
ورأى المغـانم للأجانـب والحظـوظ لكـل غـربي
ومـوارد البلـد الخـصيب كأنهـا أبقـار حلـب
يشقى بنوه الكـادحون . وغـيرهم يجني ويجبي
ورأي الـديار كرقعة الشطرنج في عبث ولعـب
ملـك يكـش من العدا ووزيـره مـن غـير لـب
ودُمـى يحركهـا الهـوى مـن كـل نفعـي وخـب
والنـاس في هـذا الـضياع يهللـون لكـل حـزب
ومـصيرنا كـالريش تدفعـه الريـاح مـع المهـب
لمـا رأى تلـك الـضلالة، والـبلاد تـصبح وينبـي
وقـف الـزعيم العبقـري يـصيح : يـا أهـلي وتـربي
المجـد كـم يشقيه أن يحيـا الـضلال بغـير شـجب
المجـد لم يخلـق لانجـار ولم يكتـب لخـشب
المجـد لا يرضـيه أن تبقـى الـصدوع بـدون رأب
المجـد لا يـأتي ونحـن ضـحيتا سـلب ونهـب
المجـد بالعمـل المفكـر والمخطـط والمعبـي
المجـد أن أسـعى وأصـنع مغـربي وأخـيط ثـوبي
وأطـالع الـزمن الجديـد بكـل فـن مـستحب
وأخـوض في مـائي وأجـوائي بأسـطولي وسربي

المجد أن أبني الحياة على اقتصاد مستتب
والمجد إرث سلالتينا من فراعنة وعرب
المجد للهرمين والحرمين ، والتاريخ يُنبي

❖ ❖ ❖

ومضى تباركه العناية يستهين بكل صعب
ويُسيل رأس المال بعد جموده في عمق جب
وسعي به يبني الجلائل في عناد المشرئب
ويشيد أركان الصناعة في مبادرة ودأب
ويعز مصر ويسترد حقوقها من كل ذئب
ويقودها للنصر في جيش من العمال لجب
ويرد غلة كل ظمآن ويشبع كل سغب
ويشيع أنفاس الحياة وعطرها في كل جدب

❖ ❖ ❖

قم يا أبا الثوار وانظر ما غرست بخير تُرب [1]
واقرأ على «رشدي» السلام»،وحيّه من كل قلب
والمخ خُطا الخمسين كيف تسير من كسب لكسب
وانظرْ مواكب فتية من صفوة الأحرار نجب
وثبوا لحق بلادهم يوم الكريهة خير وثب
في ثورة سارت لنصرة أهلها بأعز ركب

❖ ❖ ❖

انظر وسل : من ذلك العملاق من أبناء شعبي ؟
هذا جمال ، فديته بجوارحي وشغاف قلبي
ومشى إليه النصر مؤتلق الخطا ، وحماه ربي

(١) المرحوم محمد رشدي ، خليفة طلعت حرب وزوج ابنته ، وكان قد حمل رسالته حتى استشهد في حادث سيارة بالكويت .

فريد الأطرش

يا بن الأباة الطيبين المتمين إلى الإمام
وأشاوس الجبل الأشم العازفين عن الأثام
أنعم بقوم أنت منهم رمز معشرك الكرام
أكرم بهم ، وهل الفروع عن الأصول لها انقسام؟
قومٌ لهم بالدين والأخلاق والمُثُل اعتصام
ولقد لمستُ من الدروز أرق أخلاق الهُمام
ووجدت فيهم عزة العربيّ ذي الطبع الهمام
ولقيت «سلطان» العظيم أبا البطولات العظام
وعرفتُ ما للفن في الجبل الأشم من احترام
وذكرتُ أختك «أسمهان» فغالني دمعي وغام
كانت محاسنها كلفح الطيب أو فيض الغمام
أخلاقها نبع الصفا وهديلها سجع الحمام
وحديثها همس النسيم وحسنها البدر التمام
عاشت معذبة الشباب من البداية للختام
وذوتْ كما تذوي البراعم وهي ناعمة القوام
وغدت على شفة الزمان شذي يفوح على الدوام
ويعطّر الدنيا بأنغام المحبة والسلام

❖ ❖ ❖

(*) قيلت في الحفلة التي أقامها له معهد الموسيقى العربية في ربيع سنة ١٩٧٠ بمناسبة إنعام الرئيس جمال عبد الناصر عليه بوسام الاستحقاق .

يا صاحب الأخلاق عاطرة كأنفاس الخزام
تجزي الصداقة بالصفاء وبالوفاء وبالوئام
وتقابل الحقد المؤجج بالسماح والابتسام
والفن والأخلاق كالعينين ، فهي له تؤام
إن عاتبوك تشوقا إذ غبتَ عاماً إثر عام
قم قل لهم إني رجعتُ فلا عتاب ولا ملام
أو بادروك على اغترابك بالوقيعة والخصام
قم قل له أنا وحدويّ الروح أنكر الانقسام
لا فرق عندي بين قاهرة وبيروت وشام
أو آخذوك على ابتعادك والمعارك في احتدام
قم قل لهم أنا ما انسحبت ولا خفرتُ لكم ذمام
قم قل لهم بيني وبين النيل أغنية الغرام
غنيتُ في أفراحه ومراحه أحلى الكلام
وبكيتُ في أتراحه ونواحه دمعاً سجام
ووددتُ لو كنت الفداء له صبيحة الالتحام
وحسدتُ في مرضى الألى من أجله حملوا الحسام
ودعوتُ للبطل الزعيم بالانتصار والانتقام
وهتفت للشعب العظيم إلى الأمام إلى الأمام

❖ ❖ ❖

يا خير من أثرىَ به الموال وازدهر المقام
طوّفتُ من شط المحيط إلى الخليج مع الأنام
وتخذتُ لي في كل بادية وحاضرة مقام
فسمعتُ شدوك في المنازل والمضارب والخيام

ولمستُ حبك في الرباط وفي العراق وفي الشآم
ووجدتُ سحرك في القلوب ألذ من سحر المدام
وشهدتُ من يدعو إليك بجانب البيت الحرام
فاسعدْ بحب الناس موصولا وغنِّ على الدوام
وإذا تعبتَ من السقام فشُعلة الفن السقام
وإذا خشيتَ الضيم فاعلم أن مثلك لا يُضام
وإذا شكوتَ صمام قلبك خُذْه من قلبي صمام



يا ساهراً بالليل في مغناك والدنيا نيام
تشدو بألحان الخلود وقد ملكتَ بها الزمام
وتعانق العود الحبيب عناق صب مستهام
وتنمنم الآهات في لطف وأنس وانسجام
وتعز قومك بالليالي البيض في حلك الظلام
دوري ودورك في الجهاد وفي مسارحه لزام
والفن زادٌ للورى قبل الشراب أو الطعام
ولربَّ شعرٌ وقعُهُ في الحرب كالموت الزؤام
ولربَّ لحنٌ في الصراع أشد من وقع السهام
والفن معركةٌ ونحن لهولها الجيش اللهام
الفن معركةٌ على الأيام ضارية الضرام
يفني بها العمل الهزيل وينطوي بين الرغام
ويخلِّد الأثر الأصيل ولا يضيع مع الزحام
فانعمْ بأنعام الرئيس وحلِّ صدرك بالوسام
واسلمْ بقلبك يا فريد وعش بفنك ألف عام
ولك المحبة والمودة والتحية والسلام

في دواع جمال عبد الناصر

نحن أولى بالرثاء

أسمع الإسراء نادتْه السماءُ ؟ ... كِدْتُ أن أحسبهُ في الأنبياءْ
عَلَتْ الطائرةُ الثكلى به ... فتخيَّلتُ بُراقًا في السماء
كدتُ أن أسمع في موكبه ... نغَمَ الأملاك يعلو بالدعاء
كدتُ أن ألمح في مِعْراجه ... طيفَ جبريل يحيّي الشهداء
كدتُ أن أشهد في آفاقه ... مشهد الجنة وعد السعداء

* * *

قلت والجثمان يعلو في السما ... إنه حياً وميتاً في علاء
وتمثلتُ مسيحا صاعدا ... أفما كان مسيحَ الزعماء
يحمل الآلام عنهم ويرى ... أنه الفادي إذا عز الفداء
صلبته لوعة دامية ... في خيام اللاجئين التعساء
صرعته محنة القتلى على ... ساحة الأردن والجوعى الظماء
طعنته يد قابيل التي ... طوت العهد وأودت بالإخاء
ذبحته نكبة العرب التي ... جددت في الناس ذكرى كربلاء

* * *

(*) قيلت يوم أول أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، وهو اليوم الحزين الذي شيعت فيه جنازة شهيد الأمة العربية جمال عبد الناصر ، الذي اختاره الله في يوم ٢٨ سبتمبر ، الموافق يوم ٢٧ رجب ، يوم الإسراء ، وقد حمل جثمانه يومئذ من قصر القبة إلى الجزيرة بالطائرة .

طـائر الأحـزان لا تنـأ بـه | إنـه كـان لنـا أحـلى رجـاء
وترفـق ... إن مـن تحملـه | كان من يحمل عن مصر العناء
كـان مـن يحنـو عـلى أمتـه | كـان مـن يـدفع عنهـا الأشـقياء
عـاش مـا عـاش فقـيرا زاهـدا | يُنكـر الأخـذ ويـدعو للعطـاء
وهـو مـن كـان بـما يملكـه | من قلوب الناس ، أغنى الأغنياء

❖ ❖ ❖

يـا فنـاء «القُبـة» استقبلْ فتـىً | لم يـزل في مجـده فـوق الفنـاء
ثـائر الثـوار نـاداه الـذي | تـسكن الـروح لـه عنـد النـداء
خـيّم الـصمت عـلى منـبره | بعـد أن كـان خطيـب الخطبـاء
وانحنينـا ، بعـد أن كنّـا بـه | نرفـع الـرأس ونمـشي الخـيلاء
حمـل المـدفعُ أمـضى مـدفع | يقهـر الـصلب احـتيالا ومـضاء
نحـن لـولا المـوت قلنـا إنـه | كـان كالأقـدار يقـضي مـا يـشاء
لـو سُـئلنا فديـةً في دمـه | لافتدتـه كـل مـصر بالـدماء
كـان لا ينطـق فينـا عـن هـوى | أو يقـول القـول للنـاس رثـاء
كـان كـالأهرام مجـدا وعُـلا | كـان كالنيـل انطلاقـا ووفـاء
كـان كالـسد شـموخا ونـدى | كـان كـالأزهر طهـرا ونقـاء
كـان في تاريخنـا أكـرم مَـن | كـرّم العلـم وزكـى العلـماء
ورعـى الفـن وحيّـا أهلـه | وحبـاهم بأكاليـل الثنـاء
وحمـى الـدين ونـادى بـالتُقي | في زمـان قـلَّ فيـه الأتقيـاء
واصـطفاه الله للعُـرب ، فـما | كـان إلا خامـسا في الخلفـاء

❖ ❖ ❖

يا أبا الشعب وباني عزه ... كلنا بعدك في اليتم سواء
لم تمت روحك فينا، بل غفت ... غفوة العابد في غار حراء
واسترحتْ في جوار آمن ... في رحاب الله خير الأمناء
غير أنَّا لن نرى الوجه الذي ... كان إن أشرق في الليل أضاء
والقوام الفارع الحلو الذي ... كبرتْ فيه معاني الكبرياء
لا، ولن نسعد بالصوت الذي ... رنّ بالحب وغنى بالإخاء
«أيها الأخوة» .. لن نسمعها ... «أيها الأخوة» ... ماتت في الغناء
بعد أن كانت نشيدا للرُّبي ... وصدى عذبا وعطرا للهواء

❖ ❖ ❖

يا حبيباً راح ما ودّعنا ... سوف نبكيك إلى يوم اللقاء
لم تجدْ في كل بيتٍ مأتما ... وعلى كل طريق بُرَحاء
ليس فينا غير مَن خرّ ومن ... غُصّ بالبلوى ومن شق الرداء
احتملنا الدهر في أحداثه ... وارتضينا منه ما سرَّ وساء
غير أنا قد وقفنا ها هنا ... وقفة التائه في ليل عَماء
نسأل الأقدار ماذا أظهرت ... من عواديها، وماذا في الخفاء
إن للرحمن في أحكامه ... حكمة يقصر عنها الحكماء

❖ ❖ ❖

كنتَ ملءِ الكون عزما وهدى ... ونضالا وجلالا وذكاء
أي داءٍ نابغيٌّ غالنا ... فيك، إلا أن يكون المجد داء
كنتَ فينا فرحة الدنيا، فإن ... هي ولّتْ، فعلى الدنيا العفاء

❖ ❖ ❖

يا رجال العهد، صونوا عهده ... إنما أنتم عليه أوصياء
وإذا مات جمالٌ، فليكن ... لوصاياه لكم طول البقاء
خلّدوها في حناياكم، كما ... تخلد الأديان بعد الأنبياء

واحفظــوا ثورتــه طــاهرة وانفضوا كل انحراف والتواء
وخــذوا العبرة منه إذ مضى يــرأب الصدع ويعلو بالبناء
واذكروا في كل فجر أنه مات بالعدوان مجروح الإباء
فاثبتوا ، لا تنزلوا عن حبة استُبيحت من رمال الصحراء
واسمعوا القدس تناديكم ، فلا تقبلوا في القدس ما دون الجلاء
لا تقولوا نحن أحرار ، إذا ظل أهلونا عبيدا وإماء
شددوا النكر على أعدائكم واطرحوا الصبر فقد فاض الإناء
نحن بادرنا إلى السلم ، وهم أنكروه ، فلنبادرْ بالعداء
شرفُ الهدنة يعفينا إذا لم يكن أعداؤنا بالشرفاء
شرف الهدنة ألا نرتضي في طريق الحل عَوداً للوراء
امسحوا الأعياد من أيامنا غير عيد لو رفضنا الصبر جاء
إنه العيد الذي يحيا له كل عيد ما خلا النصر هباء

❖ ❖ ❖

يا قضاءً نرتضيه ، بيننا نجهلُ الحِكمَة في هذا القضاء
أأعَزي في جمال أمَّةً لا ترى فيه سبيلًا للعزاء ؟
أوَ أرثيهِ بَدمعي ودَمي ؟ نَحنُ في المأساة أوْلَى بالرِّثاء
لا تلوموا عَينا في موقفٍ بات أعيا الناسِ فيه الشُّعراء

❖ ❖ ❖

٢-بعد الوداع

هَيْهاتَ أن نعرف معنى الضيّاع ... والزحف ماضٍ والأماني جياعْ
هيهات والثأرُ بأعماقنا ... يزأرُ من أعماقِه كالسّباع
ما خفّفتْ حِدّتَهُ صَرْخَةٌ ... تقتلع الأنفس أيَّ اقتِلاع
من نبأ، من فَرْطِ إعوالهِ ... حَسِبْتُهُ أكبرَ من أنْ يُذَاع
وَهَلْ يعودُ القَدَرُ القَهْقَرى ... لو أنّني كذَّبتُ فيهِ السَّمَاع ؟
وَهَلْ مِنَ الشِعْرِ عَزاءٌ لنا ... وَلَوْ جَرى بالسِّحرِ هذا اليَرَاع
إنَّ الذي دافع عن حَقِّنا ... في الكَوْنِ قد أمْسى قَلِيْلَ الدِّفَاعِ
هَوَى الذي كانَ ارتفاع السُّها ... وانهارَ مَنْ كَانَ كَشُمِّ القِلاَعِ
إرادةُ الله .. وما جهدنا ... إزاءَها إلاّ رِضاً واتصياع
إرادةُ الله قَضَتْ أَمْرَهَا ... فينا، فَقُلْنا : يا جَمالُ الوَدَاع

❖❖❖

وَمَرّتِ المحنةُ فاستنفدَتْ ... ما في الحَنايا من أَسَى والتياع
ودقَّتِ الأقدارُ .. قالَتْ لنا ... ما لِعَزيز بالدّموعِ ارتِجاع
جَمالُ قد أرسى لكُم نهجَهُ، ... ونَهْجُهُ أَوْلى بِكُلِّ اتِّباع
والعَمَلُ الصالحُ أَبقى لكم ... من كُلِّ فَرْطٍ في الأسى واندِفَاع

❖❖❖

يا زورقَ الأحرارِ قُم وانطِلِقْ ... وانشُرْ على مَدِّ الحياة الشِّراع
وسِرْ على دربِ جمالٍ، ولا ... تَهِنْ وضاعِفْ من خُطاكَ السِّراع
مسيرةُ الثورةِ لا تنتهي ... إمّا نَعَى الملاّحَ في الغَيْبِ ناع

(*) قيلت بعد الصدمة المروعة برحيل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر.

فكلّنـــا ملأّحُهـــا ، كلّنـــا   مـن غَـرسِ هـذا العبقريّ الشّجاع
وكُلّنـا مـن نيـل مـصرَ الـذي   يَـسْتَنْبِتُ الخـضْرَةَ مـن كُـلّ قـاع
وكلّنـا مـن شـمسِ مـصرَ التـي   تُطَهِّـر المعـدنَ طُهْـرَ الـشّعاع
وكلّنـا مـن أرضِ مِـصرَ التـي   كَانَـتْ عـلى التَّارِيْخ أَحْلَى انطِيَاع
مـصرُ التـي اسـتأثَر تاريخهـا   بـينَ التـواريخ بِكُـلِّ الـتّاع
فكـانَ منهـا الناسـكُ المتّقـي   وكـان منهـا العبقـريُّ الـصَّنَاع
وكـانَ منهـا الـشاعرُ المزدَهـي   بكـلِّ خُلـق محـسنٍ وابتـداع -
وكـان منهـا العـالِمُ المرتقـي   بكـلّ فـنٍّ بـاهر واخـتراع
وكـان منهـا الفـارسُ المُـنْجَلي   مـسدَّدَ الـسَّهم ، قـويَ الـذِّراع
وكـان منهـا الثـائرُ المُـجْتَرى   محطِّـم الاغـلال ، حُـرَّ الطبـاع
ولم يـزل ابنـاؤهم في الّـشرق   يمـشونَ للنـصر تِباعـاً تِبَـاع
قـد وُلِـدوا والمجـدُ في مهـدهِم   وبُوركـوا بـالوَعي عنـدَ الرّضَـاع

◆◆◆

فيـا رَعـاةَ البَقَـر اسْـتذْكِروا   مِن صُحُفِ التَّاريخ تلكَ الرِّقاع
لِتَعرِفـوا مِـنْ نَحـنُ في سَـمْتِنا   ومَـنْ عَـدَانا في ثـرَى الاتِّـضَاع
وأنّنـا لـسْنا بمـن تُـشْتَرَي   أمجـادُ حُرِيّـاتِهمْ أو تُبـاع
وأنّكُـمْ لـستُم بتـاريخِكُمْ   إلاّ رُعاعـاً تَنْـصُرونَ الرُّعـاع

◆◆◆

ويـا يَهـودَ الأرضِ لا تفرحـوا   بـالمَوْتِ ، فـالموْتُ عَلَيْنَـا جُمَـاعْ
لا تَحْـسَبُوا أنَّ « جمـالَ » انتهَـى   فَـوُوِرِيَ الحـقّ ، وفُـضَّ النّـزَاع
فَكُلنـا مـن ذاتـهِ .. كلّنـا   « جمالُ » في الشّدَّةِ ، عندَ الصِّرَاع
ثلاثـةُ الأعـوامِ مَـرَّت ، فَهَـلْ   فـزتُمْ مـن الغُـنْم بِـأيّ انْتِفَـاع ؟
وهَـلْ نَعِمـتُمْ بِـسَلامٍ ، وَهَـلْ   ذُقْتُم بهـذا النّـصرِ طَعْـمَ المَتَـاع ؟

هـل هَـدَّتِ النَّكْسَةُ أركانَنَـا ... أم زوَّدتْنَـا عِـزَّةً وامْتِنَـاع

هـل روَّعَـتْ بـالخوف أوصالنا ... أم علَّمَـتْكُم أنَّنـا لا نُـراع

صـوتُ الفـدائيين لَمَّـا يَـزَلْ ... يُجَلْجِـلُ في أرؤسِـكُم كالـصّداع

وَلَمْ يَـزَلْ وَعْـدُ صـواريخنا ... لَكُـم ، يُمنّيكُم بيـوم ارتبـاع

هيهـاتِ أن نَنْسَى وَصَحْرَاؤنا ... مـآتِمُ للـشُّهَدَاء اليَفَـاع

هيهـاتِ أن تَنْسَى وخَيَّاتُنـا ... مـذابحُ اللّاجئـينَ الجِيَـاع

هيهـاتِ أنْ ننسى ، وَجُولانُنـا ... مقـابر تـسبَحُ فيهـا أَفَـاع

و « الـضفّةُ » الـشّماء مجروحـةٌ ... والقيـدِ والـذّلُ لأهـلِ « القِطَـاع »

❖❖❖

يـا مَـنْ هَـصَرْتُم زهرنـا في الرُّبـى ... يـا مَـنْ جنيـتُم غَرْسَـنا في الضّيَاع

وَمَـنْ مَلأْتُـم صـدرَكُم بـالقِلَى ، ... ومـن كَـسبتُم حـربَكُم بالخِـداع

الجولـةُ الأولى انتهـتْ ، فاصْـبِروا ... للجَوْلَـةِ الأخـرى ، وصَـاعاً بِصَاع

قَـضَتْ يَـدُ الله بِتَـبشيركُم ... ومـا لِـشَمْلٍ فَرَّقَتْـهُ اجْـتِمَاع

غَـداً سـيهوي نَجْمُكُـم في الثَّـرى ... وسـوفَ يَبْقَـى نَجْمُنَـا في ارتِفَـاع

❖❖❖

٣-أغنية على قبر البطل

يــا حبيــبَ الــشعب أبكــى أم أغنَّــى

والأسى أكبر مَني

والــشجي أعمــق مــن صــوتي لحنــي

كيف أبكى وأغني

❖ ❖ ❖

كنتَ للأمة هَدياً

كنــت تــستنبت فيهــا مُــثُلاً للخــير عليــا

كان في صوتك دنيا

تمــلأ الأســماع والأبــصار إيمانــا ووعيــا

كنت إلهاما ووحيا

ترســم الــدرب لــشعبٍ شــاء أن تحيــا ليحيــا

غــير أن الــدهر خــلاًف التمنــي

فــأعني أيهــا الــصبر أعنِّــي

كيف أبكي وأغني ؟

❖ ❖ ❖

أيها الراحل عنا

سـوف يبقـى اسـمك في الوجـدان تاريخـا يُغنَّـي

نَمْ كريما مطمئنا

نحــن مــن بعــدك لــن نُبقــيَ للنكــسة معنــى

وعلينا العهد إنّا

سنؤدي في طريق النصر ما يرضيك عنا
وسنمضي نزرع الخير ونجني
وعلى هديك نستوحي ونبني
وبذكراك نغني

❖ ❖ ❖

أيها الحيّ المُسجّى
لم يزل دربك للأيام دستورا ونَهجاً
فإذا ما الليل أدجى
التمسنا من بطولاتك إشعاعا ووهجا
وجعلنا محجًّا
ووجدنا في وصاياك لنا العهد المرجَّى
لخطي المستقبل الحلو الأغنّ
في الغد الحر الكريم المطمئن
حيث نحيا لنغني

سنغني ... سنغني ... سنغني

❖❖❖

٤-إلى شريكة المجد

أم خالد

لكِ يا من جرحها أعمق جُرح في الأيامى
نسأل الرحمن صبرا وعزاءً وسلاما
لستِ في فقدانه وحدك وجداً واضطراما
كلنا مثلك يا أختُ ... ثكالي ويتامى
ليس فينا منذ يوم الخطب مَن جفناه ناما
ليس فينا أملٌ بالخطب لم يغدُ حطاما
كلنا نبكي ، ولا ننقع بالدمع الأواما
كلنا جرحَى ، ولا نعرف للجرح التئاما
أفما شاهدتِ يوم الهول كالحشر ازدحاما ؟
أفما أبصرتِ وجه الشمس إذ ألوى وغاما
ورأيتِ الأفق إذ يلبس للخطب القتاما ؟
كان أقسى من ضحى النكسة شؤما وانهزاما
كل نفسٍ فقدتْ في يومه النصف التوآما
وتمنتْ في حنايا النعش لو نامت وقاما
كانت الناس على النعش قلوبا تترامى
وتُنادي : لم لا يُحييه من يحيي العظاما ؟
لِمَ لا يبقيه كالنيل وكالشمس دواما ؟

(*) قيلت في ذكرى الأربعين لوفاة جمال عبد الناصر ، في الحفل الذي أقيم بدار الاتحاد الاشتراكي العربي ، في منتصف نوفمبر ١٩٧٠ ، وقد جاءت الذكرى في شهر رمضان الكريم .

ورجعنا نشرب الدمع ونقتات الرغاما
ونلوم الموت، لكن نحن أولى أن نُلاما
كم قتلناه افتئاتا واختلافا وانقساما
وكأن الله يسترجعه منا انتقاما

❖ ❖ ❖

هف نفسي وهو بالمدفع يجتاز الزحاما
كان رغم الموتَ أمضانا وأقوانا اقتحاما
كان بين الجيش يبدو وحده جيشا لهاما
كان يدعونا إلى الزحف لنزداد التحاما
ويناديـنا إلى الثأر ويُولينا الزماما
بعد ما استهلك نبض القلب جهدا وسقاما

❖ ❖ ❖

قلتُ لماّ ركبتْ طائرةُ النعش الغماما
هو لا يهبط للموت، ولكن يتسامى
أفما كان بحب الله صبّاً مُستهاما ؟
أفما كان بحبل الله أقوانا اعتصاما ؟
أفما كان لوجه الحق في الأرض حساما ؟
أفما كان على الردة للشعب صماما ؟
أفما كان من الإيمان والطهر إماما
عندما حنّ إلى الإسراء سعيا وقياما ؟
لم يمتْ من خلع الأيام ثوبا ولثاما
ومضى مُزدهياً بالعلم الغالي وساما
بعد أن علّمنا بالوعي أن نحيا كراما
أفما أيقظ للثورة أحلاما نياما
فصحتْ تحتضن النور وتجتاح الظلاما

وتـرى الـصبر عـلى الذلـة والـضيم حرامـا
وتـرى في الاشـتراكية عـدلا وانـسجاما
وصراطـا بـارك الله خطـاه فاسـتقاما ؟

❖❖❖

أيـن مما شـاده للنـاس مـا شـاد القـدامى ؟
أيـن مـن أهرامـه أهـرام مـن سـاموا الأنامـا ؟
أفمـن يبنـي حيـاة ورخـاء ونظامـا
مثـل مـن يبنـي قـصورا وقبـورا وحِمامـا ؟
أفمـن يَنـشئ للإنتـاج والخـير رُخامـا
مثـل مـن ينـشئ للمـوت صخورا ورخامـا ؟
فـترة مـن عمـر مـصر لم تـدم عـشرين عامـا
سـجلت في صـحف التـاريخ أمجـادا عظامـا
كيف لـو طالـت ولم يرصـد لهـا الموت السهاما ؟
فـترة لم نَـدرِ أهـي الـصحو أم كانـت منامـا ؟
كلنـا في حانـة العمـر سـكارى ونـدامى
نتمنـى أن يعـيش الأمـل الحلـو دوامـا
نحـسب الأبطـال لا يمـضون للمـوت طعامـا
غـير أن المـوت حـقٌّ نحـن عنـه نتعـامى
يـستوي في وِرده النـاس ، رؤوسـا وطغامـا
أي وجـه غـير وجـه الله يـا أختـاه دامـا ؟
فخـذي نفـسك بالـصبر وبالـسلوى اعتـصاما
واذكـري أن الكرامـات يـصاحبن الكرامـا
قـد مـضى زوجك في المعـراج أعـلى النـاس هامـا
وأبـى للأربعـين الطهـر إلا أن يقامـا
في ضـحى الـشهر الـذي كرّمـه الله مقامـا
فاخفـضي رأسـك لله صـلاة وصـياما
وارفعـي رأسـكِ في النـاس اعتـزازا وابتـساما

واذكـــري أن العـــلا بيـــنكما كـــان اقتـــساما
اذكـــري أنـــك قـــد عـــاصرت أحـــداثا جـــساما
كنـــت فيهـــا خـــير ركـــن بحـــماه يتحـــامى
واجمعـــي تحـــت جناحيـــك القـــوارير اليتـــامى
وابهـــريهم بحكايـــــات كأنفـــــاس الخُزامـــــى
ذّكـــريهم بـــأبيهم ... إنـــه بالمجـــد هامـــا
أنـــه أرهـــص بـــالثورة مـــذ كـــان غلامـــا
أنـــه عـــانى فلـــسطين عـــذابا وضرامـــا
أنـــه عـــاش ولم يتخـــذ الحكـــم اغتنامـــا
أنـــه مـــات ولم يملـــك مـــن الـــدنيا حطامـــا



ذكـــريهم أنـــه راح ومـــا بـــل الأوامـــا
أنـــه استـــشهد والنكـــسة لم تهـــدأ عرامـــا
وانفخـــي فـــيهم ســـعير الثـــأر كـــي يمـــضوا أمامـــا
ويهيمـــوا كـــأبيهم بـــالبطولات غرامـــا
ويـــسيروا في صـــفوف الزحـــف عهـــدا والتزامـــا
لـــترف الـــروح يـــوم الفـــتح شـــوقا وهيامـــا
ويحـــل النـــصر في القبـــة بـــردا وســـلاما
واســـلمي ، ســـيدتي ، للـــصون والطهـــر وســـاما
ســـوف ترعـــاك مـــدى العمـــر وتُوليـــك احترامـــا
أمـــةٌ لا تجحـــد الفـــضل ولا تنـــسى الـــذماما

❖❖❖

مع السادات

إلى بطل ١٥ مايو

نــاداك صــوت الواحــد الفــردِ | انفــرْ لهــم ، والنــصرُ مــن عنــدي
قــم يــا أبــا الــسادات واظفــر بهــم | واقــرأ علــيهم ســورة الرعــد
الأرض بالأعــــداء محتلــــة | والــشعب يــشكو قــسوة القيــد
وزمـــــرة الأشرار مـــــشغولة | عـــن همنـــا بالـــدس والكيـــد
قــد ماتــت الثــورة في روحهــم | وانطفـــأتْ إشراقـــةُ الوقـــد
وأصــبحوا صرعــى لأهــوائهم | مـــن كـــل مـــأفونَ ومرتـــد
يمـــشون في الأرض مرحـــا ، ولا | يــدرون مــا بالنــاس مــن وجــد
خـــزائن الأرض حـــلال لهـــم | والـــشعب لا يظفـــر بـــالأود
ومتعـــة الليـــل مـــدى جهـــدهم | وليلنـــا متـــصل الـــسهد
وشـــهوة الحكـــم مـــدى همهـــم | وهمنـــا الأرض التـــي نَفـــدي
ورأســـهم يـــسعى لأســـياده | في الــشرق يــستجدي ويــستعدي
كــانوا بغاثــا : فاســتعزوا بهــم | واستنـــسروا في الـــزمن النكـــد
داريـــتهم حينـــاً ، فلـــم يستحوا | ونـــصحتهم ، والنـــصح لا يجـــدي
أنــك لا تَهـــدي بغـــير القنـــا | مـــن يـــشترون الغـــيّ بالرشـــد
قـــم حـــرزْ الثـــورة مـــن إثمهـــم | وأقـــمْ علـــيهم غايـــة الحـــد
وقبـــل أن تقـــضي عـــلى جمعهـــم | لا تُرجـــع الـــسيف إلى الغمـــد
فلـــم تـــزل أذنـــا بهـــم تنطـــوي | مـــن خُلُـــق الحربـــاء في بُـــرد

(*) نشرت في ١٥ مايو سنة ١٩٧٣ ، احتفالا بذكرى مرور عامين على ثورة التصحيح التي قادها الزعيم أنور السادات ضد مراكز القوى.

فإن تسلْ ما لون إيمانها ... بالعهد، لم تُخفِ ولم تبد
قم طهّرْ الأوطان من رجس من ... يكفر بالله وبالعهد
هذا زمانٌ، من نبا سيفه ... في يده، تغتاله الأيدي

❖ ❖ ❖

يا بن القرى السمراء معطارة ... بالطيبة المصرية النَّدّ
إيمانها بالله تاريخه ... في ظلها متصل العقد
أبناؤها، مهما قسا عيشهم ... لم يبخلوا بالشكر والحمد
وبناتها فيهن من عرفها ... لطف الندى وطهارة الورد
وأرضها للضيف مضيافة ... وللعدا قاسية اللحد
قم يا أبا السادات لبِّ الندا ... فقد تنادت ساعة الجد
قم قومة الواثق في ربه ... طهّر فلول الغلِّ والحقد
أمامنا معركة ما لها ... إلا اتحاد العزم والجهد
وأنت فيها القائد المرتجي ... وكلنا فيها من الجند
مهما حشدنا، والقلي موغل ... في صفنا، ما قيمة الحشد؟
اجمع على الخير قلوب الحمى ... وأصدقُ الرحمن في الوعد
واختر مِن الأخيار أخيارهم ... في الطهر والإيثار والزهد
وقل لهم: أدُّوا رسالاتكم ... بالعلم والإيمان والكد
فالله لا يرضي على عبده ... إن لم ير الإيمان في العبد
ابنوا لمصر الغد مستقبلا ... أعلى من الأهرام والسد
ردوا لمصر الغد أمجادها ... ما لذة العيش بلا مجد؟
خوضوا الكفاح المر من أجلها ... تلقوه أحلى من حلا الشهد
إن عشتمو عشتمْ كراما، وإن ... متمْ كسبتم جنة الخلد

في ذكرى النقيب

مـن قـال يـا لبنـان إنـك أعـزلُ ... والحرفُ في يدك السلاح الأمثل ؟

إن دل أقـوام بطلـع حـروفهم ... فـاذكرْ لهم «قـدموس» فهـو الأول

أو حـدثوا عـن شكسبير ومجـده ... فلديك «جبران» ومنك «الأخطل»

الحـرف سـيف الله ، يهمـل تـارة ... أعـداءه ، لكنـه لا يهمـل

الله لم يغـزُ العبـاد ليؤمنـوا ... أو ضـج في ملكوتـه ليبـسملوا

بل راضهم بـالحرف ، جل سلاحه ... إنجيـل عيـسى والكتـاب المنـزل

الحـرف نـور الله ، كـل ظهـيرة ... حِـوَلٌ ، ونـور الله لا يتحـول

إن جـارت الأيـام ، فهـو ملاذنـا ... أو حـارت الأفهـام ، فهـو الفيصل

والحـرف في التـاريخ أكـرم منـزلا ... وأعـزّ مـن عمـر الطغـاة وأطـول

قد يخذل الظلمُ السيوفَ ، فينبري ... لنزالـه الحـرف الـذي لا يُخـذل

والحـرف يـا لبنـان أنـت وليّـه ... لا زلـت تـصنعه ، وغـيرك ينقـل

يـا إخوة القلـم الـشريف ، ومـا لنـا ... إلاه مـن شرف بـه نتجمـل

مـا لي أتيـت معزيـا ومواسـيا ... فمضيت من كلفـي بكـم أتغـزل ؟

أقبلـت أذّكـر النقيـب وفـضله ... فوجـدت في ذكـراه مـا هـو أفـضل

والـذكريات يـذعن مـن أخلاقنـا ... مـا كـان في سـتر التواضـعُ يُغفـل

والـذكريات أقلهـن مكانـة ... مـا يـوقظ الـدمع الـسخين ويرسـل

وأجلهـن هـو الـذي تَنـدي بـه ... بـسماتنا ويـضوع منـه الـصندل

❖ ❖ ❖

(*) قيلت في أول ينـاير سنة ١٩٧٢ ، في الـذكرى الـسابعة لوفـاة المرحـوم عفيـف الطيبي نقيـب الصحافة اللبنانية .

يا صاحب القلم العفيف ،وفي اسمه ... دستور فيما يقول ويفعل
حكّمت في «اليوم» الضمير وطهره ... فغدا له في كل قَلَبٍ قَلْبٌ منزل [1]
والصحف إن صهرت سواد مدادها ... بالطهر ، لا تسودّ ، بل تتكحل
ولكم ذكرتك فانتشيت بقصة ... نزل الردى وستارها لا ينزل
أكبرتُ في الأخلاق ما أرسيتَه ... فيما تعزّبها الحياة وتفضل
وأنستُ منك بسيرة مجلوة ... تُتلى على السير الحسان فتثملُ
وعشقتُ مجلسك الأنيس ومقولاً ... يحزن الكلام بلطفيه ويعسّل
وقَدَرتُ حبك للجمال ، وبيننا ... نسب بهذا الحب لا يتبدل
وعرفت أنك في السماحة «حاتم» ... وعرفت أنك في الوفاء «سموأل» [2]
ورأيتُ صرحا للصحافة شدتَه ... فسما وعز بناؤه المتأثل
ولمستُ لطفك في السياسة كلما ... شب الحريق بها وثار المرجل
وشهدتُ عدلك في المقال ، وقلما ... تجد المقال مع الحوادث يعدل
وبلوتُ حملك للبلية صابرا ... فعرفت صبر المؤمنين إذا ابتُلوا
وحمدت عهدك في الجهاد ، مشردا ... في الأرض ، لا تشكو ولا تتململ [3]
وذكرت ما أنذرت قومك حينما ... قدم اليهود شرذماً تتسلل
وتعد للعدوان ضربة غادر ... إذ نحن نختصر الطريق ونهزل
والغرب يحزم للتآمر حزمه ... والشرق في ملكوته مسترسل

❖ ❖ ❖

يا صاحب النظر البعيد ، تحية ... من كل قلب بالعروبة يحفل

---

(١)اليوم : صحيفة عفيف الطيبي .
(٢) حاتم الطائي : والسموأل بن عاديا .
(٣) كان عفيف الطيبي أثناء الحرب العالمية الثانية يستشعر غدر الحلفاء وينادي بقومية الأمة العربية ضدهم ، فشرد خارج بلاده نتيجة لهذه الدعوة التي أثبتت الأيام صواب خطتها ، وهكذا قامت إسرائيل في أعقاب تلك الحرب .

أدركـت للحلفـاء أن وعـودهم زيـف ، وأن وفـاءهم لا يؤمـل
قـل لـلألى أخـذوا عليـك مواقفـا شـياء ، والحـرب العـوان تجلجـل :
رَمَت الرحـى أوزارهـا ، فتـأملوا أي المواقـف بالعروبـة أجمـل ؟
أمع الألى عرفـوا اليهـود وغـدرهم فعـدوا علـيهم بالـسياط ونكلـوا
أم مـن أقـاموا لليهـود دويلـة تارخهـا بـدم المـسيح مبلـل ؟

❖ ❖ ❖

يـا صـاحبي الطّيبـي ، طيبة ودعت أحلامها الظمأى ، وناح الكرمل [1]
وتعـوذت بـالله غـزةُ هاشـم وهفـت إلى لطـف المسيح المجـدل
ورثـت حقـول البرتقـال لأهلهـا فطعـام أصـحاب الحقـول الحنظـل
وكيانهـا خلـف الحـدود مـشرد ومقـامهم تحـت الخيـام مهلهـل
أهـوى حزيـران الحـزين بروضـنا فـذوت خمائلنـا وجـف الجـدول
وبكـت بلادنـا وغـاب غناؤهـا ومـن المـصائب أن ينـوح البلبـل
دهـم اليهـود قناتنـا فتكـبروا ومـشوا إلى جولاننـا فتـدللوا
وعدوا على مسرى النبي وأضـمروا هـدم الكنيـسة كـي يقـام الهيكـل
وغـدت لغـوث اللاجئـين وكالـة باسـم العدالـة والمـروءة تقتـل
وإذا الـضمير العـالمي عـصابة تُبـدي القـلي ، وعـصابة تتنـصل
لـو نحـن صـدقناك يـوم دعوتنـا مـا غالنـا اليـومُ الـذليل المخجـل
فلـو أن خلـق اليهـود نذالـة فـوراءهم في الكـون مـن هـم أنـذل

❖ ❖ ❖

يـا أخـوتي في الأرز ، عفـوا إن أكـن أقبلـت في الـذكرى ألـوم وأعـذل
نحـن الألى كنـا نـروح ونغتـدي ونزلـزل الـدنيا ولا نتزلـزل
هُنّـا ، وكنـا في البـسيطة أمـة المجـد مـن تاريخهـا يتكلـل

(1) طيبة : بلدة في فلسطين المحتلة ، تنتمي إليها أسرة عفيف الطيبي ، والكرمل جبل بفلسطين .

هُنَّـا ، وكنـا في الحضارة قمـة — والكـون طفـل ، والعـوالمُ جُهَّـل
كنا الملوك على الورى ، وخيولنا — في أرض أنـدلس تـصول وتـصهل
وبنـود كـسرى تقـشعر لـذكرنا — وجنـود قيـصر تـستعيذ وتجفـل
كنـا نقـول : سـلاحنا إيماننـا — بعرى العروبة ، وهي نعم المعقل
لا لليمـين ولا اليـسار ولاؤنـا — إنَّـا لغـيرَ الله لا نتـذلل
حتـى تغيرنـا ، فهـان مـصيرنا — وهـوت أواصرنـا ، وغـاض المنهـل
لا ينـصرون الله شـعبا غـافلا — أمـسى عـلى أعدائـه يتوكـل

❖ ❖ ❖

يـا راحـلا في العيـد ، فـيم اخترتَـه — والكـون في حلـل المبـاهج يرفـل
والليـل مؤتلـق الـذوائب بهجـة — والنـاس لله العَـليّ تُهلـل
ودعـاء أجـراس الكنـائس صـاعد — باسـم المحبـة والـسلام يُرتـل
في ليلـة الفجـر الـذي يلـد المنـى — ويـضيء مـن دعواتـه المـستقبل
لا كـان ذاك اليـوم ، يطلـع نجمـه — جهما على الـدنيا ، ونجمـك يأفـل
دخل العرين عليك مسترق الخطـا — ودهـاك مـن لا يتقـي إذ يـدخل
أبـأول الـسنة احتفالـك بـالردى ؟ — لا كـان للـسنة الجديـدة أول
سـنة ، وغابـت الابتـسامة بعـدها — مـذ غـاب عنـا وجهـك المتهلـل
سـنة ، وأطبقـت المـصيبة بعـدها — ومـن المـصائب فـوق مـا تتخيـل
طـوبى لمـن رحلـوا ولم يتقبلـوا — في مـا كابـده الألى لم يرحلـوا
فلعـل في الـذكرى كرامـة دعـوة — تـسرى إلى الله العزيـز فتقبـل
الحـق منزلنـا ، ونحـن دعاتـه — والله موئلنـا ، ونعـم الموئـل

❖❖❖

نشيد السلام

يــــا نهـــــار الـــــسلام　　　بعـــــد ليــــل الهـــــروب
هـــل محـــــوت الظـــلام　　　وهــــــديت القلـــــــوب
ونـــــــشرت الوئـــــــام　　　في ضـــــمير الــــــشعوب

يا نهار السلام

❖❖❖

هــاتف الحريــة العليــا دعــا　　　فصحا الكون على حلـو الـدعاء
وسـعت مـصر لـه فـيمن سـعى　　　وغــذت موكبــه بالــشهداء
كلنــا سرنــا إلى النــصر معــا　　　عجبًا، كيف اختلفنا في الجزاء

يــا نهـــار الـــسلام　　　بعــد ليــل الحــروب
هــل محـــوت الظـــلام　　　وهـــديت القلـــوب
ونــــشرت الوئـــام　　　في ضـــمير الـــشعوب

يا نهار السلام

❖❖❖

يا هـواة المجـد في ليل الحـروب　　　أسـسوا المجـد عـلى نـور الـسلام
حققوا بالعدل أحلام الـشعوب　　　حطموا الأغلال من أيدي الأنام
وافتحوا للظلم أبواب الغـروب　　　واكتبوا للسلم في الكون السلام

يــا نهـــار الـــسلام　　　بعــد ليــل الحــروب
هــل محـــوت الظـــلام　　　وهـــديت القلـــوب
ونــــشرت الوئـــام　　　في ضـــمير الـــشعوب

يا نهار السلام

أنـا غنيـت بـأحلام بـلادي غنـوة تـسمو بـأحلام الوجـود
ووهبت النيل من وحي جهادي نغـما يبقـى عـلى مـر العهـود
ولأحـرار الحمـى في كـل وادي التحيـات الزكيـات الـورود
يـا نهـار الـسلام بعـد ليـل الحـروب
هـل محـوت الظـلام وهـديت القلـوب
ونـشرت الوئـام في ضـمير الـشعوب
يا نهار السلام

ناداك لبنان فقم لندائه

نــاداكَ لبنــانٌ ، فقُــمْ لندائِــهِ ... أَوَمَا جَعلتَ الرُّوحَ بعضَ فِدَائِهِ
نــاداكَ فــانْهَضْ للوَفــاءِ وَحَقِّــه ... واحْمِلْ شُجونَكَ في سبيلِ قَضائِهِ
واجْعَــلْ قَـصيدَكَ للجمـالِ تحيَّــةً ... في « جارَةِ الوادي » ، وَفُزْ بِثَنائِهِ
وإذَا عَيِيْــتَ مــن الجَمــالِ وَدائِــه ... فَخُلُــوْدُ ذِكْــرِكَ أَنْ تَمُـوْتَ بِدَائِـهِ

❖❖❖

يـا جارةَ الـوَادِي ، وَحُسْنَكِ مسرَحٌ ... غنَّـى أَمـيرُ الـشَّعرِ في أَضْـوَائِهِ
أَقْبَلْـتُ أَلْـتَمِسُ الطَّـوَافَ بِمَوْضِـعٍ ... العِلْــمُ والعِرْفَــانُ مِــن آلائِــهِ
وَمَـضَيْتُ لِلْبَيْـتِ الكَبـيرِ أحجُّــهُ ... وأعـدُّ زادي مِــن شـهِيِّ غِذَائِـهِ
فَسَمِعْتُ في « وَادي العَرَائسِ » هاتفاً ... مَـنْ ذَا يـردُّ القَلْـبَ عَـن إِغْرَائِـهِ
قَــالَ امْتَثِــلْ أَمــرَ الجمَـالِ وَلَبِّــهِ ... واملأْ كُؤوسَكَ من سَنَي صَهْبَائِهَ
يـا شَـاعِرَ النَّيْـلِ الّـذي عَـشِقَ الطّـلا ... مِـنْ كَـرْمِ لُبنـانَ الحبيـبِ وَمَائِـهِ
إهـبِطْ إلى الـوَادِي وَحَـيِّ صَبُوحَهُ ... يَهْـبِطْ عَلَيْـكَ الـوَحْيُ مِـن أَندَائِـهِ
إهـبِطْ وَرِدْ الـرُّوحَ مِـنْ فِرْدَوْسِـهِ ... وتَقَبَّــلِ التُّفَّــاحَ مِــنْ حَوَّائِــه
لا تَخْـشَ أن تُحْـصَى عليـكَ خطيئـةٌ ... يَــوْمَ الحِــسابِ وَدَيْنِــهِ وأَدَائِــه
وَاغْـنَمْ هَـوَى الـدُّنْيا فإنَّـكَ شَـاعِرٌ ... يَتَــسامحُ الــرَّحْمنُ في أَخطائِــهِ

❖❖❖

فَـإذا فَرغْـتَ مـن الـصّبابةِ وارتَـوى ... مَـا في حَنَايَـا القَلْـبِ مِـنْ أَهْوَائِـه
قُــمْ وَدِّعِ الــوَادِي ونَــشْوَةَ كَأسِــهِ ... واصْــعَدْ إلى لُبنــانَ في عَلْيائِــهِ
إِصْــعَدْ إلى الجَبَــلِ الأَشَــمِّ وَحَيِّــهِ ... واخفِـضْ جَنَاحَـكَ في حِمَـى كُبَرائِـهِ

(*) ألقاها صالح جودت في قصر الأونسكو ببيروت عام ١٩٧٠ بمناسبة إزاحة الستار عن تمثال العلامة اللغوي عيسى اسكندر المعلوف (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦).

وَافَـر السَّلامَ إذا خَطَـرْتَ بِزَحْلَـةٍ ... وعَـبَرْتَ مـن حَـرَمِ الحِجَـا بِلِوَائِـهِ
وَمَرَرْتَ بالبَيْـتِ الَّـذي فَاضَ الشَّذَى ... مِـن آل « معلـوفٍ » عـلى أَبْنَائِـهِ
أَلعِبْقَرِيَّــةُ في رُؤوسِ رِجَالِــهِ ... والأَلْمَعِيَّــةُ في قُلُــوبِ نِسَــائِهِ
وَرِثُـوا جَـلالَ الـشِّعْرِ عَـنْ «رُومِيِّـهِ» ... وَوَرِثْنَ شَجْوَ الشِّعْرِ عَنْ «خَنْسَائِهِ»
حَمَلُــوا لِـواءَ الأَرْزِ وانْطَلَقُــوا بـه ... غَرْبـاً ، فَكـانُوا الغُـرَّ مِـنْ سُـفَرائِهِ
تَخِـذُوا بِأَنْـدَلُسَ الجَدِيْـدَةِ مهجـراً ... يَنْهَـلُّ عِطْـرُ الـشَّرْقِ في أجوائِـهِ
بَعَثُـوا بِـه المَجْـدَ القَـدِيْمَ وأَسَّـسُوا ... صَرْحـاً أَعَـزَّ عَلَيْـهِ مِـنْ «حَمْرائِـهِ» .

❖❖❖

يـا إِخْـوَةَ الأَرزِ الَّـذي نَبْـعُ الطِّـلا ... مِـنْ طِيْـبِ جَـوْهَرِهِ وَحُسْنِ طِلائِـهِ
مـا سِرُّ لُبنـانٍ ؟ أَشُـمُّ جِبَالِـهِ ؟ ... مـا سِـحْرُ لُبنـانٍ ؟ أَطِيْـبُ هَوَائِـهِ ؟
لا وَالَّـذي خَلَـقَ النُّهـى أَنـا لا أَرى ... لُبنـانَ إلاّ فِي أَجَـلِّ روَائِـهِ
في زُمْـرَةِ الـرُّوَّادِ مِـنْ أعلاَمِـهِ ... في عِـتْرَةِ الأَمْجَـادِ مِـنْ حُكَمَائِـهِ
في نَثْـرِ « جُـبرانٍ » وَطَيْـفِ خَيَالِـهِ ... فِي شِـعْرِ « مُطـرانٍ » وحُلْـوِ بِنَائِـهِ
في صَيْحَةِ « القَـرَوِيِّ » يَرْفَـعُ في الـوَرَى ... عَلَـمَ العُرُوْبَـةِ في عَزِيـزِ إِبَائِـهِ
في « الأَخْطَلِ » الفَرْدِ الَّـذي جَعَلَ الهَوَى ... دِيْـنَ الوَجُـوْدِ بِلَحْنِـهِ وَغِنَائِـهِ
فِي بُلْبُلِيَّـاتِ « الأَمِـيْنِ » إِذَا اجْـتَلَى ... مَـنْ نَبْعَـةِ البَـارُوْكِ دَنَّ صَـفَائِهِ
فِي كُـلِّ مَـنْ رَكِـبَ المُحـيطَ لِيَبْتَغـي ... لِـلأَرزِ أَضْـوَاءً عَـلى أَضْـوَائِهِ
وكأَنَّـــهُ الـصِّدِّيقُ ولَّى وَجْهَـهُ ... شَـطْرَ الجِهـادِ غَـدَاةَ غَـارِ حَرَائِـهِ
ومـشى إلى سَـمْعِ الزَّمـانِ بِمُعْجِـزٍ ... مِـن شـعرِ مُغْـتَرِبِيـهِ لا غُرَبائِـهِ
في كُـلِّ مَـن أَثْـرى البَيَـانَ ، مـدلّلاً ... أَمَّ اللغـاتِ بِفَيْـضِهِ وعَطَائِـهِ
في الحَـادِيْنَ عـلى المَعَـاجِمِ سُـجَّداً ... البَـاحِثِيْنَ عَـنِ الـتُّراثِ التَّائِـهِ
يَـدْعُونَ لِلْفُـصْحَى دُعَـاءَ مُقَـدِّسٍ ... يَتَقَبَّـلُ الـرَّحْمَنُ طُهْـرَ دُعَائِـهِ
لا الكَاشِـحِيْنَ الـسَّارِحِيْنَ بِـدَارِجٍ ... يَنْـسُونَ شُـهْرَتَهُمْ عَـلَى أَشْـلاَئِهِ

الآخِذِينَ اللَّهْوَ عَنْ أو شَابِهِ ... النَّاقِلِينَ اللَّغْوَ عَن غَوغائِهِ
خَيْرُ الشُّعُوْبِ مِن استَقَام لِسَانُه ... فَسَمَا إلى المأثورِ عَنْ فُصَحَائِهِ
لا مَنْ تعلَّقَ بالضَّحالةِ وابْتَغى ... لُغَةً تَزِلُّ بِهِ إلى دهمَائِهِ

❖❖❖

بيروتُ، يا وهجَ الحياةِ، ويا سَنى ... تتألَّقُ الافكارُ في لألائِهِ
لَمَّا دعوتِ لمَوْقفِ الذكرى الّتي ... يُزهَى بها التاريخُ في خُيَلائِهِ
طالَعْتِ تمِثالاً يفيضُ جلالةً ... ويضوعُ عطرُ المجد من حَضْبائِهِ
هل دارَ في تلكَ المجامعِ كوكَبٌ ... مُتَطلِّعٌ، يَرقى إلى جَوْزائِهِ؟
أرْسَى على الأفْهَامِ من نَفحاته ... ما تعجزُ الأيام عَنْ إحصَائِهِ
قالوا: تخَلِّدَه بشعرِكَ قلتُ هَلْ ... تَهَبُ النجومُ البدرَ سَحْرَ ضِيائِهِ؟
إنّي لألْتَمِسُ الخُلُودَ بِذِكْرِهِ ... وأتِيهُ في شَرَفِ التَّهي بِرِثَائِهِ
ماذا يقولُ الشِّعرُ عن متحدّثٍ ... تتَبدَّدُ الأصواتُ في أصْدَائِهِ
أيقولُ عن آبائِهِ وشُموخِهم ... فَلْتَسْألُوا «حَوْران» عَنْ آبائِهِ
أعَنِ المَدارِسِ؟ وَهوَ خيرُ معلِّمٍ ... أثْرى ربوعَ الأرزِ من نُجَبائِهِ
أعنِ الصحافةِ؟ وَهيَ من لَبِناتِهِ ... أعنِ الفَصَاحَةِ؟ وَهيَ مِن آلائِه؟
أعنِ التراثِ؟ وَكَانَ خيرَ رُعَاتِهِ ... أعنِ البَيانِ؟ وَكَانَ مِن أمَرائِهِ
أعنِ الحَوادِثِ؟ وَهوَ شَيْخُ رُواتِها ... أعنِ البلاغةِ؟ وَهيَ مِلءُ رِدَائِهِ
أعنِ الأَمانةِ؟ وَهوَ خيرُ ثقاتِها ... أعنِ الطَّهَارَةِ؟ وهيَ من أسمائِهِ
هذا بَتولُ العَلْمِ في مِحْرَابِهِ ... وسَمِيُّ عِيسَى في جَليلِ سَمَائِهِ
هذا شريكُ الأرزِ في أمجَادِهِ ... هذا أبُو «الثالُوثِ» مِنْ شُعرائِهِ
هذا أبو «فوزي» الّذي أفضَى بنا ... لِلعَالَمِ المَجْهُولِ في إسْرَائِهِ
وَرَوَى لَنَا مَا غَابَ مِن أبْعَادِهِ ... وَجَلا لَنَا مَا عَزَّ مِنْ أنْبَائِهِ
وغَدَا «بساطُ الريح» بعضَ عبيدِهِ ... والنَّيِّراتُ الزُّهرُ بعَضَ إمائِهِ

وغَـدَا « بـساطُ الـريح » بعـضَ عبيـدِهِ والنَّـيِّراتُ الزَّهـرُ بعَـضَ إمائِـهِ
ودَنَـا لـروحِ القُـدسِ في مَلكوتـهِ وتقبَّـلَ البركـاتِ مـن عَذْرَائِـهِ
وأبو « شـفيق » وَهوَ صَاحب « عبقرٍ » والعبقَرِيَّـةُ فِيـه إرْثُ دِمَائِـهِ
رَكِـبَ الخيـالَ لقريـةِ الجِّـنِ التـي خَلَعَتْ عليـهِ السِّحْرَ في اسْتِيحَائِهِ
وأَقـامَ في حَـرِّ الهَـاجِرِ « عُـصْبَةً » مـن ظـلّ أنـدَلُسٍ ، ومِـنْ أَفْيَائِـهِ
أَضْـوَى بَلابِلَهـا الحنـينُ إلى الحِمـي فـشدَتْ بقيثـارِ الحَـزِيْنِ وَنَائِـه
وأبـو « ريـاض » وهـو تِـرْبُ شـبيبتي ورفيـقُ عُمـري في زمـان بَهَائِـهِ
ونجِـيُّ كـأسي ، والحيـاةُ حبيبـةٌ في ليـلِ « قـاهرتي » وفي لَألاَئِـهِ
كُنَّـا إذا عـزَّ الخيـالُ مـلاوةً نَـشكو إلى النِّيـلِ الحَنُـونِ وَمَائِـهِ
فيردُّنـا للـشِّعْرِ مـن إيقاعِـهِ ويمـدُّنا بـالوَحْيِ مِـنْ سَـمْرائِهِ
ونظـلُّ نـسرَحُ في « الجزيـرة » كلَّـما خَلَع الغُـروبُ البِكْـرُ ثـوبَ حَيَائِهِ
ونَـضَا الحيـاةَ بُعْرِيهـا وفتونِهـا لِنَـرى جُنـونَ الليـلِ في غَلْوائِـهِ
ولكَـمْ نَـسِينا ، والطريـقُ مُمَهَّـدٌ قَـدَراً يـسيرُ بِنـا إلى وَعْثَائِـهِ
ولَّى الـشبابُ بِزَهْـوِهِ وربيعـهِ وأتـى المـشيبُ بثَلْجِـهِ وشِـتَائِهِ
وَتَحـوَّلَ الغَـزَلُ الرَّقيـقُ مَـدامِعاً لِبُكـاءِ مَـنْ تَهـواهُ أو لِعَزائِـهِ
أَمَّـا عـزاؤكَ يـا « ريـاضُ » فعِـزَّةٌ ، فـأَبوكَ في الأَحيـاءِ رغـم قَـضائِهِ
مـا مـاتَ مـن تـركَ الحيـاةَ مُخَلَّـداً لِيَعِـيْشَ ، بعـدَ المـوتِ ، في أَبْنَائِـهِ

❖❖❖

(*) عيسى إسكندر المعلوف (١٨٦٨ – ١٩٥٦) مؤرخ لبناني ، لغوي، وأديب ، عميد أسرة نبغت في الأدب والشعر مثل فوزي، ورياض ، من مؤلفاته «تاريخ الأسر الشرقية» ، و «تاريخ الأمير فخر الدين» (المحقق).

بين القاهرة وجلّق

لَكَـــمْ آذنِي حُبُّـــكِ المُرهِـــقُ فَـــمَاعَكَ اللهُ يَـــا جِلَّـــقُ
عَـــشِقْتُكِ رغـــم مَـــدى الانفـــصالِ وكَـــمْ يتحمَّـــلُ مَـــن يعـــشقُ
يمينـــاً بقـــبر «أبي خالـــد» وبالـــدَّمعِ مِـــن حولـــهِ يُهْـــرقُ
وبـــالحُزن في ليلـــهِ النـــابِغيّ وبالطِّيْـــبِ مِـــن ذِكْـــرِهِ يَغْـــرَوْرِقُ
رَجعـــتُ إلى «بَـــرَدَي» فَـــإِذَاهُ عُيـــونٌ مِـــن القَـــرحِ تَغْـــرَوْرِقُ
رَجعْـــتُ، فَـــمَا أنْكرَتْنِـــي الرَّوافِـــدُ والـــسَّفحُ والـــسطحُ والجَوسَـــقُ
ولا سِـــحْرُ «زلغوطـــةٍ» مِـــن أُمَيَّـــة وهـــيَ بِفرحَتِهـــا تَـــشْهَقُ
وتَمْـــشِي إِلَيَّ بِقَلْـــبِ المَـــشُوْقِ وقَلْبِـــي لِمَوعِـــدِها أَشْـــوقُ
جَـــدَائِلُها الـــشَّفقُ العـــسْجَدِيُّ وأَنْفَاسُـــهَا الـــوَرْدُ والزَّنْبَـــقُ
وفي شَـــفَتَيْها دَمُ الكَـــرَزاتِ وَفِي طَرْفِهَـــا الأَلَـــقُ الأَزْرَقُ
وفي خَطْوِهَـــا عَبَـــقُ الغُـــوطَتَيْنِ وفي هَمْـــسِهَا اللَّـــوْزُ والفُـــسْتُقُ
وقلـــتُ لهـــا و حِـــيْنَ طَالَعْتُهـــا وفي وَجْهِهَـــا نَـــدَمٌ مُطْـــرِقُ
تَحَمَّلـــتُ صَـــدَّكِ عـــشراً عِجافـــاً أَنـــوءُ بِهَمِّـــي ولا أَخْنَـــقُ
وأَســـمو بِجُرحِـــي فـــوقَ الجِـــراحِ وأَمْـــسحُ دَمعـــي الـــذي يَـــدفقُ
وكيـــفَ أَضِـــيْقُ بِعُمْـــقِ الجِـــرَاحِ وهـــذي عَواطِفُنَـــا أَعْمَـــقُ؟

◆◆◆

أَيَـــا إِخْـــوةَ الـــشَّامِ إنَّ العِتـــابَ بِـــصَفْوِ ضَـــمَائِرِنَا أَلْيَـــقُ
تَـــذَكَّرْتُ أُمْـــسِيَةَ المِهْرَجَـــان إِذِ اكْتَمَـــلَ العِقْـــدُ والرَّوْنَـــقُ

(*) ألقاها الشاعر في مهرجان الشعر الذي انعقد في دمشق في ديسمبر «كانون أول» ١٩٧١، وهو أول مهرجان يقام بدمشق بعد الانفصال الذي وقع في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، وكان المهرجان منعقدًا للاحتفال بذكرى الشاعر البحتري حين وقع الانفصال وجلق: دمشق.

وقـــدْ أقْبَلَــتْ زُمَـــرُ الـــشُّعَراءِ ... بأجمَـــلِ أحْلامِهَـــا تَنْطـــقُ
وقُلـــتُمْ لنـــا مـــا يَـــسُرُّ الفَـــؤادَ ... وقُلْنَـــا الّـــذي بِـــالهَوى يَخْفـــقُ
فكيـــفَ تبـــدَّل هـــذا الحَـــديثُ ... بلَيْـــلٍ تَتَكَبَّـــــهُ المَنطِـــــقَ
وكيـــفَ صَـــحَوْنا عـــلَى طَلَقَـــاتٍ ... صُـــدُورُ اليَهُـــودِ بِهَـــا أخْلَـــقُ ؟

❖❖❖

غَـــضِبْتُمْ عَلَيْنَـــا بِغَـــيْرِ الهُوَيْنَـــا ... فَـــضَاعَ المُخَـــنَّطُ والمُوثِـــقُ
ومَـــاذَا جَنَيْـــتمْ ومـــاذَا جَنَيْنَـــا ... ومَـــاذَا جَنَـــى الغَـــضَبُ الأَحْمَـــقُ
أيُخْـــذَلُ في أرضِـــكُمْ « نَـــاصِرٌ » ... ويُنْـــصَرُ « أكـــرَمُ » و « العَفْلَـــقُ » ؟
مَعَـــاذَ العُرُوبَـــةِ، يَـــا صَـــانِعِيهَا ... وأنْـــتُم لَهَـــا الحِـــصْنُ والخَنـــدَقُ
وَوَ الله لَـــولا دُجَـــى الانفِـــصَالِ ... ومـــا جَـــرَّهُ لَيلُـــه الأَخْـــرَقُ
لمـــا أطمَـــعَ الـــدَّهْرُ فِيْنَـــا اليَهُـــودَ ... ولا حَقَّقـــوا طَيْـــفَ مـــا حَقَّقُـــوا
ولكنَّهـــا مِحْنَـــةٌ لِلّرِجـــالِ ... وتـــصفيةٌ لِـــلأُلَى زَنْـــدَقُوا
عَرفْنَـــا بِهـــا أنّنـــا أُمَّـــةٌ ... إذَا انْقَـــسَمَتْ سَـــقَطَ البَـــيْرَقُ
عَرفْنَـــا بِهَـــا أنّنـــا دَوْحَـــةٌ ... بِغَـــيرِ التَوحُّـــدِ لا تـــورِقُ
وأن الألى بـــاركوا الانفـــصال ... بغـــاثٌ وأفقهمـــو ضـــيّقُ
وأن عـــراهم هـــي الواهيـــات ... وأن عرانـــا هـــي الأوثـــقُ

❖❖❖

فَـــلا تُنْكِـــري قَـــوْمَتي يـــا دِمَـــشْقُ ... غَـــدَاةَ سَرَى النَّبَـــأُ المُقلـــق
غَـــداةَ تَهَـــدَّدَكِ المُـــشرِكُون ... وطـــافَ بـــكِ الخَطَـــرُ المُحْـــدِقُ
نَـــسِيتُ بَلحْظَتِهـــا الانْفِـــصَالَ ... ومَـــنْ بَـــارَكُوهُ وَمَـــنْ صَـــفَّقُوا
وقُلـــتُ حَـــرَامٌ عَـــليَّ الحَيَـــاةُ ... إذا مَـــا كَبَـــا وَجْهُـــكِ المُـــشْرِقُ

وَصحتُ بِقَومي : الجهادَ الجهادَ ... فما أَحجَموا عَنهُ أو أَشفَقُوا
وساروا إليه بإيمانهم ... شَباباً هُمُ الأَمَلُ المُونقُ
ولكنْ تَهاوتْ بنا الحادِثاتُ ... وفاجأنا القَدَرُ المُخفِقُ
وأُبْنا مِنَ الحَربِ أوبَ الهَوانِ ... وعَارُ الزَّمانِ بنا يُطْبِقُ

❖❖❖

عَلى أَنَّنا قد خَرَجنا بأَنَّا ... ضَحايا لِمَنْ وَعدُهُمْ زِئبَقُ
وأَنَّا خُدِعنا بِقَولِ الكِبارِ ... ويا قَلَّما قَولُهم يَصْدُق
وقالَ الكِبارُ مِنَ الجانِبَيْن : ... أَطِيلوا الأَناةَ ، ولا تُطْلِقُوا
وقالَ الكِبارُ : اطمَئنوا فأَنتُم ... مَعَ الحَقِّ ، والحَقُّ لا يُزْهقُ
وقال حَكِيمُهُم الأَلمَعيُّ ... وقالَ خَطِيبُهُمُ المُفْلِقُ
وقالَ الكِبارُ ، ومرّ القِطارُ ... وَعُدنا بِسَكْرتِنا نَشرَقُ
خُدِعنا ، وَما الحَربُ إلاّ الخِداعُ ... وَمَنْ لَمْ يُخادِعْ بها يُخفِقُ
خُدِعنا ، وَما الحَربُ الا السِّباقُ ... وَيَختَطِفُ النَّصرَ مَنْ يَسبقُ
مُلوكَ الحِمَى ، رُؤَساءَ الحِمَى ... أَمَا آنَ بِاللهِ أَن تَتَّقُوا
أَمَا آنَ أن تَلْتَقوا في الجِهادِ ... وقد أَذِنَ اللهُ أَن تَلْتَقوا
وَأَن تَجعَلوا الحَربَ قَومِيَّةً ... فَلا بَابَ في وَجهِها يُغلَقُ ؟
مَصائِرُنا قَدَرٌ وَاحِدٌ ... فَلاَ مَغرِبٌ فِيهِ أَوْ مَشرِقُ
أَلَمْ تَذكُروا أَنَّ عِشرِينَ أَلفاً ... عَلى أَرضِ سِيناءَ قَدْ مُزِّقُوا
وأَنَّ مِياهُ « القَناةِ » دُمُوعٌ ... وَ « جُولانُ » مِنْ خِزيِهِ مُطرِقُ
وأَنَّ مَرابِعَنا تُستَذَلُّ ... وأَنَّ مَوارِدَنا تُسرَقُ
وأَنَّ كَنائِسَنا تُستَباحُ ... وأَنَّ مَساجِدَنا تُحرَقُ
وأَنَّ عَلَى القُدسِ رِيحَ الظَّلامِ ... تَهُبُّ ، وَغِربانُهُ تَنعقُ

وَوَجْـهُ المسيحِ الحَزينُ السِّماتِ ... ونُورُ مُحَمَّدَ لا يُشْرِقُ ؟
صَبَرْنا عَلى العَارِ خَمْسَ سِنِيْن ... فَهَلْ حَقَّقَ الصَّبرُ مَا نرمُقُ
وَمَنْ يَرْضَ بالصَّبْرِ بعدِ الهَزِيْمَةِ ... فالسَّافِيَاتُ بِهِ أَخْلَقُ
ومِمَّ نخَافُ ؟ أَمِنْ عُصْبَةٍ ... إذَا خَسِرَتْ جَولَةً تَنفُقْ
ونحنُ الملايينُ تعدادُنا ... وتعدادُ دَوْلَتِهم فَيْلَقُ
ووالله لو قَدْ مَشَيْنا عَلَيْها ... فَمِنْ وَقْعِ أقدامِنا تُسْحَقُ
ووالله لو قَدْ بَصَقْنَا عَلَيها ... فَمِنْ ذَوْب اشْدَاقِنَا تَغْرقُ
وَمَا هِيَ فِي الحَرْبِ أُسطُوْرَةٌ ... يُحَيِّرُنا سِرُّهَا المُغْلَقُ
« فَأَشْكولُ » أَودَتْ بِهِ طَلْقَةٌ ... و « إيلاتُ » أغْرَقَها زَوْرَقُ
و « ديَّانُ » لو أَدْرَكَتْهُ حَصَاةٌ ... لَتَمَّ عليهِ العَمَى المُطلَقُ
وتاريخُهم من ضُحى « خيْبَرٍ » ... إلى يَوْمِنا في الخَنَا مُغرِقُ
ونحنُ بناةُ قبورِ الغُزَاةِ ... وتَارِيخُنا في الوَغى مُعْرِقُ
أساطِيرُ يفَرقُ مِنها التَّتارُ ... وجَيْشُ الخَلِيفَةِ والسَّنْجَقُ

❖❖❖

وَمَنْ أَشْعَلُوهَا صَلِيْبِيَّةً ... فأَوْدَي بِهِمْ عَصْفُنَا المُحْرِقُ
وَوَاللهِ لولا الوَنَى والتَواكُلُ ... والحِقْدُ والحَسَد الأَزْرَقُ
ولولا التفرُّقُ : هذا يثورُ ... وهذا يَحُورُ وذا يأبَقُ
وهذا يقولُ : أنا الهاشِمِيُّ ... وهذا يقولُ : أنا البَطْرَقُ
وهذا تُحَدِّرُهُ غادَةٌ ... وهذا يُبَعثِرُهُ دَوْرَقُ ،
وهذا يَضِنُّ على قَوْمِهِ ... ويُنفِقُ في اللَّهْوِ ما يُنْفِقُ
لَكنّا كَسَرْنا رِقابَ اليَهودِ ... بِأهْوَنَ ما يُكْسَرُ البُنْدُق
وسِرْنا على سِيْرَةِ البَابِليّ ... وقَدْ شَدَّهُمْ قَيْدُه المُوثِقُ
وسَلْسَلَهُم في حِبَالِ العَبِيْدِ ... فَكَادُوا مِنَ الذُّلِّ أَن يُمْحَقُوا
ولكِنَّهُ قَدر أَلَمَّ ... لكي نَتَحَرَّكَ إِذْ نأرَقُ

❖❖❖

عــلى أنّنــا قَــد كَــشَفْنا بَرَاقِــعَ　　مَــنْ ضَــلَّلُونا بِــمَا زَوَّقُــوا
ومَــنْ أَخَّرُونــا ، وَمَــن أَهْــدَرُونا　　وَمَــنْ خَــدَّرُونا ، وَمَــن عَوَّقُــوا
وَبَــانَ لنــا أَنَّ مَــنْ يَتَّكــلْ　　عَــلَى الغَــيْرِ ، يَهْــبِطْ بِــهِ المَزْلَــقُ
وَأَنَّ الــــسّياسَةَ أَلْعُوبَــــةٌ　　وَأَنَّ الخِــداعَ بِهــا ، المَنْطِــقُ
وَأَنَّ الــــسَّلامَةَ أكْذُوبَــــةٌ　　وَأَنَّ القِتَــالَ هُــوَ الأَصْــدَقُ
وَأَنَّ الأُلى يَرْتَــضُونَ المذلَّــةَ　　لا يَــسْتَحِقّونَ أَنْ يُخْلَقُــوا

❖❖❖

سَنَمْــضي إلى ثَأْرِنَــا كَالــصَّوَاعِقِ　　مِــنْ كــلِّ نَاحِيَــةٍ تُطْبِــقُ
يُبارِكُنــا العَلَــمُ الوَحْــدَوِيُّ　　وَيَــدْفَعُنَا الأَمَــلُ المُــشْرِقُ
ولَــنْ نَتَوقَّــفَ حَتَّــى نَــرَى　　ضُــحَى النَّــصْرِ أعلامُــهُ تَخْفِــقُ
لِتَرْفَــعَ قَــاهِرَتي رَأْسَــهَا　　تَقَبِّــلُ رأسَــكِ يــا جِلَّــقُ

❖❖❖

عود المياه

عَـادَ لَنَـا ، وَابْتَسَمَتْ ضَفَّتَاهْ　　أَبُو الحِكَايَاتِ الكِبَارِ العُتَاهْ
عَـادَ القَنَالُ الحُرُّ صَفواً لنا　　أللّهُ مَـا أَجْمَلَ عَـودَ المِيَاهْ ؟
فَلْتَشْهَدُوا « بَارْلِيْفَ » أَيْـنَ انْتَهَى　　وَلْتَسْأَلُوا « دَيَّانَ » مَاذا دَهَاهْ ؟
عَـادَ لَنَـا الشَّطُّ ، فَأَهْلاً بِـهِ　　وَانْهَدَمَ « الخَطُّ » عَلَى مَنْ بَنَاهْ
لَمْ يَبْقَ فِيْهِ غَيْرُ أَصْحَابِهِ　　وَارْتَدَّ عَادِيْـهِ ، وَشُلَّتْ يَدَاهْ
وَعانَقَتْ سِيْنَاءُ أَبْنَاءَهَا　　وَهَلَّلَ العُشْبُ وغَنَّى الرُّعَاهْ
وَارْتَدَّتِ الأَرْضُ إِلَى أُمِّهَا　　وَالْتَمَعَتْ بِالبَسَمَاتِ الشِّفَاهْ
وَانْتَفَضَتْ مِصْر ، فَمَرْحَى لَهَا　　وَانْعَقَدَ النَّصْرُ ، فَوَافَرْحَتَاهْ
رَأَذَّنَ الفَجْرُ ، فَقُومُوا إِلَى　　صَحْرَائِنَا مُدُّ بِسَاطَ الصَّلاَةْ
وَادْعُوا لِمَنْ عَلَّمنا شَوْقُهُ　　لِلْعِلْمِ والإِيْمَانِ حُبَّ الحَيَاةْ
وَمَنْ دَعَا لله في صَوْمِهِ　　فَبَارَكَ اللهُ لَهُ فِي دُعَاهُ
وَأَرْسَلَ الصَّيْحَةَ فِي قَوْمِهِ　　فَانْطَلَقُوا سَيْلاً يَرُدُّ الطُّغَاهْ
وَكَانَتِ الغَضْبَةُ مِنهمُ لَظَىً　　وَكانَتَ الأَرْواحُ مِنْهُم زَكَاهْ
يَا بُورِكَ النِّيْلُ ، إِذَا مَا دَعَا　　لِلنَّصْرِ ، أَضْحَى كُلُّ شَيْءٍ فِدَاهْ
فَلْيَشْهَدِ اللهُ عَلَى جِيْلِنَا　　أَنَّا مَسَحْنا اليَوْمَ عَارَ الجِبَاهْ

❖❖❖

(١) قيلت في خضم انتصارات حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وعبور القوات المصرية لقناة السويس .

تحية مصر لذكرى خليل مطران

لاَ بِإنْجِيلِــــــه وَلاَ قُرآنِــــــهْ
بَعَـثَ اللهُ شَـاعِراً فِي زَمَانِـهْ ،

جَـلَّ شَـأنُ الإلـهِ مـا عَلَّـم
الـشِّعْرَ نَبِيّـاً أوَيْتَـهُ فِي لِـسَانِهْ

أرْسَـلَ الأنبيـاءَ بِـالآيِ والإِصْـحَاحِ
لكـي نَهْتَـدِي إلى سُـلطَانِهْ

فَاخْتَلَفْنَـا طَوَائِفـاً و وَمَـضَيْنَا
كُـلُّ دِيـنٍ يَخُـوضُ في أقْرَانِـهْ

فَانْجَلَـتْ حِكْمَـةُ السَّماءِ عـن الـشِّعْرِ
وفَـضَّ الحِجَـابُ عَـن بُرْهَانِـهْ

فَـإذَا نَحْـنُ عَـالَمٌ وَحّدَتْـهُ
مِلَّـةُ الـشِّعْرِ في جَلاَلَـةِ شَـانِهْ

فَاسْـجدُوا لِلْقَـرِيضِ فَهْـوَ حِمَانـا
وَدَعـوا الـدِّيْنَ فِي حِمَـى دَيَّانِـهْ

❖❖❖

يَـشْفَعُ الأنْبِيَـاءُ لِلْمُتَنَبِّـي
يَـومَ أنْ يَنْتَهِـي إلى رحْمَانِـهْ

وَيُلِيْنُـونَ جَانِبـاً لِلْمَعَـرِيّ
وَهـوَ حَـيْرانٌ في مَـدَى غُفْرانِـهْ

وَيَهِيْمُـونَ في هُيَـامِ النَّـواسِيِّ
بِـذِكْرِ الإلـه ، وهـو بِحَانِـهْ

وَيَـرَوْنَ الإيْـمَانَ فِي شِـعْرِ طَـاغُور
وإمَّـا انحنـى عـلى أوْثَانِـهْ

بُـورِكَ الـشِّعْرُ مَعْبَـداً يَتَـدانَى
فِيْـهِ أشْـيَاخُهُ إلى رُهْبَانِـهْ

يَقْـصِدُ المُـسْلِمونَ مِحْرَابَـهُ الطَّهْـرَ
يُـصَلُّونَ في حِمَـى مُطْرانِـهْ

وِيَـرون الهُـدَى بِـشِعْرِ أبِي مَـاضِي
وَرُوحَ النَّبِـيِّ فِي جُبْرَانِـهْ

والنَّـصَارَى يُبَـسْمِلُونَ لِـشَوْقي
شَـاعِرِ الكَـوْنِ في عَـلِيِّ مَكَانِـهْ

وَيَـرَوْنَ الـسُّلاَفَ في قَـدَحِ الخَيَّـام
رَمْـزاً يَـشِفُّ عَـنْ إيْمَانِـهْ

فَاسْـجدُوا لِلْقَـرِيضِ ، فَهْـوَ إلَى اللهِ
سَـبِيْلُ النَّجَـاةِ مِـنْ نِيْرَانِـهْ

وإذَا طُفتمُـو بِمَكَّـةَ والقُـدْسِ
فَـأنْهُوا الطَّـوَافَ فِي لُبْنَانِـهْ

(*) ألقاها الشاعر ممثلا لمصر في المهرجان الذي أقيم في ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ بمدينة بعلبك لإزاحة الستار عن تمثال شاعر القطرين خليل مطران (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩) .

كَعْبَةُ الحُبِّ، جَمَّعَ اللهُ فِيهَا ... سِحْرَ أَجْرَاسِهِ ولَطْفَ أَذَانِهْ
مَرْسَمُ الأَخْطَلِ الصَّغَيْرِ وَمَجْلَى ... فَاتِنَاتِ الظِّلالِ مِنْ أَلْوَانِهْ
وَمَحَطُّ الرِّحَالِ لِلأَلْمَعِيِّ القَرَوِيِّ ... الغِرِّيدِ فِي أَلْحَانِهْ
وَمَهَادُ ابْنِ نَخْلَةَ، مَنْ إِذا نَامَ ... يَنَامُ الجَمَالُ فِي أَجْفَانِهْ
ثُمَّ يَصحُو عَلَى انتِبَاهَةِ عَيْنَيْهِ ... وَيَقْضِي النَّهَارَ فِي أَحْضَانِهْ
سَبِّحوا اللهَ فِي مُنَمْقَةِ الأَرْزِ ... فَفِيْهَا أَشْهَى ثِمَارِ جِنَانِهْ
وَاشْهَدُوا كَيْفَ بُورِكَ الحُبُّ فِيْهَا ... وَحنتْ حُورُهُ عَلَى وِلْدَانِهْ ؟

❖❖❖

بَاكَرَتْنَا بَيْرُوتُ يَوْمَ قَدِمْنَا ... بِصَبُوْحٍ مُعَتَّقٍ فِي دِنَانِهْ
أَبْيَضٍ كَالقُلوبِ فِي صَفْحَةِ الأَرْزِ ... وكَالثَّلْجِ فِي ذُرَى أَفْنَانِهْ
فَشَرِبْنَاهُ مِنْ يَدِ ابْنَةِ بَاخُوسَ ... وَذُقْنَا رُضَابَها فِي لُبَانِهْ
ثُمَّ قُلْنَا لَهَا : أَبُوكِ أَبُو الكَرْمِ ... ونحنُ الصُّفَاةُ مِن نُدمانه
قَدْ أَنِسْنَا بِلُطْفِهِ وَنَدَاهُ ... وقَرَأْنَا الكِتَابَ مِنْ عُنْوَانِه
غَيْرَ أَنَّا غَداً نُوَدِّعُ بَيْرُوتَ، ... ونَرْجُو السَّمَاحَ فِي اسْتِئْذَانهُ
نَحْنُ مَاضُونَ نَحْو بَيْتِ إِلهِ ... الشَّمْس، والخَالِدِيْنَ مِنْ رومانه
نحنُ ماضُونَ نَحْوَ مَعْبَدِ جُوبِيْتِرْ ... نُؤَدِّي الجَمِيْلَ مِنْ قُرْبانهْ
فَلَنَا فِي ظِلالِهِ اليَوْمَ، خِلٌّ ... رَحَبَاتُ الخُلُودِ أَدْنَى مَكَانِهْ
مَلِكٌ فِي أَوَانِهِ، مَا تَخَلَّتْ ... عِزَّةُ المُلْكِ عَنْهُ بَعْدَ أَوَانِهْ
عَجَباً لِلزَّمَانِ، يَا مَا شَهِدْنَا ... عَجَباً مِنْ ضِرَابِهِ وطِعَانِهْ
نَزَعَ الصَّوْلَجَانَ مِنْ يَدِ « خُوفُو » ... وَنَضَا التَّاجَ عَنْ « أَنُو شِرْوانِهْ »
وَمَحَا المَجْدَ مِن كِتَابِ « بُونَابَرْتِ » ... والقَى بِهِ إلى سَجَّانِهْ
وَجَرَى بالقَضَاءِ فِي عَاهِلِ التُّرْكِ ... وغَالَ الغُلاةَ مِنْ أَعْوَانِهْ
وطَوَتْ كُلَّ خطوةٍ من خطاهُ ... دولةٌ إِثْرَ دَوْلَةٍ فِي عِنَانِهْ

كَمْ لَهَا بالملوكِ، إلا ملُوك الشِّعْرِ ظَلُّوا المُلُوكَ فِي مَيْدَانِهْ
يَردُونَ الحَيَاةَ والموْتَ والبَعْثَ ولا يَنْزِلُونَ عَنْ تِيجَانِهْ
كَم بِنَاءٍ لِلْغَابِرينَ تَهَاوَى، وَتَهَاوَى العُتَاةُ مِنْ كُهَّانِهْ
وَقَصِيْدٍ في الجَاهِلِيَّةِ مَاضٍ لَمْ يَزَلْ كَالرَّبِيعِ في رَيعَانِهْ

◆◆◆

التَحِيَّاتُ، يَا بَعْلَبكُّ عِطْراً لا بْنِكِ البِكرِ فِي ضُحَى مِهْرجَانِهْ
قَدْ نَأَىَ عَنْكِ فِي الطُّفُولَةِ غَفْلاً ما توقَّعتِ منهُ مُقبلَ شَانِهْ
فانظُري كَيفَ راحَ يَهزِجُ في مِصْر ويَسْبي النُّهَى بِسِحْرِ بَيَانِهْ
وَيَهزُّ الأنْسَامَ في شاطِئِ النِّيلِ وطَيرِ الرُّبى عَلَى أفْنَانِهْ
وَيُثِيْرُ الحِمَى إلَى دَعْوَةِ الحَقِّ وَيَبْني القَوِيَّ فِي أَرْكَانِهْ
وانْظُري كَيفَ هَامَ في جَنَّةِ الحُبِّ فأشْجَى القُلُوبَ فِي هَيَامِهْ
وتَغَنَّى بِقِصّةِ «الزَّهْرِ والنَّحْلِ» فَذَابَ الجَمَالُ مِنْ تحنانِه
وَمَضَى الشَّاعِرُ الحَزِينُ يُصَلِّي طُولَ أيَّامِهِ عَلَى كَرَوَانِهْ
وانْظُرِيّ كيف بَاتَ فِي قِمَّةِ الفُصْحَى وأمْسَى البَيَانُ طَوعَ بَنانِهِ
وَتَلَّقى إمَارَةَ الشِّعْرِ عَنْ شَوْقِي فَصَانَ العُهُوْدَ فِي صَوْلَجَانِهْ
وَصَحَا يَعربٌ يُقَلِّدُهُ جَبْهَةَ بَغْدَادِهِ إلَى تَطْوَانِهْ
ثُمّ حَانَ الكَرَى بِفِسْطَاطِ مِصْرِ وَأهِيْلَ الثَّرَى عَلى جُثْمَانِهْ
فَانْظُرِي كَيْفَ عادَةَ الشَّوْقُ لِلْمَهْدِ فَغَضَّ التُّرَابَ عَن أكْفانِهْ
وأتَى اليَومَ فِي الخَرِيفِ بِغِيدِ يَستَرِدُّ الرَّبيعَ مِن رُكْبَانِهْ
جَاءَكِ اليومَ، يا بَعْلَبَكُّ، شَوقاً وسُراةُ القَرِيْضِ فِي رُكْبَانِهْ
سَائِلاً: أيْنَ تِرْبُهُ فِي ضُحَى العُمْرِ، وَأيْنَ الصِّفاةُ مَنْ خِلاّنِهْ
جاءَكِ اليومَ شامخاً يَتحدى الإلهَ المنقوشَ في جُدْرَانِهْ
فَهوَ أعلى مِنهُ مَكَاناً وأقْوَى بالعَمُودِ الشعْرِيِّ مِن عُمْرَانِهْ

حَسْبُ « جوبْتيرَ » في الزّمانِ خُلوداً	أن يكون « الخَليلُ » مِنْ جيْرَانِهْ

❖❖❖

اغفِروا لِي إذَا وَقَفْتُ أُغَنِّي	بالعَمُودِ الشِّعْرِيِّ بَعْدَ هَوَانِهْ
بَعْدَ أنْ غَالَنَا الجَدِيْدُ وَكِدْنَا	مِنْ أَسَانا نَغِيْبُ فِي طوفَانِهْ
بَعدَ أَنْ هِيضَتِ البَلابِلُ في الرَّوضِ	وطابَ الغِنَاء مِنْ غِرْبَانِهْ
رَحِمَ اللهُ للخليلِ زَماناً	غَيرَ هذا الزّمانِ في هَذَيَانِهْ
كَثُرَ العَابِثُونَ في حَرَمِ الشِّعْرِ	وَقَلَّ الذُّوَّادُ عَنْ أَرْكَانِهْ
كَثُرَ المازِحُونَ فِيْه وعَاثُوا	فِي تَفَاعِيْلِهِ، وَفِي أَوْزَانِهْ
وَغَدا كُلّ شَاعرٍ يَنْهَشُ « البَحْر »	كَنَهْشِ الذَّلِيْلِ مِنْ حِيْتَانِهْ
هَلْ سَمِعْتُم بِهِ يَضِلُّ ويُزري	بالرَّوِيِّ الشَّجيِّ في إرْنَانِهْ
هَلْ سَمِعْتُم بهِ يُحِبُّ القَوافِي	وَهْيَ حَوْلَ القَرِيْضِ عقدُ جُمَانِهْ
هَلْ بِهِ يُنَدِّدُ بالفُصْحَى	ويَخْتَالُ فِي ذُيُولِ رطَانِهْ
يَا سَقَى اللهُ يَعْرباً بالتأسّي	فهو في مِحْنَتَيْنِ تفترسانِهْ
مِنْ أَذى العَابِثِيْنَ في حَرَمِ القُدْسِ	وسينائِه وفِي جُولانِهْ
وأذى العَابِثِيْنَ في حَرَمِ الشِّعرِ	وفي حُسنِهِ وَفي إِحْسَانِهْ

❖❖❖

أَيُّها المُؤمِنُونَ بِالشِّعْرِ ذُودوا	عَنْ حِمَاهُ ونَافِحُوا عَنْ كِيَانِهْ
يَسْتَرِحْ ذلِكَ المُخَلّدُ فِيْكُمْ	وَيَقَرُّ الصَّفَاءُ فِي وِجْدَانِهْ
رَضِيَ الربُّ عَنْهُ فِي مَنْزِلِ الخُلْدِ	رِضَاءَ النَّبِيِّ عَنْ حَسَّانِهْ

❖❖❖

عزيز أباظة

مَا عَزَائِي فِيكَ يَا خَيْرَ عَزَاءْ ... مُنْذُ أنْ غَابَ أمِيرُ الشُّعَرَاءْ

لَمْ تَزَلْ تَسْعِي إلَى سُدّتِهِ ... بَعْدَ أنْ عَزَّ عَلَيْهَا الأوْلِيَاءْ

فتسنّمتَ إلَيْهَا، دَائِبًا ... صَيِّبَ الإلْهَامِ، مَوْهُوبَ العَطَاءْ

تَمْلأُ الدُّنْيَا نَشِيدًا رَائِعًا ... يَتَلَقّى مِنْ فَمِ الدُّنْيَا الثَّنَاءْ

وَتَصُوغُ المَسْرَحِيَّاتِ الّتِي ... لَبِسَ المَسْرَحُ مِنْهَا الخُيَلاءْ

وَتَقُصُّ السِّيرَةَ الحَسْنَاءَ فِي ... خَيْرِ زُلْفَى لِأمِيرِ الأنْبِيَاءْ

فَاضَ مِنْكَ الشِّعْرُ رُومِيَّ الشَّجَى ... بُحْتُرِيَّ الرُّوحِ، شَوْقِيَّ البِنَاءْ

طَاوَعَتْكَ الشَّاعِرِيَّاتُ الّتِي ... لَمْ تُطِعْ فِي الشِّعْرِ إلاّ الأمَرَاءْ

❖❖❖

إنّمَا الشِّعْرُ المُصَفّى دَوْلَةٌ ... لَمْ يَزَلْ فِيهَا السراةُ الكُبَرَاءْ

لَمْ تُزَلْزِلْهَا انقلاباتٌ ولا ... هَزّهَا سَيْفٌ، وَلا شَقّتْ دِمَاءْ

غَيْرَ أنّ المِنّةَ الكُبْرَى بِهَا ... مَا جَنَاهُ المُحْدَثُونَ الأدْعِيَاء

أنكروا الأوزَانَ فِي رَوْعَتِهَا، ... والقَوَافِي البُلْبُلِيَّاتِ الغِنَاءْ

فِي زَمَانٍ عابِثٍ يُطْرِبُهُ ... هَذَرُ المَرْدِ وَلَغْوُ اللُّقَطَاءْ

سَوْفَ يَبْقَى الشِّعْرُ فِي سِفْرِ العُلا ... ويولّونَ مَعَ الرِّيحِ جُفَاءْ

يَخْلُدُ الشِّعْرِ عَلَى الدَّهْرِ، كَمَا ... تَخْلُدُ الأدْيَانُ بَعْدَ الأنْبِيَاءْ

إنّمَا يَمْكُثُ فِي الأرْضِ الّذِي ... يَنْفَعُ النَّاسَ، وَلا يَبْقَى الهَبَاءْ

يَا عَزِيزَ الشِّعْرِ، هَمِّي أنّنِي ... لَمْ أُشَيِّعْكَ وَقَدْ حُمَّ القَضَاءْ

جَاءَنِي نَاعِيكَ فِي مُغْتَرَبٍ ... أتَشَهَّى فِيهِ مِنْ مِصْرَ الهَوَاءْ

(*) عزيز أباظة (١٨٩٨ - ١٩٧٣) شاعر مصري جهير، ولد بمحافظة الشرقية، تخرج في كلية الحقوق (١٩٢٣)، تزوج في مطلع شبابه زوجته زينب ابنة عمه، لكنها رحلت في زهرة شبابها، فأصدر ديوان «أنات حائرة» في رثائها، عمل بالمحاماة، ثم بالنيابة، وفاز بعضوية مجلس النواب، له عدة مسرحيات شعرية منها «العباسة»، من دواوينه: «تأملات»، «تسابيح»، «إشراقات من السيرة الزكية» (المحقق).

(*) ألقاها في أبريل ١٩٧٤ لتأبين عزيز أباظة.

عِلّـةُ يَحمِـلَ مِـنْ أنبائِهَـا ... نفحةً منك ، ويُشرَى بالشِّفَاءْ
بَعدَ أن فَتّكَ في حِضْنِ الضّنَى ... وَاهِنَ الشّريَانِ ، مَلْهُوفَ الدِّمَاءْ
فَإِذَا النّفحَةُ شَجْوٌ وَأسَى ... وَإِذَا البُشرى حِدَادٌ وَرِثَاءْ
فَتَرَقْرَقَتْ الدَّمعَ حَتّى خَانَني ... فَتَسَرَّلَتْ دُمُوعَ الغُرَبَاءْ
قُلتَ مِن شِعْرِك ، فاسْتَبْكَيْتَهُم ... وأجَلَّ الشِّعْرِ ما يُوحِي البُكَاءْ
قُلتَ مِن آنَاتِكَ الحَرّى عَلَى ... حُسرَةٍ ، مَنْزِلُهَا دَارُ البَقَاءْ
لَكَ في فُرْقَتِها مَلحَمَةٌ ... أصْبَحَتْ سَلْوَى الأَيَامَى التّعَسَاءْ
هِيَ لَو تَمْلِكُ أن تَسمَعَهَا ... شَقّتِ القَبْرَ وَخَفّتْ لِلنِّدَاءْ
عِشْتَ فِي مِحْنَتِهَا مُضطَرِمًا ... نَابِغِيّ الليلِ ، مُسْوَدَّ الرِّدَاءْ
ثُمَّ مَرَّ الزَّمنُ الآسِي عَلى ... جُرحِكَ القَاسِي فأرقَا وَأفَاءْ
وتَفتّحْتَ عَلى الصَّوْتِ ال[illegible] ... يُ[illegible]قِظُ القَلبَ ، وَيَشْفِي البُرَحَاءْ
حِينَ هَشّت لكَ أنفاسُ الهَوَى ... فَتَ[illegible]سّمتَ بِهِنَّ الصُّعَدَاءْ
وَتَعَطّرتَ بِنَيّسَانِ المُنَى ، ... وتَ[illegible]شبّتَ بِألوانِ الرَّجَ[illegible]
فَ[illegible] إذَا لَيْلُكَ بِالنّورِ اكتَسَى ... وإذا قَلبُكَ بالحُبِّ أضَ[illegible]
وَإذَا سَ[illegible]نْ كَ[illegible]انَ يَغْلُو فِي الأسَ[illegible] ... هَامَ بِالصَّبْوَةِ حَتّى الغُلَوَاءْ

❖❖❖

وبُنَيّاتٍ عَلَى فَجْرِ الصِّبَا ... يَتَأزّرنَ بِأحْزَانِ المَسَاءْ
لَمْ تَزَلْ فِيهِنَّ مِن يَومِ النّوَى ... لَوعَةُ اليُتمِ وتَذْكارُ العَنَاءْ
قَلْنَ مَا خَطبُ أبِينَا بَعدَنَا ... غالَهُ فِي أمّنَا عَسْفُ القَضَاءْ
« فَبَكَاهَا وَبَكَاهَا وَمَضَى » ... حُزنُهُ أمثولَةً لِلأوفِيَاءْ
فَتَوَسّلتُ لَهُنَّ : ارْحَمْنَنِي ... يَا بُنَيّاتِيَ إِنَّ الحُبَّ دَاءْ ،
يَا بُنَيّاتِيَ مَنْ ذَاقَ الهَوَى ... قُدسِيًّا ، لَمْ يَجِدْ عَنهُ غَنَاءْ
إنْ رَجَوْتُنَّ لِنَفْسِي رَاحَةً ... فالهَوَى والشِّعرُ سَلْوَى وَعَزَاءْ
أو تَلَمَّسْتُنَّ بعدي مَجْدًا ، تركةً ... لَيْسَ بَعدَ الشِّعْرِ عِزٌّ وثَرَاءْ
أو تَمَنّيتُنَّ لِي مَجْدًا ، فَمَا ... مَسْلَكِي لِلمَجدِ ، والقَلبُ خَوَاءْ
عَمرُكُنَّ الله ، مَا شِئْتُ الهَوَى ... بِيَمِينِي ، غَيرَ أنَّ اللهَ شَاءْ

يَـــا بُنَيَّـــاتِيَ مِـــن روحِ الهَـــوى ... يُولَـــدُ الـشِّعرُ ، ويَحيـــا الـشُّعَراءُ

◆◆◆

يـــا بنَـــي الـــشِّعرِ الـــذي نَحيـــا بـــهِ ... وهـــوَ علـــمٌ وابتِكـــارٌ وذَكـــاءُ

لا تقولـــوا : شـــاعِرٌ مـــاتَ ، ومَـــا ... قِيمَـــةُ الـشّاعِرِ في عَـصْرِ الفَـضَاءِ ؟

قيمـــــةَ الـــــشّاعرِ في أمّتِـــــهِ ... أنّـــهُ يَفـــتحُ أبـــوابَ الـــسَّماءِ

إنّـــه يَـــزرعُ ألـــوان المنـــى ... أنّـــه يبـــدعُ ألحـــانَ الغِنـــاء

إنـــهُ يجعـــلَ للعُمـــر شَـــذى ... إنّـــهُ يَمْـــنَحُ للـــروحِ الـــضّياءْ

إنّـــهُ يعـــزف موســـيقى النهـــى ... إنّـــهُ ينـــشر في الأرض الـــصفاء

إنـــهُ يحنـــو عـــلى أوطانـــهِ ... إنّـــهُ يلعـــنُ ظلـــمَ الأشـــقِياءْ

إنـــه بالـــشّعرِ يهـــدي قَومَـــهُ ... لِلطَّرِيْـــقِ الحـــقّ والـــرَّأي الـــسَّواءْ

إنـــه بالـــشّعر يَـــرْوِي لِلـــوَرَى ... سِـــيَرَ النَّـــصْرِ ، وأمْجَـــادَ الفِـــدَاءْ

إنّـــهُ التّـــاريخُ يَبْقـــى صَـــادِقاً ... إن رَوى التـــاريخُ زيفـــاً وادّعـــاءْ

إنّـــهُ الحـــاضِرُ يحيـــا نابـــضاً ... وطنـــيَّ الـــشَّدوِ ، قَـــوْميَّ الـــدُّعاءْ

إنـــهُ المـــستقبلَ الحلـــوُ الـــذي ... يَنْـــشِدُ الخـــيرَ ويَـــدعُو للرّخـــاء

إنّـــه لـــولا رســـالاتُ الهـــدى ... كـــانَ في أمّتِـــهِ كالأنبيـــاءْ !

◆◆◆

في رحـــابِ الله مـــن كنـــتُ لـــهُ ... أقـــربَ الإخـــوانِ نهجـــاً وانـــتِماءْ

لم تَـــزلْ في نَـــاظري مِـــنْ سَـــمْتِهِ ... قامَـــةٌ مرفوعـــةٌ بالكِبْرِيَـــاءْ

ومعانـــــاةٌ يُـــــداريها الرِّضَـــــا ... واحـــتِمالٌ يَتَغَـــذى بالإبـــاءْ

وتحـــدٍّ لـــصروفٍ عاشَـــها ... يَحمِـــلُ المحنـــةَ في غَـــيرِ انْحِنَـــاءْ

في زمـــانٍ نحـــنُ أحـــسَنّا لَـــهُ ... ولَقِينـــا مَـــنْ سِـــنِمّار « الجَـــزَاءْ »

قـــلّ مـــا سُرَّ ، بِـــهِ ، لكنّـــهُ ... كـــانَ مـــا أكثَـــره فـــيما أسَـــاءْ

إن قَـــضَى الأحـــرارُ فيـــهِ ، فلَهُـــمْ ... في رِحـــابِ الله أجـــرُ الـــشّهدَاءْ

◆◆◆

يـــا أبي بَـــلْ يـــا أخِـــي ، بَـــلْ يَـــا أنَـــا ... أنَـــا مِـــنْ مـــاتَ فلِلـــشّعْرِ البَقَـــاءْ

أغنية للجنوب

الحَبيبانِ إذَا دَلاّ وَتَاهَا … فهيَ الصَّبْوَةُ في أحلى مَدَاهَا

يفرحِ العُذَّالُ في بَيْنهما … ويقولونَ اجْتَوتْهُ واجْتَواهَا

لَيْتَهُم يَدْرُونَ مِن سِرِّهِمَا … أنَّها الأشواقُ واقَتْ مُنْتَهاهَا

وَقَضَى اللهُ بأن يَلْتَقِيَا … في ظِلالٍ بَارَكَ اللهُ جَنَاهَا

ولَقَد تِهْنَا وَتِهْتُمْ فترةً … وسوساتُ الشرِّ كَمْ حَثَّتْ خُطاهَا

ثُمَّ ثُبْنَا لِلْهَوى في صَيْحَةٍ … رَدَّدَ الأحرارُ في الوَادِي صَدَاهَا

وَتَسَاقَيْنَا عَلى لَحْنِ الهَوَى … وَتَلاقَيْنَا قُلوبًا وَشِفاهَا

◆◆◆

إخوةَ السُّودانِ كم آصرةٍ … بَيْنَنَا شَدَّتْ يَدُ اللهِ عُرَاهَا

مصرُ لا تنفكُّ منكُمْ وَلَكُمْ … وَبِكُمْ في كُلِّ مِصرٍ تَتَبَاهَى

وإذَا نَادَتْ، فَفِي أعْمَاقِكُمْ … سَكَنُ الأُخْتِ إذا نَادَتْ أَخَاهَا

لا تَقولُوا : نَسِيَتْ سُودَانَهَا … إنَّهُ كانَ لَهَا عِزّاً وَجَاهَا

إنَّهُ السُّودَانُ، مَجْرى رِزْقِهَا … وَهُوَ مَحْيَاهَا وشِريانُ دِمَاهَا

جَمَعَتْنَا رَضْعةُ النيلِ، فَمَا … نحنُ في الرَّضعةِ إلاّ تَوْأمَاهَا

وَنَمَتْنَا أُمَّةٌ مِنْ يَعْرُبٍ … شَرَّفَ اللهُ بِشَعْبَيْنَا أَبَاهَا

وَازْدَهَتْنَا اللُّغَةُ الفُصْحَى الّتي … نَزَلَ القرآنُ فيها فَازْدَهَاهَا

وَلَنَا العِزَّةُ في إفْرِيقِيَا … إنَّا نَحْنُ وأنتُمْ دُرَّتَاهَا

◆◆◆

مصرُ والسّودانُ، هَلْ كَانَا سِوَى … جَنَّةٍ يَجْتَذِبُ الدُّنيا شَذَاهَا

كُلَّمَا العَيْنُ تَمَلَّتْ حُسْنَهَا … أعْذَرَتْ مَن حَسِبُوا النِّيلَ إلهَا

(*) أثناء محنة مرضه لم يتمكن الشاعر من المشاركة بهذه القصيدة في المهرجان الثقافي الذي أقيم بالخرطوم في يناير ١٩٧٥ ، فألقاها الشاعر د.عبده بدوي نيابة عنه (المحقق).

غَفَرَ اللهُ لَهُمْ ، هَلْ عَرَفُوا ... مُنْعِمًا في عَصْرِهِم إلاّ المِيَاهَا
أَوَ لَيسَ الخيرُ من جوهرِها ... أو لَيسَ الغَيْثُ من فَيْضِ سَمَاهَا
أَوَ لَيْسَ البِرَّ مِنْ أَسْمَائِهَا ... أَو لَيْسَ الرِّزْقُ مَا أَجْرَتْ يَدَاهَا
كم أراضٍ شرقَتْ ، ظامِئةً ... فَجَرَى النيلُ إليْها ، فَسَقاهَا
وبيوتٍ تَربَتْ ، جَائِعَةً ... فَمَشَى النِّيلُ إليها ، فَغَذَاهَا
وجسوم ضَمرتْ ، عَارِيةً ... فَحَنا النِّيلُ عَلَيْهَا فَكَسَاهَا
وَضِفَافٍ ذَبلَتْ صَادِيَةً ... فَسَقَى بِالسِّحْرِ والعِطْرِ رُبَاهَا
وفَيافٍ خُلِقَتْ جَافِيَةً ... فكَسَا بالبُسُطِ الخُضرِ ثَرَاهَا
إنّه النِّيلُ ، فَمَنْ أَلْهَمهُ ... أَنّه القُدْرَةَ في رَمْزِ نَدَاها

◆◆◆

إخوَتِي ، عُدْنَا وَعُدْتُمْ بَعْدَمَا ... مَرَّتِ المَأْسَاةُ وَانجَابَ دُجَاهَا
فاسْمَعُوا القِصَّةَ مِمَّنْ عَاشَهَا ... وَخُذُوا حِكمتَهَا مِمَّنْ وَعَاهَا
لا ضَلَلْتُمْ في خُطَى ثَورتِكُمْ ... أو تَفَرَّقْتُم مَسَارًا واتّجاهَا
اجْعَلُوها العُرْوَةَ الوُثْقَى لكُمْ ... فَهيَ الحقُّ ولاحقَّ سِوَاهَا
سِلمَتْ للنيلِ والعُربْ مَعًا ... وَرَعَى الرَّحمنُ لِلوادِي لِوَاهَا
لا تكُفُّوا الجُهْدَ عَنْ نُصْرَتِها ... قَبْلَ أن تَبْلُغَ في الخَيْرِ مَدَاهَا
لا يُعِزُّ اللهُ إلا أُمَّةً ... وَحَّدَتْ فِي سُبُلِ الله خُطَاهَا
وَخُذوا العِبْرَةَ مِن ثَوْرَتنا ... حِينَ ضلَّتْ ، ثُمَّ لَمْ تَفْقِدْ حِجَاهَا
واشْرَأَبّتْ ، وَهِيَ فِي مَولِدِها ... واستَتَبَّتْ ، وهيَ لم تَبْلُغْ ضُحَاهَا
وأَبَتْ أن يُوأَدَ الحَقُّ وأَنْ ... يُحْسَبَ الشّعبُ نِعاجًا وشِيَاهَا
وَتَعَالَى صَوْتُهَا لا يَرْتَضِي ... أن يُذِلَّ النّاسُ للمالِ الجِبَاهَا
وَصَحَا الوَادِيْ عَلَى صَيْحَتِهَا ... وَمَشَى العُرْبُ عَلَى رَجْعِ صَدَاهَا
تَعِبَ الشَانِئُ في خُطّتِهَا ... وَتَحدَّتْها ، فَما أَلْقَتْ عَصَاهَا
وَمَضَتْ نَحْوَ المَعَالِي قُدُمًا ... فَاعْتَنَقْنَاهَا وَبَارَكْنَا خُطَاهَا
ثُمّ أَغراهَا الهَوى فاتّبَعَتْ ... في سَبِيلِ العَرَضِ الفَانِي هَواهَا
يَومَ أَنْ لانتْ لأَوْشَابِ القِوىَ ... وَتَدَنَّتْ لِلْخَطَايَا رَاحَتَاهَا

وَإذا النَّكْسَةُ تُرخِي لَيْلَهَا ... وَإذَا الثَّوْرَةُ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا

◆◆◆

ثُمَّ هَبَّ الفَارِسُ الحُرُّ الَّذي ... كَانَ في إشْرَاقَةِ العُمْرِ فَتَاهَا
أسمرُ الجَبْهَةِ، فِي شِرْيَانِهِ ... مِنْ مِيَاهِ النِيلِ لَوْنُ ابْنِ قُرَاهَا
فَشفَى غُلَّتَنَا مِنْ غُصْبَةٍ ... كانَتِ النكسةُ أقْصَى مُشْتَهَاهَا
غَصْبَةٌ مِنْ حُمْقِهَا كَمْ بَسَطَتْ ... كَفَّهَا في المَاءِ كَي تَبْلغَ فاهَا
فَهَوَتْ، لاَ رَجَعَتْ أيامُهَا ... وَانْطَوَتْ، لا طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهَا
وَمَضَى الفَارِسُ فِي وَثْبَتِهِ ... يُوقِظُ الثَّوْرَةَ مِنْ طُولِ كَرَاهَا
ويهزُّ الخَيْرَ في أَعْمَاقِهَا ... ويردُّ الرُّوحَ مِنْ شَرْخِ صِبَاهَا
مُرسِيًا أهدافَها، مُسْتَوْثِقًا ... أنَّ بالإيمانِ تَسْتَعْلِي يَدَاهَا
فَاشْتِرَاكِيَّتُهَا مُؤْمِنَةٌ ... لا مِنَ الشَّرْقِ ولا الغَرْبِ رُؤَاهَا
لم تَشُبْهَا صفرةُ اللّونِ، ولاَ ... صَبَغَتْ بالأرجُوانِ الشِّفَاهَا
هِيَ بِنْتُ الأَرضِ، فِي لُحمَتِهَا ... وَمِنَ الإيمَانِ والعِلم سُدَاهَا
ومِن الهَدْيِ الذي ثَارَ عَلى ... شُرعَةِ الأوثانِ فَانداحَتْ رُقَاهَا
ومِنَ العَدْلِ الّذي عَزَّ بِهِ ... عُمَرُ الفَارُوقِ في الحُكْم وَتَاهَا
وَمِنَ الرِّيحِ الّتي هَبَّت عَلى ... دُوَل الإقْطَاع، فَانْهَارَتْ قواهَا
وَمِنَ الرُّوحِ الّتي خَفَّتْ إلى ... زُمْرَةِ الأحزابِ، فانْدَكَّتْ قُرَاهَا
وَمِنَ النُّورِ الذي فَاضَتْ بِهِ ... آيةُ الرَّحمنِ فِي وِجْدَانِ طَاهَا
وَمِنَ الإِسْلاَمِ تَبْنِي عِزّهَا ... وَمِنَ القُرآنِ تَسْتَوحِي هُدَاهَا

◆◆◆

هكَذا عَزَّ الحِمَى، وَانْطَلَقَتْ ... ثَورَةُ التَّصْحِيْحِ تَسْتَدنِي جنَاهَا
وَمَضَى الفَارِسُ يَدْعُونا إلى ... خُطَّةٍ فِي جَلْوةِ الصَّوم ارْتَآهَا
قَالَ: هذي أرضُكم فامضوا لها ... وانصرُوهَا اليَوْمَ أَو مُوتُوا فِدَاهَا
وَعَلى اسْم اللهِ خُضْنَا نَارَهَا ... وَبِسَيْفِ اللهِ زَلْزَلْنَا رَحَاهَا
وَبِجُنْدِ اللهِ حَرَّرْنَا الثَّرَى ... وَبِإِذْنِ اللهِ طَهَّرْنَا المِيَاهَا
وبِذِكرِ اللهِ فِي مِحْنَتِنَا ... مَا سَأَلْنَا حَاجَةً إلاّ قَضَاهَا

فدائية

لَقيتُها ساعةً في العَشِيَّةْ حَسْنَاءَ كالزَّهْرَةِ النَدِّيَّهْ
شبابُها فيهِ كبرياءٌ وَروحُها مِلْؤُهَا حَمِيَّهْ
تَمشِي عَلى «السّين» في اعتِدَادٍ كَصَخرةٍ صَلْبةٍ عَتِيَّهْ
وتَرمقُ الكَونَ في تَحدٍّ للسَّيفِ والخَوفِ والمنيَّه

◆◆◆

حَسِبْتُهَا مِنْ مَدَى حَنِينِي لِسُمْرَةِ اللَّونِ، قَاهِريَّهْ
فَابتَسَمَتْ عن رِضًا، وقَالَتْ صَدَقْتَ لَو قُلْتَ: يَعرُبِيَّهْ
فَكُلُّنَا في النِّضَالِ أَهْلٌ وَبَيْنَنَا وَحْدَةُ القَضِيَّةْ

◆◆◆

عَجِبْتُ للشَّجْوِ في لُغَاهَا كأنَّها بالصِّبَا شَقِيَّةْ
في عُمْرِهَا تبهَرُ الأمَانِي لِدَاتِهَا بالرُّؤى الهَنِيَّهْ
فَمَا لِهذِي القَطَاةِ غَضبَى في سِنِّهَا الحُلْوَةِ الطرِيَّهْ
وَمَا لَهَا أَنْكَرَتْ صِبَاهَا وَمَالَهَا جَرَّدَتْ حليَّهْ
وَضَجَّ في قَلْبِهَا طُمُوحٌ أَسْمَعُ في خَفقِهِ دَوِيَّهْ ؟

◆◆◆

سَأَلْتُها: ما اسْمُهَا ؟ لَعَلِّي أَعْرِفُ مِن جرسِهِ الهَوِيَّهْ
قالَتْ: إذَا شِئْتَ فَهو لَيْلَى لكِنَّني لَسْتُ عَامِرِيَّهْ
لا قَيْسَ يَغدُو عَلَى شَبَابِي وَيُحْكِمُ القَيْدَ في يَدَيَّهْ
أَنَا فِدَائِيَّةٌ وَرُوحِي لِلْمَوْتِ مَفتُوحَةُ الشَّهِيَّهْ

(*) ألقيت في مهرجان الشعر العربي في مدينة الجزائر في إبريل «نيسان» ١٩٧٥.

أَمْشِي بباريس لا أُبالِي بِكُلِّ مما يَشْغَلُ البَرِيَّهْ
بالرَّقصِ والتَّنَفُّسِ والأَغانِي والكاسِ والطَّاسِ والخَطِيَّهْ
واللَّثْمِ والإِثْمِ والتَّراخِي واللَّيْلِ والمُتْعَةِ الغَوِيَّهْ
ما هَمَّنِي أَنْ يُقالَ إِنِّي في مَيْعَتِي لَسْتُ عَاطِفِيَّهْ
فَلِي هُنا أَلْفُ ثَارٍ أَعِيشُ مِنْ أَجلِها صَدِيَّهْ
وَخَمْرَتِي مِنْ دَمِ الأَعادِي وفَرحَتِي صَوتُ بُندقِيَّهْ
لم يَعتَرِفْ بالهَوَى فُؤادي إلا هَوَى تُربَتِي الزَّكِيَّهْ
في حُضْنِها نَامَ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمِنْ ذَوِيَّهْ
اسْتَشْهَدوا لِلْحِمَى ولكِنْ قُبُورُهُم لا تَزالُ حَيَّهْ
تَهِيبُ بالشَّعْبِ كُلَّ فَجْرٍ أَنْ يَرْتَدِي للجِهَادِ زِيَّهْ
لا وَقْتَ للحُبِّ في بِلادِي وذَاكَ أَنّي جَزَائِرِيَّهْ

◆◆◆

جَزائرِي ، يا أَعزَّ رُكْنٍ مِنْ أُمَّتِي الحُرَّةِ الأَبِيَّهْ
كَم سَنَةٍ عِشْتُها أُصَلِّي عَلِي بطولاتِكَ النَّبِيَّهْ
وكم تذكَّرتُ في صَلاتِي حِكايَةَ النَّكسةِ الزَّرِيَّهْ
وكيف بِتْنا ، وكيف بَاتَتْ حدودُنا للعِدى مَطِيَّهْ
فأغرَقَتْنِي الدُّمُوعُ خَجْلَى وأَطرَقَتْ هَامَتِي حَيِيَّهْ
وقلتُ : يا ربِّ ما دَهَانا في غَزْوَةٍ شِبهِ جَاهِلِيَّهْ
وأَيْنَ رُحماكَ لِلحَيَارَى وأَيْنَ أَلطَافُكَ الخَفِيَّهْ

◆◆◆

فَعادَنِي مِن حديث عمري صَدَى القَطَاةِ الجَزائِرِيَّهْ
عِشرونَ عامًا وفي خَيالي مِنْ سَمْتِها صُورةٌ جَلِيَّهْ
أُسائلُ الغَيْبَ أَيْنَ أَمْسَتْ بِسَماتُها الحُلوةُ النَّقِيَّهْ

هــل بَقِيَــتْ تَحْـصدُ الأمــاني | أم لَقِيَــتَ رَبَّهــا رَضِـيَّةْ ؟
وكُلّمــا طــافَ بي عَبِـيرٌ | مِـنَ انْتِـصارَاتِها الزَّكِيَّــةْ
أَفَقْــتُ مِـنَ حَـيْرَتِي وَيَـأْسِي | وَثُبْــتُ مِـن غَفْـوَةِ البَلِيَّــةْ
وقُلْــتُ : لا أُمتــي هَـشِيمٌ | ذَاوٍ ، ولا هِمَّتِــي عَيِيَّــةْ
وَلا حِمَــى الله مُسْــتَبَاحٌ ، | ولا دُرُوبُ المُنَــى عَـصِيَّةْ
مَتَــى رَأَيْنــا الـتُّراب عِرضَــاً | والبَــذْلَ فَرْضَــا وأَرْيَحِيَّـةْ

◆◆◆

جَزَائِــرِيّ يَــا صــبَا بِـلادِي | وَعِطْــرَ أَنْفَاسِــهَا الــشَّذِيَّةْ
وأَنْــتِ في صَــدْرنا وِسَــامٌ | وأَنْــتِ في شِــعْرِنَا تَحِيَّــةْ
جِئنــاك والنَّــصْرُ في حِمَانــا | يَعْــزِفُ أَلْحَانَــهُ الــشَّجِيَّةْ
وَقَــدْ كَــسَرنا جَنَــاحَ قَــوْمٍ | يُزْهَــوْنَ كِــبْرًا وَنرجُــسِيَّةْ
وكَــمْ خَبِرنَــا الجِهَــادَ قَــبْلاً | بِكُــلِّ أَلْوانِــهِ الدَّعِيَّــةْ
مِــنَ اعتِقــالٍ إلى انْفِعــالٍ | إلى انْتِحَــال للعنتريــة
ومِــن خِطــابٍ إلى شُــبابٍ | إلى أَحَادِيْــثَ مِنْبَرِيَّــةْ
ومِــنْ خِــداعٍ إلى انْــدِفَاعٍ | بِغَــيْرِ عَقْــلٍ وَلا رَوِيَّــةْ
وَمِــنْ صِرَاعٍ إلى ضَــيَاعٍ | إلى وَدَاعٍ لِلْوَحْدَوِيَّــه
حتَّــى عَرَفْنــا الجِهَــاد حَقّــاً | عــلى الغِــرَارِ الجَزَائِرِيَّــه
فــالجَيْشُ بَعْــدَ القَنــاةِ مــاضٍ | واللهُ مُنْتَــشِرفٌ مُـضِيَّةْ
يَمْــشي لِــسِيناءَ فِي هَجِــيرٍ | تُظِلُّــه ذاتُــهُ العَلِيَّــةْ
وقَــدْ جَعَلْنــا الفِــدَاءَ فِيْنَــا | شَرعًــا ودِينًــا وَمَذْهَبِيَّــةْ
إنْ دَقَّ أَجْرَاسَــهُ مَــضَيْنَا | نَبْــذُلُ أَرْوَاحَنــا سَــخِيَّةْ

◆◆◆

جَزَائِــري لَمْ يَــزَلْ حِمَانَــا | يَحْمِــلُ مِــنْ ثَــأرِهِ بَقِيَّــةْ

هـــذي فِلِـــسْطِينُ فِي شَرَاهَـــا ... تَعِـــيْشُ مَغْلُولَــــةً سَـــبِيَّهْ
ظَمْآنَـــةً ، يَـــشْرَبُ الأَعَـــادِي ... مِـــنْ طِيْـــبَ أَرْزَاقِهَـــا الهَنِيَّــهْ
مَحْزُونَـــةً ، يَـــسْخَرُ الأَعَـــادِي ... بِكُـــلِّ أَقْدَاسِـــهَا التقِيَّـــهْ
مـــسحورةً مِـــن رُقَـــي الأَعَـــادِي ... كَـــأَنَّ مُوْسَـــى أَلْقَـــى عِـــصِيَّهْ
فَانْطَلَقَـــتْ دَوْلَـــةُ الأَفَـــاعِي ... بِغَـــيْرِ دِيْـــنٍ وَلا وَصِـــيَّهْ
تَمْـــرَحَ فِي العَـــالَمِينَ تِيْهًـــا ... وَتُحْـــرِقُ الأَرْضَ عَنْجَهِيَّـــهْ

◆◆◆

جَزَائِـــرِي ، أُمَّتِـــي تَعَـــالِيْ ... نَمْـــضِي إِلى خُطَّـــةٍ سَـــوِيَّهْ
نَجْعَـــلُ مِيْثَاقَهـــا عَلَيْنَـــا ... فِي كُـــلِّ أَحيائِنَـــا أَلِيَّـــهْ
وَلا تَقُـــولِي عَـــن أيِّ دَارٍ : ... دانِيَـــةٌ تِلْـــكَ أَو قَـــصِيَّهْ
وهـــذِهِ الأَرْضُ مَغْرِبِيَّـــهْ ... وَتِلْكُـــمُ الأرضُ مَـــشْرِقِيَّهْ
فَـــنَحنُ رَغْـــمَ الحُـــدُوْدِ جِـــسْمٌ ... موحَّـــدُ الـــذَّاتِ والخَلِيَّـــهْ
إِذَا شَـــكَا الـــدَّاءَ أَيُّ عُـــضْوٍ ... مِنْـــهُ تَـــدَاعَتْ لَـــهُ البَقِيَّـــهْ
ومَـــلءَ أَوطانِنـــا شَـــبَابٌ ... حيَاتُـــهُ لِلْحِمَـــى هَدِيَّـــهْ
يَمْـــشِي إِلى المَـــوْتِ لا يُبَـــالِي ... مَـــا دَامَ فى أَرْضِـــهِ قَـــضِيَّهْ
إِنْ عَـــاشَ فِي تُرْبِهـــا عَزِيْـــزًا ... أَوْ مَـــاتَ فِي حُبِّهَـــا ضَـــحِيَّهْ

◆◆◆

العبور وفتح القناة

بِيَدَيْنَا اقْتَحَمْنَا الصَّخْر فانهدَّت قِوَاهْ
وَمَضَيْنَا و فَحَفَرْنا في ثَنَايَاهُ القَنَاهْ
وهدَيْنَا البَحْرَ لِلبَحْرَ وأَجْرَيْنَا المِيَاهْ
وبَنَيْنَا هرمًا، من مائِهِ تَحْيا الحَيَاهْ

***

هَلْ علمتُمْ كيف أَجرَيْنَا هُنَا شِرْيَان مَاءِ
يصلُ المشرقَ بالمغربِ في خيرٍ لقاءِ
صانعًا من راحتَيْنا واحةً في الصَّحراءِ
نَشَرتْ تحتَ جَناح السّلم آياتِ الرَّخاءِ

***

أَلتُّرابُ الحرُّ لا زالَ مِنَ القَاعِ يُنَادِي
ها هُنا ترقدُ تحتَ الماءِ آلافُ الأيادِي
إسْتَماتَتْ وهي تَبْنِي، وَهَوَتْ تحتَ الرَّمادِ
فَلْتَصَلُّوا عِنْدَ هذا الشَّطِّ مِنْ أَرْضِ بِلاَدِي

***

وَلْتَؤَدّوا مرةً أُخْرَى صَلاةَ الشُّهَدَاءْ
فالدَّمُ المِصْريُّ كَمْ سالَ عَلَى أَرْضِ الفِدَاءْ
قَدْ أَرَدْنَاهَا سَلامًا، وأَرادُوهَا عَدَاءْ
فَجَعَلْنَاهَا حَرامًا، ومَلأْنَاها دِمَاءْ

***

يا قناةَ نُسِجَ البَحْرِيْنِ، عُودِي وَاسْتَعِيدِي
ذِكْرَياتِ الصَبرِ والإيمانِ والنَّصْرِ المَجِيدِ،
وَأَخْطُري في مِهْرَجانِ الفَتْحِ واجْري مِنْ جَدِيدَ
وانْشُري إشْرَاقَةَ الخَيْرَ عَلَى النِّيلِ السَّعِيدِ

(*)نشرت بمجلة الهلال (يونيه ١٩٧٥) عند إعادة افتتاح قناة السويس للملاحة بعد حرب أكتوبر.

الشِّعْرُ والفَنُّ

مَــنْ زَانَهــا بِاللَّمَحَــاتِ الحِـسَانْ ... ومَــنْ كَـسَاهَا الخَــزَّ والطَّيْلَـسَانْ
وَمَـــنْ غَـــذَاهَا بِعَبِـــيْرِ الرُّبـــى ... وَمَــنْ سَــقَاهَا مِــنْ عُيُــونِ الجِنَــانْ
وَمَــنْ جَلَاهَــا مِــنْ سُــلافِ النُّهَــى ... وَصَــبْوَةِ الــرُّوحِ ، وَسِــحْرَ البَيَــانْ
مَــنْ زَفَّ لِلتَّــارِيخِ أَحــلَى الــرُّؤَى ... فَبَــارَكَ الــرَّحْمنُ هــذا القِــرانْ
وَمَــنْ بَنَــى مِــنْ لِبَنَــاتِ العُــلَى ... أَمْجَادَهــا حتــى غَــدَت « تَلْمَسَان »
وأَصْبَحتْ في الغَـرْبِ زَيْـنَ القُـرى ... ونَافَـــسَتْ بَغْـــدَادَ والقَـــيْرَوَانْ
والله ، لا الــسَّيفُ عَــلى بَأسِــهِ ... ولا جَـــلالُ المَلْـــكِ والـــصَّوْلَجَانْ
فَكُــلُّ هــذَا عَــرَضٌ زَائِــلٌ ... والفَــنُّ والــشِّعْرُ هُمَــا البَاقِيَــانْ
مَــنِ ادَّعَــى أَنَّهُــمَا فِتْنَــةٌ ... مِــن عبْــثِ اللَّيــلِ ، وَلَهْــوِ الــدِّنَانْ
مَــنْ أَنْكَــرَ الخَــيْرَ بِمَحْيَاهُمَــا ... وَمَــنْ قَــضَى أَنْ يُــوأَدَ التَوأَمَــانْ
لا تَظْلِمُــوا الفَــنَّ بِهــذَا القِــلَى ... أَو تَــصِمُوا الــشِّعْرَ بِهــذا الهَــوَانْ
فَــمَا جَمَــال العَــيْشِ لَوْلاَهُمَــا ... وَرَاحَــةُ الــرُّوحِ ، وأُنْــسُ الجِنَــانْ
وَجْهَــانِ مِــن إِشْرَاقَــةِ الخُلْــدِ لَمْ ... يَــأْتِ بِــأَحْلَى مِــنْهُمَا ، الأَصْــغَرانْ
لــو اغْتَرِبْنــا في مغَــانيهما ... تقتلنــا ، بعــدهما ، الغُرْبَتَــانْ
هَامــا بِنُــورِ الله زُلْفَــى ، كَــمَا ... هَــامَ بِنُــوْرِ القَمَــرِ الفَرْقَــدَانْ
وَحُبِّبَــا فِينَــا ، كَــما حُبِّبَــتْ ... في جَنَبَــاتِ الكَعْبَــةِ الــصَّخْرَتَانْ

◆◆◆

الفَــنُّ عَــاشَ الفَــنُّ تَعْوِيــذَةً ... تُــضْفِي عَلَيْنَــا لَمَــسَاتِ الحَنَــانْ

(*) ألقيت في الملتقى الإسلامي الذي انعقد في ١٠ يوليو ١٩٧٥ في مدينة تلمسان بالجزائر تحت عنوان «هل الشعر والفن عاملا بناء أو هدم في حياة الشعوب» .

وَتَطْــرَحُ الهَــمَّ ، وَتَجْلُــو الأَسَــى ... وَتَجْمَــعُ الأَحْبَــابَ تَحْــتَ الكِنَــانْ

الفَــنُّ ، نَــسْتَقْبِلُ مِــنْ لُطْفِــهِ ... وَجْــهَ الرَّبِيــعِ الطَّلْــقِ في كُــلِّ آنْ

لَــولاهُ لَمْ تَخْطُــرْ بِنَــا فَرْحَــةٌ ... وَلاَزَهَــا عَــرْشٌ ولا صــولجان

وَسَــوْفَ يَبْقَــى الفَــنُّ مِــلْءَ الدُّنَى ... وَيَلْبَــثُ الفَنَّــانُ مِــلْءَ العَيَــانْ

مَــا هَدْهَــدَ القَلْــبَ صُــداحُ المُنَــى ... وغَــرَّدَ الطَّــيْرُ عَــلَى غُــصْنِ بَــانْ

وَأَوْدَعَ اللهُ اللَّهَــاةَ الــشَّجَى ... وَأَلْهَــمَ الإِبْــدَاعَ طَــرْفَ البَنَــانْ

مــا أَجْــدَبَ الأَيَّــام إِمَّــا خَلَــتْ ... مِــنْ أُمِّ كُلْثُــوم ، وَمِــنْ أَسْــمَهَانْ

وَيــا هَــوَى « المالوفِ » إِمَّا اسْتَوَتْ ... أَنْغَامُــهُ فَــوْقَ ثُغُــوْرِ القِيَــانْ

وَيَــا هَنَــاءَ الــرُّوحِ إِمَّــا انتــشت ... بِرَنَّــةِ العُــوْدِ ، وَسِــحْرِ الكَــمانْ

بَعْــدَهُمَا تَحْلُــو اللَّيَــالِي ، كَــمَا ... تَحْلُــو صَــلاَةُ الفَجْــرِ بَعْــدَ الأَذَانْ

◆◆◆

والــشِّعْرُ ؟ عــاشَ الــشِّعْرُ إِرْثًــا بِــهِ ... يَهِــزُّ عِطْفَيْــهِ ضَــمِيرُ الزَّمَــانْ

أَبْقَــى عَــلَى الفُــصْحَى تَرانِيمَهــا ... وَرَدَّ عَنْهَــا اللَّهجَــاتِ الهِجَــانْ

يَــا رَحِــمَ اللهُ عُكاظَــا ، أَمَــا ... كَانَــتْ لِفُرْسَــانِ القَــوَافِي الرِّهَــانَ

وَكَانَــتِ الحُجَّــةُ فِي عَهْــدِهِمْ ... وكانــتَ المجمَــع والبرلمــانْ

يَقْــضُونَ فيهــا مــن خِلافَــاتِهِمْ ... بِالــشِّعْرِ مَــا تَعْجِــزُ عَنْــهُ الــسِّنَانْ

وَيَــسْدِنُوْنَ البَيْــتَ فِيْ رَفْعِهِــمْ ... لِلمُلْحَــمَاتِ الغُــرِّ حَــوْلَ الــسِّدَانْ

◆◆◆

الــشِّعْرُ ، لا الــشِّعْرُ الجَدِيْــدُ الَّــذِي ... يَطُــوْلُ أَوْ يَقْــصُرُ كــالأُفْعُوَانْ

أَضْــحَى وَقَــد قَــصُّوا تَفَاعِيلَــهِ ... وَهْنَــاً كَــصَوْتِ العَبْــدِ بَعْــدَ الخِتَــانْ

تَــراهُ مِــنْ عَجْمَــةِ إِيْقَاعِــهِ ... يَكَــادُ يَحْتَــاجُ إِلَى تُرْجُمَــانْ

وَيَقْــرَعَ الــسَّمْعَ بِــلاَ غُنَّــةٍ ... وَيُرْسِــلُ الوَقْــعَ بِغَــيْرِ اتِّــزَانْ

فَــشَطْرُ بَيْــتٍ كُلُّــهُ كِلِمَــةٌ ... وَآخَــرُ عِدَّتُــهُ كِلْمَتَــانْ

وَثَالِثٌ يَجْرِي عَلَى أَرْبَعٍ كَالكَلْبِ أو كَالقِرْدِ أو كالأتَانْ
وَيَلْبَسُ الأَلْوَانَ مَجْلُوبَةً مَمْسُوخَةَ الأَصْبَاغِ كَالبَهْلَوانْ

◆◆◆

يَا عَرَبَ الدُّنْيَا . ألا فَانْفِرُوا وأَنْكِرُوا بِاللهِ هَذَا السَّرطانْ
فالشِّعْرُ مَا خَلَّدَ دُسْتُورَهُ خَلِيْلُنَا البَصْرِيُّ عَبْرَ الزَّمَانْ
فَلا أَبُو الطَّيِّبِ أَزْرَى بِهِ وَلاَ ارْتَضَى شَوْقِي لَهُ أَنْ يُهَانْ
يَا رَادَةَ الإِسْلام ، عَفْوًا إذا أَدَرْتُ كَأْسَ الشِّعْرِ حَوْلَ الخِوانْ
مَلأْتُهَا حُبًّا ، فأَسْكَرْتُكَمْ مِنْ صَفْوِهَا الحُلْوِ الحَلالِ الرَّيَّانْ
أَيُّهمَا أَدْنَى لَكُمْ ؟ هَلْ عُمَرُ الخَيَّام ، أَمْ كِسْرى أَنُو شَيْرَوانْ
وَ « المَقَّرِيُّ » الفَرْدَ هَلْ « نفحه » أَبْقَى لَكُمْ أَمْ نَفْحُ « يَغْمُوْرَسَانْ »
مَنْ قَالَ : إِنَّ الشِّعْرَ أَزْرَى بِنَا وبَدَّد المُلْكَ ، وَهَدَّ الكِيَانْ ؟
وَاللهِ مَا أَزْرَتَ بِنَا مِحْنَةٌ في الدَّهْرِ إلاّ الشَّعْبُ حِيْنَ اسْتَكَانْ
أَسْلم لِلْبَاغِي مَقَالِيْدهُ فَانْفَلَتَ البَغْيُ طَلِيْقَ العِنَانْ
لا تظْلمُوا الشِّعْرَ ، فَيَا طَالَمَا كَانَ عَلَى الطَّاغُوْتِ حَرْبًا عَوَانْ
وَطَالَمَا أَحْيَا مَوَاتَ المُنَى وَأَشْعَلَ السَّيْفَ بِكَفِّ الجَبَانْ
وطَالَمَا جَلْجَلَ فِيْ قَوْمِهِ يَحْمِي ذِمَارَ الحَقِّ كالدَّيدَبَانْ
قَدْ يَرْجِعُ المَلْكُ إِلَى رَبِّهِ وتَنْتَهِي الهَالةُ والهَيْلَمَانْ
وَيَذْهَبُ الجَاهُ ، وَيَذْوِي الغِنَى ويَنْضَبُ المَاءُ ، وَتَخْلُو الجِفَانْ
وَيَسْقطُ الظَّالِمُ عَنْ عَرْشِهِ وتَخْمَدُ النَّارُ ، ويَفْنَى الدُّخَانْ ،
وَيلْبثُ الشاعرُ في قَبْرِهِ حيّاً ، ويَبْقَى الشِّعْرُ في العُنْفُوانْ
الشِّعْرُ إِنْ فَاتَ يَدَيَّ انْتَهَى حَظِّيْ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَالِي يَدَانْ
وَاللهِ ، مَالِي غَيْرُ إيقَاعِهِ وَسِيْلة تُرْجَى بِهَا الحُسْنَيَان
وَهَبْتُهُ للهِ أَرْجُو بِهِ كَرَامَةَ العَفْوِ ، و ظِلَّ الأَمَانْ

نَظَمْتُـهُ مِـنْ وَسْوَسَـاتِ الحِلى ... وَصُغْتُهُ مِـنْ عَثَـراتِ اللِّسَانْ
فَـإنْ تَفَجَّرْتُ ، فَفِـي غَضْبَةٍ ... يَـرْضَي عَلَيْهَا اللهُ والقِبْلَتَانْ
وَفِي سَبِيْلِ الوَطَنِ المُفْتَدَى ... وَحِسْبَةٌ للهِ يَـوْمَ الطِّعَانْ
وإِنْ تَـذَلَّلْتُ فَعَـنْ تَوْبَـةٍ ... للهِ ، أَتْلُوهَـا بِقَلْـبٍ مُدَانْ
لَعَلَّنِـي فِي نَـدَمِي أَجْتَلِي ... رَحْمَتَهُ إِنْ تَـوزَنِ الكَفَّتَانْ
وإِنْ تَهَلَّلْـتُ فَعَـنْ فَرْحَـةٍ ... بِنِعْمَـةِ اللهِ ، رِضَا وامْتِنَانْ
فَهُوَ الَّـذِي كَـمْ رَدَّ عَنِّي الرَّدَى ... وَمَـدَّ لِي فِي العَيْشِ هذَا اللَّيَانْ
وإِنْ تَغَزَّلْـتُ ، فَـلاَ عَـنْ هَـوَى ... لِلنَّاعِسَاتِ النَّاعِمَاتِ اللِّدَانْ
وَإِنَّـمَا تَـسْبِيْحَةٌ لِلَّـذِي ... اسْتَوْدَعَ الحُسْنَ وُجُوهَ الحِسَانْ

❖❖❖

الشِّعْرُ ، مَا أَدْنَاه مِـنْ عُـرْوَةٍ ... تَرْبِطُنَـا إِمَّـا نَـأَى المَشْرِقَانْ
الشِّعْرُ ، مَا أَغْـلاَهُ مِـنْ دَعْـوَةٍ ... إِمَّـا دَعَانَـا لِلْفِـدَا المَعْمَعَـانْ
الشِّعْرُ ، مَـا أَحْـلاَهُ مِـنْ نَـدْوَةٍ ... إِذْ ضَمَّنَا فِي اللهِ هـذَا المَكَـانْ
مَهْمَا افْتَرَقْنَـا في الـدُّنَى ، بَعْـدَهُ ... تَظَـلُّ فِي أَعْمَاقِنَـا « تِلْمِسَـانْ »

❖❖❖

ابن زيدون

تَظَلُّ تَعِيشُ مِنْ عَصْرٍ لِعَصْرٍ كَأَنَّكَ لاَ تُرَدُّ لأَيِّ عُمْرِ ،
نَزَلْتَ ، أَبَا الوَلِيْدِ ، بِكُلِّ قَلْبٍ وَعِشْتَ خَرِيْدَةً فِي كُلِّ صَدرِ
وَطُفْتَ بِكُلِّ مَمْلَكَةٍ ، لِتَحْيَا وتُذْكَرَ فِي المَحافِلِ خَيْرَ ذِكْرِ
وَقَرَّ بِكَ المطَافُ هنَا ، وأَنْعِمْ بِأَنْدَلُس الجَدِيْدَةِ مِنْ مَقَرِّ
بِهَا مَلِكٌ هُوَ « الحَسَنُ » المُفَدّى أَبُو العَهْدِ المُهِلِّ بِكُلِّ خَيْرِ
وَتَنْسِبُهُ الجَلائِلُ حِيْنَ يُمْنَى لأَشْرَفِ عِتْرَةٍ ، وَأَجَلِّ ظَهْرِ
عَرَفْتُ أبَاهُ ، فَتْرَةَ أَنْ دَعَانِي إِلَى إِيْوَانِهِ ، وأَعَزَّ قَدْرِي
وأكْرَمَنِي بِظِلِّ حِمَاهُ شَهْراً أَحَبَّ لِخَاطِرِي مِنْ أَلْفِ شَهْرِ
وأَنعَمَ بِالوِسَامِ ، فَزَانَ صَدْرِي وقَلَّدَنِي الحُسَامَ ، فَشَدَّ أَزْرِي
وأَشرَفَ فِي تَوَاضُعِهِ ، كَأَنِّي أَنَا المِلكُ المُضِيفُ وذَاكَ قَصْرِي
وَكَيْفَ يُقَلِّدُ الشُّعَراءُ مُلْكاً وَكُلُّ قُصُورِهِمْ أَبيَاتُ شِعْرِ
وَلكِنْ زَادَ مِنْ زَهْوِي ، يَقِيْنِي بِأَنَّ رَضَاهُ تَكْرِيْمٌ لِمِصْرِ

❖❖❖

أَيَا أَيَّامَ أَنْدَلُس سَلاَمَاً عَلَى مُلْكٍ بَنَاهُ فَتَى نُصَيْرِ
تَعَهَّدَهُ الطُّمُوحُ بِكُلِّ بَذْلٍ وبدَّده الجُنُوحُ بِكُلِّ نُكْرِ
وأَسْلَمَتِ الطَّوائِفُ كَاهِلَيْهَا لِمَرْكَبِ كُلِّ مَفْتُونٍ وَغِرِّ
وَمَا المُلْكُ الكَبِيرُ بِمُسْتَتِبٍّ وَلا العَهْدُ الوَثِيْرُ بِمُسْتَقِرٍّ
إِذَا طَغَتْ المَطَامِعُ والدَّنَايَا عَلَى الإِيْثَارِ لِلْوَطَنِ الأَبَرِّ
سَأَلْتُكَ يَا ابْنَ زَيْدُونَ الْتَمِسْ لِي إِذَا شَطَّ الحَدِيثُ ، جَمِيْلَ عُذْرِ

(*) أثناء محنة مرض الشاعر نظم هذه القصيدة ليلقيها في مهرجان الشاعر الأندلسي ابن زيدون الذي عقد بمدينة الرباط في أكتوبر ١٩٧٥ لكن وطأة المرض حالت دون سفره فنشرها بمجلة الهلال .

فَـإِنِّي قَـد رِأَيْتُـكَ فِي اللَّيـالِي ... تَغُـوْرُ مَـعَ الحَـوَادِثِ أَيَّ غَـوْرِ
وَتَهْـدِمُ دَوْلَـةً ، وَتُقِـيْمُ أُخْـرَى ... وَتَلْعَـبُ فِي السِّيَاسَةِ كُـلَّ دَوْرِ
فَآونـةً تَعِـيْشُ رَبِيْـبَ مُلْـكٍ ... وَآونـةً تَعِـيْشُ رَهِـيْنَ أَسْرِ
خَـذَلْتَ بَنِـي أُمَيَّـةَ حِـيْنَ هَـانُوا ... وَهَـامُوا بِالتَّهَتُّـكِ والتَّـسَرّي ،
وَلَجُـوَا فِي مَبَـاذِلِهِمْ وَأَمْـسَتْ ... ذُرَا تِيْجَـانِهِمْ أَقْـدَاحَ خَمْـرِ
وَنَـاصَرْتَ الجَهَـاوِرَةَ المَـوَالِي ... وَمَـا كَـانُوا ذَوِيْ نَـسَبٍ وصـهر
وَلكِـنْ قَرَّبَتْـكَ إِلى عُـرَاهُمْ ... أَوَاصِرُ عِفَّـةٍ ، وَذُيُـوْلُ طُهْـرِ
فَهَـلْ حَفِظُـوا الجَمِيْـلَ إِذَ اسـتَقَرّوا ... وَهَـلْ جَـازَوْكَ عَـنْ بَـذْلٍ بِـشُكْرِ
وَهَـلَ ذَكَـرَ ابْـنُ عَبْـدُوسٍ لَيَـالِي ... لقَـائِكُمَا عَـلَى عُـسْرٍ وَيُـسْرِ ؟
أَجَـلْ إِنَّ الـشَدَائِدَ خَـيْرُ دَرْسٍ ... « جَـزَى اللهُ الـشَّدَائِدَ كُـلَّ خَـيْرِ »

❖❖❖

ذَكَرْتُـكَ ، يَـا ابْـنَ زَيْـدُونٍ وَلَمَّـا ... يَـزَلْ مِـنْ دَاءِ عَهْـدِكَ بَعْـضُ سُـؤْرِ
فَقَـدْ أَهْـوَتْ عَـلَى قَـوْمِي المَـآسِي ... وأَوْهَـتْ كَثْرَةُ النَّكَسَاتِ صَـبْرِي
وَحَـسْبُكَ أَنْ تَـرى الأَيَّـامَ تَنْعَـى ... فِلَـسْطِينَ الـسَّلِيْبَةَ كُـلَّ فَجْـرِ
وَحَـسْبُكَ أَنْ تَـرَى شَـعْباً عزِيـزاً ... يَعِـيْشُ بِـلاَ مُنَـى ، وَبِـلا مَقَـرِّ
أَضَـعْنَاهُ ، وَنَحْـنُ عَـلَى خِـلاَفٍ ... كَأَيَّـامِ الطَّوَائِـفِ ، مُـسْتَمِرِّ
فَبَـاتَ كِتَابُنَـا يَـدْعُو عَلَيْنَـا ... وَبَـاتَ تُرَابُنَـا يَرْنُـو وَيُـزْرِي
وَحِـيْنَ تَوَالَـتِ النَّكَبَـاتُ قُمْنَـا ... إِلَى الجُـلَّي بِإِقْـدَامِ المُـصِرِّ
دَعَوْنَـا العُـرْبَ فَانْتَفَـضُوا وَهَبُّـوا ... إِلَى سَـاحِ الفِـدَاءِ كَيَـوْمِ حَـشْرِ
كَـأَنَّ عَـلَى الرِّمَـالِ دُعَـاءَ حَـجٍّ ... وَأَنَّ عَـلَى القَنَـاةِ صَـلاَةَ عَـصْرِ
وَمَـا كَـانُوا بِمتَّخِـذِينَ عُـذْراً ... فَقَـدْ محت الهَزِيمَـةُ كُـلَّ عُـذْرِ
وَزَوَّدْنَـا الجِهَـادَ بِكُـلِّ مَهْـرٍ ... وَأَعْتَـدْنَا العَتَـادَ لِيَـوْمِ ثَـأْرِ
وَأَنْزَلْنَـا الرِّجَـالَ جُـسُورَ زَحْـفٍ ... وَحَوَّلْنَـا الجِبَـالَ رُؤُوسَ جِـسْرِ

وَتَرْجَمْنَــا الــصِيَّامَ إِلَى عُبُــورِ ... بِــإِيْمَانِ الجَمَاعَــةِ، يَــوْمَ بَــدْرِ
فَلَيْتَــكَ يَــا ابْــنَ زَيْــدُونٍ بِهــذَا ... نَــصَحْتَ القَــوْمَ فِي رُشْــدٍ وَبِــرٍّ
إِذَنْ لَحَفِظْــتَ أَنْدَلُــساً عَلَيْنَــا ... فَــمَا هَانَــتْ، وَلاَ لاَنَــتْ لِكُفْــرِ
وَهَــا أَنَــذَا أُقِــرُّ بِــذَنْبِ قَــوْمِي ... وَيعفُــو اللهُ عَــنْ ذَنْــبِ المُقِــرِّ

❖❖❖

سَمَاحَا، يَـا ابْـنَ زَيْـدُونٍ، وَعَفْـواً ... إِذَا انْطَلَـقَ الحَـدِيْثُ بِغَـيْرِ حَـصْرِ
وَخُــضْنَا فِي مَعَامِعِــهِ، كأَنَّــا ... أَشَــاوِسُ قِمَّــةٍ، وَوُلاةُ عَــصْرِ
وَمَــا فِيْنَــا، وَحَقِّــكَ، مِــنْ كَمِــيٍّ ... مِكَــرٍ فِي المَعَــارِكِ أَو مِفَــرِّ
وَلَــسْنَا فِي الــسِّيَاسَةِ أَهْــلَ نَهْــيٍ ... وَلَــسْنَا فِي الرِّيَاسَــةِ أَهْــلَ أَمْــرِ
وَلَــسْنَا مَعْــشَرَ الــشُّعراءِ إلاَّ ... هُــوَاةَ جَــوَاهِرٍ، وَرُوَاةَ دُرٍّ،
وَمَــا جِئْنَــا لِنَــذكِرَ المــآسِي ... فَقَــدْ جِئْنَــا لِنُطْــرِبَ أَوِ لِنُطْــرِي
فَهَــاتِ، أَبَــا الوَلِيْــدِ لَنَــا، وَحَــدِّثْ ... عَــنَ الوَلَــهِ الَّــذِي يَــسْرِي فَيُثْــرِي
وَعَــنْ «وَلاَّدَةٍ»، وَشِــبَاكِ طَــرْفٍ ... وَقَعْــتَ بِــهِ، فَــمَا لَــكَ مِــنْ مَفَــرِّ
وَعَــنْ شَــقْرَاءَ، إِذْ تَخْطُــو وَتَــسْطُو ... عَــلَى أعتَــي القُلُــوبِ بِغَــيْرِ نَــذْرِ
وَإِذْ تَنْهَــلُّ سَــافِرَةً لَعُوبــاً ... وَإِذْ تَخْتَــالُ فِي تلَــعٍ وَكِــبْرِ
كَــأَنَّ بَيَاضَــهَا لَمَعَــاتُ شَــمْسٍ ... وَمَوْجَــةُ شَــعْرِهَا شَــلاَّلُ يِــبْرِ
وَفِي آمَاقِهَــا رَاوُوقُ حُــسْنٍ ... وَفِي أَعْمَاقِهَــا طَــاغُوتُ سِــحْرِ
تَمُــرُّ بِــرَوْضِ «قُرطَبَــةَ» فَتَلْقَــى ... صُــفُوفَ العَاشِــقِيْنَ عَــلَى المَمَــرِّ
فَتَخْطُــرُ بَيْــنَهُمْ بِغُــرُورِ انْثَــى ... تَقُــولُ، وَصَــوْتُها بالحُــبِّ يُغْــرِي:
«أنَــا، واللهِ، أَصْــلُحُ لِلْمَعَــالِي ... وأُمْكِــنُ عَاشِــقِي مِــنْ لَــثْمِ ثَغْــرِي
وَتَلْمَــحُ فِي الــصُّفُوفِ فَتــىً، عَلَيْــهِ ... سِــمَاتُ غَــضَنْفَرٍ، وَعُيُــوْنُ صَــقْرِ
أَجَــلْ، وهــو الوجيــهُ بخــيرِ وجْــهٍ ... أَجَــلْ، وهــوَ الــوزيرُ بغَــيرِ وِزْرِ
أَجَــلْ، وَهــوَ الفَقِيْــهُ بِكُــلِّ فَــنٍّ ... وَذُو القَــدحَيْنِ مِــنْ شِــعْرٍ وَنَثْــرِ

يُطَالِعُ حُسْنَها ، وَبِنَاظِرَيْهِ   رُؤَى الظَّمآنِ ، فِي أَعْمَاقِ بِئْرِ
فَتَسْأَلُ أَنْ يُوَاصِلَهَا بِلَيْلٍ   فَإِنَّ اللَّيْلَ يَكْتُمُ كُلَّ سِرِّ
فَيَا بِنْتَ الخَلِيفَةِ لاَ تُدِلِّي   عَلَيْهِ بِمَا افْتُتِنْتِ وَلاَ تُغَرِّي
فَمَا هُوَ دُونَ عِتْرَتِكِ انْتِسَابَا   وَلا دُونَ المُلُوكِ عُلُوَّ قَدْرِ
هُوَ القُرَشِيُّ فِي نَسَبِ المَعَالِي   أَبَعْدَ «قُريش» مِنْ شَرَفٍ وَقَدْرِ ؟

❖❖❖

أَرَاوِيَةَ الزَّمَانِ انثُرْ عَلَيْنَا   سُلاَفَ مَحَبَّةٍ ، وَرَشَاشَ عِطْرِ
وَلا تَسِمِ ابْنَ زَيْدُونٍ مَلاَماً   فَلِلشُّعَرَاءِ يُغْتَفَرُ التَّجَرِّي
حِكَايَتُهُ الشَّجِيَّةُ فِي هَوَاهَا   تُؤَرِّقُ مَضْجِعِي ، وَتُثِيرُ جَمْرِي
فَإِنِّي عِشْتُهَا أَيَّامَ طَيْشِي   وَكُنْتُ أَظُنُّ لَمْ تَحْدُثْ لِغَيْرِي
نَقَمْتُ عَلَى ابْنِ عَبْدُوسٍ لأَنِّي   رُزِئْتُ بِمِثْلِهِ فِي شَرْخِ عُمْرِي
أَبَاحَ سَرِيرَتِي ، وَاهْتَاضَ وُدِّي   وَغَالَ أَمِيرَتِي ، وَوَشَى بِوَكْرِي
وضُقْتُ بِشُؤْمِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ   وَذُقْتُ بِلُؤْمِهِ أَلْوَانَ غَدْرِ
وَلَوْلا خِشْيَتِي لَوْمَ الأَعَادِي   رَوَيْتُ حِكَايَتِي ،وَفَضَحْتُ سِرِّي
فَلاَ تَسَلِ الرَّصَافَةَ عَنْ حَدِيثٍ   بِأَرْكَانِ الخَمَائِلِ ، مُسْتَسِرٍّ
فَمَا سَمِعَته أَوْ حَفِظَتْه إلاَّ   جَنَائِنُ تَحْتَهَا الأَنْهَارُ تَجْرِي
وَحَسْبُكَ أَنَّهَا شَهِدَتْ غَرَاماً   أَنِيقاً فِي التَّدَثُّرِ والتَّعَرِّي
وَحَسْبُكَ أَنَّهَا شَهِدَتْ لُقَاحاً   يَشِيعُ عَبِيرُهُ فِي كُلِّ زَهْرِ
وَحَسْبُكَ أَنَّهَا قَدْ جَمَّعَتْنَا   عَلَى حُبٍّ وَأُغْنِيَةٍ وَشِعْرِ

(٠) ابن زيدون (٣٩٤ – ٤٦٢هـ) شاعر أندلسي ، ولد بقرطبة ، وصل للوزارة في عهد ابن جهور أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، ولكن الوشاة نجحوا في أن ينقلب عليه الحاكم فيسجنه لكنه فر من سجنه، وشهدت حياته المزيد من الاضطراب ، واشتهرت قصة حبه لولادة بنت المستكفي أحد خلفاء بني أمية التي شهدت أحداث حب وغيرة وفراق وعذال خاصة وشايات ابن عبدون الذي سعى للظفر بقلب ولادة. «المحقق».

أغنيات إلى القاهرة



هل تعرفون يا رفاقي الجنة الموعودهْ
يشدو الجلال باسمها كأنها أنشوده
ويسرح الجمال في ظلالها الممدوده ؟
هنا ، هنا وطني في شاطئ النيل السني
في جيرة الأهرام أبقى معجزات الزمن
في خلوة العابد والقديس والمؤذن
وجلوة الشاعر والغريد والملحن
وتحت أهداب النجوم الساهره
هنا ، هنا في القاهره

❖ ❖ ❖

وهل مررتم يا رفاقي في الورى بمثلها
في عرفها ولطفها وشمسها وظلها
وفي صفاء ليلها ... وفي وفاء أهلها ؟
حروفهم منغمه وطبعهم ما أكرمه
تضمهم عاصمة المدائن المنعمه
حاضرة الإسلام بعد مكة المكرمه
فأرضها على رؤى عدوها محرمه
تحرسها بالصلوات الطاهره
قلوبنا في القاهره

هــل ســمعتم شــدوها المــنغم العذويــه
تسألكم : هل تعرفون ما اسمها ... محبوبتي ؟
لهــا الجــمال والجــلال ... إنهــا عروبتــي
مــدينتي الملونــه ... تتيــه مــن ألــف سنه
ولا تــزال في الــشباب غــضه ومحــسنه
وفي ظــلال ليلهــا تــضيء ألــف مئذنــه
بنــت المعــز ســتظل بالــسماء مؤذنــه
ولا تذل لليالي الجائره
لن تقهري يا قاهره

❖ ❖ ❖

مــدينتي مــن يــوم عمــرو لم تــزل معطــره
بــسيرة المــساجد العاليــة المنــوره
منـذ بناهـا «جـوهر» عـلى الـضفاف جـوهره
قلــب العروبــة الأبي ... مــن مــشرق لمغــرب
مــرت بأحــداث الأمــان في أعــز موكــب
ســعى إلى رواقهــا كــل رســول ونبــي
وحولهــا تجمعــت آمــال كــل العــرب
فانطلقي للوثبات الثائره
وانتصري يا قاهره

❖❖❖

أنا القاهرة

أنــا بنــت «منــفٍ» ... أنــا بنــت «مينــا»
عــروس الفراعنــة الأكرمينــا
أنــا مطلــع النــور في العالمينــا
أنا في المفاتنْ
عروس المدائنْ
أنــا الجنــة الحلــوة الزاهــره
أنا القاهرهْ

❖ ❖ ❖

أنــا آيــة الفــن مــن «جــوهرٍ»
ومنبــع نــيلي مــن الكــوثر
أنــا أم جامعــة الأزهــر
أنا قلب مصرِ
أنا بنت عمروِ
أنــا الــدرة الحــرة الطــاهره
أنا القاهرهْ

❖ ❖ ❖

أنــا روضــة في رحــاب الحــسينْ
أنــا مــصر ثالثــة القبلتــين
وحــاضرة النــور في المــشرقين
وحصن العروبهْ
ومهد الخصوبهْ
وراويــة الــسيرة العــاطره
أنا القاهره

أنـــــا حَـــــرمَ باركتــــــه الـــــسماءْ
عــــلى أرضـــــه ســـــارت الأنبيـــــاءْ
ورقّ الآذان وطـــــــاب الـــــــدعاء
قل الله أكبرْ
على من تجبرّ
فـــــما زلــــتُ مؤمنـــــة صـــــابره
أنا القاهره

❖ ❖ ❖

أنـــــا عزمتــــي مـــــن صـــــخور الهـــرمْ
أنـــــا همتــــي تتحــــدي الهمـــــم
أنـــــا أُمتــــي فـــــوق هــــام الأمـــــم
أنا الثائره
أنا الظافره
ومهـــــما تـــــدر بـــــالورى الـــــدائره
أنا القاهره

❖ ❖ ❖

أنـــــا الـــــشمس في دفئهـــــا الـــــدائم
أنـــــا الليــــل في حلمـــــهِ النـــــاعم
أنـــــا الفـــــنُ في ســــحره الباســــم
أنا من أغنى
فأسعد كوني
وأشــــــجي بلابلــــــه الطـــــائره
أنا القاهره

أغنية مصرية

جمالهـــا الأســـمر في قلوبنـــا يُغـــردُ
وثوبهـــا الأخـــضر في عيوننـــا يُزعـــردُ
وبيتهـــا العريـــق مـــن ســـمائه التجـــدد
وطبعهـــا عـــلى القيـــود الـــسخط والتمـــرد
تقـــول لا شرقيـــة أنـــا ولا غربيـــة
أهـــيم في عروبتـــي وأعـــشق الحريـــة
مصرية مصرية مصريةْ
مـــصريةٌ عزيـــزة وفي الـــسماء هـــامتي
إلى منـــازل النجـــوم تـــستطيل قـــامتي
والله والوحـــدة والجهـــاد هـــم دعـــامتي
وأبـــذل الـــروح ولا أبـــذل مـــن كرامتـــي
وهكـــذا خلقـــت مـــن طفـــولتي ثوريـــة
أهـــيم في عروبتـــي وأعـــشق الحريـــة
مصرية مصرية مصريةْ

❖ ❖ ❖

حبيبتـــي يـــا مـــصر يـــا أنـــشودة للأمـــل
لا تنظـــري لمـــا مـــضى بـــل انظـــري لمـــا يـــلي
فكـــل ظلـــم ينقـــضي وكـــل ليـــل يـــنجلي
وفي نهايـــة الطريـــق فرحـــة المـــستقبل
فـــانتظري وانتـــصري ورددي الأغنّيـــة
أهـــيم في عروبتـــي وأعـــشق الحريـــة
مصرية مصرية مصرية

لمن أصلي ؟

أأغيبُ عنك وأنت ظلي ؟.وأضيع منك وأنت
إن لم تكوني لي على الأيام فرحتها ، فمن لي ؟
يا جنة الغزل الحبيب وربّة السحر الأجل
أفما ترين مدى شجاي وتشهدين سجود ليلي
وإذا كفرتُ بجنتي وبربتي ... فلمن أصلي ؟



يا قمة الظلم الجميل وعزة الحسن المذل
أنا لا أطيق الظلم إلا أن لمحت بصيص عدل
أو أنحني للظلمِ إلا أن حنوتِ عليه قبلي



يا حلوة العشرين ما كان اللقاء لنا بسهل
لكنْ أهاب بنا الهوى الطاغي ، لعلك ، أو لعلي
فرددتُ أيام الشباب وطيشها ، وطرحتُ عقلي
ووجدتُ في هذا الجنون تحركَ الزمن الممل
وحسبت كأس الحب تسليةً ، فأدمنتُ التسلّي
حتى عرفت مدى هواي وعمقه ، فعرفت جهلي
وأقمت محراب الهوى وجعلته همي وشغلي
ورعيته ووعيته في عمق أعماقي كطفلي
ووهبته عمرا تعلّقه فما عرف التخلي
فإذا غدرتِ به فويلك ، أو غدرتُ به فويلي

لن أناديك

لــــن أناديـــك يـــا جميـــل النـــداء
لم أدعـــو مـــن لا يلبـــي دعـــائي ؟
كلـــما هـــزني للقيـــاك شـــوق
صرخـــت لهفتـــي وثـــار إبـــائي

❖ ❖ ❖

يـــا عـــذابا ، هيهـــات منـــه هـــروبي
افتديـــه بقلبـــي المـــشبوب
كـــل يـــوم يمـــر دون لقـــاء
هـــو في حبنـــا نـــذير الغـــروب
وأنـــا مهجـــة تـــذوب حنانـــا
فـــاتق الله في حنـــان القلـــوب

❖ ❖ ❖

يـــا حبيبـــي ، ولا تـــزال حبيبـــي
رغـــم خـــوفي ، والحـــب رهـــن المغيـــب
آه لمـــا دعـــا الهـــوى فالتقينـــا
بعيـــون أشـــواقها مـــن لهيـــب

❖ ❖ ❖

أســـكرتني عينـــاك نجـــوى وهمـــسا
أســـكرتني ، ومـــا تـــذوقت كأســـا
بحـــديث يحـــرك القلـــب شـــجوا
ولحـــاظ تحـــول الليـــل شمـــسا
وحنـــان معطـــر بالأمـــاني
كيـــف أنـــسى عبـــيره ، كيـــف أنـــسى ؟

❖ ❖ ❖

كيــف أنــسى هــواه حــين دعــاني
وبــــداه عـــلى حانيتــــان
وعـــلى راحتيــــه باقــــة ورد
تحمــل الــشوق والرضــا والأمــاني

◆◆◆

أي شيء يــــصبو إليــــه خيــــالي ؟
أنــــت حققــــت أجمــــل الآمــــال
أنــــا مــــن فرحتــــي بقربــــك أخــــشى
نظــــرة الغــــدر مــــن عيــــون الليــــالي
لا تقــــل لي بعــــد اللقــــاء وداعــــا
بــــل ســــلاما إلى اللقــــاء التــــالي

◆◆◆

كــم رويــت الهــوى بدمعــة فرحــي
كيــف أرويــه بعــد هــذا بجرحــي
بعــد حلــم الهنــاء في كــل ليــل
وجميــل اللقــاء في كــل صــبح ؟
الهــوى فــاتني عــلى شــاطئيه
آه مــن ظــالم أحــن إليــه
وأداري عــواطفي عنــه حتــى
لا أذل الــدموع بــين يديــه
رب ليــل بكيــت منــه ، فلــما
فــاتني ظــالمي ، بكيــت عليــه

◆◆◆

يــا غرامــي ، وأنــت مطلــع فجــري
ومنــى خــاطري ، وليلــة قــدري
إن مــضى حبنــا ، فقــد ضــاع شيء
منــك ، أمــا أنــا ، فقــد ضــاع عمــري

الأبيات الأخيرة

ذَبُلَتْ نُضْرَتي ، وَجَفَّ الإِهَابُ وَتَدَانَي إلَى الخِتَامِ الكِتَابُ

مَنْ مُعِيْنِي عَلى ثَلاثةِ آلامٍ : سَقَامٌ وَوَحْدَةٌ واغْتِرَابُ

مِحْنَةٌ جَاوَزَتْ مِنَ العُمْرِ عَاماً فَإلَى أَيْنَ يَنْتَهِي بِي العَذابُ

مَرَضٌ تَفْزَعُ المَسَامِعُ مِنْهُ وَتَشِيْبُ الرُّؤَى ، وَتَعْنُو الرِّقَابُ

فَهوَ الأخطبوطُ يَنْهشُ الصَّدْرَ كَمَا تَنْهَشُ العِظَامَ الذِّئَابُ

إيْهِ ، يَا لَنْدُنَ الكَئِيْبَةُ أَيْنَ مِنّي قَاهِرَةُ الحُبِّ (وَالأَحْبَابُ)

أَنَا فِي غُرفَةٍ ، يَضِجُّ بِهَا الصَّمتُ وَيَنْعَى أَرْكَانَهَا الاِكْتِئَابُ

❖❖❖

(*) وجدت هذه الأبيات ضمن أوراق الشاعر وهو على سرير المرض بلندن بعد رحيله في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ بعد مرض عضال عانى منه الشاعر الأمرين ، ويلاحظ اضطراب القصيدة وسقوط كلمة «الأحباب» من البيت الثالث ، وافتقارها إلى شاعرية صالح جودت ولمحاته الرائعة بسبب آلامه المبرحة .(المحقق)

محمد رضوان

■ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية محافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م.

■حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.

■ كاتب صحفي بدار الهلال ـ عضو نقابة الصحفيين ـ عضو اتحاد كتاب مصر.

■ من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت ـ أنيس منصور ـ أحمد عبد المجيد ـ عبد العليم القباني ـ المفكر التركي د. مقداد يالجن ـ كمال النجمي ـ كمال نشأت ـ فاروق شوشة ـ محمد إبراهيم أبو سنة ـ د. حسن فتح الباب ـ د. ماهر شفيق فريد).

■ له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسية، حيث عمل في سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦)، ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» السياسية (١٩٨٢)، ويعمل حالياً مديراً للتحرير بدار الهلال بالقاهرة (جوال ٠١٠٠٦٧٥٩٢٢٤).

■ابتدع لنفسه منهجًا أدبيًا في كتابة السير سماه «المنهج الوجداني» يجمع بين الموضوعية والعاطفية، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي، ولعل بداياته القصصية هي التي ساعدته في تأصيل هذا المنهج واك، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد بقوله: «حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء تراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال، ويتشح برداء عصره الذي عاشه، ويتنسم ما كان يستنشقه، فتجيء ترجمته كظل الغصن أو كرجع الصدى».

■ له أكثر من عشرين كتابا في أدب السير منها: صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك ـ مأساة شاعر البؤس: عبد الحميد الديب ـ اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي ـ شاعر الأطلال ناجي ـ شاعر الجندول علي محمود طه ـ شاعر النيل والنخيل: صالح جودت ـ رحلتي مع القلم ـ شاعر الحب والحرية كامل الشناوي – إعترافات السندباد التائه.

■ **قام بجمع وتحقيق ودراسة:**

- ديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب (المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠).
- ديوان شاعر الجندول علي محمود طه (هيئة قصور الثقافة – ٢٠١٠).
- ديوان شاعر الكرنك، أحمد فتحي «مكتبة جزيرة الورد – ٢٠١٢).
- ديوان شاعر الحب والحرية، صالح جودت (مكتبة جزيرة الورد – ٢٠١٢).

المصادر والمراجع

ديوان صالح جودت : القاهرة ١٩٣٤.

- ليالي الهرم مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٧ .

- أغنيات علي النيل مكتبة مصر - القاهرة (١٩٦٢) .

- حكاية قلب : دار المعارف القاهرة (١٩٦٥) .

- ألحان مصرية هيئة الكتاب القاهرة (١٩٦٨) .

- الله والنيل والحب / هيئة الكتاب القاهرة (١٩٧٥) .

- شاعر النيل والنخيل صالح جودت بقلم محمد رضوان (وزارة الثقافة القاهرة ١٩٧٧) .

- صالح جودت الشاعر والإنسان بقلم فوزي عطوى دار الفكر العربي بيروت ١٩٨٧ .

- في الشعر العربي الحديث د . عبده بدوي دار السلاسل الكويت .

الدوريات :

- مجلة الهلال (١٩٦٠ - ١٩٧٦)

- مجلة الثقافة

- مجلة الرسالة

- مجلة الصباح

- مجلة أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤).



أخي الصغير الحبيب محمد محمود رضوان

إذا حييتك، فإنما أحيي خلقك، قبل الأديب، الإنسان، الذي لا يتجاوب إلا مع كل شيء عالٍ. وإنسانية كريمة. وهذا هو ما يبشرني بك، وبمستقبلك، كأديب معاصر لا تستطيع انحرافات التيارات الوافدة أن تجرفه أو تؤثر فيه

إني أهنئ نفسي بك، ولك تحية من القلب

صالح جودت

٦ يناير ١٩٧٠



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

أغنيات على النيل (١٩٦٢)

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة